الكامل

في

اللغة والأدب

لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد

عارضه بأصوله وعلق عليه

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الأول

الطبعة الثالثة

١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت: ٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

٨١٠ م ب ك أ

المبرد. أبو العباس محمد بن يزيد، نحو ٨٢٦ - ٨٩٨.

الكامل فى اللغة والأدب/ لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم.- ط٣، جديدة. ـ القاهرة : دار الفكر العربى، ١٩٩٧.

٤ جزء ؛ ٢٤سم .

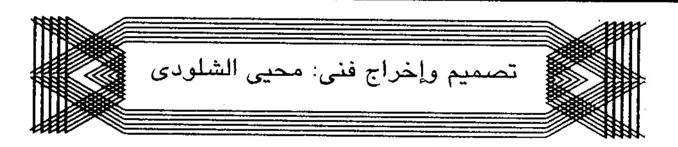
يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية.

يشتمل على كشافات.

تدمك : ٥ - ٠٩٨٨ - ١٠ - ٩٧٧.

١ ـ اللغة العربية ـ مباحث عامة . الأدب العربى

٢ ـ الأدب العربى ـ مباحث عامة . أ ـ محمد أبو الفضل إبراهيم، محقق. ب ـ العنوان.



رقم الإيداع	٤٦٠٠ / ٩٧
الترقيم الدولى I. S. B. N	977 - 10 -0988-5

مطبعة المدنى المؤسسة السعودية بمصر ٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٤٨٢٧٨٥١

بيان

روجع هذا الكتــاب على نسخــة مخطوطة قــيمــة محــفوظة بمكتبــة الأُسكريال فى أسبانيا تحت رقم ٢٢١ ، كــتبها لنفــسه أحد العلماء، وهو علىّ بن عــبد الله بن خلف بن محمــد بن النعمة، سنة ٥١٢ هـ،وقــد قوبلت على الأصــل، وقرأها بعض العلمــاء على كاتبها المذكور.

وهذه النســخة مكتــوبة بخط أندلسى مــضبــوط بالحركــات، وبحواشيها تعليقات كثيرة، وتقع فى ١٧٢ ورقة، وفى كل صفحة ٢٧ سطرا، وبآخرها خرم يسير بين ورقتى ٤٥ و ٤٦.

وقد اعتبرت هذه النسخة أساســا للمراجعة، ورمز إليها بلفظ الأصل.

ثم قوبل أيضا على النسخة الأوربية التى حققها الأستاذ رايت وتم طبــعهــا فى سنة ١٨٨١م، ورمز لهــا بالحرف «ر»، وأثبــتت الزيادات التى فيها بالحاشية، كما قوبلت على النسخة التى طبعت بالآستانة سنة ١٢٨٦هـ، ورمز لها بالحرف «س».



بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم

أخبرنا[١] أبو عثمان سعيدُ بنُ جابر[٢] قال: حدثنا أبو الحسن عَلىٌّ بنُ سليمانَ الأخفش[٣] قراءةً عليه قال: قرئ لى هذا الكتاب على أبى العباس محمد ابن يزيد المُبَرِّد:

الحمد لله حمدًا كثيراً يَبْلُغُ رضاه، ويوجب مَزيده، ويُجِيرُ به من سَخَطِه، وصلى الله على محمد خاتَمِ النبيين، ورسولِ رب العالمين، صلاة تامة زاكية، تُؤَدِّى حقه، وتُزْلِفُ[٤] عند ربه.

قال أبو العباس: هذا كتاب ألَّفناه يجمع ضروبا من الآداب، ما بين كلام منثور، وشِعْرٍ مَرْصوف، ومَثَلٍ سائر، وموعظة بالغة، واختيار من خُطبة شريفة، ورسالة بليغة.

والنِّيَّة فيه أن نُفَسِّرَ كلّ ما وقع فى هذا الكتاب من كلام غريب، أو معنى مُسْتغْلق[٥]، وأن نشرح ما يَعْرِض فيه من الإعْراب شرحًا وافيًا، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفيا، وعن أن يُرْجَعَ إلى أحد فى تفسيره مستغنيًا، وبالله التوفيقُ والحول والقوة، وإليه مَفْزَعُنا فى دَرْك كل طَلِبَة، والتوفيق لما فيه صلاح أمورنا مِنْ عَمَلٍ بطاعته، وعَقْدٍ يرضاه، وقول صادق يرفعه عملٌ صالح، إنه على كل شىء قدير.

---

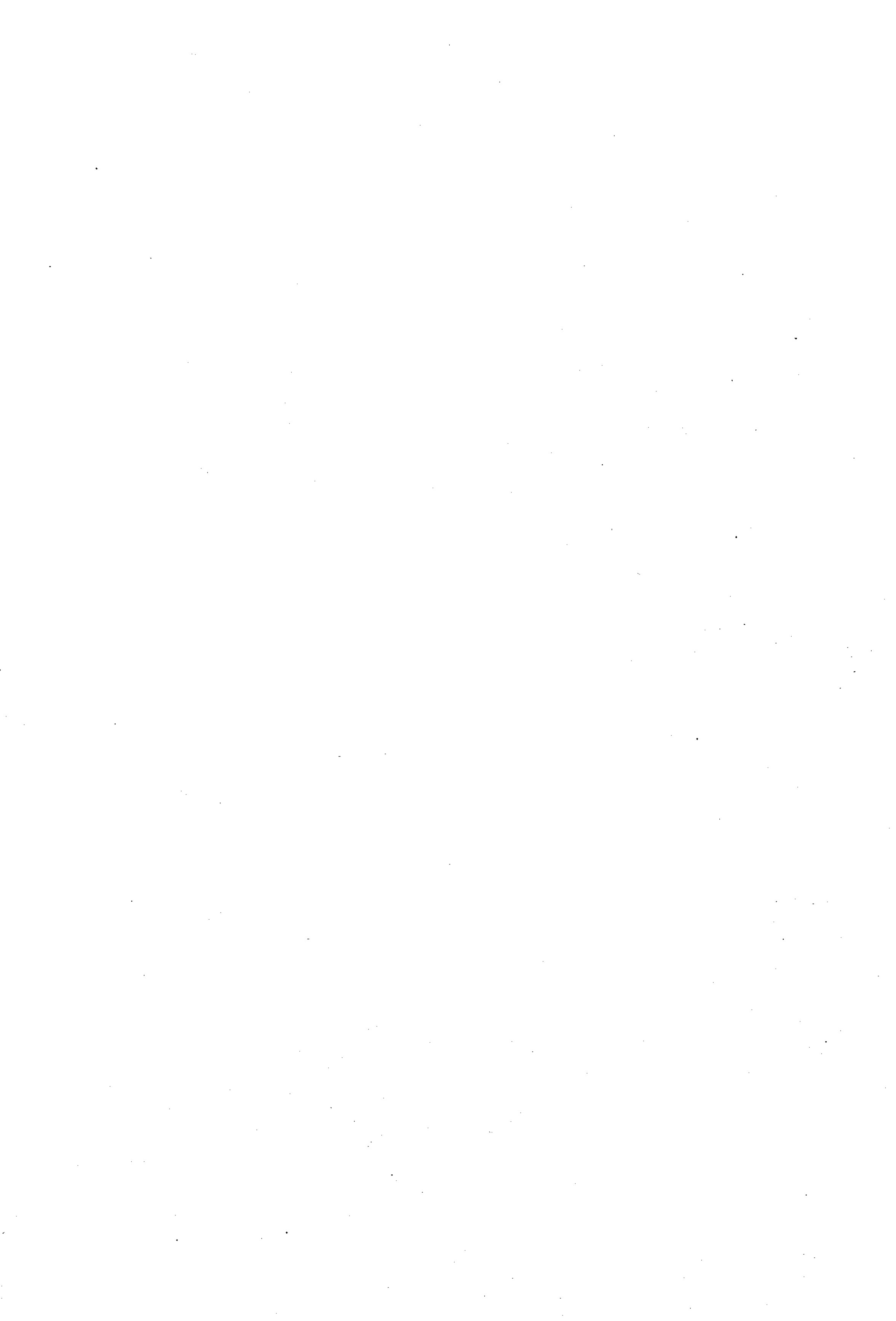
(١) ر ، س: «حدثنا أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز قال أخبرنا أبو عثمان...». وأبو بكر محمد بن عمر هو المعروف بابن القوطية، كان إماما فى العربية، وصحب أبا على القالى وتلمذ له، وهو أحد رواة الكامل بالأندلس، توفى سنة ٣٦٧. (وانظر ترجمته فى إنباه الرواة ٣:١٧٨).

(٢) هو سعيد بن جابر الكلاعى الأندلسى، توفى سنة ٣٢٦. (جذوة المقتبس ٢١٣) هـ .

(٣) هو على بن سليمان أبو الحسن المعروف بالأخفش الصغير، راوى كتاب الكامل وصاحب الحواشى التى فيه. سمع من المبرد وثعلب، توفى سنة ٣١٥. (وانظر ترجمته فى إنباه الرواة ٢:٢٧٦).

(٤) ر : « وتزلفه ».

(٥) س : « منغلق ».



بابـ

[وصف رسول الله للأنصار]

قال رسول الله ﷺ للأنصار(١) فى كلام جرَى: «إنكم لَتكثُرون عند الْفزَع، وتَقِلُّونَ عِنْدَ الطَّمَع».

الفزَع فيِ كلام العرب على وجهين: أحدهما ما تستعمله العامة تريد به الذُّعْر، والآخر الاستنجاد والاستصراخ، من ذلك قول سَلامة بن جَنْدل:

كُنَّا إذَا مـا أَتانا صَـارِخٌ فَـزِعٌ   كَانَ الصُّـرَاخُ لَهُ قَرْعَ الظَّنابِيب

يقول: إذا أتانا مُستَغِيثٌ كانت إغاثته الجِدّ فى نصرته، يقال: قَرَعَ لذلك الأمر ظُنْبوبه إذا جدّ فيه ولم يَفتُرْ، ويُشْتَقُّ من هذا المعنى أنه يقع «فَزِعَ» فى معنى «أغاث»، كما قال الكَلحَبَةُ اليَرْبوعىّ:

* * *

(٢[قال أبو الحسن: الكلحبة لقبه، واسمه هُبَيْرَة، وهو من بنى عَرِين بن يَرْبوع، والنسب إليه عَرِينىّ، وكثير من الناس يقول: عُرَنىّ ولا يَدْرِى، وعُرَيْنَة من اليمنَ، قال جرير يهجو عَرِين بن يربوع:

عَـرِينٌ مـن عُـرَيْنَةَ لَيْسَ مِنَّا   بَرِئْتُ إلَى عُـرَيْنَة مِنْ عَـرِينِ]٢)

* * *

فَـقلْتُ لكَأْسٍ أَلْجِمِـيهَـا فَإنَّمَـا   حَلَلْتُ الكَثِيبَ من زَرُودَ لأفْزَعا(٣)

يقول: لأَغيث. وكَاسٌ: اسم جارية، وإنما أمرها بإلْجام فرسه ليغيث. والظُّنْبُوب: مُقَدَّمُ الساق.

---

(١) جماعة منهم، وهم بنو عبد الأشهل، من ولد عمرو بن مالك بن أوس. (وانظر الفائق للزمخشرى ٢: ٢٧٤).

(٢ - ٢) ما بين الرقمين لم يرد فى الأصل، وأثبتناه عن ر.

(٣) زرود: موضع فى طريق الحاج من الكوفة. والكثيب: القطعة من الرمل، مستطيلة محدودة.

وقال رسول الله ﷺ: «ألا أُخْبِرُكُمْ بأحَبِّكُمْ إليَّ وأَقْرَبِكُمْ منِّى مَجَالِسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقًا، الـمُـوَطئُونَ أَكْنَافًا، الَّذين يَأْلَفُونَ ويُؤْلَفُونَ، أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بأَبْغَضِكُمْ إِليَّ وأَبْعَدِكُم منِّى مَجَالِسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ الثَّرْثارُونَ الـمُتَفَيهقُونَ».

قوله ﷺ: «الموطئون أكنافا» مَثَل، وحقيقتُه أن التَّوْطِئَةَ هى التذليل والتمهيد، يقال: دابةٌ وَطئٌ، يا فتى، وهو الذى لا يُحرِّكُ راكبَهُ فى مَسيره، وفرَاش وَطئٌ إذا كان وَثيرًا لا يُؤْذى جَنْبَ النائم عليه، فأراد القائل بقوله: «مُوطّأ الأَكناف» أن ناحيته يتمكَّنُ فيها صاحبُها غيرَ مُؤْذًى، ولا نابٍ به موضعُه.

قال أبو العباس: حدثنى العباس بن الفَرَج الرِّياشىُّ قال: حدثنى الأصْمَعىُّ قال: قيل لأعرابىٍّ - وهو المُنْتَجِعُ بن نَبْهان(١) -: ما السَّمَيْدَعُ؟ فقال: السيِّد المُوَطَّأُ الأكناف.

وتأويل الأكناف الجوانب، يقال: فى المَثَل: فلانٌ فى كنف فلان، كما يقال: فلان فى ظل فلان، وفى ذَرَى فلانٍ، [وفى ناحية فلان،](٢)، وفى حَيِّز فلان.

وقوله ﷺ «الثرثارون» يعنى الذين يُكْثِرُون الكلام تكلُّفًا وتَجاوُزًا، وخروجًا عن الحق. وأصل هذه اللفظة من العين الواسعة من عيون الماء، يقال: عينٌ ثَرْثارةٌ، وكان يقال لنهر بعينه: الثَّرْثارُ(٣)، وإنما سمى به لكثرة مائه، قال الأخْطَلُ:(٤)

لَعَمْرِى لَقَدْ لاَقَتْ سُلَيْمٌ وَعَامِرٌ ... عَلَى جَانِبِ الثَّرْثَارِ رَاغِيَةَ الْبَكْرِ

قوله: «راغية البكر» أراد أن بكْرَ ثمود رَغَا فيهم فأُهْلِكُوا، فضربته العرب مَثَلاً، وأكثرت فيه، قال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ الفحل:

رَغَا فَوْقَهُمْ سَقْبُ السَّمَاءِ فَدَاحِضٌ ... بِشِكَّتِهِ لمْ يُسْتَلَبْ وَسَلِيبُ(٥)

---

(١) من طيئ؛ ذكره الزبيدى فى الطبقة الأولى من اللغويين البصريين ص ١٧٥.
(٢) تكملة من ر.
(٣) الثرثار: موضع عند تكريت.
(٤) زيادات ر: «واسمه غياث بن غوث، يكنى أبا مالك، ويلقب بدوبل، والدوبل: الخنزير»، وكذلك فى س.
(٥) زيادات ر: «السقب: ولد الناقة، والشكة: ما يلبس من السلاح، والسليب: من سلب سلاحه».

[قال أبو الحسن: الداحض: الساقط، والداحض أيضا: الزالق]

وكذلك إذا لم تُضَعِّف الثاء فقلتَ: عينٌ ثَرَّةٌ: فإنما معناها غزيرة واسعة، قال عَنْتَرَةُ:

جَادَتْ عَلَيْهَا كُلُّ عَيْنٍ ثَرَّةٍ فتَرَكْنَ كُلَّ حَدِيقَةٍ كالدِّرْهَمِ(١)

قال أبو العباس: وليست الثرة عند النحويين البصريين من لفظة الثَّرْثَارَةِ، ولكنها فى معناها(٢).

وقوله ﷺ: «المتفيهقون» إنما هو بمنزلة قوله: «الثرثارون» توكيد له، ومُتَفَيْهِق مُتَفَيْعِل، من قولهم: فَهِقَ الغَديرُ يَفْهَقُ إذا امتلأ ماءً فلم يكن فيه موضع مَزِيد، كما قال الأعشى:

نَفَى الذَّمَّ عَنْ رَهْطِ المُحَلَّقِ جَفْنَةٌ كَجَابِيَةِ الشَّيْخِ الْعِرَاقِيِّ تَفْهَقُ

كَذا يُنْشِدُه أهلُ البَصرة، وتأويله عندهم أن العراقيَّ إذا تَمكَّنَ من الماء ملأ جَابِيَتَه لأنه حَضَرِيّ فلا يعرف مواقع الماء ولا مَحالَّه.

قال أبو العباس: وسمعت أعرابية تنْشِد ـ [قال أبو الحسن هى أمُّ الهَيْثَمِ الكلابيَّةُ من ولد المحلَّق، وهى راوية أهل الكوفة] ـ: «كجابية السَّيْحِ» تريد النهر الذى يجرى على جابيته، فماؤها لا ينقطع؛ لأن النهر يَمُدُّهُ. ومثَل قول البصريين فيما ذَكَرُوا به «العراقِيَّ الشيخ» قولُ الشاعر ـ [قال أبو الحسن هو ذو الرُّمّة] ـ :

لَهَا ذَنَبٌ ضَافٍ وذِفْرَى أَسِيلَة وَخَدٌّ كمَرْآةِ الْغَرِيبَةِ أَسْجَحُ(٣)

يقول: إن الغريبة لا ناصحَ لها فى وجهها، لبعدها عن أهلها، فمِرْآتُها أبدًا مَجْلوَّة، لفرْط حاجتها إليها.

---

(١) قال فى اللسان: «الحديقة من الرياض: كل أرض استدارت وأحدق بها حاجز، أو أرض مرتفعة». وفى رواية التبريزى (شرح المعلقات ١٠٨): «كل قرارة كالدرهم».

(٢) س، وحواشى ر: «ويجب أن يكون من الثرة ثرارة».

(٣) ديوانه ٨٨. والذفرى: الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذن. وفى الديوان: «لها أذن حشر». والأذن الحشر: المحددة.

وتصديقْ ما فسَّرناه من قول رسول الله ﷺ أنه يريد الصدقَ فى المَنْطق والقصدَ، وتركَ ما لا يُحْتاجُ إليه، قوله لجرير بن عبد الله البَجَلِيِّ: «ياجَرِيُر، إذا قلتَ فأَوْجِزِ، وإذا بَلَغْتَ حاجتَك فلا تتكَلَّف».

[كلمة أبى بكر فى مرضه لعبد الرحمن بن عوف]

قال أبو العباس: ومما يؤْثَرُ من حكيم الأخبار، وبارع الآداب، ما حُدِّثْنا به عن عبد الرحمن بن عَوْفٍ، وهو أنه قال: دخلت يوما على أبى بكر الصديق رحمة الله عليه فى علَّته التى مات فيها، فقلت له: أراك بارئًا يا خليفةَ رسول الله، فقال: أما إنِّى على ذلك لَشَدِيدُ الوَجَعِ، ولَمَا لَقِيتُ مِنْكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمهَاجِرينَ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ وَجَعى. إنِّى وَلَّيتُ أموركم خيرَكم فى نفسى، فكلُّكم وَرِمَ أَنْفُهُ أن يكون له الأمر من دونه، والله لَتَتَّخذُنَّ نَضَائدَ الدِّيبَاجِ، وسُتُورَ الحرير، ولَتَأْلَمنَّ النَّوْمَ على الصُّوف الأَذْرَبِيِّ كما يَأْلَمُ أحدُكم النوم على حسَك السَّعْدان، والذى نفسى بيده لأَن يُقَدَّمَ أَحدُكم فَتُضْرَبَ عُنُقُهُ فى غَيْرِ حَدٍّ خَيْرٌ لَهُ منْ أَنْ يَخُوضَ غَمَراتِ الدُّنيا. يا هادىَ الطَّريق جُرْتَ، إنما هو والله الفَجْرُ، أو الْبَجْرُ. فقلتُ: خَفِّضْ عليك يا خليفةَ رسول الله، فإن هذا يَهيضُك إلى ما بك، فوالله مازلْتَ صَالحًا مُصْلحًا، لاَ تَأْسَ على شىء فاتك من أمر الدنيا، ولقد تَخَلَّبْتَ بالأمر وحدك فما رأيتَ إلا خيرًا.

قوله: «نضائد الديباج» واحدتها نَضِيدةٌ، وهى الوسادة وما يُنْضَدُ من المتاع، قال الراجز:

وَقَرَّبَتْ خُدَّامُهَا الوَسَائدَا   حَتَّى إذَا مَا عَلَوا النَّضَائِدا
سَبَّحْتُ رَبِّى قَائمًا وَقاعدا

وقد تسمى العرب جماعة ذلك النَّضَدَ، والمعنى واحد، إنما هو ما نُضِدَ فى البيت من متاع، قال النابغة:

* وَرَفَّعَتْه إلى السَّجْفَيْنِ فالنَّضَدِ[1] *

---

(١) ديوانه ٢٤، وصدره:

* خَلَّتْ سبيل أتيٍّ كان يحبسه *

ويقال: نَضَدْتُ المتاع إذا ضممت بعضه إلى بعض، فهذا أصله قال الله تبارك وتعالى: ﴿لها طَلْعٌ نَضيدٌ﴾(١)، وقال: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾(٢)، ويقال: نَضَدْتُ اللَّبِنَ على الميّت.

وقوله: «على الصوف الأذربىّ»، فهذا منسوب إلى أذْرَبِيجانَ، وكذلك تقول العرب، قال الشَّمّاخ:

تَذَكَّرْتُهَا وَهْنًا وَقَدْ حَالَ دُونَهَا قُرَى أَذرَبِيجانَ الَمسَالِحِ والجالِ(٣)

وقوله: «على حَسَكِ السَّعْدانِ»، فالسَّعدان نَبْتٌ كثير الْحَسك تأكله الإبل فتسمن عليه، ويغذوها غذاءً لا يوجد فى غيره، فمن أمثال العرب: «مَرْعًى ولا كالسَّعْدان» تفضيلاً له، قال النابغة:

الْوَاهِب الْمِائةَ الأبْكَارَ زَيَّنَهَا سَعْدَانُ تُوضِحَ فى أوبارها اللِّبَدُ(٤)

ويرْوَى فى بعض الحديث «أنه يُؤْمَرُ بالكافر يوم القيامة فَيُسْحَبُ على حَسَكِ السَّعْدان»، والله أعلم بذلك.

* * *

[قال أبو الحسن: السَّعْدان: نبت كثير الشوك - كما ذكر أبو العباس - ولا سَاقَ له، إنما هو مُنْفَرِشٌ على وجه الأرض. حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى الشَّيْبانىّ عن ابن الأعرابىِّ، قال: قيل لرجل من أهل البادية - وخرج عنها -: أترجع إلى البادية؟ فقال: أمَّا مادام السَّعْدانُ مُسْتَلْقِيًا فلا. يريد أنه لا يرجع إلى البادية أبدًا، كما أن السعدان لا يزول عن الاستلقاء أبدًا.

---

(١) سورة ق ١٠.

(٢) سورة الواقعة ٢٩ ، ٣٠.

(٣) المسالح: مواضع المخافة، والجال، ضبطت فى الأصل بالفتحة والكسرة، وكذلك فى إحدى النسخ التى قابل بها «ريط» نسخته. وقال المرصفى: «الجال: اسم لجماعة الخيل والإبل، أضاف أذربيجان إليهما إشعارا بأنها مملوءة بهما». وانظر ديوان الشماخ ١١٧، ومعجم البلدان ١:١٥٩، واللسان (سلح)، وتاج العروس (ذرب)، والمعرب للجواليقى ٣٦.

(٤) توضح: من قرى اليمامة.

وقال أبو على البَصير - واسمه الفَضْل بن جعفر، وإن لم يكن بحجة، ولكنه أجاد فذكَرْنا شِعْرَهُ هذَا لِجَوْدته لا للاحتجاج به - يمدح عُبَيْدَ الله بن يحيى ابن خاقان وآلَه فقال:

يا وُزَراءَ السلطان ... أنتم وآلُ خاقانْ
كبَعْضِ ما رَوَيْنَا ... فى سالفات الأزمانْ
ماءٌ ولا كَصُدَّى ... مَرْعًى ولا كالسَّعْدانْ

وهذه الأمثال ثلاثة، منها قولهم: «مَرْعًى ولا كالسَّعدان»، و«فَتًى ولا كَمَالك»، و«ماء ولا كَصُدَّى»، تُضْرَبُ هذه الأمثال للشيء الذى فيه فَضْلٌ وغيره أفضلُ منه، كقولهم: «ما من طامَّة إلا فوقها طامَّةٌ»، أى ما من داهية إلا وفوقها داهيةٌ، ويقال: طَما الماءُ وطَمَّ إذا ارتفع وزاد.

ومالك الذى ذكروا هو مالك بن نُوَيْرَة، أخو مُتَمِّم بن نُوَيْرَة.

وصَدَّاء يُمَدُّ،وبعضهم يقول: صُدَّى، فيضم أوله ويَقْصُرُ، فأمّا أبو العباس محمد بن يزيد، فإنه قال: لم أسمع من أصحابنا إلا صَدْءَاء يا فتى، وهو اسم لماء، معرفةٌ، وهما همزتان بينهما ألف، والألِف لا تكون إلا ساكنة، كأنك قلت: صَدْعاع يا هذا][1].

* * *

وقوله: «إنما هو والله الفجر أو البَجْرُ» يقول: إن انتظرتَ حتى يُضِيء لك الفجرُ الطريقَ أبصرتَ قَصْدَك، وإن خَبَطْتَ الظَّلْماءَ، وركبتَ العَشْواء هَجَمَا بك على المكروه. وَضَرَبَ ذلك مَثَلاً لغَمَرات الدنيا، وتَحييرها أهلَها.

وقوله: «يَهيضُكَ» مأخوذ من قولهم: هِيضَ العَظْم إذا جُبِرَ ثم أصابه شىء يُعْنِتهُ فآذاه فكسره ثانية، أولم يَكْسِرْهُ، وأكثر ما يستعمل فى كَسْرِه ثانيةً، ويقال: عظم مَهِيضٌ، وَجَناح مهِيضٌ فى هذا المعنَى، ثم يشتق لغير ذلك، وأصله ما ذكرت لك، فمن ذلك قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله لما كَسَرَ يزيد بن الْمُهَلَّب

(١) ما بين العلامتين لم يرد فى الأصل، وأثبتناه عن ر ، س.

سجْنه وَهَرَبَ، فكتب إليه: لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَبْقَى مَـا فعلْتُ، وَلَكنَّكَ مَسْمُومٌ، وَلَم أَكُنْ لأَضَعَ يَدِى فى يَدِ ابن عـاتكة[1]. فقال عمر: اللَّهُمَّ إنَّــهُ قَدْ هَاضَنِى فَهِضْهُ. فهذا معناه.

وقوله: «فكلّكم وَرِمَ أنفُهُ»، يقـول: امتلأ من ذلك غَضَبًـا، وذكر أنفه دون السائر كما يقال: فلان شـامخ بأنفه، يريد رافع، وهذا يكون من الغضب كما قال الشاعر:

* ولا يُهاجُ إذا ما أنفُهُ وَرِمَا *

أى لاَ يكَلَّمُ عند الغـضب، ويقال للمـائل برأسه كِبْـرًا: مُتَـشَاوِس، وثَانى عطْفه، وثانى جِـيده، إنما هذا كله من الْكِبْرِياء. قـال الله عز وجل: ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ الله﴾[2]، وقال الشَّماخُ[3]:

نُبِّـئْتُ أَنَّ رُبَيْــعًـا أَنْ رَعَى إبِلاً   يُهْـدِى إلَىَّ خَنَاهُ ثَانِىَ الجِيـدِ

وقـوله: «أراك بارئًا ياخليـفة رسـول الله»[4] يكـون من بَـرِئْتُ مـن المرض وبَرَأْتُ، كلاهمـا يقال: فمن قـال بَرِئتُ يقول: أَبْرَأُ[5] يافتى لا غـير، ومن قال: بَرَأْتُ قـال فى المضارع: أَبْرَأُ وَأَبْرُؤُ، يافـتى، مثْلَ فَـرَغَ وَيفْرُغُ. والآية تُقْـرَأ على وجـهـين: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّـقَلاَن[6]﴾، و﴿سَنَفْرَغُ﴾، والمصدر فيهما «البُـرءُ» يا فتى.

[عهد أبى بكر بالخلافة إلى عمر]

ومما روى لنا عنه رضى الله عنه حيث عَهِدَ عند موته وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا مـا عَهِدَ به أبو بكر خليفةُ مـحمد رسول الله ﷺ، عند آخر عَـهْده بالدنيـا، وأول عَهْـده بالآخرة، فى الحـال التى يُؤْمنُ فيـها الكافر، ويَتَّقِى فيها الفَاجر. إنى استعملتُ عَلَيكم عمرَ بنَ الخطاب، فإن بَرَّ وعَدَلَ

---

(١) زيادات ر: «هو يزيد بن عبد الملك بن مروان، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية، ولى الملك بعد عمر بن عبد العزيز، ولا يعلم أحد أعرق فى الخلافة منه».

(٢) سورة الحج ٩.

(٣) زيادات ر: «يهجو الربيع بن علياء السلمى».

(٤) ر، س: «يا خليفة رسول الله ﷺ».

(٥) ر، س: «قال».

(٦) الرحمن ٣١.

فذلك عِلْمى به، ورأيــى فيه، وإن جار وبَــدَّلَ فلا عِلْمَ لى بالغيب، والخَـيرَ أرَدْتُ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا اكتَسَبَ، وَسَيَعْلَمُ الذين ظلموا أىَّ مُنْقَلَبٍ ينقلِبُون.

نصبَ «أىّ» بقــوله «يَنْقلبون» ولا يكون نَصْــبهــا بـ «سيعــلم»؛ لأن حروف الاستفهام إذا كانت أسماءً امتنعت مما قــبلها كما يمتنع ما بعد الألف من أن يَعْمَلَ فيه مــا قبله، وذلك[1] قــولك: «علمتُ زيدًا منطلقًــا» فــإن أدخلْتَ الألف قلتَ: «علمتُ أزيــدٌ منطلقٌ أم لا»، فــأىٌّ بمنزلة زيــد الواقع بعـــد الألف، ألا ترى أن مــعناها: أذا أم ذا. وقال الله عــزّ وجل: ﴿لِنَعْلَمَ أَىُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾[2] لأن معناها: أهذا أم هذا؟ وقَــال تعَالى: ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾[3] على مــا فسرتُ لك، وتقــولُ: أَعْــلَــم أَيُّــهُمْ ضَــرَبَ زَيْــدًا، وأَعْــلَــمُ أَيَّــهُمْ ضــرب زيــد، تــنــصب أيًّا بـ «ضــرب» لأن «زيدا» فاعل، فــإنما هذا لما بعده، وكــذلك ما أضيف إلى اسم من هذه الأسماء الـمُسْتَفْهَم بها، نحو: قد علمتُ غلامُ أَيِّهِمْ فى الدار، وقد عرفتُ غُــلامُ مَنْ فى الدار، وقد علمتُ غلامَ مَنْ ضربتَ، فــتنصبه بـ «ضربت»، فعلى هذا مَجْرَى الباب.

[أول خطبة خطبها عمر بن الخطاب]

ومما يُؤْثَرُ من هذه الآدابِ ويُقَدَّم قَولُ عــمرَ بنِ الخطاب رضى الله تعالى عنه فى أول خُطْبَة خَطَبها ـ حدثنا العُتْبىُّ قال: لم أرَ أقلَّ منها فى اللفظ، ولا أكثر فى المعنى ـ حَمِدَ الله وأثنى عليه وهو أهله، وصلى على نبيه محمد ﷺ ثم قال:

أيها الناس، إنَّهُ وَالله مَا فيكُمْ أَحَدٌ أَقْوَى عندى من الضَّعيفِ حَتَّى آخذَ الْحقَّ لَهُ، ولا أَضْعَفُ عِنْدِى مِن الْقَوِىِّ حَتَّى آخُذَ اَلْحقَّ منه.

ثم نزل. وإنما حَسُنَ هذا القولُ مع ما يستحقــه من قِبَلِ الاختيار، بما عَضَدَهُ به من الفعل المشاكل له:

[4][قال أبو الحسن: قد رَوَيْنَا هذه الخطبة التى عزاها إلى عمر بن الخطاب عن أبى بكر رضى الله عنهما، وهو الصحيح][4].

(1) ر، س: «وذلك نحو قولك».
(2) الكهف ١٢.
(3) الكهف: ١٩.
(٤ ـ ٤) لم يرد فى الأصل، وأثبتناه عن ر، س.

قال أبو العبـاس: ومن ذلك رسالتُه فى القضاء إلى أبى مـوسى الأشعرىّ، وهى التى جَمَعَ فيها جُمَلَ الأحكام، واختصرَها بأجود الكلام، وجَعَل الناسُ بعده يتخـذونها إمامًا، ولا يَجِـدُ مُحِقٌّ عنها مَعْـدِلا، ولا ظالمٌ عن حدودها مَحِيـصًا، وهى:

بسم الله الرحمن الرحـيم: من عبد الله عمر بن الخطاب أمـير المؤمنين إلى عبـد الله بن قَيْسٍ. سلامٌ عليك، أمـا بعد، فإن القَضَـاءَ فَرِيضَةٌ مُـحْكَمَةٌ، وسُنَّةٌ مَتَّبـعَةٌ، فافْهَمْ إذا أُدلِىَ إِلَيْكَ، فإنـه لا يَنْفَعُ تكَلُمٌ بحق لاَ نفاذ له. آسِ بَيْنَ النَّاسِ بوَجْهِكَ[١]، وعَدْلك، ومَـجْلسك، حتَّى لا يَطْمَع شريفٌ فى حَيْـفك، ولا ييئس ضعيفٌ من عدلك. البَيِّنَـةُ على مَنِ ادَّعَى، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين، إلاَّ صُلْحًـا أَحَلَّ حَرَامًا، أَوْ حَرَّمَ حَـلالاً. لا يمنعنَّك قَضَاءٌ قَضَـيْتَهُ اليومَ فَـرَاجَعْتَ فيه عَـقْلَكَ، وهُدِيتَ فيه لرُشْـدك، أن تَرْجِعَ إلى الحق، فإن الحق قديمٌ، ومراجعـةُ الحق خير من التمادى فى الباطل. الفَهْمَ الفَـهْمَ فيما تَلَجْلَجَ فى صدرك مما ليس فى كتاب وَلاَ سُنَّة، ثم اعرِفْ الأَشْـبَاهَ وَالأَمْثَالَ، فَقِسِ الأُمُورَ عند ذلك، واعْمِدْ إلى أقربها إلى الله، وأشبهها بالحق، واْجْعَلْ لمنِ ادَّعَى حَقًّا غائبًا أو بينةً أَمَـدًا ينتهى إليـه، فإن أحضـر بَيِّنَتَهُ أخـذتَ له بحقـه، وإلاَّ استَحْلَلْـتَ عليه القضيةَ، فإنه أَنْفى للشك، وأَجْلَى للعمى. المسلمون عُدُولٌ بعضُهم على بعض إلاَّ مَجْلودًا فى حدٍّ، ومُـجَرَّبًا عليه شهـادةُ زُور، أو ظَنِينًا فى وَلاَء أوَ نَسَبٍ، فإن الله تولَّى منكم السـرائر، ودَرَأَ بالبيِّـنات والأَيْمان. وإياك والغَلَقَ وَالضَّـجَرَ، والتَّـأَذِّىَ بالخصوم، والتَّنَـكُّرَ عند الخصومات، فإن الحق فى مَـواطن الحق لَيُعْظِمُ[٢] الله به الأجر، ويُحْسِنُ به الذُّخْرَ، فـمن صَحَّتْ نِيَّتُهُ، وأَقْبَلَ على نفســه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تَخَلَّقَ للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانَهُ الله، فما ظنك بثواب غيْر الله عزّ وجل فى عاجِلِ رزقه وخزائن رحمته، والسلام.

---

(١) ر، س: «فى وجهك».

(٢) ر س: «يعظم».

قال أبو العباس: قوله: «آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك»، يقول: سَوِّ بينهم: وتقديره: اجعل بعضهم أُسْوَةَ بعض، والتَّأَسِّى من ذَا أن يَرَى ذُو الْبَلاَء مَنْ به مِثلُ بَلائه، فيكونَ قد ساواه فيه، فَيُسكِّنَ ذلك من وَجْدِه، قالت الخَنْسَاء:

فَلَوْلاَ كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِى ... عَلَى إخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِى

وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِى وَلَكِنْ ... أُعَزِّى النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأَسِّى

يُذَكِّرُنِى طُلوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا ... وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسِ

تقول: أذكره فى أوَّل النهار للغارَة، وفى آخره للضِّيفان، وتَمَثَّلَ مُصْعَبُ بن الزُّبَيْرِ يومَ قُتِل بهذا البيت:

وَإنَّ الأُلَى بَالطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... تَآسوْا فَسَنُّوا لِلْكِرام التَّآسِيَا(١)

وقوله: «حتى لا يطْمَعَ شريفٌ فى حَيْفك»، يقول: فى مَيْلك معه لشرفه.

وقوله: «فيما تَلَجْلَجَ فى صدرك» يقول: تَرَدَّدَ، وأصل ذلك الْمُضْغَةُ والأَكْلَةُ يُرَدِّدُها الرجلُ فى فِيه فلا تزال تتردد إلى أن يُسِيغَها أو يَقْذِفها، والكلمة يرددها الرجل إلى أن يَصِلَها بأُخرى، يقال لِلْعَيِىِّ: لَجْلاَجٌ، وقد يكون من الآفة تعتَرِى اللسان، قال زُهَيْر:

تُلَجْلِجُ مُضْغَةً فِيهَا أَنِيضٌ ... أَصَلَّتْ، فَهِىَ تَحْتَ الكَشْحِ دَاءُ

وقوله: «أنِيضٌ» أى لم تَنْضَجْ(٢). ومن أمثال العرب: الحقُّ أَبْلَجُ، والباطل لَجْلَجٌ. أى يتردد فيه صاحبه فلا يصيب مَخْرَجًا.

وقوله: «أوظَنِينًا فى وَلاء، أو نسب»، فهو الْمُتَّهَم، وأصله «مَظْنون»، وهى ظننت التى تتعدى إلى مفعول واحد، تقول: ظننت بزيد، وظننت زيدًا، أى اتَّهَمْتُ، ومن ذلك قول الشاعر ـ أحسبُهُ عبد الرحمن بن حَسَّان ـ:

فَلاَ وَيَمِينِ اللهِ مَا عَنْ جِنَايَةٍ ... هجِرْتُ، وَلَكِنَّ الظَّنِينَ ظَنِينُ(٣)

---

(١) البيت فى الأغانى (١٧ ـ ١٦٥) ونسبه إلى سليمان بن قتة، وهو أيضا فى اللسان (أسا) من غير نسبة. قال ابن برى: « وتآسوا، من المؤاساة، كما ذكر الجوهرى، لا من التأسى كما ذكر المبرد».

(٢) كذا ذكره المبرد، وهو يوافق ما فى شرح الديوان، وفى اللسان (أنض): «فيها أنيض أى تغير» واستشهد بالبيت، وهو الأوفق.

(٣) البيت فى اللسان (ظن)، ونسبه أيضا إلى عبد الرحمن بن حسان، ثم ذكر أن ابن برى نسبه إلى نهار بن توسعة.

وفى بعض المَصَاحف: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بظَنِين﴾[1]: وإنما قال عمر رضى الله عنه ذلك لمَا جاء عن النبى ﷺ: «مَلْعون مَلْعون مَن انْتَمَى إلى غير أبيه، أو ادَّعَى إلى غير مَوَاليه»، فلما كانت معه الإقامةُ على هذا لم يره للشهادة موضعًا.

وقوله: «وَدَرَأَ بالبينات والأيمان» إنما هو دَفَعَ، من ذلك قول رسول الله ﷺ: «ادْرَءُوا الْحُدُودَ بالشُّبُهَات»، وقال الله عزّ وجل: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنتمْ صَادِقِين﴾[2] وقال: ﴿فَادَّارَأْتُم فِيهَا﴾[3]، أى تَدَافَعْتُمْ.

وأما قوله: «وإياك والغَلَقَ والضجَرَ» فإنه ضيقُ الصدر، وقلة الصبر، يقال فى سوء الْخُلُقِ: رجل غَلِقٌ، وأصل ذلك من قولهم[4]: غَلِقَ الرّهْنُ، أى لم يوجد له تَخَلُّص، وأغْلَقْتُ البابَ مِن هذا، قال زُهَيْر:

وَفَارَقَتْكَ بِرَهْنٍ لاَ فَكَاكَ لَهُ ... يَوْمَ الْوَدَاعِ فَأَمْسَى الرَّهْنُ قَدْ غَلِقا

وقوله: «ومن تَخَلَّقَ للناس»، يقول: أَظْهَرَ للناس فى خُلُقِه خلافَ نيته.

وقوله: «تَخَلَّقَ» يريد أَظْهَرَ[5] مثل تَجَمَّلَ يريد أظهر جَمَالا وتَصَنَّعَ، وكذلك تَجَبَّرَ، إنما تأويله الإظهار، أى أظهر جَبَرِيَّةً، وإن شئت جَبَروتًا، وإن شئت جَبَروتَى [وإنْ شِئْتَ جَبَرُوَّة][6]. ومن كلام العرب على هذا الوزن: رَهَبُوتَى خير لك من رَحَموتَى، أى(7 تُرْهَبُ خيرٌ لك من أن تُرْحَمَ7). قال أبو العباس وأنْشَدونا عن أبى زيد[8]:

(١) التكوير: ٢٤، وهو مصحف عبد الله بن مسعود، (وانظر الكشاف).
(٢) سورة آل عمران: ١٦٨.
(٣) سورة البقرة: ٧٢.
(٤) ر: «وأصل ذلك من قولهم: أغلق عليه أمره إذا لم يتضح ولم ينفتح، من ذلك قولهم: غلق الرهن...».
(٥) ر، س: «أظهر خلقا».
(٦) تكملة من ر.
(٧ - ٧) ر، س «لأن تُرهب خير لك من أن ترحم».
(٨) زيادات س: «الشعر لسالم بن وابصة الأسدى».

يأيهـا المتَـحلَّى غَـيْـرَ شِـيمَـتِـهِ   إنَّ التَّخلُّقَ يَأْتِى دُونَهُ الْخُلقُ[1]
وَلاَ يُؤَاتِيكَ فِيـما نَابَ مِنْ حَدَثٍ   إلاَّ أَخُـو ثِقَةٍ فَـانْظُرْ بِمَنْ تَثِقُ

قال: وأَنْشَدَتْنى أمُّ الْهَيْثَمِ الكلاَبِيَّة:

وَمَنْ يَتَّخِذْ خِيمًا سِوى خِيمِ نَفْسِهِ   يَدَعْهُ ويَغْلِبْهُ عَلَى النفْسِ خِيمُهَا[2]

وقال ذو الإصبعِ الْعَدْوَانِىُّ[3]:

كلُّ أمْـرِئٍ رَاجِعٌ يَوْما لِشِـيـمَتِـهِ   وَإِنْ تَمـتَّعَ أَخْلاقًـا إِلَى حِـينِ

وأما قـوله: «ثواب»، فاشتقـاقه من ثابَ يَثُوبُ إذا رَجعَ، وتأويله مـا يَثُوب إليك من مُكافأةِ الله وفضله.

[كتاب عثمان إلى على بن أبى طالب حين أحيط به]

وكتب عثمانُ بن عَفَّانَ إلى عليٍ رحمه الله[4] حين أُحيطَ به:

أما بعدُ: فـإنه قد جاوزَ الماءُ الزُّبَى، وبَلَغَ الحزامُ الطُّبْيَـيْنِ، وتجاوزَ الأمرُ بى قَدْرَهُ، وطَمِعَ فِىَّ مَن لا يَدْفَع عن نفسه

فَإِنْ كُنتُ مَأْكُـولاً فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ   وَإِلاَّ فَـأَدْرِكْنِى وَلَمَّا أُمَـزَّقِ[5]

قوله: «قد جاوز الماء الزبى» فالزُّبْيَةُ مَـصْيَدة الأَسد، ولا تُتَّخَذ إلا فى قلةٍ أو رَابِيَةٍ أو هَضْبَةٍ، قال الراجز[6]:

كاللَّذْ تَزَبَّى زُبْيَةً فَاصْطِيدَا

---

(١) الشعر فى ر هكذا:

يأيهـا المتـحلى غـير شـميـتـه   [ومن سـجـيـتـه الإدغـال والملق
دع التـخلـق يبـعـد عنك أوله]   إن التـخلـق يـأتى دونـه الخلـق
ولا يؤاتيـك فـيـمـا ناب من حـدث   إلا أخـو ثقـة، فـانظر بمن تـثق

وانظر رواية الأبيات فى ديوان الحماسة ٢: ٢٣٦ ـ بشرح التبريزى.

(٢) البيت فى اللسان (خيم) من غير نسبة.

(٣) زيادات ر: «ذو الإصبع اسـمه حرثان بن الحـارث بن محرث، وقـيل له ذو الإصبع؛ لأن أفـعى نهشت إصبعه».

(٤) ر: «على بن أبى طالب رحمهما الله»، س: «على بن أبى طالب رضى الله عنهما».

(٥) البيت للممزق العبدى، واسمه شأس بن نهار، (وانظر المؤتلف والمختلف للآمدى ١٨٥).

(٦) قبله فى زيادات ر:

* فأنت والأمر الذى قد كيدا *

وقال الطِّرِمّاح:

يا طَيِّئَ السَّهلِ والأجْبَالِ(1)، مَوعِدُكُمْ كَمُبْتَغِى الصَّيْدِ أَعْلَى زُبْيَةِ الأَسَدِ

وتقول العرب: «قد عَلاَ الماءُ الزُّبَى»، و«قد بَلَغَ السِّكِّينُ الْعَظْمَ»، و«بَلَغَ الحِزامُ الطُّبْيَيْنِ»، و«قد انقطع السَّلَى فى البطن».

فالسَّلَى من المرأةِ والشاةِ ما يَلْتَفُّ فيه الولدُ فى البطن، وقال العَجَّاجُ:

فَقَدْ عَلاَ المَاءُ الزُّبَى فَلاَ غِيَرْ

أى: قد جَلَّ الأمرُ عن أن يُغَيَّرَ ويُصْلَحَ.

وقوله: «وبلغ الحزام الطبيين»، فإن السِّباعَ والخيلَ يقال لموضع الأَخْلاف منها: أَطْباءٌ يا فتى، واحدها طُبْىٌ، كما يقال فى الظِّلْف والْخُفِّ: خِلْفٌ، هذا مكانُ هذا، فإذا بلغ الحزامُ الطُّبيين فقد انتهى فى المكروه، ومثل هذا من أمثالهم: «التقَتْ حَلْقَتَا البطَان»(2): [ويقولون: التقت حلقتا البطان والحقب](3)، ويقال: حَقِبَ البعيرُ إذا صار الحزامُ فى الحَقَب(4)، قال الشاعر(5):

إذَا مَا حَقَبٌ جَالَ شَدَدْنَاهُ بِتَصْدِيرِ

وقال أَوْس بن حَجَرٍ:

وَازْدَحَمتْ حَلْقَتَا الْبِطَانِ بِأَقْوامٍ وَطَارَتْ نُفوسهمْ جَزَعَا

وَتَمثُّله بالبيتِ يشاكلُ قولَ القائل:

فَإنْ أَكُ مَقْتُولاً فَكُنْ أَنْتَ قَاتِلِي فَبَعْضُ مَنَايَا الْقَوْمِ أَكْرَمُ مِنْ بَعْضِ

(1) أجبال طيئ: أجا وسلمى والعوجاء.

(2) البطان: حزام الرحل.

(3) من ر، س.

(4) الحقب: حزام يشد به رجل البعير.

(5) ر: «قال أبو بكر: هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وأوله:

سُلَيْمَى تِلْكَ فى العِيرِ قفى إنْ شئتِ أو سيرى
فَلمَّا أنْ بَدَا الصُّبحُ بِأَصْوَاتِ العَصَافِيرِ
خَرَجْنَا نَبْتَغِي الصَّيْدَ بِأمْثَالِ اليَعَافِيرِ
إذا مَا حَقَبٌ جَالَ شَدَدْنَاهُ بِتَصْدِيرِ
زَجَرْنَا العِيسَ فَارْمَدَّتْ بِإهْذَابٍ وَتَشْمِيرِ

[عتاب عثمان علي بن أبي طالب]

ويروى عن قَنْبَرٍ مَوْلى عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال: دخلتُ مع عليّ بن أبي طالب على عثمــان بن عَفَّان رضى الله عنهما، فأحَبَّا الخَلْوَةَ، فأَوْمأ إليّ عَلِيٌّ بالتَّنحّى، فتَنَحَّيْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ، فَجَعَلَ عثمــانُ يعاتب عليًّا وعلىٌّ مُطْرِقٌ، فَأَقْبَلَ عليه عـثمانُ فقال: ما بالك لا تقول؟ فـقال: إن قلتُ لم أقل إلا ما تكْرَه، وليس لك عندى إلا ما تُحبُّ.

تأويل ذلك: إن قلتُ اعْـتَـدَدْتُ عليك بمثل مـا اعـتــددتَ به عَلَيَّ فَلَذَعَك عِتابى، وعَقْدى ألا أَفْعَلَ - وإن كنتُ عاتبًا - إلا ما تُحبُّ.

[خطبة علي بن أبي طالب حين بلغه قتل عامله حسان بن حسان]

وَتَحَدَّث ابنُ عــائشةَ فى إسناد ذكَره أن عليا رحـمه الله انتهى إليـه أنَّ خيلا لمعاويةَ وردت الأَنْبارَ، فقَتلـوا عاملاً له يقال له: حَسَّانُ بن حسان، فخـرج مُغْضَبا يَجُرُّ ثوبه حـتى انتهى(١) إلى النُّخَـيْلَةِ، واتَّبـعه الناس، فَـرَقِىَ رَبَاوَةً من الأرض، فَحَمِدَ الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه ﷺ، ثم قال:

أما بعـدُ، فإن الجهادَ بَابٌ من أبواب الجنة، فَـمَنْ تركه رَغْبَةً عنه أَلْـبَسَهُ اللهُ الذُّلَّ، وسيمـاَ الَخسْفِ ودُيِّثَ بالصَّغار. وقد دعوتكم إلى حَـرْب هؤلاء القوم ليلاً ونهارًا، وسِرًّا وإعْلانًا، وقلتُ لكم: اغزوهم مِـن قبل أن يَغْزُوكم، فو الذى نفسى بيده ما غُـزِىَ قومٌ قَطُّ فى عُقْرِ دارهم إلاّ ذَلُّوا. فتـخاذلتم وتَوَاكَلْتُمْ، وثَقُلَ عليكم قولى، واتخذتموه وراءكم ظِهْرِيًّا، حتى شُنَّتْ عليكم الغاراتُ. هذا أخو غامد، قد وَرَدَتْ خَيْلُهُ الأنْبارَ، وقَـتَلوا حَسَّان بن حَسَّان، ورجالا منهم كـثيراً ونساءً - والذى نفسى بيده لقد بلغنى أنه كان يُدْخَلُ على المرأة المُسْلمة والمَعاهَدة، فتُنْتَزَعُ أحجالهما ورُعُثُهُـمَا - ثم انصرفوا مَوْفُـورين لم يُكْلَمْ منهم أحدٌ كَلْمًا . فلو أن امْـرأً مسلمًا مات من دون هذا أسَفًا ما كان عندى فيه مَلُومًا، بل كان عندى به جَديرًا. ياعَجبا كلَّ العَجَب! [عجبٌ يميت القَلْبَ، ويَشْغَلُ الفهمَ، ويكثر الأحزان](٢) من تَضَافُرِ

---

(١) ر: «حتى أتى النخيلة»، والنخيلة: موضع قرب الكوفة.

(٢) من ر.

هؤلاء القوم على باطلهم، وفَشَلِكُمْ عن حقكم، حتى أصبحتم غَرَضًا تُرْمَوْن ولا تَرْمُون، ويُغارُ عليكم ولا تُغيرون، ويُعْصَى اللهُ عزَّ وَجل فيكم وتَرْضَوْنَ. إذا قلتُ لكم: اغزوهم فى الشتاء قلتم: هذا أَوَانُ قُرٍّ وصِرٍّ، وإن قلتُ لكم: اغْزُوهم فى الصيف قلتم: هذه حَمَارَّةُ القَيْظ، أنظِرْنَا يَنْصَرِم الحرُّ عنا. فإذا كنتم من الحر والبرد تَفِرُّون، فأنتم من السَّيْفِ أفَرُّ، يا أَشْبَاهَ الرجال ولا رجال! ويا طَغَامَ الأَحْلام، ويا عُقُول ربَّاتِ الحِجالِ، والله لقد أفسدتم عَلَيَّ رأيى بالْعِصْيان، ولقد ملأتم جَوْفِى غَيْظًا، حتى قالت قُرَيْشٌ: ابنُ أبى طالب رجل شجاع، ولكن لا رَأْىَ له فى الحرب. لله دَرُّهُمْ! ومَنْ ذا يكونُ أعلَمَ بها منى، أو أشدَّ لها مِراسًا! فوالله لقد نَهَضْتُ فيها وما بَلَغْتُ العِشْرين، ولقد نَيَّفْتُ اليوم على الستين. ولكن لا رأى لمن لا يُطاع! - يقولها ثلاثًا.

فقام إليه رجل ومعه أخوه[1]، فقال: يا أميرَ المؤمنين: أنا وأخى هذا كما قال الله عز وجلّ: ﴿**رَبِّ إِنِّى لاَ أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسى وأخى**﴾[2] فَمُرْنَا بأمرك، فوالله لَنَنْتَهِيَنَّ إليه، ولو حال بيننا وبينه جَمْرُ الغضا، وشَوْكُ القَتَادِ. فدَعا لهما بخير، ثم قال: وأين تَقَعَان مما أريد! ثم نَزَل.

قال أبو العباس قوله: «سيما الخَسْف»، قال: هكذا حدَّثوناه، وأظنه «سِيمَ الخَسْفَ» يا هذا، من قول الله عزّ وجل: ﴿**يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العذابِ**﴾[3] ومعنى قوله: «سيما الخسف» تأويله عَلاَمَةٌ، هذا أصل ذا، قال الله عزّ وجل: ﴿**سِيمَاهُم فى وُجُوهِهم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾[4]، وقال عز وجلّ: ﴿**يُعْرَفُ المُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ**﴾[5].

---

(١) زيادات ر: «الرجل وأخوه يعرفان بابنى عفيف من الأنصار» وفى حاشية الأصل: «هو جندب بن عفيف، وأخوه من الأزد».

(٢) سورة المائدة ٢٥.

(٣) سورة البقرة ٤٩.

(٤) سورة الفتح ٢٩.

(٥) سورة الرحمن ٤١.

وقال أبو عبيدة فى قوله عز وجل: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾(١) قال: مُعْلِمينَ(٢) واشتقاقه من السِّيمَا التى ذكرنا. ومن قال: ﴿مُسَوَّمِينَ﴾، فإنما أراد مُرْسَلِين: من الإبل السائمة، أى المُرْسَلَة فى مراعيها، وإنما أخذ هذا من التفسير. وقال المفسرون فى قوله تعالى: ﴿والخَيْلِ المُسَوَّمَة﴾(٣) القولين جميعًا مع العَلامة والإرسال، وأما فى قوله عز وجل: ﴿حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾(٤) فلم يقولوا فيه إلا قولاً واحدًا، قالوا: «مُعْلَمَة»، وكأن عليها أمثالُ الخوَاتيم، ومن قال: «سيما» قَصَر. ويقال فى هذا المعنى: سِيمِياء، ممدود، قال الشاعر(٥):

غُلامٌ رَمَاهُ اللهُ بالحسْنِ يَافِعًا ... لَهُ سِيمِيَاء لا تَشُقُّ عَلَى البَصَرْ(٦)

وقوله رحمه الله: «وقَتَلُوا حَسَّانَ بن حَسَّان»، مَنْ أخَذَ حَسَّانًا من الحُسْنِ صَرَفَهُ لأن وزنه «فَعَّالٌ» فالنون منه فى موضع الدال من «حَمَّاد»، ومن أخَذَهُ من الحسِّ لم يَصْرِفْهُ لأنه حينئذ فَعْلان فلا ينصرف فى المعرفة، وينصرف فى النكرة، لأنه لَيْستْ لَهُ «فَعْلَى»، فهو بمنزلة سَعْدَان وسرْحان.

وقوله: «دُيِّثَ بالصَّغَار»، تأويله: ذُلِّلَ يقال للبعير إذا ذَلَّلَتْهُ الرياضَةُ: بعير مُدَيَّثٌ، أى مُذَلَّل.

وقوله: «فى عُقْر دارهم»، أى فى أصل دارهم، والعُقْرُ: الأصل، ومنْ ثَمَّ قيل: لفلان عَقَار، أى أصل مال، ويُروى عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ بَاعَ دارًا أَوْ عَقَارًا فلم يَرْدُدْ ثَمَنَهُ فى مِثْله فذلك مالٌ قَمن أَلاَّ يُبَارَكَ [له](٧) فيه». وقوله: قَمَنٌ يريد: خَلِيقٌ، ويقال أيضًا: قَمِين وقَمِن.

---

(١) سورة آل عمران ١٢٥.

(٢) المعلم، بكسر اللام: الفارس الذى أعلم مكانه فى الحرب بعلامة أعلم بها نفسه.

(٣) سورة آل عمران ١٤.

(٤) سورة هود ٨٢، ٨٣.

(٥) زيادات ر: «وهو ابن عنقاء الفزارى فى عميلة الفزارى».

(٦) بعده فى زيادات ر:

كأن الثريا علقت فى جبينه ... وفى أنفه الشعرى وفى جيده القمر

(٧) من س.

[قال أبو الحسن: من قال: قَمَنٌ لم يُثَنّ ولم يَجْمَعْ، ومَنْ قال: قِمنٌ وَقَمِينٌ ثَنّى وَجمَعَ][1].

ويقال للرجل إذا اتخذ ضَيْعَةً، أو داراً: تَأثَّلَ فلان، أى اتخَذَ أصلَ مال.

وقوله: «وتَوَاكَلْتم»: إنما هو مشتقٌ من وكَلْتُ الأمرَ إليكَ ووكلْتَهُ إليَّ [أنت][2] أى: لَم يَتَوَلَّهُ واحدٌ منا دون صاحبه، ولكن أحالَ به كل واحدٍ منا على الآخر، ومن ذلك قول الحُطَيْئَة:

فَلأْيًا قَصَرْتَ الطَّرْفَ عَنْهُمْ بِجَسْرَة   أَمُونٍ إذَا وَاكَلْتَهَا لا تُواكِلُ[3]

وقوله: «وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا»، أى رَميتم به وراء ظهوركم، أى لم تلتفتوا إليه، يقال[4] فى المَثَل: «لا تَجْعَلْ حاجتى منك بظَهْرٍ»، أى لا تَطْرَحها غير ناظر إليها.

وقوله: «حتى شُنَّتْ عليكم الغاراتُ»، يقول: صُبَّتْ، يقال: شَنَنْتُ الماءَ على رأسه، أى صَبَبْتُهُ، وشَنَنْتُ الشرابَ فى الإناء أى صَبَبْتُهُ، ومن كلام العرب: فلما لَقِيَ فلانٌ فلانا شَنَّهُ السيفَ، أى صَبَّهُ عليه صبًّا.

وقوله: «هذا أخو غامد»، فهو رجلٌ مشهور من أصحاب معاوية، من بنى غامد بن نَصْرِ بن الأزْد بن الغَوْث، وفى هذه القبيلة يقول القائل[5]:

أَلاَ هَلْ أَتَاهَا عَلَى نَأْيِهَا   بِمَا فَضَحَتْ قَوْمَهَا غامِدُ

تَمَنّيْتُمُ مِائَتَىْ فَارِسٍ   فَرَدَّكُمُ فَارِسٌ وَاحِدُ

فَلَيْتَ لنا بارتباط الخيو   لِ ضَأنا لها حالبٌ قاعِدُ

وقوله: «فَتُنْتَزَعُ أحجالُهما»، يعنى الخَلاَخيل، واحدها حِجْل، ومن هذا قيل للدابة: مُحَجَّلٌ، ويقال للقيد: حِجْل؛ لأنه يقع فى ذلك الموضع، قال جَرِيرٌ،

---

(١) من ر.

(٢) من ر.

(٣) الجسرة: الناقة الماضية فى سيرها، والأمون: الوثيقة الخلق. ورواية ديوانه ٩٨: «ذلول».

(٤) ر: «ويقال».

(٥) زيادات ر: «هو ربيعة بن مكدم».

يُعَيِّر الفَرَزْدَقَ حين قَيَّدَ فرسه، وأقسم ألا يَحلَّها حتى يَحْفَظَ القرآن، فلما هاجَى جريرٌ البَعِيثَ هجا [الفرزدق][1] جريرًا مَعُونَةً للبعيث، وذَبًّا عن عَشِيرَتِهِ، فقال جرير:

وَلَمَّا اتَّقَى الْقَينُ الْعِرَاقِىُّ بِاسْتِهِ فَرَغْتُ إلى الْعَبْدِ الْمُقَيَّدِ فِى الحِجْلِ[2]

معنى فرغت عَمَدْتُ: قال الله عزّ وجل: ﴿سَنَفْرُغُ لكم أَيُّها الثَّقَلان﴾[3] أى سَنَعْمِدُ[4].

وقوله: «ورُعثُهُمَا» الواحدة رَعْثَةٌ، وجمعها رِعاث، وجمع الجمع رُعُث وهى الشُّنُوف.

وقوله: «ثم انصرفوا مَوْفورين» من الوَفْرِ، أى لم يَنَلْ أحدٌ منهم بأن يُرْزَأ فى بَدَن ولا مال، يقال: فلانٌ مَوْفور، وفلان ذو وفْر، أى ذو مال، ويكون مَوْفورًا فى بدنه إذا ذكر ما أصيب به غيرُه فى بدنه. قال حاتم الطائى:

وَقَدْ عَلِمَ الأَقْوامُ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا أَرَادَ ثَراءَ المَالِ أمسى لَهُ وَفْرُ

- ويروى: «كان له وَفْرُ».

وقوله: «لم يُكْلَمْ أحد منهم كَلْمًا». يقول: لم يُخْدَشْ أحدٌ منهم خَدْشًا، وكلُّ جُرْحٍ صَغُرَ أو كَبُر فهو كَلْمٌ، قال جرير:

تَواصَتْ مِنْ تَكَرُّمِهَا قُرَيْشٌ بِرَدِّ الخَيْلِ دَامِيَةَ الْكُلُومِ

وقوله: «مات من دون هذا أسَفًا»: يقول: تَحَسُّرًا، فهذا موضع ذا. و[قد][5] يكون الأسَفُ الغضبَ، قال الله عزّ وجل: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنا مِنْهُمْ﴾[6] والأَسِيفُ يكون الأجيرَ، ويكون الأسيرَ، فقد قيل فى بيت الأعْشَى:

أَرَى رَجُلاً مِنْهُمْ أَسِيفًا كَأَنَّمَا يَضُمُّ إِلَى كَشْحَيْهِ كَفًّا مُخَضَّبا

---

(١) من ر.

(٢) زيادات ر: «يعنى بقوله: «ولما اتقى القين العراقى باسته» البعيث، وسماه القين لأنه من رهط الفرزدق».

(٣) سورة الرحمن ٢٤.

(٤) زيادات ر: «تميم تقول: فرغ يفرغ [بفتح الراء فيهما] فراغا، وأهل العالية - وهم قريش ومن والاها - يقولون فرغ يفرغ [بالضم فيهما] فروغا».

(٥) من ر.

(٦) سورة الزخرف ٥٥.

المشهور أنه من التأسُّف لقطع يده، وقيل: بل هو أسير قد كُبلَتْ يَدُه، ويقال: قد جَرَحَهَا الغُلُّ، والقول الأوّل هو المُجْتَمع عليه، ويقال فى معنى أسيفٍ عَسِيفٌ أيضاً.

وقوله: «من تَضَافُرِ هؤلاء القوم على باطلهم»، يقول: من تَعَاونهمْ وتَظَاهُرِهِم.

وقوله: «وفَشَلكم عن حقكم»، يقال: فَشِلَ فلان عن كذا [وكذا][1] إذا هابه فَنَكَلَ عنه، وامتنع من المُضِىّ فيه.

وقوله: «قلتم هذا أوَانْ قُرٍّ وصِرٍّ»، فالصِّرُّ شدة البرد، قال الله عزّ وجل: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾[2].

وقوله: «هذه حَمَارَّةُ القَيْظِ»، فالقَيْظُ الصيف، وحَمَارَّتُه: اشتداد حره واحْتِدامُهُ، وحَمَارَّةُ مما لا يجوز أن يحتجّ عليه ببيت شِعْرٍ؛ لأن [كل][3] ما كان فيه من الحروف التقاء ساكنين لا يقع فى وَزْنٍ إلا فى ضَرْبٍ [منه][4] يقال له: المُتَقَارِبُ: [فإنّه جُوِّز فيه على بُعْدِ التقاءُ الساكنين][5]، وهو قوله:

فَذَاكَ الْقِصَاصُ وكَانَ التَّقَا صّ فَرْضًا وَحَتْمًا عَلَى المسْلمِينَا

ولو قال: «وكان القصاص فرضًا وحتما» كان أجود وأحسن، ولكن قد أجازوا هذا فى هذه العَرُوض، ولا نظيرَ له فى غيرها من الأعاريض.

وقوله: «ويا طَغَامَ الأحلام» فمجازُ الطَّغَامِ عند العرب مَنْ لا عَقَل له، ولامعرِفة عنده، وكانوا يقولون: طَغَامُ أهلِ الشأم، كما قال:

* فَمَا فَضْلُ اللَّبِيبِ عَلَى الطَّغَامِ[6] *

---

(١) من ر، س.
(٢) سورة آل عمران ١١٧.
(٣) من ر، س.
(٤) من ر.
(٥) من ر.
(٦) قبله، كما فى زيادات ر:

* إذا ما كان مثلهم رجاما *

وقوله: «ويا عقولَ ربَّاتِ الحِجال» يَنْسُبُهُمْ إلى ضَعْف النساء، وهو السائر في كلام العرب. وقال الله تعالَى يذكر البنات: ﴿أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ في الحِلْيَةِ وَهُوَ في الخِصَامِ غَيْرُ مُبِين﴾[1].

(١) الزخرف ١٨.

وقال أبو العباس: من كلام العرب الاختصار المُفْهِم، والإطناب المُفَخّمُ، وقد يقع الإيماءُ إلى الشيء فيُغْنى عند ذوى الألباب عن كشفه، كما قيل: لَمْحةٌ دَالةٌ. وقد يُضْطَرُّ الشاعرُ المفْلِقُ، والخطيبُ الْمِصْقَعُ، والكاتب البليغ، فيقعُ فى كلام أحدهم المعنى الْمُسْتَغلق، واللفظُ المُسْتكرَه، فإن انعطفتْ عليه جَنْبتا الكلام غَطَّتَا على عَوَاره، وسَتَرتا من شَيْنه. وإن شاء قائل أن يقول: بل الكلام القبيح فى الكلام الحَسَنَ أظهرُ، ومجاورته له أشهر، كان ذلك له، ولكن يغتفر السيئى[1] للحَسَن، والبعيد للقريب.

[من ألفاظ العرب البينة القريبة المفهمة]

فمن ألفاظ العرب البَيِّنَة القريبةِ المُفْهِمَة، الحَسَنَة الوصفِ، الجميلةِ الرَّصْفِ، قولُ الحُطَيْئَة:

وَذاكَ فَتًى إنْ تَأْتِهِ في صَنِيعَةٍ ... إِلَى مَالِهِ لا تَأْتِهِ بِشَفِيع

وكذلك قول عَنْتَرَة:

يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَة أَنَّنِى ... أَغْشَى الْوَغَى وأَعِفُّ عِنْدَ الْمَغْنَم

وكما قال زُهَيْرٌ:

عَلَى مُكْثِرِيهِمْ رزقُ[2] مَنْ يَعْتَرِيهِمُ ... وَعِنْدَ الْمُقِلِّينَ السَّمَاحَةُ وَالْبَذْلُ

[مما وقع من الكلام كالإيماء]

ومما وقع كالإيماء قولُ الفرزدق:

ضَرَبَتْ عَلَيْكَ الْعَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهَا ... وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ

فتأويل هذا أن بيتَ جرير فى العرب كالبيت الواهن[3] الضعيف، فقال: وقضى عليك به الكتابُ المنزل: يريد به قولَ الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾[4].

---

(١) س: «الشين».

(٢) ر: «حق».

(٣) ر: «الواهى».

(٤) سورة العنكبوت ٤١.

ومن كلامه المُسْتَحسَنِ قوله لجرير:

فَهَلْ ضَرْبَةُ الرُّومِيّ جَاعِلَةٌ لَكُمْ ... أَبًا عَنْ كُلَيْبٍ أَوْ أَبًا مِثْلَ دَارِمِ

ومن أقبح الضرورة، وأهجنِ الألفاظِ، وأبْعَدِ المعانى قوله:

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلاَّ مُمَلَّكًا ... أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهْ

مَدَحَ بهذا الشعر إبراهيمَ بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عمرَ بنِ مَخْزوم، وهو خال هشام بن عبد الملك، فقال:

* وما مِثْلُه فى الناس إلا مُمَلَّكًا *

يعنى بالمُمَلَّك هشامًا، أبو أمّ ذلك المُمَلَّك أبو هذا الممدوح، ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحًا، وكان يكون إذا وَضَعَ الكلامَ فى مَوْضعه أن يقول: وما مثله فى الناس حَيٌّ يقاربه إلا مُمَلَّكٌ، أبو أمِّ هذا المُمَلَّك أبو هذا الممدوح، فدَلَّ على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد، وهَجَّنَهُ بما أوقع فيه من التقديم والتأخير: حتى كأنَّ هذا الشعر لم يجتمع فى صدر رجل واحد مع قوله حيث يقول:

تَصَرَّمَ مِنِّى وُدُّ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ... وَمَا كَادَ مِنِّى وُدُّهُمْ يَتَصَرَّمُ

قَوَارِصُ تَأْتِينِى وَيَحْتَقِرُونَهَا ... وَقَدْ يَمْلأُ الْقَطْرُ الإِنَاءَ فَيَفْعَمُ[1]

وكأنه لم يقع ذلك الكلام لمن يقول:

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي السَّوَادِ كَأَنَّهُ ... لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَارُ

فهذا أوْضَحُ معنًى، وأَقْرَبُ مأْخَذًا.

وليس لِقدَمِ العَهْدِ يُفَضَّلُ القائلُ، ولا لحدثان عَهْدٍ يُهْتَضَمُ المصيب. ولكن يُعْطَى كلٌّ ما يستحق، ألا ترى كيف يفضل قولُ عُمارةَ[2] على قرب عهده:

تَبَحَّثْتُمُ سُخْطِى فَغَيَّرَ بَحْثُكُمْ ... نَخِيلَةَ نَفْسٍ كَانَ نُصْحًا ضَمِيرُهَا

وَلَنْ يُلْبِثَ التَّخْشِينُ نَفْسًا كَرِيمَةً ... عَرِيكَتُهَا أَنْ يَسْتَمِرَّ مَرِيرُهَا[3]

وَمَا النَّفْسُ إِلاَّ نُطْفَةٌ بِقَرَارَةٍ ... إِذَا لَمْ تُكَدَّرْ كَانَ صَفْوًا غَدِيرُهَا

---

(١) زيادات ر: «القارصة: الكلمة المؤذية».

(٢) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الخطفى، من شعراء الدولة العباسية، والأبيات فى معجم المرزبانى ٢٤٧ عن المبرد.

(٣) التخشين: إيغار الصدر، ويستمر: يقوى.

فهذا كلام واضح، وقول عَذْبٌ، وكذلك قوله أيضًا:

بَنِى دارمٍ إنْ يَفْنَ عُمْرى فَقَدْ مَضَى ... حَيَاتِى لَكُمْ مِنى ثَنَاءٌ مُخَلَّدُ
بَدَأْتُم فَأَحْسَنْتُمْ فَأَثْنَيْتُ جَاهِدًا ... وَإنْ عُدْتُمْ أَثْنَيتُ، وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ

[مما يفضل من أقوال الشعراء لتخلصه من التكلف]

ومما يُفَضَّلُ لتخَلُّصِهِ مِنَ التَّكَلُّف، وسلامتِه من التَّزيُّد، وبُعْدِه مِن الاستعانة قولُ أبى حَيَّةَ النُّمَيْرىِّ:

رَمَتْنِى وَسِتْرُ اللهِ بَيْنِى وبَيْنَهَا ... عَشِيَّةَ آرامِ الْكِنَاسِ رَمِيمُ[1]
أَلاَ رُبَّ يومٍ لَوْ رَمَتْنِى رَمَيْتُهَا ... وَلَكِنَّ عَهْدِى بالنِّضَالِ قَدِيمُ[2]

يقول: رَمَتْنِى بطَرْفِها، وأصابَتْنى بمَحَاسنها، ولو كنتُ شابا لرَمَيْتُ كما رُمِيتُ، وفَتَنْتُ كما فُتِنْتُ، ولكن قد تَطَاوَلَ عَهْدِى بالشَّباب. فهذا كلام واضح.

* * *

[قال أبو الحسن: أنْشَدَنا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب البيتين عن عبد الله بن شَبِيبٍ: ورَوَى:

* عَشِيَّةَ أَحْجَار الْكِنَاسِ رَمِيمُ *

وزاد فيه بيتًا:

رَمِيمُ الَّتِى قَالَتْ لِجارَاتِ بَيْتِهَا ... ضَمِنْتُ لَكُمْ ألا يَزَالَ يَهِيمُ

الكِنَاس والمَكنِسُ: الموضع الذى تأوى إليه الظِّبَاءُ، وجمع الكناس كُنُسٌ، وجمع المَكْنِسُ مكَانس. ورَميم: اسم جارية: مأخوذ من العظام الرَّمِيم، وهى البالية، وكذلك الرِّمَّةُ، والرُّمَّةُ: القطعة البالية من الحَبل، وكلُّ ما اشتق من هذا فإليه يَرْجع].

* * *

(١) زيادات ر: «قيل فى ستر الله الإسلام، وقيل فيه أنه الشيب، وقيل ما حرم الله عليهما».
(٢) زيادات ر بعد هذا البيت:

يرى الناس أنى قد سلوت وإننى ... لمرمى أحناء الضلوع سقيم

قال أبوالعباس: وأما ما ذكرناه من الاستعانة، فهو أن يُدْخِلَ فى الكلام ما لا حاجة بالمستمع إليه ليُصَحِّحَ به نَظْمًا [أو وزنا][1] إن كان فى شعر، أو ليتذكرَ به ما بعده إن كان فى كلام منثور، كنحو ماتَسْمَعُهُ فى كثير من كلام العامة قولهم: أَلَسْتَ تَسْمَعُ؟ أَفَهِمْتَ؟ أين أنتَ؟ وما أشبه هذا، وربما تَشَاغَلَ العَيِىُّ بفتْلِ إصبعه ومَسّ لحيته، وغير ذلك من بدنه، وربما تَنَحْنَحَ. وقد قال الشاعر يَعيبُ بعضَ الخُطَباء فى شعر:

مَلِىءٌ بِبُهْرٍ وَالْتِفَاتٍ وَسَعْلَةٍ ... وَمَسْحَةِ عُثْنُونٍ وفَتْلِ الأصَابِعِ

وقال رجل[2] من الخوارج يصف خَطيبًا منهم بالجُبْنِ، وأنه مُجيدٌ لولا أنّ الرُّعْبَ أَذْهَلَه:

نَحْنَحَ زَيْدٌ وَسَعَلْ ... لَمَّا رأى وَقْعَ الأَسَلْ

وَيْلُمِّهِ إِذَا ارتَجَلْ ... ثُمَّ أَطَالَ وَاحْتَفَلْ[3]

ومما يشاكل هذا المعنى ويُجانسُ هذا المذهب ما كان من خالد بن عبد الله الْقَسْرِىّ، فإنه كان متقدِّما فى الخَطَابَة ومُتَنَاهيًا فى البَلاغة، فخرج عليه المُغيرةُ بن سَعيد بالكوفة فى عشرين رجلاً، فَعَطْعَطُوا[4] به، فقال خالد: «أطْعمونى ماءً»، وهو على المنبر، فَعُيِّرَ بذلك، فكَتَبَ به هشامٌ إليه فى رسالة يُوَبِّخُهُ فيها، سنذكرها[5] فى موضعها إن شاء الله. وعَيَّرَهُ يحيى بن نَوْفَلٍ فقال:

لأَعْلاَجٍ ثَمَانِيَةٍ وَعَبْدٍ ... لَئِيمِ الأَصْلِ فِى عَدَدٍ يَسِيرِ

هَتَفْتَ بِكُلِّ صَوْتِكَ: أَطْعِمُونِى ... شَرَابًا ثُمّ بُلْتَ عَلَى السَّرِيرِ

---

(١) من ر.

(٢) ذكر الجاحظ أنه الأشل الأزرقى من بعض أخوال عمران بن حطان يصف زيد بن جندب الإيادى خطيب الأزارقة، (البيان والتبيين ١: ٤١، ٤٢).

(٣) زيادات ر: «وقال رجل يصف رجلا من إياد بالعى، وكان أبوه خطيبا وخاله:

جَمَعْتَ صنُوفَ العىِّ من كُلِّ وجهة ... وكنتَ مليئًا بالبلاغة من كَثَبْ

أبوكَ مُعَمٌ فى الكَلام ومُخْوَلٌ ... وَخالك وَثّابُ الجراثيم فى الخُطَبْ

(٤) العطعطة: تتابع الأصوات واختلافها.

(٥) ر: «وسنذكرها».

فهذا عارضٌ. وقال آخر[1] يُعَيِّرُهُ:

بَلَّ المَنَابرَ مِنْ خَــوْفٍ وَمِنْ وَهَلٍ ... وَاسْتَطْعَمَ الماءَ لما جَدَّ في الهَرَبِ
وألْحنُ النّاسِ كُلّ النّاسِ قَــاطِبَةً ... وَكَانَ يُولَعُ بِالتَّــشْدِيقِ فى الخُطَبِ

[الأعرابى من بنى كلاب]

ومما يُسْتَحْسَنُ [لفظه][2] ويُسْتَغْرَب معناه، ويُحْمَــدُ اخْتِصَارُهُ قولُ أعرابى مِنْ بنى كِلاَبٍ:

فَمَنْ يَكُ لَمْ يَغْرَضْ فَإنّى وَنَاقَتِى ... بِحَجْرٍ إلى أَهْلِ الْحِـمَى غَرِضَانِ[3]
تَحِنُّ فَتُــبْدِى ما بِهَا مِنْ صَــبَابَةٍ ... وَأُخْفِى الَّذِى لَوْلاَ الأُسَى لَقَضَانى[4]

يريد: لقَضَى عَلَيَّ، فأخرجه لفصاحته وعلمه بجوهر الكلام أحْسَنَ مُخْرَجٍ، قال الله عزّ وجل: ﴿**وَإذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ**﴾[5] والمعنى إذا كَالوا لهم أو وَزَنُــوا لهــم، ألا تَــرَى [أن][6] أول الآيـــة: ﴿**الَّذِينَ إذَا اكْتَـالُــوا عَلَى النّاسِ يَسْتَوْفُونَ**﴾ فهؤلاء أخَــذُوا منهم ثم أعطوهم، وقال الله عز وجل: ﴿**وَاخْتَارَ مُوسى قَوْمَه سَبْعِينَ رَجُلاً**﴾[7] أى من قومه، وقال الشاعر[8]:

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَافعَلْ مَا أُمِرتَ بِهِ ... فَقَــدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَــال وَذَا نَشَبِ

---

(١) هو أيضا يحيى بن نوفل، (وانظر البيان والتبيين ٢: ١٦٧).
(٢) من ر، س.
(٣) حجر: هى مدينة اليمامة وأم قراها، ويريد بالحمى حمى ضرية، وكان حمى كليب (وانظر ياقوت). ومن زيادات ر بعد هذا البيت:

هوى ناقــتى خلفى وقــدامى الهــوى ... وإنــى وإياهــا لمخــــتلفـــــان

(٤) ر: «أنشد صاعد بعدهما زياد» فيهما:

فــيـاكـبــدينا أجــمـلا قــد وجــدتما ... بأهل الحــمى مــالم يجــد كـبــدان
إذا كـبــدانا خــافــتــا وشك نــيــة ... وعــاجل بــين ظلتــا تجــبــان»

(٥) سورة المطففين ٢.
(٦) من ر.
(٧) سورة الأعراف ١٥٥.
(٨) زيادات ر: «هو أعشى طرود، واسمه إياس بن عامر».

أى أمَرْتُكَ بالخير، ومن ذلك[1] قول الفرزدق:

وَمِنّا الّذى[2] اُخْتِيرَ الرِّجالَ سَمَاحَةً وَجُودًا إذا هَبَّ الرِّيَاحُ الزَّعَازِعُ

أى من الرجال، فهذا الكلام الفصيح.

وتقـول العرب: أقَـمْتُ ثلاثًا مـا أَذُوقُهُنَّ طَعـامًـا ولا شَرابًا، أىْ مـا أَذُوق فيهنَّ، وقال الشاعر:

وَيَوْمًـا شَهِـدْنَاهُ سُلَيْـمًـا وَعَامِـرًا قَليلاً سِوَى الطَّعْنِ النِّهَالِ نوَافِله[3]

* * *

[قال أبـوالحسن: قـوله: «لم يَغْرَضْ»، أى لم يَشْـتَقْ، يقال: غَـرِضْتُ إلى لقائك، وحَنَنْتُ إلى لقائك، وعَطِشْتُ إلى لقائك، وجُعْتُ إلى لقائك أى اشْتَقْت، أخبرنا بذلك أبو العباس أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابىّ، وأَ نْشَدَنَا عنه:

مَنَ ذَا رَسُــولٌ نَاصِحٌ فَـمُـبَلِّغٌ عَنِّى عُلَيَّــةَ غَـيْـرَ قَـوْلِ الْكَاذِبِ

أَنِّى غَرِضْتُ إِلَى تَنَاصُفِ وَجْهِهَا غَرَضَ المحبِّ إِلَى الْحَبِيبِ الْغَائبِ

التناصُف: الْحُسْن.

وأما قوله: «لَقَضَانى» فإنما يريد: لَقَضَى علىّ الموتَ، كما قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنا عَلَيْه المَوْتَ﴾[4]، فالموتُ فى النية، وهو مـعلوم بمنزلة ما نَطَقْتَ به، فلهذا ناسب قوله عزّ وجل: ﴿وَاْخْتَارَ مُوسى قَوْمَهُ﴾. وكذلك قوله: ﴿كَالُوهُمْ﴾ فالشىءُ المَكيلُ معلوم، فهو بمنزلة ما ذُكِرَ فى اللفظ، ولا يجوز: مررت زيدًا وأنت تريد: مـررت بزيد، لأنه لا يتـعدى إلاَّ بحـرف جر؛ وذلـك أنّ فعل الفـاعل فى نـفسه، وليـس فيــه دليـل على المفعول نـفسـه، وليس هـذا بمنزلة مـا يَتَعَدّى إلى

---

(١) ر، س: «ومن ذا».

(٢) س: «ومنا»، وعلى رواية الأصل فى البيت خرم.

(٣) البيت أورده سيبويه فى الكتاب ١: ٩٠، قال الأعلم فى شرحه: «النوافل هنا الغنائم، يقول: يوم لم نضم فيه إلا النفـوس لما أوليناهم من كثرة الطعن، والنهـال المرتوية بالدم، وأصل النهل أول الشرب، والطعن هنا: جمع طعنة».

(٤) سورة سبأ ١٤.

مفعولين، فيتعدى إلى أحدهما بحرف جَرّ، وإلى الآخر بنفسه، لأنّ قولَك: اخْتَرْتُ الرجالَ زيدًا، قَدْ عُلِمَ بَذِكْرِك «زيدًا» أن حرف الجر محذوف من الأول، فأما قول الشاعر - هو جرير - وإنْشادُ أهل الكوفة له، وهو قوله:

تَمُرُّونَ الدِّيَارَ وَلَمْ تَعُوجُوا ... كَلامُكُمُ عَلَيَّ إذًا حَرَامُ

ورواية بعضهم له: «أتَمْضُونَ الدِّيارَ» فليسا بشيء لما ذَكَرْتُ لك، والسماع الصحيح والقياس المُطَّرِدُ لا تَعْتَرِضُ عليه الرِّوايةُ الشاذة.

أخبرنا أبو العباس محمد بن يَزِيدَ قال: قرأت على عُمَارَةَ بن عَقِيل بن بلال ابن جرير:

* مَرَرْتُمْ بِالدِّيَارِ وَلَمْ تَعُوجُوا *

فهذا يَدُلُّكَ على أن الرواية مُغَيَّرةٌ.

فأما قولهم: أقمت ثلاثًا ما أذوقهن طعاما ولا شرابًا، وقولُ الراجز:

قَدْ صَبَّحَتْ صَبَّحَهَا السَّلامُ[1] ... بِكَبِدٍ خَالَطَهَا سَنَامُ

* فِي سَاعَةٍ يُحَبُّهَا الطَّعَامُ *

يريد في ساعة يُحَبُّ فيها الطَّعَام، وكذلك الأوّل، معناه: ما أذوقُ فيهنّ، فليس هذا عندى من باب قوله جَلَّ وعَلا: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ إلا فى الحذف فقط؛ وذلك أن ضمير الظَّرْف تجعله العربُ مفعولاً على السَّعَة، كقولهم: يَوْمُ الجمعة سرتُه، ومكانُكُمْ قمتُه، وشَهْرُ رمضان صُمْتُه، فهذا يُشَبَّه فى السَّعَةِ بقولك: زيدٌ ضربتَه وما أشبهه، فهذا بَيّنٌ.

* * *

[لأعرابي من بني سعد وقد نزل به أضياف]

قال أبو العباس: ومما يُسْتَحْسَن ويُسْتَجَاد قول أعرابىّ[2] من بنى سَعْد بن زيد مَنَاةَ بن تميم، وكان مُمْلَكًا[3]، فنزل به أضياف فقام إلى الرحَى فطحن لهم،

---

(1) صبحت: أتت بالتصبيح، تريد به الغذاء.

(2) هو الهذلول بن كعب العنبرى، ذكره أبو تمام فى الحماسة بشرح المرزوقى ٦٩٥ - ٧٠١.

(3) من الإملاك، وهو عقد النكاح.

فَـمـرتْ به زوجتُه فى نِسْـوَة، فقالتْ لهنّ: أهذا بَعْلِى؟ فأُعْلِمَ بذلك فـقال ـ [قال أبو الحسن: أخبرنا به عن أبى مُحلِّمٍ له يعنى السَّعْدىّ] ـ:

تَقُولُ وَصكَّتْ صَدْرَها بِيمينِها: أَبَعْلِىَ هذَا بالرَّحَى المُـتَقَـاعِسُ!

فَقُلْتُ لَهَـا: لا تعجـبى وتَبَيَّنِى بَلائِى إذَا الْتَفَّـتْ عَلَىَّ الْفوَارِسُ

أَلَسْتُ أَرُدُّ الْقِـرْنَ يرْكَبُ رَدْعَـهُ وَفِـيـهِ سِنَانٌ ذُو غـرَارَيْنِ يَابِسُ

إِذَا هَابَ أَقْوَامٌ تَجَشَّمْتُ هَوْلَ مَا يَهَـابُ حُـمَّـيَـاهُ الأَلَدُّ المُدَاعِسُ

لَعَـمْرُ أَبِيكِ الخَـيْـرِ إِنِّى لَخَـادِمٌ لِضَيْفِى، وَإِنِّى إِنْ رَكِبْتُ لَفَارِسُ

قوله: «المُتَقَـاعِس» إنما هو الذى يُخْرِجُ صَدْرَه ويُدْخِلُ ظهـره، ويقال: عِزَّةٌ قَـعْـسَـاءُ، وإنما هذا مَـثَلٌ، أى لا تَضَع ظهـرَهـا إلى الأرض. وقـوله: «بالرحى المتقـاعس»، لو أراد: الذى يَتَقَـاعَسُ بالرحى لم يَجُزْ، لأن قـوله: «بالرحى» من صلة الذى، والصلة تمام الموصول، فلو قدمها قـبله لكان لحنًا وخطأ فاحشًا، وكان كَمَنْ جـعَل آخرَ الاسم قـبل أوله، ولكنه جَعَلَ «المتـقاعسَ» اسـما على وجـهه، وجعل قوله: «بالرحى» تَبْيينًا بمنزلة «لَكَ» التى تَقَعُ بعد «سَقْيًا»، وبمنزلة «بِكَ» التى تقع بعد قولك: «مَـرْحَبًا» فإن قَدَّمْتَـهَا فذلك جَيِّدٌ بالغ، تَقول: بك مـرحبًا وأهلا وتقول: لك حَـمْدًا، ولزيد سَـقْيًا، فـأما قـولُ الله عزّ وجل: ﴿**وأَنَا علـى ذلكُمْ منَ الشَاهديـن**﴾(١) وكذلكَ ﴿**وقَاسَمَـهُمَا إنّى لكُمَا لَمنَ النَّـاصحين**﴾(٢) فيكون تَفـسيره علَـى وجهيـن: أحدهمـا أن يكون: إننى ناصحٌ لكما، وأنا شـاهد على ذلكم، ثم جعل «من الشاهدين» و «لَمن الناصحين» تفسيرًا لشاهدٍ وناصحٍ، ويكون على ما فسرناه يراد التبيين، فلا يدخل فى الصلة، ويكون على مذهب المازنىّ.

قال أبو العباس: وهو الذى أختـار، على أن الألف واللام للتعريف لا على معنى الذى، ألا ترى أنك تقول: نِعْمَ القائم زيدٌ، ولا يجوز: نِعْمَ الذى قامَ زيد، وإنما هو بمنزلة قولك: نِعْم الرجلُ زيد، وهذا الذى شرحنـاه متصلٌ فى هذا الباب كُلِّه مُطَّرِد على القياس.

---

(١) الأنبياء ٥٦.

(٢) الأعراف ٢١.

وقوله:

* أَلَسْتُ أَردُّ القِرْنَ يَرْكَبُ رَدْعَهُ *

فإنما اشتقاقهْ من السهم يقال: ارتدَعَ السهمُ إذا رجع متأخرا، ويقال: ركب البعيرُ رَدْعَهُ إذا سقط، فدخل عُنُقُه[1] في جوفه، والكلامُ مُشْتَق بعضُه من بعض، ومُبَيِّنٌ بعضه بعضًا، فيقال من هذا في المَثَلِ: ذهب فلانٌ فى حاجتى فارتَدَعَ عنها، أى رجع، وكذلك: فلان لا يَرتَدِعُ عن قبيح، والأصل ما ذكرتُ أوّلا.

ومثل هذا قولهُم: فلانٌ على الدّابة، وعلى الجبل، أى فوق كل واحد منهما، ثم تقول: فلانٌ عليه دَيْنٌ تمثيلاً، وكذلك رَكِبَهُ دَيْنٌ، وإنما يريد أن الدَّيْنَ علاه وقَهَرَه، وكذلك فلان على الكوفة إذا كان وَاليًا عليها، وكذلك: عَلا فلانٌ القوم، إذا علاهم بأمره وقهرهم، أو جُعِل فى هذا الموضع.

وقوله:

* وَفِيهِ سِنَانٌ ذُو غِرارَيْنِ يَابِسُ *

فالغِرار هاهنا الحَدُّ، وللغرار مواضع.

قال أبو العباس: وحدثنى الرِّيَاشِيُّ فى إسناد له قال: قال جَبْرُ بن حبيب ـ وذكر الراعى ـ: أخطأ الأعْوَرُ ـ قال: ولم يَعْلَّم الحاكى عنه أن الراعىَ كان أعورَ إلا مِنْ هذا الخبر ـ فى قوله:

فَصَادَفَ سَهْمُهُ أَحْجَارَ قُفٍّ كَسَرْنَ الْعَيْرَ مِنْهُ وَالْغِرَارَا[2]

وجَبْرُ بن حبيب هو المخطئ؛ لأن الغرار ها هنا هو الحدّ، وذهب جَبْرٌ إلى أنه المثالُ. وقد يكون المثالَ، وليس ذلك بمانعه من أن يَحْتَملَ مَعانِيَ، يقال: بَنَوْا بيوتَهُمْ على غِرار واحد، أى على مثالٍ واحد، كما قال عمرو بن أحمر [الباهليّ][3]:

وُضِعْنَ[4] وكُلُّهُنَّ عَلَى غِرَارٍ هِجَانَ اللَّوْنِ قَدْ وَسَقَتْ جَنِينا

---

(١) ر «فدخلت عنقه»، والعنق تذكر وتؤنث.

(٢) القف: حجارة بعضها فوق بعض. وعير النصل: ما نتأ فى وسطه.

(٣) من ر، س.

(٤) كذا ضبطت فى الأصل بالبناء للمجهول. وفى زيادات ر: [الرواية عن أبى العباس: «وضعن» بفتح الضاد والواو، والصحيح: «وضعن» بضم الواو وكسر الضاد].

ويقال: لِسُوقِنَا درَّةٌ وَغِـرَارٌ، أى نَفَاقٌ وكَسَاد، فهـذا معنى آخر، وإنما تأويل الغرار فى هذا المعنى الأخير أنه شىء بعد شىء، ومن هذا: غارَّ الطائرُ فَرْخَهُ، لأنه إنما يعطيه شـيئًا بعد شىء، وكـذلك غارَّتِ الناقة فى الحَلبِ، ويقـال من هذا: ما نِمْتَ إلا غِرارًا، قال الشاعر:

مَـــا أذُوقُ النَّوْمَ إلاَّ غِـــرَارًا   مِـثْلَ حَسْـوِ الطَّيْرِ مَـاءَ الثِّمَـادِ

فكَشَفَ فى هذا البيت معنى الغرار وأوضحه.

وقوله:

* يَهَابُ حُمَيَّاهُ الأَلدُّ المُدَاعِسُ *

فأصل الحـمّيا إنما هى صَـدْمَة الشىء، يقال: فلان حـامى الحميَّـا، ويقال: صَدَمَتْهُ حُمَيَّا الكَأس، يراد بذلك سَوْرَتُها.

وقوله: «الألدّ» فأصله الشديد الخصـومة، يقال خَصْمٌ أَلدٌّ، أى لا ينثنى عن خصـمه. قـال الله عزّ وجل: ﴿**وَتُنْذِرَ بِهِ قَـوْمًا لدًّا**﴾[1] كمـا قال: ﴿**بَلْ هُمْ قَـوْمٌ خَصِمُونَ**﴾[2]، وقال مُهَلْهِل:

إِنَّ تَحْتَ الأَحْجَارِ حَزْمًا وَجودًا   وَخَـصِـيـمًـا أَلَدَّ ذَا مِـعْـلاَقِ

ويروى: «مِغْلاق»، فـمن روَى ذلك فتأويله أنه يُغْلقُ الحـجَّةَ الخَصم، ومن قال: «ذا معْلاق»، فإنما يريد أنه إذا عَلِقَ خصـمًا لم يَتَخَلَّصْ منه، وجعل السعدىّ الألدَّ الذى لا ينثنى عن الحرب تشـبيهًا بذلك، والمداعس: المُطَاعن، يقـال: دَعَسَهُ بالرمح إذا طَعَنَهُ، قال عُمَيْرُ بن الحُباب السُّلمىّ:

أَنَا عُـــمَـــيْـــرٌ وَأَبُو المُـغَلِّسْ   وَبِالْـقَنَاةِ مَـــازِنِـىٌّ مِـــدْعَسْ

* * *

[قال أبو الحسن: تأويل قول السعدىّ:

* أَبَعْلِىَ هذَا بالرَّحى المُتَقَاعِسِ *

(١) مريم ٩٧.
(٢) الزخرف ٥٨.

«بالرحى» تبيين ولم يوضحه، فإن تقدير ما كان من هذا الضرب أنه إذا قال: «أبعلى هذا بالرحى المتقاعسُ»، فإن المتقاعسَ يدل على أن تَقَاعُسًا وقع، فكأنه قال: وقعَ التقاعُس بالرحى، ولم يرد أنْ يُعْملَ «المتقاعس» فى قوله: «بالرحى»، لأنه فى الصِّلَة، والصلةُ من الموصُول بمنزلَة الدال من زيد أو الياء، فكما لا يجوز أن يتقدم حروفُ الاسم بعضُها على بعض، لم يجز أن تتقدَّم الصلةُ على الموصول، فأما قول الله عزّ وجل: ﴿وقاسمهما إنّى لكما لمن النَّاصحين﴾ وكذلك: ﴿وأنَا على ذلكُمْ من الشَّاهدين﴾ فإنه يكون على التبيين الذى قدَّمنا ذكْرَه وهو قول البصريين أجمعين، إلاَّ أن أبا عُمر الجَرْمىَّ أجازَ أن يَجْعَلَ «لكما»، و«على ذلكم» مُعَلَّقين بشيئين محذوفين دلَّ عليهما «من الناصحين»، و «من الشاهدين»؛ لأن «من» مُبَعِّضَةٌ، فكأنه قال ـ والله أعلم ـ: وقاسَمَهُما إنى ناصحٌ لكما من الناصحين، وأنا شاهد على ذلكم من الشاهدين.

وأما اختياره وذكْرُه أنه قولُ المازنىّ، وجَعْلُهُ الألف واللام للعهد مثْلَهُما فى الرجل وما أشبهه، فإن هذا القول غير مَرْضِىٍّ عندى، لأنك إذا قلت: نَعْمَ القَائمُ زيدٌ، فجعلتَ الألف واللام كالألف واللام الداخلتين على ما لم يؤخذ من الفعل كالإنسان والفرس وما أشبهه، فإنه إذا كان هكذا دخل فى باب الأسماء الجامدة، وهى التى لم تؤخذ من أمثلة الفعل، وامتنع من أن يعمل مُؤَخَّرًا إلا على حيلَة ووَجْه بعيد من التبيين الذى ذَكَرْنَا. وإذا كان فى التأخير لا يَعْمَلُ بنفسه، فكيف يَعْمَلُ إذا تَقَدَّم عليه الظَّرْفُ! وهذا مستحيل لا وَجْهَ له.

وأما إنشاده:

* لاَ أَذُوقُ النَّوْمَ إلاَّ غرَارًا *

فإن هذه أبيات أرْبعة أُنْشدْنَاها عن الزِّيَادِىِّ، وَذُكِرَ أنه كان يستحسنها وهى لأعرابىّ قال:

مَا لعَيْنِى كُحلَتْ بالسُّهَاد ... ولجَنْبى نَابِيًا عَنْ وسَادى

مَا أَذُوقُ النَّوْمَ إلاَّ غرَارًا ... مثْلَ حَسْو الطَّير مَاءَ الثِّماد(١)

أبْتَغى إصلاحَ سُعْدَى بجُهْدِى ... وَهْىَ تَسْعَى جُهْدَهَا فى فَسَادى

فَتَتَارَكْنا عَلَى غَيْرِ شَىْءٍ ... رُبَّمَا أَفْسَدَ طُولُ التَّمَادِى

(١) ر، س: «لا أذوق».

وأما إنشاده:

* وُضِعْنَ وكُلُّهُنَّ على غِرارٍ *

فإن البيت لِعَمْرو بن أحمر بن الْعَمَرَّدِ الباهِلِيّ.

* * *

[الطخيم بن أبي الطخماء الأسدي يمدح قوماً من أهل الحيرة]

قال أبو العباس: ومن سَهْلِ الشِّعْرِ وَحَسَنِه قول طُخَيْم بن أبى الطخماء الأَسَدِىِّ يمدح قوما من أهل الْحِيرَةِ من بنى امْرِئِ القَيسِ بن زَيْدِ مناة بن تميم، ثم من رَهْط عَدِىِّ بن زيد العبادىِّ، قال:

كَأَنْ لَمْ يكُنْ يَوْمٌ بزُورَةَ صَالحٌ ... وَبالقَصْرِ ظِلٌّ دائم وَصَدِيقُ[1]

ولَمْ أَرِد الْبَطْحَاءَ يَمْزُجُ مَاءَهَا ... شَرَابٌ مِنَ الْبَرُّوقَتَيْنِ عَتِيقُ[2]

مَعِى كُلُّ فَضْفَاضِ الْقَمِيصِ كَأَنَّهُ ... إذَا ما سَرَتْ فِيهِ الْمُدَامُ فَنِيقُ

بَنُو السِّمْطِ وَالحُدَّاءِ، كُلُّ سَمَيْدَعٍ ... لَهُ فى الْعُرُوقِ الصَّالِحَاتِ عُرُوقُ

وَإِنِّى وَإِنْ كَانُوا نَصَارَى أُحِبُّهُمْ ... وَيَرْتَاحُ قَلْبِى نَحْوَهُمْ وَيَتُوقُ

قال أبو العباس: أَنْشَدَنِى هذا الشَّعْرَ أبو مُحَلِّم، ثم أَنْشَدْنِيه رجلٌ نصرانىّ يُكْنَى أبا يَحْيَى، شاعرٌ من هؤلاء القوم الذين مُدِحُوا به، وذَكَر أنه يَذْكُرُ طُخَيْما، وهو يَتَرَدَّدُ إليهم ويَظَلُّ عندهم. قال هذا النصرانىّ - وهو رجل من بنى الحُدَّاء - قال: أَذْكُرُه وأنا صغير جِدًّا، والسلطانُ يطلبه لقوله:

* له فى العروق الصالحات عروق *

يقول: أتقول هذا لقَوْمٍ من النصارى! وكان هذا النصرانىُّ قد قارَبَ مائة سنة فيما ذُكِر.

---

(١) زورة: موضع قرب الكوفة، ضبطه ياقوت بفتح الزاى، وقال: «وقرأته بخط بعض أعيان أهل الأدب «زورة» بضم الزاى»، وأورد الأبيات.

(٢) البروقتان: موضع قرب الكوفة، وضبطه ياقوت بواوين، الأولى مضمومة، وأورد البيت.

وقوله: «معى كل فضفاض القميص» يريد أنّ قميصه ذو فُضول، وإنما يقصد إلى ما فيه من الْخُيَلاء، كما قال زُهَيْر:

يَجُرُّونَ الذُّيُولَ وَقَدْ تَمَشَّتْ حُمَيَّا الْكَأْسِ فِيهِمْ وَالْغِنَاءُ

ويقال: إن تأويل قول رسول الله ﷺ: «فَضْلُ الإِزارِ فى النار» إنما أراد معنى الْخُيَلاء، وقال الشاعر:

وَلاَ يُنْسِينِىَ الحَدَثَانُ عِرْضِى وَلاَ أُرْخِى مِنَ المَرَحِ الإِزَارَا

وقد رُوِىَ عن النبى ﷺ أنه قال لأبى تَمِيمَةَ الهُجَيْمِىِّ: «إِيَّاكَ وَالمَخِيلَةَ» فقال: يا رسول الله، نَحْنُ قَوْمٌ عَرَبٌ، فما المَخِيلَة؟ فقال ﷺ: «سَبَلُ الإزار»، والحَدِيث يَعْرِضُ لما يَجْرِى فى الحَدِيث قَبْله، وإن لم يكن من بابه، ولكن يُذْكَرُ به.

قال أبو العباس: رُوِىَ لنا أنَّ رَجُلاً من الصالحين كان عند إبراهيم[1] بن هشام، فأنشدَ إبراهيمُ قولَ الشاعر:

إِذْ أَنْتِ فِينَا لِمَنْ يَنْهاكِ عَاصِيَةٌ وَإِذْ أَجُرُّ إِلَيْكُمْ سَادِرًا رَسَنِى

فقام ذلك الرجل فَرَمَى بشِقِّ رِدائه، وأَقْبَلَ يَسْحبه حتى خرج من المجلس، ثم رجع على تلك الحال فجلس، فقال له إبراهيم بن هشام: ما بكَ؟ فقال: إنِّى كنتُ سمعتُ هذا الشعر فاستحسنته، فآلَيْتُ ألاَّ أسْمَعَهُ إلاَّ جَرَرْتُ ردائى كما تَرَى، كما سَحَبَ هذا الرجل رَسَنَه.

وأما الفنيقُ فإنه الفحل من الإبل[2]، وإنما أراد خَطَرَانَه بِذَنَبه من الْخُيَلاء، فشَبَّه الرجلَ من هؤلاء إذا انْتَشَى بالفحل، وهو إذا خَطَرَ ضَرَبَ بِذَنَبِهِ يَمْنَةً وشَأْمَةً، قال ذو الرُّمَّة:

وَقَرَّبْنَ بِالزُّرْقِ الجَمَائِلَ بَعْدَمَا تَقَوَّبَ عَنْ غِرْبَانِ أَوْرَاكِهَا الخَطْرُ[3]

---

(١) كان والى المدينة، والشاعر هو الأحوص، والخبر فى الأغانى (٤٠:٢١٦) طبعة الدار.

(٢) سقطت كلمة «الإبل» من ر، س.

(٣) الزرق: أكثبة بموضع يقال له الدهناء. والجمائل: جمع جمل، كذا ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت. والغربان هنا: رءوس الأوراك، وتقوب: تقطع، يريد أن خطر الجمال بأوراكها أحدث فيها قوبا فتقطعت. (وانظر ديوانه ٢٠٩).

[قول مخيس بن أرطاة الأعرجى لرجل من بنى حنيفة]

ومنْ حَسَنِ الشعر وما يَقْرُب مَأْخَذه قولُ مُخَيِّسِ بنِ أرْطاةَ الأعْرَجِيِّ ـ وَالأعْرَجُ الحارثُ بن كَعْب بن سَعْد بن زيد مَنَاةَ بن تميم ـ لرجل من بنى حَنيفَة يقال له يَحْيى، وكان يَصيرِ إلى امرأة فى قرية من قُرَى اليمامة يقال لها: بَقْعَاءُ: ـ [قال أبو الحسن: أُنْشِدْتُه عن الرِّيَاشيِّ: «نَقْعَاء»[١]، وسألت رجلاً من أهل اليمامة فَصيحًا من بنى حنيفة عن هذا، فقال: ما نعرفه[٢] إلا «نقعاء»] ـ[٣]:

عَرَضْتُ نَصِيحَةً مِنِّى لِيَحْيَى ... فَقَالَ: غَشَشْتَنِى وَالنُّصْحُ مُرُّ

وَمَا بِى أَنْ أَكُونَ أَعِيبُ يَحْيى ... وَيَحْيى طاهِرُ الأثواب[٤] بَرُّ

وَلكِنْ قَدْ أَتَانِى أَنَّ يَحْيى ... يُقَالُ عَلَيْهِ فِى بَقْعَاءَ شَرُّ

فَقُلْتُ لَهُ: تَجَنَّبْ كَلَّ شَىْءٍ ... يُعَابُ عَلَيْكَ، إنَّ الْحُرَّ حُرُّ

فهذا كلام ليس فيه فَضْلٌ عن معناه.

وقوله: «إن الحرَّ حرٌّ» إنما تأويله أن الحُرَّ على الأخلاق التى عُهِدت فى الأحرار، ومثلُ ذلك:

* أنا أَبو النَّجْم وَشِعْرِى شِعْرِى[٥] *

أىْ شِعْرِى كما بلَغَك، وكما كُنْتَ تَعْهَدُ، وكذلك قولهم: الناسُ الناس، أى الناس كما كنت تعْهَدُهُمْ. [قال أبو الحسن: ومنه قول الله عز وجل: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ اليَمِّ ما غَشِيَهُمْ﴾][٦].

وقوله:

فقلتُ له تجَنَّبْ كل شىء ... يعاب عليك . . .

(١) ر: «نقعاء، بالنون».

(٢) ر: «ما أعرفه».

(٣) س: «نقعاء، بالنون». ر: «بقعاء، بالباء».

(٤) ر: «الأخلاق».

(٥) بعده:

* لله درى ما يجن صدرى *

(وانظر معاهد التنصيص ١: ١٩)

(٦) سورة طه ٨٧.

كقول عمرو بن العاص لمعاوية حين وَصَفَ عبدَ المَلك [بن مروان][1] فقال: آخذٌ بثلاث، تاركٌ لثلاث: آخذٌ بقلوب الرجال إذا حَدَّثَ، وبحسْنِ الاستماع إذا حُدِّثَ، وبأيسرِ الأمرين عليه إذا خُولِف، تاركٌ للمِراء، تاركٌ لمقارَبة اللئيم، تاركٌ لما يُعْتَذَر منه، كقوله:

.... تَجَنَّبْ كُلَّ شَيءٍ ... يُعَابُ عَلَيكَ إنَّ الحُرَّ حُرُّ

[قول ابن ميادة لرياح بن عثمان المرى]

ومما يُسْتَحْسَنُ إنشادُه من الشعر لصحة معناه، وجَزَالة لفظه، وكثرة تردُّد ضَرْبِه من المعانى بين الناس، قولُ ابن مَيَّادةَ لرياحِ بن عثمان بن حَيَّانَ المُرِّيِّ[2]، من مُرَّةَ غَطَفَانَ، يقوله فى فتنة[3] محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن، وكان أشار عليه بأن يعتَزِل القومَ فلمْ يفعل فقتِل، فقال ابن مَيَّادة:

أَمَرْتُكَ يا رِيَاحُ بِأَمْرِ حَزْمٍ ... فقُلْتَ: هَشِيمَةٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدِ
نَهَيْتُكَ عَنْ رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ ... عَلَى مَحْبُوكَةِ الأَصْلاَبِ جُرْدِ
وَوَجْدًا مَا وَجَدْتُ عَلَى رِيَاحٍ ... وَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا غَيْرَ وَجْدى

وقوله[4]:

* فقلتَ هَشيمَةٌ من أهل نجد[5] *

تأويله ضَعَفَةٌ، وأصل الهشِيم النَّبْتُ إذا وَلَّى وَجَفَّ وتكسَّر، فذَرَتْهُ الرِّياحُ يمينًا وشِمَالاً. قال الله عز وجل: ﴿فأَصْبَحَ هَشِيما تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾[6] والنَّجْدُ أعالى الأرض.

وقوله:

* علَى مَحْبُوكَةِ الأَصْلاَبِ جُرْدِ *

---

(١) من ر، س.
(٢) كان واليا على المدينة من قبل أبى جعفر المنصور سنة ١٤٤ (وانظر زامبور ١: ٣٦).
(٣) ذكر ابن الأثير هذه الفتنة مفصلة فى حوادث سنة ١٤٤. والخبر والأبيات فى الأغانى ٢: ٣٣٧، ٣٣٨ (طبعة الدار)، واللسان (هشم) عن المبرد.
(٤) ر: «قوله» س: «قوله».
(٥) فى اللسان: «ضعف».
(٦) الكهف ٤٥.

فالمَحْبُوك الذى فيه طَرَائق، واحدها حِبَاكٌ، والجماعة حُبُك، وكذلك الطرائق التى على جَناح الطائر: من ذلك قول الله عز وجل[(١)]: ﴿وَالسَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ﴾[(٢)].

* * *

[قال أبو الحسن: ابن مَيَّادَةَ اسمه الرَّمَّاحُ، وأمه مَيَّادَة، وأبوه أبْرَد، وكان عاقًّا بأمه، ولها يقول:

* أعْرَنْزِمِى مَيَّادَ لِلْقَوافِى[(٣)] *

وأصل الاعْرِنْزَامِ التَجَمُّع والتَّقَبُّض، يقول: اسْتَعِدِّى لها وتَهَيَّئى.

وأنْشَدَنا أبو العباس محمد بن يزيدَ له:

وَنَوَاعِمٍ قَدْ قلن يَوْمَ تَرَحُّلِى ... قَوْلَ الْمُجِدِّ وَهُنَّ كَالمُزَّاحِ

يَالَيْتَنَا مَنْ غَيْرِ أَمْرٍ فَادِحٍ ... طَلَعَتْ عَلَيْنَا الْعِيسُ بالرَّمَّاح

فى أبيات له، يعنى نفْسَه.

قال أبو الحسن: وتمام الأبيات:

بَيْنَا كَذَاكَ رَأَيْتَنِى مُتَعَصِّبًا ... بالخَزِّ فَوْقَ جُلالَةٍ سِرْدَاحِ[(٤)]

فِيهِنَّ صَفْرَاءُ المَعَاصِمِ طَفْلَةٌ ... بَيْضَاءُ مِثْلُ غَرِيضَةِ التُّفَّاحِ[(٥)]

رَيَّشْنَ حِينَ أَردنَ أَنْ يرمينني ... نَبْلاً بِلاَ رِيشٍ وَلاَ بِقِدَاحِ

وَنظَرْنَ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ بِأَعْيُنٍ ... مَرْضَى مُخَالِطُهَا السَّقَامُ صِحَاحِ

* * *

---

(١) ر: «تبارك وتعالى».

(٢) الذاريات ٧.

(٣) حاشية الأصل: بعده:

* واستسمعيهن ولا تخافى *

وفى ر:

واستسمعيهن ولا تخافى ... ستجدين ابنك ذا قذاف

(٤) الجلالة: الناقة الضخمة. والسرداح: الناقة الطويلة.

(٥) صفراء المعاصم: هى التى طليت بالزعفران. والطفلة: الناعمة. والغريض: الطرى.

[نبذ من أقوال الحكماء]

قـال أبو العبـاس: ثم نَذْكُـرُ من كلام الحكمـاء وأمـثالهم وآدابهم صَـدْرًا، ونعود(١) إلى المُقَطعَّاتِ إن شاء الله.

[يروى عن ابن عمر أنه كان يقول: إنَّا معـشرَ قريش، كنا نعدّ الجود والحلم السُؤدد، ونعدّ العفاف وإصلاح المال المروءة](٢).

قال الأحْنَفُ بن قَـيْسٍ: كثـرةُ الضَّحك تُذْهِبُ الْهَيْـبَة، وكـثرة المَزْح تُذْهِبُ المُرُوءة، ومن لَزِمَ شيئًا عُرِفَ به.

وقيل لعـبد الملك بن مَرْوانَ: مـا المُرُوءَة؟ فقال: مُـوَالاَةُ الأَكْفَاءِ، ومَـدَاجاةُ الأعْداء.

وتأويل المُدَاجاة المُدَاراة، أى لا تُظْهِر لهـم ما عندك من العداوة، وأصله من الدُّجى، وهو ما ألْبَسَكَ الليلُ من ظلمته.

وقيل لمعاوية: مـا المُرُوءَةُ؟ فقال: احتـمال الجَرِيرَةِ، وإصلاَحُ أَمْرِ الْعَـشِيرة. فقيل له: وما النُّبْل؟ فقال: الْحِلْمُ عند الغضب، والْعَفْو عند القُدْرة.

وكان أبو سُـفْيَـان إذا نزل به جارٌ قال له: ياهذا، إنك قـد أخْتـرتنى جارًا، واختـرتَ دارى دارًا، فَجِنَايَةُ يَدِكَ علىَّ دونَكَ، وإن جَنَتْ عليك يَدٌ فـاحتْكِم علىَّ حُكَم الصبىِّ على أهله.

وذلك أن الصبىّ قد يَطْلُبُ ما لايوجد إلاَّ بعيدًا، ويطلب ما لا يكون أَلْبَتَّةَ، قال الشاعر(٣):

وَلاَ تحَكُمـاَ حُكَم الصَّبىّ فَـإِنَّهُ … كَثِيرٌ عَلَى ظَهْـرِ الطَّرِيقِ مَجاهلُه

وروى(٤) أن معاوية بن أبى سفيان لما نَصَبَ يزيدَ لوَلاية الْعَـهْدِ أَقْعَدَهَ فى قُبَّة حمراء، فَجَعَلَ الناسُ يُسَلِّمُونَ على معاوية، ثم يميلون إلى يزيد، حتى جاء رجل

---

(١) ر: «ثم نعود».

(٢) ما بين العلامتين تكملة من ر.

(٣) زيادات ر: «هو الأعرج المعنى».

(٤) ر: «ويروى».

ففعل ذلك، ثم رجع إلى معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين، اعْلَمْ أنك لو لم تولّ هذا أمورَ المسلمين لأَضَعْتَهَا - والأحْنَفُ جالس - فقال له معاوية: ما بالكَ لا تقولُ يا أبا بَحْر! قال: أخاف الله إن كَذَبْت، وأخافُكم إن صَدَقْتُ. فقال: جزاك الله عن الطاعة خيرًا! وأَمَرَ له بألوف، فلما خرج الأحنفُ لَقِيَهُ الرجلُ بالباب، فقال: يا أبا بحْر، إني لأَعْلَمُ أن شَرَّ مَنْ خَلَقَ الله هذا وابنُه، ولكنهم قد استَوْثَقُوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال، فلَسْنا نَطْمَعُ فى استخراجها إلا بما سمعت، فقال الأحنف: يا هذا أَمسك عليك(1)، فإن ذا الوجهين خَلِيقٌ ألاَّ يكونَ عند الله وجِيهًا.

[الرجل يهجو بلال بن البعير المحاربى]

وقال رجل يَهجو بلال بن البَعِير المحاربىّ(2):

يقولون أَبْنَاءُ الْبَعِيرِ ومَالَهُ ... سَنَامٌ ولاَ فِى ذِرْوَةِ المَجْدِ غَارِبُ

أَرَادَتْ - وَذَاكُم مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهَا ... لأَهْجُوَهَا - لَمَّا هَجَتْنِى مُحَارِب

مَعَاذَ إلَهِى إنَّنِى بِعَشِيرَتِى ... ونَفْسىَ عَنْ هَذَا المَقَامِ لَرَاغِبُ

[لأبى الطمحان القينى يفخر بقوله]

وقال أبو الطَّمَحَان الْقَيْنىُّ(3):

وَإِنِّى مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمُ هُمُ ... إذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهْ

نُجُومُ سَمَاءٍ كُلَّمَا غَارَ كَوْكَبٌ ... بَدَا كَوْكَبٌ تأْوِى إِلَيهِ كَوَاكِبُهْ

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ ... دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجِزْعَ ثاقبه

وَمَازَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كانُوا مُسَوَّدٌ ... تَسِيرُ المَنَايا حَيْثُ سَارَتْ كَتَائِبُهْ

---

(1) كلمة «عليك» ساقطة من ر، س.

(2) زيادات ر: «الشاعر الرماح بن ميادة»، ورواية الأغانى (2: 330 - طبعة الدار) للبيتين الأخيرين عن أبى حذافة السهمى:

أظنت سفاها من سفاهة رأيها ... أن اهجوها - لما هجتنى محارب

فلا وأبيها إننى بعشيرتى ... ونفسى عن ذاك المقام لراغب

(3) زيادات ر: «اسمه حنظلة بن الشرقى، والطمحان فعلان، من طمح بأنفه وبصره إذا تكبر، والقين: الحداد، وكل صانع قين، والقين أيضا: مواضع القيد من البعير».

[لإياس بن الوليد يمدح قومه]

وقال إياس بن الولَيدِ يمدح قومه:

إنِّى وَجَـدِّك مِنْ قَوْمٍ إذَا طَلَبُـوا … بَعْدَ النَّسِـيئَةِ دَيْنًا أَحْـسَنُوا الطَّلَبَا

لاَ تَحْسِبُوا هَجْمَ أَبْـيَاتِى عَلاَنِيَةً … وَلاَ اَسْتِلاَبَ سِلاَحِى ذَاهِـبًا لَعِبَا

تَبْقَى الَمـعَايِرُ بَعْدَ الْقَوْمِ باقِـيَةً … وَيَذْهَبُ المَالُ فِيـمَا كانَ قَـدْ ذَهَبَا

[لرجل يهجو]

وقال آخر:

لَيْسُوا لِعَمْرٍو غَـيْرَ تَأْشِيبِ نِسْبَةٍ … ولْكِنَّ عَـمْـرًا غَـيَّبَـتْـهُ المَقَـابِرُ

إذَا عُيِّـرُوا قَالُوا مَقَـادِيرُ قُدِّرَتْ … وَمَـا الْعَارُ إلاَّ مَـا تَجُرُّ المَقَـادِرُ

[لرجل من بنى نهشل بن دارم ينأى بنفسه]

وقال رجل من بنى نَهْشَلِ بن دارِم:

إذَا مَـوْلاَكَ كَـانَ عَلَـيْكَ عَـوْنًا … أَتَاكَ الْقَـوْمُ بالْعَـجَبِ الْعَـجِـيبِ

فَـــلاَ تَخْنَـعْ إلَيْـــهِ وَلاَ تُرِدْهُ … وَرَامِ بِرَأْسِـهِ عُـــرْضَ الجَـبُـوبِ

فَـمَـا لِشَـآفَـةٍ مِنْ غَـيْـرِ ذَنْبٍ … إذَا ولَّى صَــدِيقُكَ مِنْ طَبِــيبِ

قوله:

* ورام برأسه عرض الجبوب *

يريد الأرضَ ـ وهو اسم من أسمـائها ـ أنشدنى التَّـوَّزِىُّ لرجل من بنى مُرَّةَ يَرْثى ابنه:

بُنَىَّ عَلَـى عَـيْنِى وَقَلْبـى مكَانُهُ … ثَوَى بَيْنَ أَحْجَـارٍ وَرَهْنَ جَبُوبِ

وقوله: «فـما لشـآفة» يقـول: لبُغْضٍ، يقال: شَـئِفْتُ الرجُلَ أَشْـأَفُهُ شَـآفَةً وشَأْفًا، وقد يقال فى هذا المعنى شَنِفْتُهُ، قال الرَّاجز:

لَمَّـا رَأَتْنِى أُمُّ عَـمْرٍو صَـدَفَتْ … وَمَنَعَـتْنِى خَـيْـرَهَا وَشَنِفَتْ[1]

---

(١) البيتان فى اللسان (شنف).

وقال آخر:

* ولَمْ تُداوِ غُلَّةَ الْقَلبِ الشَّنِفْ(1) *

[النبهان بن عكى فى النسيب]

وقال نَبْهَانُ بن عكِّىّ العَبْشَمِىُّ:

يُقِرُّ بِعَيْنِى أَنْ أَرَى مَنْ مكَانهُ ... ذُرَا عَقِدَاتِ الأَبْرَقِ المُتَقَاوِدِ
وأَنْ أَردَ المَاءَ الَّذى شَرِبَتْ به ... سُلَيْمَى، وقَدْ مَلَّ السُّرَى كُلُّ وَاجِدِ
وأُلْصِقَ أَحْشَائِى بِبَرْدِ تُرابِهِ ... وَإِنْ كَانَ مَخْلُوطًا بِسُمِّ الأَسَاوِدِ

قوله: «ذُرَا عَقِدات»، فالذِّرْوةُ من كلّ شىء أعلاه، فَذُرْوةُ السنام أعلاه، وذُرْوَة المَجْدِ أَرفَعُهُ وأسناه، ويقال: فلان فى ذُرْوة قومِهِ إذا كان فى الموضع الرفيع منهم، وأما قولَ لَبِيد:

مُدْمِنٌ يَجْلُو بِأَطْرَافِ الذُّرَا ... دنَسَ الأَسْؤُقِ عن عَضْبٍ أَفَلّ

فإنما يقول: هذا رجل يُعَرْقِبُ الإبل لِيَنْحَرَهَا ثم يمسح ذرَا أَسْنِمَتِهَا بسيفه، لِيَجْلُوَ ما عليه من دم الأسؤق.

وقوله: «عَضْب» أى قاطع، ومن ذلك رجل عَضْبُ اللسان، وجعله أَفَلَّ لكثرة ما يُقَارِعُ به الحُروبَ، كما قال النابغَة:

وَلاَ عَيْبَ فِيهِم غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فلولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

وقوله: «عَقِدات» فهو ما انْعَقَدَ وَصَلُبَ من الرمل، والواحدة عَقِدَة، وأعْقادٌ أيضًا وَعَقِدَات، قال ذو الرُّمَّة لِهلاَلِ بن أَحْوَزَ المازنِىِّ يمدحه:

رَفَعْتَ مَجْدَ تَمِيمٍ يا هِلاَلُ لَهَا ... رَفْعَ الطرَافِ عَلَى الْعَلْيَاءِ بِالْعَمَدِ(2)
حَتَّى نِسَاءُ تَمِيمٍ وَهْىَ نَازِحَةٌ ... بِقُلَّةِ الحَزْنِ فَالصَّمَّانِ فَالْعَقِدِ
لَوْ يَسْتَطِعْنَ إِذَا ضَافَتْكَ مُجْحِفَةٌ ... وَقَيْنَكَ المَوْتَ بِالآبَاءِ وَالْوَلَدِ

---

(1) البيت فى اللسان (شنف)، ورواه «علة القلب» بالمهملة.
(2) الطراف: بيت من جلد، والعلياء: المكان المرتفع.

وقوله: «الأبرق» فالأبْرَقُ حجارة يَخْلطُها رَمْلٌ وطين، يقال لتلك: بُرْقَةٌ، وأبْرَقُ، وبَرْقَاء، يافتى، كما يقال: الأمْعَزُ والمَعْزَاء، وهى الأرض الكثيرة الحَصْباء، ومثل ذلك الأَبْطَحُ والْبَطحَاء، وهو ما انْبَطَحَ من الأرض، فمن قال: أبْرَقُ فإنما أراد المكان، ومن قال: بَرْقاءُ فإنما أراد البقعة.

وقوله: «المتقاود» يريد المنقاد المستقيم، ومن ذلك قولهم: قُدْتُهُ أى جَرَرْتُهُ على استقامة، وكذلك طريق مُنْقاد، وفلان قائد الجيش، قال حاتم بن عبد الله الطائىّ: يضرب هذا مثلا:

إِنَّ الْكَرِيمَ مَنْ تَلَفَّتَ حَوْلَهُ وَإِنَّ اللَّئِيمَ دَائِمُ الطَّرْفِ أَقْوَدُ[1]

وقوله:

* ولو كان مخلوطا بسمّ الأساود *

يريد جمع أسْوَدَ سالخٍ، وجَمَعَهُ عَلَى أساود؛ لأنه يجرى مُجْرَى الأسماء، وما كان من باب «أفْعَل» اسْمًا فَجمْعُهُ على أفاعِلَ، نحو أفْكَل وأفاكِلَ[2]، والأكْبَر والأكابِر، وكذلك كلُّ ما سَمَّيْتَ به رجلا، تقول: أحْمَد وأحامد، وأسْلَمُ وأسالِمُ، فإن كان نعتا فَجمْعُهُ «فعْل»[3] نحو أحْمَرَ وحُمْر، وأصفَر وصُفْر، ولكن أسْوَدَ إذا عَنَيْتَ به الحيّة، وأدْهَم إذا عَنَيْتَ به[4] القَيْدَ، وأبْطحَ إذا عنيت[5] المكان المنْبَطِح، والأبرق[6] إذا عنيت المكان، مُضَارِعَةٌ للأسماء، لأنها تدل على ذات الشىء، وإن كانت فى الأصل نعتًا محضا[7]، تقول فى جمعها: الأَباطِح والأبَارق والأدَاهِم والأسَاود، فإن أرَدْتَ نعتًا مَحْضًا يَتْبَعُ المنعوت، قلت: مررت بثياب سُودٍ، وبِخَيْلٍ دُهْم، وكل ما أشْبَهَ هذا فهذا مجراه، قال جرير:

هُوَ الْقَيْنُ وَابْنُ الْقَيْنِ لاَ قَيْنَ مِثْلُهُ لِفَطْحِ المَسَاحِى أو لِجَدْلِ الأدَاهِمِ[8]

---

(١) حاشية الأصل: «الأقود من الرجال: الذى لا يلتفت».

(٢) الأفكل: اسم لرعدة من برد أو خوف.

(٣) ر، س: «فجمعه على فعل».

(٤) ر، س: «إذا عنيت به القيد».

(٥) ر: «إذا عنيت المكان».

(٦) ر: «وأبرق إذا عنيت به المكان».

(٧) ساقطة من ر.

(٨) المساحى: «جمع مسحاة، وهى المجرفة من حديد يجرف بها الطين عن وجه الأرض».

وقال الأَشْهَب بن رُمَيْلَة ـ [قال أبو الحسن: رميلة اسم أمّه] ـ[1]:

أُسُودُ شَرًى لاقَتْ أُسـود خَفِيَّةٍ تساقت[2] عَلَى حَرْدٍ دِمَاءَ الأَسَاوِد

قوله: «على حـرد» يقول: على قَصـد، فأما قـولُ الله عز وجل: ﴿**وَغَدَوْا عَلَى حَـرْدٍ قادِرِين**﴾[3]، فإن فـيه قـولين: أحدهمـا ما ذَكَـرْنا من القصـد، قال الشاعر[4]:

قَدْ جَـاءَ سَيْلٌ جَـاءَ مِنْ أَمْرِ اللهْ يَحْـرِدُ حَـرْدَ الجَنَةِ الْمُـغِلَّهْ[5]

وقالوا: «عـلى حَرْد»: أى على مَنْعٍ، من حـارَدَتِ السنةُ إذا مَنَعَتْ قَطْرَهَا، وحاردت الناقة إذا مَنَعَتْ دَرّهَا.

* * *

[قال أبو الحسن: رواية أبى الـعباس : «يُقِرُّ بعينى» يريد يُقـرُّ عينى، ثم أتى بالباء توكيدًا، وقـال لنا: هكذا سمعته، ويقال: أقَرَّ الله عـينَهُ يُقِرُّها، وقَرَّتْ عينُهُ تَقَرُّ، وقَـرَرْتُ بالمكان أقِرُّ، وقال الأصمـعىّ: قَرَّتْ عينُهُ من القُـرّ وهو البَرْدُ، أى جَـمَدَتْ فلـم تدمع، وهو بِحِـذاء سَخِنَتْ عـينُهُ. وأجْـوَدُ مما رَوَى عندى: «يَقَـرُّ بعينى»، وهو الأصل، والباء فى موضعها غيرُ مؤكدة.

وقال أبو العـباس: الذى رَوَيْتُ: «وقد مَلَّ السُّرَى كُلُّ واحـد»، وهو المنفرد فى السير المُتَـوحِّدُ به، ورَوَى غيره: «كلُّ واجِـدٍ»، أى عاشق، ورُوِىَ أيضًا: «كل واخِـد»، وهو من الوَخْـد والوَخَـدَانِ، وهو السـير الشـديد، والوخْـدُ المصـدر، والوَخَدَانُ الاسم].

* * *

(1) ما بين العلامتين من ر ، س.

(2) ر ، س: «تسافوا».

(3) سورة القلم ٢٥.

(4) س: «قيل: هو قطرب».

(5) زيادات ر: «قال أبو حاتم: هذه صنعة من لا أحسن الله ذكره ـ يعنى قطربا»، وفيها «قطريا» تصحيف.

وقال القَتَّالُ الكلابىُّ(1)، واسمه عُبَيْدُ بن مَضْرَحِىّ:

أَنَا ابْنُ أَسْمَاءَ أَعْـمَامِى لَهَا وَأَبِى	إِذَا تَرَامَى بَنُـو الإِمْـوَانِ بِالْعَـــارِ
لا أَرْضِعُ الدَّهْرَ إِلاَّ ثَدْىَ وَاضِحَةٍ	لِوَاضِحِ الخَدِّ يَحْـمِى حَوْزَةَ الجَارِ
مِنْ آلِ سُفْـيَانَ أَوْ وَرْقَاءَ يَمْنَعُـهَا	تَحْتَ الْعَجَاجَةِ ضَرْبٌ غَيْرِ عُوَّارِ
يَالَيْـتَنِى وَالْمُنَى لَيْـسَتْ بِنَافِـعَـةٍ	لِمَـالِكٍ أَوْ لِحِـصْنٍ أَوْ لِسَـيَّـارِ
طِوَالُ أَنْضِيَـةِ الأَعْنَاقِ لَمْ يَجِدُوا	رِيحَ الإِمَـاءِ إِذَا رَاحَـتْ بِأَزْفَـارِ

قوله:

* إذا ترامى بنو الإموان بالعار *

فالإِمْوَان: جـمع أَمَة، وأصل أَمَة «فَـعَلَةٌ» متحركـة العين، وليس شىء من الأسماء على حرفين إلاوقـد سقط منه حرف يُسْتَدَلُّ عليه بجمـعه، أو بتثنيته، أو بفعل إن كان مـشتقًّا منه، لأن أقل الأصـول ثلاثة أحرف، ولا يَلْحَقُ التصغـيرُ ما كان أقلَّ منها، فأمَةٌ قد علمنا أن الذاهب منها واو بقولهم: «إمْوَان»، كما علمنا أن الذاهب من أبٍ وأخٍ الواو بقولهم أبوَان وأَخـوَان، وعلمنا أن أمَة «فَعَلَةٌ» متـحركة بقولهم فى الجميع: آمٍ، فوزن هذا أفْعُلٌ، كـما قالوا: أكَمَةٌ وآكُمٌ، ولا تكون فَعْلَةٌ على أفْعُلٍ، ثم قالوا إمْوانٌ: كما قـالوا فى المذكَّر الذى هو منقوص مثله: إخْوان، واستوى المذكـر والمؤنث؛ لأن الهاء زائدة، كما اسْتَويَا فى «فَـعْل» الساكن العين، تقول: كَلْـبٌ وكِلاب، وكَعْبٌ وكِـعابٌ، كـما تقول فى المؤَنث: طَـلْحَةٌ وطلاَحٌ، وجَفْنَةٌ وجفان، وصَـحْفَةٌ وصِحَافٌ. ونظير ذلك من غـير المعتل ورَل(2) وورْلان، وبَرَق وبرْقان وخَـرَب وخِربْان، وهو ذَكَرُ الحُـبارَى، والبَرَقُ الحَـمَل. ومن أنشد:

---

(1) ر ، س: «وقال أبوالعباس، قال القتال ...».
والأبيات فـى أمالى القـالى (2: 225 ، 226)، وذكر فيـها: «نازع القـتال الكلابـى ـ وهو عبيـد بن المضرحى ـ رجلا من قومـه، فقال له الرجل: أنت كلٌّ على قومك، والله إنك لخـامل الذكر والحسب، ذليل النفر، خفيف على كاهل خصمك، كلٌّ على ابن عمك»، فقال هذه الأبيات.
(2) الورل: دابة على خلقة الضب، إلا أنه أعظم منه، يكون فى الصحارى.

«أُمْوَان» فقد غلط، لأنه يَحْتَجُّ بقولهم: حَمَلٌ وحُملانٌ، وفَلَقٌ وفُلْقانٌ، وهذا إنما يحمل على ما كان معتلاً مثْلَهُ، نحو أخ وأخْوان. وقد رَوَى أبو زيد: أُخْوان، فإلى هذا ذهبوا، والقياس المطرد لا تَعْتَرِضُ عَلَيْه الرِّوايةُ الضعيفة.

وقوله: «لا أرْضِعَ الدَّهْرَ» فهذا على لغته، لأن قيْسًا تقول: رَضِعَ يرْضِعُ، وأهل الحجاز يقولون: رَضَعَ يَرْضَعُ، ويُنشِدون بيت عبد الله بن هَمَّام [السلوليّ](١) على وجهين، وهو:

إذَا نَصبُوا لِلْقَوْلِ قَالُوا فَأَحْسَنُوا ... ولكِنَّ حُسْنَ الْقَوْلِ خَالَفَهُ الْفعلُ

وذَمُّوا لَنا الدُّنْيَا وهُمْ يَرْضِعُونَها ... أَفَاوِيقَ حَتَّى ما يَدِرَّ لَهَا ثُعْلُ(٢)

وبعضهم يقول: «يَرْضَعُونَها».

وقوله:

« لا أَرْضِعُ الدهر إلا ثدْيَ واضحة »

يقول: إنما تُرْضِعُنى أمّى، وليست غير كريمة، كما قال الأعْشَى:

يَا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ المَطِيَّ ولاَ ... يَشْرَبُ كَأْسًا بكَفِّ مَنْ بَخِلاَ

يقول: إنما تَشْرَبُ بكفك، ولَسْتَ ببخيل، ومثل هذا قولُ التَّمِيمِيِّ لِنَجْدَةَ بن عامرٍ الحنَفِيّ الخارجيّ(٣):

مَتَى تَلْق الحَرِيشَ حَرِيش سَعْد ... وعَبَّادًا يَقُودُ الدَّارِعينا

تَبَيَّنْ أَنَّ أُمَّك لَمْ تورَّكْ ... ولَمْ تُرْضِعْ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَا(٤)

وقوله: «واضحة» أى خالصة فى نَسَبِها، وليست بأمةٍ، وهذا توكيد لبيته الأول، وقد أنشد بعضهم: «لواضح الجدِّ» والمعنى قريب.

---

(١) من و. وفى س «بيتى ابن همام».

(٢) الثعل، مثلثة: خلف زائد صغير فى أخلاف الناقة.

(٣) هو نجدة بن عامر الحنفى، من رءوس الخوارج، كان ممن لقبوه بأمير المؤمنين قتل سنة ٧٢. (وانظر تاريخ الطبرى ٧: ١٩٤).

(٤) هو الحريش بن هلال القريعى الشاعر، وعباد بن علقمة المازنى، وسيأتى ذكرهما فى أخبار الخوارج.

وقوله: «يَحْمى حَوْزَةَ الجارِ» أى ما يَحُوزه، يقال: فلان مانع لحوْزَته، أى لما صار فى حَيِّزِه، ويُرْوَى عن علىّ بـن أبى طالب رحمة الله عليه[1] أنه قال: للأزْد أربعٌ ليْسـت لحَىّ، بـذْلٌ لما ملكَتْ أيـديـهـم، ومَـنْـعٌ لِحَـوْزَتِهم، وحَىٌّ عِمَارةٌ[2] لا يحتاجون إلى غيرهم، وشُجْعَانٌ لا يَجْبُنُونَ.

وقوله:

* لِمالكٍ، أو لِحصْنٍ، أو لسَيَّار *

فهؤلاء بيت فزَارَة، وبُيُوتات العَرَب فى الجاهلية ثلاثة، فبيتُ تميم بنوعبد الله ابن دارم، ومَرْكَزُهُ بنو زُرَارَةَ، وبيتُ قَيْسٍ بنو فَزَارَةَ ومركَزُهُ بنو بدْرٍ، وبيت بكْر بن وائِل شَيْبان ومركزُهُ بنو ذى الجَدَّيْنِ.

وقوله: «طوالُ أنْضِـيةِ الأعناقِ» فالنَّضِىُّ مُـرَكَّبُ النَّصْل فى السِّنْخ، وضَرَبَهُ مَثَلاً، وإنما أراد طِوال الأعناق، كما قال الأعشى:

الْوَاطِئِـينَ عَلَى صُدُورِ نِعَـالِهِمْ   يَمْـشُونَ فِي الدفَـئِيِّ والأَبْرَادِ[3]

يريد السُّودَدَ والنِّعْـمَةَ ولم يَخْصُصِ الصدورَ، وإنما أراد النعـال كلها، وقال الشاعر[4]:

يُشَـبَّهُـونَ مُلُوكًـا فِى تَجِلتِـهِمْ   وطُولِ أَنْضِـيَـةِ الأَعْنَاقِ والِّلمَم
إذَا بَدَا المِسْكُ يَنْدَى فِى مَفَارِقِهِمْ   رَاحُوا كَـأَنَّهُمُ مَرْضَى مِنَ الْكَرَم

[قال أبو الحسن: وغيره يروى: يُشَبَّهُونَ قريشًا فى تجلَّتهم].

وقوله: «بأزفار» فالزِّفْرُ الحمْل، ويُضْرَبُ مثلا للرجل، فيقال: إنه لَزُفَر، أى حَمَّالٌ للأثقال، ويقال: أتى حِملَهُ فازْدَفَرَهُ، قال أبو قُحافة أعْشَى باهِلَةَ:

أَخُو رَغَـائِبَ يُعْطِيـها ويُسْألـها   يَأْبَى الظُّلاَمَـةَ مِنهُ النَّوْفَلُ الزُّفَـرُ

---

(١) ر: «رضى الله عنه».

(٢) العمـارة هنا: الحى العظيم يمكنه الانفـراد بنفسـه، يفتح الـعين وكسـرها. قال ابن الأثـير: «فمن فـتح فلالتفـاف بعضهم على بعض كالعـمارة والعمامـة، ومن كسر فلأن بهم عمـارة الأرض» (وانظر النهاية ٣:١٢٨).

(٣) الدفئى: ضرب من الثياب، قيل هى المخططة.

(٤) زيادات ر: «هو الشمردل بن شريك اليربوعى، عن ابن قتيبة».

وإنما يريد بعينه، كقولك: لئن لقيتَ فلانا ليَلْقَيَنَّكَ منه الأسَدُ.

وقوله: «النَّوْفَلُ» من قولهم: إنه لذو فَضْلٍ ونَوَافِلَ.

* * *

[الرجل من بني عبس، وكان عروة بن الورد قد شتمه]

وقال رجل من بنى عَبْسٍ، يقوله لعُرْوَةَ بنِ الوَرْد:[1]

لا تَشْتُمَنِّى يا بن ورْدٍ فَإِنَّنِى ... تَعُودُ عَلَى مَالِى الْحقُوقُ الْعَوَائِدُ

ومَنْ يُؤْثِرِ الحَقَّ النَّؤوبَ تكُنْ بِهِ ... خَصَاصَةُ جِسْمٍ، وهُوَ طَيَّانُ ماجِدُ[2]

وإِنِّى امْرُؤٌ عافِى إنَائِىَ شِرْكَةٌ ... وأَنْتَ امْرُؤٌ عافِى إنَائِكَ وَاحِدُ[3]

أُقَسِّمُ جِسْمِى فى جُسُومٍ كَثِيرَةٍ ... وأَحْسُو قَرَاحَ المَاءِ والماءُ بارِدُ

قوله: «النؤوب» يريد الذى ينُوبه، وكل واو انْضَمَّتْ لغير علَّة فأنت فى همزها وتركها بالخيار، تقول فى جَمْع دارٍ: أدْؤُر، وإن شئت لم تَهْمِزْ، وكذلك النَّؤُوب والقَؤُولُ لانضمام الواو، فأمَّا الواو الثانية فإنها ساكنة قبلها ضمة، وهى مَدَّةٌ فلا يُعْتَدُّ بها، ولو التَقَتْ واوانِ فى أوّل كلمة، وليستْ إحداهما مَدَّةً لم يكن بُدٌّ مِنْ هَمْزِ الأولى، تقول فى تصغير واصِلٍ وواقد: أُوَيْصِلٌ وأُوَيْقدٌ، لابُدَّ من ذلك، فأما وُجُوهٌ فإن شئت هَمَزْتَ فقلت: أُجوهٌ وإن شئْتَ لم تَهْمِزْ، قال الله عزّ وجل: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾[4] والأصل وُقِّتَتْ، ولو كان فى غير القرآن لجاز إظهار الواو إن شئت. وقوله عز وجل[5]: ﴿مَا وُورِىَ عَنْهُمَا﴾[6] والواو الثانية مَدَّةٌ فلا يُعْتَدُّ بها، ولو كان فى غير القرآن لجاز الهمز لانضمام الواو.

وقولى: «إذا انضمت لغير علة»، فالعلة أن تكون ضمتها إعرابا، نحو هذا غَزْوٌ يا فتى، ودَلْوٌ كما ترى، فهذا مما لا يجوز هَمْزُهُ؛ لأن الضمة للإعراب فليستْ بلازمة، أو تَنْضَمُّ لالتقاء الساكنين، فذلك أيضًا غير لازم، فلا يجوز

---

(١) ر ، س: «قال أبو الحسن: يقوله لعروة بن الورد».

(٢) الخصاصة: سوء الحال. والطيان: الجائع.

(٣) العافى: طالب المعروف.

(٤) سورة المرسلات ١١.

(٥) ر ، س: «وقوله تعالى».

(٦) سورة الأعراف، ٢٠.

همزه: نحو اخْشَوُا الرجل، و﴿لَتُبْلَوُنَّ فِى أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾(١) و﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾(٢) ومَنْ هَمَزَ من هذا شيئًا فقد أخطأ.

[الرجل من بنى تميم يهجو تعلّة بن مسافر]

وقال رجل من بنى تَمِيمٍ:

أَلْبَانُ إِبْلِ تَعِلَّةَ بْنِ مُسَافِرٍ ... مَادَامَ يَملكُهَا علَىَّ حَرَامُ

وطَعَامُ عِمْرَانَ بْنِ أَوْفَى مِثْلُها ... مَادَامَ يَسْلكُ فِى الْبُطُونِ طَعَامُ

إِنَّ الَّذِينَ يَسُوغُ فِى أَعناقِهِمْ ... زَادٌ يُمَنُّ علَيْهِمُ لَلِئَامُ

لَعَنَ الإِلَه تَعِلَّةَ بْنَ مُسَافِرٍ ... لَعْنًا يُشَنُّ عَلَيهِ مِنْ قُدَّامُ

وهذا كلام فصيح جداً.

قوله: «يسوغ فى أعناقهم» يريد حُلُوقَهُمْ؛ لأن العُنُقَ يحيط بالحلْق، ويُشْبِهُ هذا الاتساع فى الفصاحة لا فى المعنى قول القُطَامِىِّ:

لَمْ تَرَ قَوْمًا هُمُ شَرٌّ لإِخْوَتِهِمْ ... مِنَّا عَشِيَّةَ يَجْرِى بِالدَّمِ الْوادِى

نَقْرِيهِمُ لَهْذَمِيَّاتٍ نَقُدُّ بِهَا ... مَا كَانَ خَاطَ عَلَيْهِمْ كُلُّ زَرَّادِ

لأن الخياطة تَضُمُّ خِرَقَ القَمِيص، والسَّرْد يضم حلَقَ الدِّرْع، فَضَرَبَهُ مَثلاً فَجعَلَهُ خِيَاطةً.

* * *

[قال أبو الحسن: رَوَى أبو العباس:

* وطعام عمران بن أوفى مثلُها *

ردّ الهاء والألف على الألبان، وهذا لا نظر فيه، ورَوَى أيضًا مِثْله لأن الألبان تجرى مُجْرَى اللبن، فَحَمَلَهُ على المعنى. وقد يجوز أن تجْعَل الألْبَان جَمْعًا فتُذَكَّرَ لتذكير الجمع. ورُوِىَ أيضًا.

* مادَامَ يَسْلُكُ فى الحلوق طَعَامُ *

---

(١) سورة آل عمران ١٨٦.

(٢) سورة التكاثر ٦.

ورَوَى الفرَّاءُ في هذا الشِّعر:

* إنَّ الَّذينَ يَسُوغُ فى أَحلاقِهِمْ *

وإنما كان ينبغى أن يكون: «فى أحْلُقِهِمْ» كقولك: فَلْسٌ وأفْلُسٌ، وما أشبهه ولكنه شَبَّهَ باب «فَعْلٍ» بباب «فَعَل»، كما قالوا: زَنْدٌ وأَزْنَادٌ، وفَرْخٌ وأفْرَاخٌ، قال الحُطَيْئَةُ لِعُمَرَ بن الخطاب رضى[1] الله عنه:

مَاذَا تَقُولُ لأَفْراخٍ بِذِى مَرَخٍ ... حُمْرِ الحَوَاصِلِ لا ماءٌ ولا شَجَرُ

ففعلوا هذا تشبيهًا بباب «فَعَلٍ» كما شَبَّهُوا فَعَلاً بِفَعْلٍ فى الجمع، فقالوا: جَبَلٌ وأجْبُلٌ، وزَمَنٌ وأزْمُنٌ، كما قال:

إنِّى لأَكْنِى بِأَجْبَالٍ عَنْ أجْبُلِهَا ... وبِاسْمِ أَوْدِيَةٍ حُبًّا لِوَادِيهَا

فَأُتِىَ به على الأصل، وتشبيهًا بغيره على ما أخْبَرْتُك، قال ذو الرُّمَّة:

أَمَنْزِلَتَىْ مَىٍّ سَلامٌ عَلَيْكُمَا ... هَلِ الأَزْمُنُ اللَّائِى مَضَيْنَ رَوَاجِعُ!

والباب «أزمان» كما قال رُؤْبَةُ:

أزْمَانَ لا أدرى وإن سَألتِ ... ما فرْقُ بين جُمعةٍ وسَبْتٍ

ورَوَى أبو العباس البيتَ الأخير مُقْوًى، وجَعَلَهُ نكرة، وهو قوله: «من قُدَّامٍ، كما تقول: جئتك من قَبْلٍ، ومن بَعْدٍ، ومن عَلٍ، وما أشبهه، كما قرأ بعضهم: ﴿لله الأَمْرُ مِنْ قَبْلٍ ومِنْ بَعْدٍ﴾[2]، كما تقول: أوّلا وآخرًا، ورواه الفراء: «من قُدَّامُ»، وجعله معرفةً، وأجراهُ مُجْرَى الغايات، نحو: «قَبْلُ وبَعْدُ» كما قال [طرفة بن العبد][3]:

ثُمَّ تَفْرِى الُّلحْمَ مِنْ تَعْدَائِهَا ... فَهْىَ مِنْ تَحْتُ مُشِيحَاتُ الحزُمْ

وكما قال عُتَىّ بن مَالِكٍ العُقَيْلِىُّ، أنشده الفراء أيضًا:

إذَا أَنَا لَمْ أُومَنْ عَلَيْكَ وَلَمْ يَكُنْ ... لِقَاؤُكَ إلاَّ مِنْ وراءُ وراءُ

---

(١) ر، س: «لعمر رحمه الله».

(٢) سورة الروم ٤.

(٣) من ر، وعجز هذا البيت صدر لبيت آخر، ورواية الديوان ٥٩.

وخلّ الصنعة فى مشتاتها ... فهى من تحت مشيحات الحزُمْ

وتفرّى اللحم من تعدائها ... وتعالى فَهْى قُبٌّ كالعَجَمْ

فهذا الضرب مما وقع معرفة على غير جهَة التعريف، وجهَةُ التعريف أن يكون مُعَرَّفًا بنفسه، كزيد وعمرو، أو يكون مُعَرَّفًا بالألف واللام أو بالإضافة، فهذه جهة التعريف، وهذا الضرب إنما هو مُعَرَّفٌ بالمعنى، فلذلك بُنِى إذْ خَرَجَ من الباب، ويُرْوى: «لَعْنًا يُسَنُّ عليه» بالسين، ويُسَنُّ ويُشَنُّ واحد، أى يُصَبُّ، إلا أن بعضَهم قال: السَّنُّ: الصَّبُّ على جهة واحدة، وقالوا: يقال: شَنَنْتُ عليه الماء، وسَنَنْتُهُ، وسَنَنْتُ عليه الدِّرْعَ لا غير، وقالوا: شَنَنْتُ عليه الغارَةَ لا غير].

* * *

[القطامي يفتخر]

قال أبو العباس، وقال القُطاميُّ:

فَمنْ تكُنِ الحِضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ ... فَأَىَّ رِجَالِ بَادِيَةٍ تَرَانَا!

ومَنْ رَبَطَ الْجِحَاش فَإِنَّ فِينَا ... قَنًا سُلُبًا وأَفْرَاسًا حِسَانَا(١)

وكُنَّ إِذَا أَغَرْنَ عَلَى قَبِيلٍ(٢) ... فَأَعْوَزَهُنَّ كَوزٌ حَيْثُ كَانَا(٣)

أَغَرْنَ مِنَ الضِّبَابِ عَلَى حِلالٍ ... وضَبَّةَ، إِنَّهُ مَنْ حَانَ حَانَا

وأَحْيَانًا عَلَى بَكْرٍ أَخِينَا ... إِذَا مَا لمْ نجِدْ إلاَّ أَخَانَا

قوله: «الحِضَارَةُ» يريد الأمْصارَ، وتقول العرب: فلانٌ بادٍ، وفلانٌ حاضرٌ، وفى الحديث: «ولا يبيعنَّ حَاضِرٌ لبادٍ»، وتأويلُ ذلك أن البادىَ يَقْدَمُ وقد عرف أسْعار ما مَعَهُ وما مِقْدارُ رِبْحه، فإذا جاءه الحاضرُ عَرَّفَهُ سُنَّةَ البَلَد فَأَغلَى على الناس. ومِثْلُ ذلك النَهى عن تَلَقِّى الجَلَب، ومثله: دَعُوا عبادَ الله يُصِبْ بَعْضُهُمْ من بَعْضٍ. ويقال: حَىٌّ حَلالٌ، إذَا كانوا مُتَجَاوِرين مُقيمين، وأنشد الأصمعىّ:

أَقَوْمٌ يَبْعَثُونَ الْعِيرَ تَجْرًا ... أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ حَىٌّ حِلالٌ

(١) القنا: جمع قناة، وهى الرمح: السلب: الطوال، واحده سلب، بفتحتين.
(٢) القبيل: الجماعة من الناس.
(٣) كوز: رجل من أسد. وفى ر: «كون» تحريف وانظر الديوان ٥٨.

باب

[نبذ من أقوال الحكماء]

قيل لمعاوية رحـمةُ الله عليه: ما النُّبْلُ؟ فقال: الحلْمُ عند الغـضب، والعَفْوُ عند القدرة. ويُرْوَى عن رسول الله ﷺ أنه قـال: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بشرَارِكُمْ؟[1]: من أَكَلَ وَحْدَهُ، ومنَعَ رِفْدَهُ، وضَرَبَ عَبْدَهُ. أَلا أُخْبِرُكُمْ بِشَرٍّ من ذلكُمْ؟: مَن لا يُقيلُ عَثْرَةً، وَلا يَقْبَل مَعْذرَةً، وَلا يَغْفِـرُ ذَنْبًا، أَلا أُخْبِرُكُمْ بِشَرٍّ من ذلكُمْ؟: «مَن يُبْغضُ الناسَ وَيُبْغِضُـونَهُ». ويُرْوَى عنه عليه السلام أنه قال: «المُسْلمـون تتكَافَأُ دماؤُهُمْ، ويسعى بِذِمَّتِهِمْ أَدْناهُمْ، وهُم يَدٌ عَلَى مَنْ سِواهُمْ، والمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيه».

قوله ﷺ: «تتكَافَـأُ دماؤُهم»، من قولك: فلان كُفْءٌ لفـلان، أى عَدِيلُه، وموضوع بحذائه، قال الله عزّ وجل: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ويقال: فلان كفاءُ فلان، وكَفِيءُ فلان، وكُفْءُ فلان.

ويروى أن الفَرَزْدَقَ بَلَغَهُ أَنَّ رجلاً من الحَبِطَاتِ بن عَمْرو بن تميم خَطَبَ امرأة من بنى دارِم بن مالك بن حَنْظَلَةَ بن مالك بن زيدة مَنَاةَ بن تميم، فقال الفرزدق:

بَنُو دَارِمٍ أَكْـفَاؤُهُـم آلُ مِسْـمَعٍ ... وَتَنْكِحُ فى أَكْـفَـائِهَا الحَـبِطَاتُ

فآل مِسْمَع بيت بَكْرِ بن وائِلٍ فى الإسـلام، وهم من بنى قَيْسِ بن ثَعْلَبَة بن عُكَابَةَ بن صَعْبِ بن علـىِّ بن بكر بن وائل، والحَبِطات هم بنو الحَارِثِ بن عـمرو ابن تميم. فقوله: «أكفاؤهم» إنما هو جـمع كفْءٍ يا فتى، فقال رجل من الحَبِطاتِ يُجِيبُه:

أَمَا كـانَ عَبَّـادٌ كَفِـيئًـا لِدَارِمٍ ! ... بَلَى وَلأَبْيَـاتٍ بِهَـا الحُـجُـراتُ

يعنى بنى هاشم، مـن قول الله عـزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِيـنَ يُنَادُونَـكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾[2].

وقال علىُّ بن أبـى طالب رحمه الله: مَنْ لانَتْ كَلِمَـتُهُ، وَجَـبَتْ مَحَبَّـتُه. وقال: قِيمة كلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِن.

---

(١) ر: «ألا أخبركم بشراركم؟ قالوا: بلى، قال من أكل وحده . . .».

(٢) سورة الحجرات ٤.

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: ثلاثٌ يُثْبِتْنَ لَكَ الْوُدَّ فى صَدْرِ أخيك: أنْ تَبْدأَهُ بالسَّلام، وتُوَسِّعَ له فى المجلس، وتَدْعُوَه بأحَبِّ الأسماء إليه. وقال: كَفَى بِالمرْءِ غَيًّا أن تكون فيه خَلَّةٌ من ثلاث: أن يَعيبَ شيئًا ثم يَأْتِىَ مِثْلَهُ، أو يَبْدُوَ لَهُ من أخيه ما يَخْفَى عليه من نفْسه، أو يُؤْذِىَ جليسه فيما لا يَعْنيه.

وقال عبد الله بن العباس لبعض اليمانيَة: لكم من السماء نَجْمُهَا، ومن الكَعْبَة رُكْنُهَا، ومن السُّيوف صَميمُهَا. يعنى سُهَيْلاً من النجوم، والرُّكْنَ اليمانىّ، وصَمْصَامَةَ عمرو بن مَعْدى كَرِب.

ويروى أن عمر بن الخطاب رحمه الله قال يوما: مَنْ أجْوَدُ العرب؟ فقيل له: حاتِم، قال: فَمَنْ شاعِرُها؟ قيل: امرؤُ القَيْس بن حُجْر، قال: فمَنْ فارِسُهَا؟ قيل: عمرو بن معدى كرب. قال: فأَىُّ سُيوفِها أَمْضَى؟ قيل: الصَّمصامة.

وقال مُعَاوية بن أبى سُفيان رحمه الله للأَحْنَف بن قَيْس وجارِيَة بن قُدامَةَ ورجال من بنى سَعْد معهما كَلامًا أحفظهم، فَرَدُّوا عليه جوابًا مُقْذِعًا، وبنت قَرَظَةَ فى بَيْت يَقْرُبُ منه، فَسَمعَتْ ذلك، فلما خرجوا قالت: يا أميرَ المؤمنين، لقد سَمِعْتُ من هؤلاء الأَجْلاف كلامًا تَلَقَّوْكَ به فلم تُنْكِر، فَكِدْتُ أخْرُجُ إليهم فأسْطو بهم. فقال لها معاوية: إنَّ مُضَرَ كَاهِلُ العَرب، وتميمًا كاهِلُ مضر، وسعدًا كاهل تميمٍ، وهؤلاء كاهِلُ سَعْدٍ.

وكان معاوية يقول: إنِّى لا أحْمِلُ السَّيْفَ عَلَى مَنْ لا سَيْفَ معه، وإن لم تكن إلا كلمةٌ يَشْتَفِى بها مُشْتَفٍ جَعَلْتُها تَحْتَ قَدَمِى، وَدَبْرَ أُذُنِى.

المُقْذِعُ: الذى فيه إقْذَاعٌ، وهو السيئ من القول.

بابـ

[الرجل من بنى سعد يرثى رجلا]

قال أبوالعباس: قال رجل ـ أحْسِبُهُ من بنى سَعْد ـ يرثى رجلا:

ومُــحْـتَــضَـرِ المَنَـافِعِ أَرْيَحِىّ	نَبِـيلٍ فِـى مَـعَــاوِزَةٍ طِوَالِ
عَـزِيزٍ عِـزَّةً فِى غَـيْـرِ فُـحْشٍ	ذَلِـيـلٍ لِلـذَّلِـيلِ مِـنَ المَوَالِـى
جَـعَلْتُ وِســادَهُ إِحْـدَى يَدَيْهِ	وَتَحْتَ جَمَـائِه خَشَبَـاتُ ضَالِ
وَرِثْتُ سِـلاَحَـهُ، وَوَرِثْتُ ذَوْدًا	وَحُـزْنًا دَائِمًـا أُخْـرَى اللَّيَـالِى

قوله: «أرْيَحِىّ» هو الذى يَـرْتَاح للْمَعْروف، أى يَخِفُّ له، ويقـال: أخَذَتْ فلانا أرْيَحِيَّـة، أى خِفَّةٌ وحركةٌ لفعل المعـروف. والمَعاوِزُ: الثياب التى يَتَبَذَّلُ فـيها الرجل، وهى دون الثياب التى يَتَجمَّلُ بها، واحـدها مِعْوَزٌ، قال الشَّمَّاخُ فى نعت القَوْسِ:

إِذَا سَقَطَ الأَنْدَاءُ صِينَتْ وَأُشْعِرَتْ	حَبِيرًا وَلَمْ تُدْرَجْ عَلَيْهَا المَعَاوِزُ[(١)]

وقوله: «فى مَعَاوِزَة»: فَزَاد الهاء، فإنما يُفْعَلُ ذلك لتحقيق التأنيث، لأن كل جَمْعٍ مـؤنث، كمـا تقول فى جـمع صَيْقَلٍ صَيَاقِل وصَيَاقِلَة، وكـذلك جَوَارِب وجَـوَارِبَة، إلا أن أكثـر الأعجـمىّ يختص بـالهاء، وهو فى العـربىّ جَيِّـدٌ، وفى العَجَمِىّ أكثر استـعمالا نحو المَوَازِجَة[(٢)]، فإن كان منـسوبًا كان الباب فـيه إثبات الهاء، وتركها جائز، نحو المهالبـة والأَحَامِرَة، وقالوا: السَّبَابِجَة[(٣)] لأنه قد اجتمع فيه النَّسَبُ والعُجْمَة.

---

(١) الأنداء: جمع الندى، وهو مـا يسقط ليلا. وأشـعرت: ألبست الشـعار، وهو الثوب الذى يلى الجسد. والحبير: البرد الموشى.

(٢) الموازجة: جمع موزج، وهو الخف، وأصله: «موزة». (وانظر المعرب ٣١١).

(٣) قال فى اللسان: السبابجة: قوم ذوو جلد من الـسند والهند يكونون مع رئيس السفينة البحرية، واحدهم سبيجى، ودخلت فى جمعه الهاء للعجمة والنسب، كما قالوا: البرابرة».

وقوله: «تحت جمَـائه» يعنى شخصه، والضالُ: السِّدْرُ البَـرِّىّ، وما كان من السِّدْرِ على الأنهـار فليس بِضَالٍ، ولكن يقال له: عُـبْرِىٌّ. قال ذو الرُّمَّة: «عُـبْرِيا وضالا»(١).

وقوله:

* ورِثْتُ سِلاحه ووَرِثْتُ ذَوْدَا *

يصف قُرْبَ نَسَبِـه منه، والذَّود: القطعة من الإبل، وأكثر ما يُسْـتعمل ذلك فى الإنَاث، ويجوز فى السائر، ومنه قولهم: الذَّوْدُ إلى الذَّوْدِ إبل، ثم قال:

* وَحُزْنًا دائمًا أُخْرَى اللَّيَالِى *

كما قال الأول ـ وغُبِطَ بميراثٍ وَرِثَه من أحد أهله:

يَقُـولُ جَـزْءٌ ـ ولَمْ يَقُلْ جَلَلاً ـ إنِّى تَزَوَّجْتُ نَـاعِـمَـا جَـذِلا
إنْ كُنْتَ أَزْنَـنْتَنِى بِهَـا كَـذِبًا جَـزْءِ، فَلاقَـيْتَ مِثْلَهَـا عَجِـلاَ
أُغْـــبَطُ أَنْ أرْزَأَ الْـكِرَامَ وأَنْ أُورِثَ ذَوْدًا شَـصَـائِصَـا نَبَـلا

قوله: «ولم يقل جللا» أى صغيرًا، والجَلَلُ يكون للصـغير، ويكون للكبير، ومن ذلك قوله:

* كُلُّ شَىْءٍ مَا خَلا اللهَ جَلَلْ *

أى صغير، وقال لبيدٌ فى الكبير:

وَأَرَى أَرْبَدَ قَـــدْ فَـــارَقَـنِى وَمِـنَ الأَرْزَاءِ رُزْءٌ ذُو جَـلَـلْ

وقولـه: «شصـائصًا»، يعنى حـقيـرةً دَمِيـمة. وزعم التَّـوَّزِىُّ أَنَّ النَّبْلَ من الأضداد، يكون للـجليل والحقيـر، واحْتَجَّ بهـذا البيت الذى ذكـرناه، قال: يريد هاهنا الحقيرة.

وقوله: «أَزْنَنْتَنِى». أى قَرَفْـتَنى ونَسَبْتَنِى إليه، يقـال: فلان يُزَنُّ بكذا وكذا، أى يُسَمَّى به، ويُنْسَبُ إليه، قال امرُؤُ القيسِ بن حُجْر:

كذَبْتِ، لَقَدْ أُصبِى عَلَى المَرْءِ عِرْسَهُ وَأَمْنَعُ عِرْسِ أَنْ يُزَنَّ بِهَا الخَالِى

(١) ر: «قال ذو الرمة»:

قطعت إذا تجوفت العَـواطى ضُـروبَ السِّـدْر عُـبْـرِيًّا وضَـالا

والعواطى: الظباء تمد أعناقها إلى الشجر. (وانظر ديوانه ٤٤٠).

وفى معنى قوله: «ورثت سلاحه» قولُ الشاعر:

يَفْـــرَحُ الْوَارِثُ بِالْمـــالِ إِذَا وَرِثَ المالَ وَيَبْكِـى إِنْ غَـضِبْ

ومثله قول نَعلَمةَ الفَزَارِىِّ:

* يَاحَبَّذَا التُّرَاثُ لَوْلاَ الذِّلَّهْ *

[الجميل بن معمر فى النسيب]

وقال جَميلُ بن مَعْمَرٍ:

مَـا صَائِبٌ مِنْ نَابِلٍ قَـذَفَتْ بِهِ يَدٌ، وَمُـمَـرٌّ العُـقْـدَتَيْنِ وَثِيقُ

لَهُ مِنْ خَوَافِى النَّسْرِ حُمٌّ نَظَائِرٌ وَنَصْلٌ كَنَصْلِ الزَّاعِـبِىِّ فَـتِـيقُ

عَلَى نَبْعَةٍ زَوْرَاءَ، أَيْمـا خطامُهَا فَـمَتْنٌ، وَأَيْمَـا عُودُهَا فَـعَتِـيقُ

بِأَوْشَكَ قَـتْلا مِنْكِ يَوْمَ رَمَيْـتِنِى نَوَافِـذَ لَمْ تُعْلَمْ لَهُـنَّ خُـرُوقُ

كَأَنْ لَمْ نُـحَارِبْ يَابُثَيْنُ لَـوَ انَّهَا تَكْشفُ غُـمَّـاهَا وَأَنْتِ صَـدِيقُ

قوله: «ما صائب» يريد قاصدًا، يـقال: صابَ يَصوبُ إذَا قَصَدَ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**أَوْ كَصيِّبٍ منَ السَّماءِ**﴾(١) وقد قالوا: النازلُ، والقَـصْدُ أَحْكَمُ كما قال بِشْرُ بن أبى خازِمِ الأَسَدِىُّ:

[تُؤَمّلُ(٢) أَنْ أَؤُوبَ لَهَـا بِغُنْمٍ] وَلَمْ تَعْلَـمْ بِأَنَّ السَّـهْمَ صَـابَا

وقوله: «ومُمَرُّ العُقْدَتَينِ» يعنى وَتَرًا، والُمرُّ: الشديد الفَتْلِ.

وقـوله: «من خَـوَافِى النَّسْـرِ حُمٌّ نَظَائر» يـريد ريش السـهم، والحُمُّ: السُّود، وذلك أَخلَصُهُ وأجْـوَدُهُ، وجَعَلَهَا نظائِر فى مقاديرها، لأنه أَقْـصَدُ لِلسَّهْمِ، وإذا كانت الريشـات بَطْنُ الواحدة منها إلى ظهـر الأخرى فهو الذى يُخْـتار، وهو الذى يقال له اللُّؤَام، وإنما أخذَ من قولهم: مُلتئمْ. وإن كان ظهرُ الواحدة إلى ظهر الأخرى، وبَطْنُها إلى بطن الأخرى فذلك مكروه، يقال له اللُّغَاب.

---

(١) سورة البقرة ١٩.

(٢) ر: «صدرالبيت عن أبى الحسن».

وقوله: «كنصل الزاعبىّ»، شَبَّهَ نَصْلَ السَّهْمِ بنَصْلِ الرُّمْحِ الزَّاعِبِىّ، وهو منسوب إلى رجل من الخَزْرَجِ، يقال له زاعِبٌ، كان يَعْمَلُ الأَسِنَّةَ، هذا قول قوم، وأما الأصمعىّ فكان يقول: الزَّاعِبِىُّ: الذى إذا هُزَّ فكأَنَّ كعُوبَهُ يَجْرِى بعضُهَا فى بَعضٍ لِلِينِه وتَثَنِّيه، يقال: مَرَّ يَزْعَبُ بحِمْلِه إذَا مَرَّ به مَرًّا سَهْلا.

وقوله: «فتيق» يعنى حادًّا رقيقًا، ويقال: فَتِيقُ الشَّفْرَتَيْنِ، وتأويله أنه يَفْتُقُ ما عُمِدَ به له. و«فَعِيلٌ» يقع اسْما للفاعل، ويقع للمفعول، فأَمَّا الفاعل فمِثْلُ رَحِيمٍ وَعَلِيمٍ وَحكِيمٍ وَشَهِيدٍ، وأما ما كان للمفعول، فنحو جَرِيحٍ وقَتِيل وصَرِيع.

وقوله: «زَوْرَاء» يريد مُعْوَجّةً، وكلمَّا كانت القَوْس أشَدَّ انعطافا كان سَهْمُها أَمْضَى.

وقوله: «على نَبْعَةٍ»، يعنى قَوْسًا، وأَكْرَمُ القِسِىِّ ما كان من النَّبْعِ.

وقوله: «أيْمَا» إنما يريد «أمَّا»، واستثقل التضعيف، فأَبْدَلَ الياء من إحدى الميمين، ويُنْشد بيت ابن أبى رَبِيعَةَ:

رَأَتْ رَجُلاً، أَيْمَا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ   فَيَضْحَى، وَأَيْمَا بِالْعَشِىِّ فَيَخْصَرُ

وهذا يقع، وإنما بابه أن تكون قبل المضاعف كَسْرَةٌ فيما يكون على فِعَّال، فيكرهون التضعيفَ والكَسْر، فيُبْدلون من المُضَعَّف الأول الياء للكسرة، وذلك قولهم: دِينارٌ وقِيرَاطٌ وديوانٌ وما أشبه ذلك، فإن زالت الكَسْرَة وانفصل أحد الحرفين عن الآخر رَجَعَ التضعيفُ، فقلت: دَنانير وقَرَاريط ودَوَاوين، وكذلك إن صَغَّرْتَ قلتَ قُرَيْرِيطٌ ودُنَيْنِير.

وقوله: «وأيْما عُودُها فعَتِيق»، يصف كَرَمَ هذه القوس وعتْقَهَا، ويُحْمَدُ منها أن تُتْرَك ولِحَاؤُهَا عليها بعد القطع حتى تشرب ماءه، كمال قال الشَّمَّاخ:

فَمَظَّعَهَا حَوْلَيْنِ مَاءَ لِحَائها   وَيَنْظُرُ مِنْهَا أَيُّهَا هُوَ غَامِزُ

مَظَّعَهَا: شَرَّبَهَا[1].

---

(١) زيادات ر: «قوله: «فمظعها حولين»، أى تركها فى الظل حولين حتى تشرب ماء اللحاء، يقال: تمظع الرجل الظل إذا تحول من مكان إلى مكان».

وقوله: «بأوَشَكَ قتلا منك»، يقول: بأسرع، يقال: أمْرٌ وشيكٌ أى سريع، ويقال: يُوشِك فلان أن يفعل كذا، أى يقارِبُ ذلك، ويُوشِك يفعل، كذا بطرح «أنْ» كلّ ذلك جيِّد، قال(١):

يُوشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ　　　فى بَعْضِ غِرَّاتِه يُوَافِقُهَا
مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا　　　لِلْمَوْتِ كَأْسٌ فَالْمَرْءُ ذَائِقُهَا

* * *

[قال أبو الحسن: هذه أبيات أربعة، وهى لرجل من الْخَوارج قَتَلَهُ الْحَجَّاجُ:

مَا رَغْبَةُ النَّفْسِ فِى الحَيَاةِ وَإِنْ　　　عَاشَتْ قَلِيلاً فَالْمَوْتُ لاَحِقُهَا
وَأَيْقَنَتْ أَنَّهَا تَعُودُ كَمَا　　　كَانَ بَرَاهَا بِالأمْسِ خَالِقُهَا]

* * *

قوله: «عَبْطة»، أى شابًّا، يقال: اعتُبِط الرجل، إذا مات شابًّا من غير مرض، وأصل العبيط الطَّرِىُّ من كل شىء.

وقوله:

* نَوَافِذَ لم تُعْلَم لهنَّ خروقُ *

معنى طَرِيفٌ، وقد أخذه أبو حَيَّة منه فكشفه فى أبيات مختارة، وهى(٢):

وَإِنَّ دَمًّا ـ لَوْ تَعْلَمِينَ ـ جَنَيْتِهِ　　　عَلَى الحَىِّ جَانِى مِثْلِهِ غَيْرُ سَالِمِ
أَمَا إِنَّهُ لَوْ كانَ غَيرك أَرْقَلَتْ　　　إِلَيْهِ الْقَنَا بالرَّاعِفَاتِ اللَّهَاذِمِ(٣)
ولكِنْ لَعَمْرُ اللهِ مَا طَلَّ مُسْلِمًا　　　كَغُرِّ الثَّنَايَا واضِحَاتِ الملاَغِمِ
إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الحَدِيثَ كَأَنَّهُ　　　سِقَاط حَصَى المَرْجَانِ مِنْ سِلْكِ نَاظِمِ

---

(١) زيادات ر: «هو أمية بن أبى الصلت»، وكذا فى حاشية الأصل أيضا.
(٢) زيادات ر: «اسم أبى حية الهيثم بن الربيع» وفى س: وهو قول أبى حية النميرى».
(٣) اللهاذم: القواطع.

رَمَيْنَ فَأَقصَدْنَ الْقُلُوبَ فَلَمْ نَجِدْ　　دَمًا مَائِرًا إِلاَّ جَوًى فِى الْحَيَازِمِ(١)

* * *

[قال أبو الحسن: وأول هذه الأبيات المختارة أنشدناه غيْره:

وخَبَّرَكِ الْواشُـونَ أَنْ لَنْ أُحِبَّكُم　　بَلَى وسُـتُورِ اللهِ ذَاتِ المَحَـارِمِ(٢)

أَصُدُّ ومَـا الصدُّ الَّذِى تَعْلَمِـينَهُ　　شِـفَاءٌ لـنَا إِلاَّ اجْتِـرَاعَ الْعَـلاَقِمِ]

* * *

قال أبو العباس: فهذا مأخوذ من ذلك.

وقوله:

* ولكن لَعَمْر اللهِ ماطَلَّ مسلمًا *

يقول: ماطَلَّ دَمَهُ، يقال: دَمٌ مَطْلُولٌ، إذا مضَى هَدَرًا، كما قال الراجز:

* بِغَيْرِ عَقْلٍ ودَمٍ مَطْلُولِ *

وحدّثنى التَّـوَّزِىُّ قال: قـال يَحْيى بن يَعْمَـر لرُجل نازَعَتْـه امرأته عنده: آنْ طَالَبَتْكَ بِثَمَنِ شكرِهَا وَشَبْرِكَ أَنْشَأْتَ تَطُلُّهَا وتَضْهَلُهَا!

قوله: «ثمن شكْرها» فإنما يعنى الرَّضاعَ، والشَّبْرُ: النكاح، والشَّكْرُ: الفَرْج.

وقوله: «أنشأْتَ تطلُّها» أى تَسْعَى فى بطلان حقها.

وقوله: «تضهلها»، أى تغْطيها الشىء بعد الشىء: يقال: بئر ضَهُولٌ إذا كان ماؤها يَخْرُجُ من جـرابها شيئًا بعـد شىء، وجِرَابُها جَوَانِبُهَـا، وإنما يَغْزُرُ ماؤها إذا خرج من قَرَارتها فتَعْظُم جَمَّتُهَا(٣).

---

(١) زيادات ر: «الكاف فى قوله: «كغر» فاعلة بقوله: «طل»، ومنه قول الأعشى:

أتنتهـونَ ولَنْ ينهى ذوى شطَطٍ　　كـالطعن يذهب فـيه الزيتُ والفـتل

وقول امرىء القيس:

وإنك لم يفـخر عليك كـفاخـرٍ　　ضـعيف، ولـم يغلـبْك مثل مُـغلَّبِ

(٢) ر: ذكَر بعده عن أبى الحسن:

حـيـاء وبقـيا أن تشـيع نميـمـةٌ　　بنـاديكُم، أفّ لأهـل النمـــائم!

وأورد هذا البيت فى حاشية الأصل عن أبى على.

(٣) الجمة: كثرة الماء.

وقوله: «واضحات الملاغم»، يريد العَوَارض، قال الفَرَزْدَق:

سَقَتْهَا خُرُوقٌ فى المَسَامِعِ لَمْ تكُنْ   عِلاَطًا وَلاَ مَخْبُوطَةً فى الملاَغِمِ

يقول: عَلِمَ أربابُ الماء لَمِنْ هِىَ فَسَقَاهاَ ما سمعوه من ذكر أصحابها لِعِزِّهِمْ ومَنَعَتِهِمْ، ولم تَحْتَجْ أن تكون بها سِمَةٌ.

والعِلاَطُ: وَسْمٌ فى العُنُق والخِبَاطُ فى الوجه.

باب

[نبذ من أقوال الحكماء]

قال أبوالعباس(١): قال بعض الحكماء: مَنْ أَدَّبَ وَلَدَهُ صغيرًا سر به كبيرًا.

وكان يقول: منْ أَدَّبَ ولده أَرْغَمَ حَاسِدَهُ.

وقال رجل لعَبْد الملك بن مَرْوان: إنى أريد أن أُسرَّ إليك شيئًا، فقال عبد المَلك لأصحابه: إذا شئتم، فنَهَضُوا، فأراد الرجلُ الكلامَ، فقال له عَبْدُ الملك قفْ، لا تَمْدَحنى، فأنا أعْلَمُ بنفسى منك، ولا تكْذبْنى، فإنه لا رأىَ لمكْذوب، ولا تَغْتَبْ عندى أحدًا. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، أفتأذن لى فى الانصراف؟ قال له: إذا شئت.

وقال بعض الحكماء: ثلاثٌ لا غُرْبَةَ معهنَّ: مجانَبَةُ الرِّيَبِ، وحُسْنُ الأَدَبِ، وكَفُّ الأَذَى.

وقال عمرو بن العاص لدهْقَان(٢) نَهْرِ تيرَى(٣): بِمَ ينْبُلُ الرجلُ عندكم؟ فقال: بترك الكَذب، فإنه لاَ يَشْرُفُ إلا مَنْ يُوثَقُ بقوله، وبقيامه بأمر أَهْله، فإنه لا ينْبُلُ مَنْ يحتاجُ أَهلهُ إلى غيره، وبمجانبة الرِّيَبِ، فإنه لا يعزُّ مَنْ لا يُؤْمَنْ ألاَّ يُصادَفَ على سَوْأة، وبالقيام بحاجات الناس، فإنه مَنْ رُجِىَ الْفَرَجُ لَدَيْه كَثُرتْ غاشيَتُهُ.

وقال بزرْجَمهْر: مَنْ كثُرَ أَدَبُهْ كَثُرَ شرَفُهُ، وإن كان قَبْلُ وَضيعا، وبَعُدَ صيتَه وإن كان خَاملاً، وسادَ وإن كان غريبًا، وكثرَت الحاجةُ إليه وإن كان مُقْترًا.

وكان يقال: عَلَيْكُمْ بالأَدَب، فإنه صاحبٌ فى السَّفر، ومُؤْنسٌ فى الوحدة، وجَمَالٌ فى المَحْفل، وسَبَبٌ إلى طلَب الحاجة.

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله: منْ أفضل ما أُعْطيَتْهُ العربُ الأبياتُ يُقَدِّمُهَا الرجلُ أَمامَ حَاجَته. فَيَسْتَعْطفُ بها الكريم، ويستنزل بها اللئيم.

---

(١) ساقطة من ر.

(٢) الدهقان: زعيم فلاحى العجم، ويطلق على رئيس الإقليم.

(٣) نهر تيرى: موضع بناحية الأهواز.

وكان شُعْبَةُ بن الحجاج، أو سِماكُ بن حَرْبٍ ـ [قال أبو الحسن: هو سماك بلا شكّ] ـ(١) إذا كانت له إلى أمير حاجة اْستنزلهُ بأبيات يقولها فيه.

وقال بعض الملوك لبعض وُزَرائه ـ وأراد مِحْنَتَهُ ـ: ما خَيْرُ ما يُرْزَقُه العبدُ؟ قال: عَقْلٌ يعيش به. قال: فإن عَدِمَه؟ قال: فَأَدَبٌ يَتَحلَّى به. قال: فَإنْ عَدِمَه؟ قال: فمالٌ يسترهُ. قال: فإن عَدِمَه؟ قال: فصاعِقَةٌ تَحْرِقهُ، فتُرِيحَ مِنَهُ العِبادَ والبلادَ.

وقيل لرجل من ملوك العجم: متى يكونُ الْعِلْمُ شرًّا من عَدَمه؟ قال: إِذَا كَثُرَ الأَدَبُ، ونَقَصَت القرِيحةُ.

وقال أرْدَشير: مَنْ لم يكن عَقْلُهُ أَغْلبَ خِلالِ الخير عليه، كان حَتْفُهُ فى أغلب خلال الخير عليه.

وقال محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس ـ وذكر رجلا من أهله: إنى لأكرهُ أن يكون لِعِلْمِه فَضْلٌ على عَقْلِه، كما أكره أن يكون للسانه فَضْلٌ على عمله.

وقال محمد بن علىّ بن الحسين: جميع التَّعَايُشِ والتَّنَاصُف والتَّعَاشُرِ فى مِلْءِ مكْيال، ثلثاه فطْنَةٌ، وثلث تَغَافُلٌ. فلم يَجْعَلْ لغير الفطْنَة نَصيبًا من الخير، ولا حَظًّا فى الصلاح؛ لأن الإنسان لا يتغافل إلا عن شىء قد عَرَفَهُ وفَطِنَ به.

---

(١) من ر: وحاشية الأصل.

باب

[الرجل من بني عبد الله بن غطفان، وكان قد جاور في طيئ]

قال أبوالعباس[١]: قال رجل[٢] من بنى عبد الله بن غَطَفان وجاوَرَ فى طيئ وهو خائف:

جَزَى اللهُ خَيْرًا طَيِّئًا مِنْ عَشِيرَةٍ ... وَمِنْ صَاحِبٍ تَلْقَاهُمُ كُلَّ مَجْمَعِ

هُمُ خَلَطُونِى بِالنُّفُوسِ وَدَافَـعُوا ... وَرَائِى بِرُكْنٍ ذِى مَنَاكِبَ مِدْفَعِ[٣]

وَقالُوا تَعَلَّمْ أَنَّ مَالَكَ إِنْ يُصَبْ ... نُفِدْكَ، وَإِنْ تُحْبَسْ نَزُرْكَ وَنَشفَعِ

[الرجل من بني سلامان يمدح طيئا]

وقال رجل من بنى سَلَامَانَ بن سعد هُذَيْم[٤] من قُضَاعَةَ، وجاوَرَ فى طَيِّئٍ:

كَأَنَّ الْجَارَ فى شَمَجَى بن جَرْمٍ[٥] ... لَهُ نَعْـمَـاءُ أَوْ نَـسَبٌ قَـرِيبُ

يُحَـاطُ ذِمَـارُهُ وَيُذَبُّ عَـنْهُ ... وَيَحْمِى سَرْحَـهُ أَنِفٌ غَضُوبُ[٦]

أَلِفْتُ مَسَـاكِنَ الْجَبَلَيْنِ إِنِّى ... رَأَيْتُ الْغَوْثَ يَأْلَفُهَا الْغَرِيبُ[٧]

[العبيد بن العرندس الكلابي يصف قوما نزل بهم]

قال أبو العباس[٨]: وأنشدنى عبد الوهاب بن جَنْبَةَ الغَنَوِىّ لعُبَيْدِ بن العَرَنْدَس الكلاَبِىّ يصف قوما نزل بهم:

---

(١) ساقطة من ر.

(٢) نسبه أبو تمام إلى ابن دارة، (وانظر الوحشيات ٢٠٣).

(٣) قال المرصفى فى شرح البيت: «بركن، يريد بجيش يعتصم به، تشبيها بركن الجبل، والمناكب فى الأصل: جمع المنكب، وهو ما ارتفع من الأرض، شبهه بها مبالغة فى الاعتصام، ومدفع، كمنبر: اسم آلة الدفع، يريد أنه قوى فى الدفاع».

(٤) حاشية الأصل: «سعد هذيم أضيف إلى عبد كان لأبيه يحتضنه».

(٥) شمجى بن جرم: قبيلة من قضاعة.

(٦) الذمار: ما يلزم الإنسان حمايته من عرض ومال. والسرح: ما يسام فى المرعى من الأنعام.

(٧) زيادات ر: «الجبلان: سلمى وأجأ، وهما لطيئ، والغوث: قبيلة من طيئ».

(٨) ساقط من ر، س.

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيسَارٌ ذَوُو يَسَرٍ ... سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ[1]

لا يَنْطِقُونَ عَلَى الْعَمْيَاءِ إِنْ نَطَقُوا ... وَلا يُمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْثَارِ

مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ لاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ ... مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِى يَسْرِى بِهَا السَّارِى

* * *

[قال أبو الحسن: حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى قال: حُدِّثْتُ عن أبى الفَضْل العَبَّاس بن الفرج الرِّياشِيِّ قال: قَصَد رجل[2] من الشعراء ثلاثة من غَنِىٍّ، إخوةَ وكانوا مُقلِّين، فامتدحهم، فجعلوا له عليهم فى كل سنة ذَوْدًا! فكان يأتى فيأخذ الذَّوْدَ. والشِّعْر الذى امتدحهم به قوله:

يا دَارُ بَيْنَ كُلَيَّاتٍ وَأَظْفَارِ ... وَالحَمَّتَيْنِ، سَقَاكِ اللهُ مِنْ دَارِ

عَلَى تَقَادُمِ مَا قَدْ مَرَّ مِنْ عُصُرٍ ... مَعَ الَّذِى مَرَّ مِنْ رِيحٍ وَأَمْطَارِ

عَنَّا[3] غَنِيتِ بِذَاتِ الرِّمْثِ مِنْ أَجَلَى[4] ... وَالْعَهْدُ مِنْكِ قَدِيمٌ مُنْذُ أَعْصَارِ

وَقَدْ نَرَى بِكِ وَالأَيَّامُ جَامِعَةٌ ... بِيضًا عَقَائِلَ مِنْ عِينٍ وَأَبْكَارِ[5]

فِيهِنَّ عِشْمَةٌ لاَ يَمْلَلْنَ عِشْرَتَهَا ... وَلا عَلِمْنَ لَهَا يَوْمًا بِأَسْرَارِ

إِذْ يَحْسَبُ النَّاسُ أَنْ قَدْ نِلْتَ نَائِلَهَا ... قِدْمًا وَأَنْتَ عَلَيْهَا عَاتِبٌ زَارِ

بَلْ أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُفْنِى شَبِيبَتَهُ ... يَبْكِى عَلَى ذَاتِ خَلْخَالٍ وَأَسْوَارِ

خَبِّرْ ثَنَاءَ بَنِى عَمْرٍو فَإِنَّهُمُ ... أُولُو فُضُولٍ وَأَنْفَالٍ وَأَخْطَارِ[6]

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارٌ ذَوُو كَرَمٍ ... سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ

---

(١) هينون لينون قال فى اللسان (هين) عن ابن الأعرابى: «العرب تمدح بالهين اللين (مخفف)، وتذم بالهين واللين (مثقل)»، وقال النبى ﷺ: «المسلمون هينون لينون» جعله مدحا لهم، وعن غير ابن الأعرابى أنهما بمعنى واحد.

(٢) ذكر البكرى فى معجم ما استعجم ٨٦٢ أنه عقيل بن العرندس، وأورد أبياتا منها.

(٣) حاشية الأصل: «يريد أنى». وفى ر: «أراد «أنى» فقلب الهمزة عينا» وقال المرصفى: «هذه لغة قيس، وأسد وتميم يقلبون همزة «أن» المفتوحة عينا، شددت النون أو خففت و«أنى «كذلك».

(٤) غنيت: أقمت، والرمث: الكلأ. وأجلى: موضع. وفى س: «أجل». وفى حاشيتها (من نسخة): «أجأ».

(٥) عين: جمع عيناء، وهى الواسعة العين، ومن نسخة بحاشية الأصل: «عون»، وتكون جمع عوان، وهى المرأة النصف فى سنها.

(٦) الأنفال: العطايا. والأخطار: المنازل الرقيقة، جمع خطر بالتحريك.

فـيـهـمْ ومنهُمْ يُـعَـدُّ المَجْـدُ مُـتَّلدَاَ ... ولا يُعَـدُّ نَثَـا خـزْى ولا عـار[1]
لا يَطْعَنُونَ على الْعَـمْيَـاء إنْ طَعَنُوا ... ولا يُمَـارُونَ إنْ مَـارَوْا بإكْـثَـار
وَإنْ تَلَيَّنْتَـهُمْ لانُوا وَإنْ شُـهِـمُـوا ... كَشَّفْـتَ أَذْمَارَ حَرْب غَيْـرَ أَغْمَار[2]
إنْ يُسْألوا الْعُرْفَ يُعْطُوهُ وإنْ جُهِدُوا ... فالْجُـهْدُ يَكْشفُ منهمْ طيبَ أَخْـبَار
مَنْ تَلْقَ مِنهُمْ تَقُلْ لاَقَيْتُ سَيِّدَهُمْ ... مِثْلَ النُّجُوم الَّتِى يَسْرِى بِها السَّارِى]

* * *

[للمكعبر الضبى يمدح بنى مازن ويذم بنى العنبر]

قال أبو العباس: وكان قوم نزلـوا ببَنِى الْعَنْبرِ بن عَمْرِو بن تميم، والقومُ من بنى ضَبَّةَ، فأُغِير عليهم، فاستغاثوا جيرانهم فلم يُغيثُوهُمْ، وجعلوا يُدافعونهم حتى خافـوا فَوْتَها، فاسـتغاثوا بنى مـازِن بن مالك بن عمـرو بن تميم، فركِبُـوا فَرَدّها عليهم، فقال المُكَعْبر[3] الضَّبِّىُّ فى ذلك:

أَبْلِغْ طَرِيفًـا حَيْثُ شَطَّتْ بِهـا النَّوَى ... فلـيْسَ لِدَهْـرِ الطَّالِـبِـيـنَ فَـناءُ
كُـسَـالَى إذَا لاقَيْـتَـهُمْ غَـيْـرَ مَنْطِقٍ ... يُلَهَّـى به الْمَحْـرُوبُ وَهْـوَ عَنَاءُ
وإنِّى لأَرْجُـوكُمْ على بُطْءِ سَعْـيكُمْ ... كمـا فى بُطُونِ الْحَامِـلاَتِ رَجَاءُ
أُخَـبِّـرُ مَنْ لاقَـيْتُ أَنْ قَـدْ وَفَـيْـتُمُ ... ولَوْ شئتُ قَـالَ الْمُخَبِّـرُونَ أَسَاءُوا
فَـهَلاَّ سَـعَيْـتُمْ سَـعْـىَ أُسْرَةِ مَـالِك ... وهَلْ كُـفَلائِى فـى الْوَفَاء سَـوَاءُ
كـأَنَّ دَنَانِيـرًا على قَـسَـمَـاتِهِمْ ... وإنْ كـانَ قَدْ شَفَّ الْـوُجُوهَ لِقَـاءُ
لَهُمْ أَذْرُعٌ بادٍ نَـوَاشِـرُ لَحْـمِـهَـا ... وبَعْضُ الرِّجَالِ فى الْحُرُوبِ غُثَاءُ

---

(١) المجد المتلد: القديم المؤثل. والنثا: إشاعة حديث.

(٢) شهموا: أفزعوا. والأذمار: جمع ذمر وهو الشجاع.

(٣) ضبط فى الأصل بفتح الباء وكسرها معا. وفى حاشـية الأصل: «قال أبو الحسن: حفظى: المكعبر [بكسر الباء]. وفى زيادات ر: «اسمه حريث بن عفوظ».

والأبيات فى حماسة أبى تمام (٤ : ٣٠) ـ بشرح التبريزى منـسوبة إلى محرز بن المكعبر الضبى، وأولها بروايته:

أبلغْ عـديًّا حيث صارت بهـا النَّوى ... وليـس لدهر الطـالبـيـن فنـاءُ

قال التبريزى: «كـان مـحـرز بن المكعبر جارا لبنى عدى بن جندب بن العنبر بن عـمرو بن تميم، فأغار بنو عمرو بن كلاب على إبله فذهبوا بها، فطلب إليهم أن يسعوا له، فوعدوه أن يفعلوا، فلما طال ذلك عليه ورآهم لا يصنعون شيئا أتى المخارق والمساحق ابنى شهاب المازنيين ـ وهما من بنى خزاعة ـ فسعيا له بإبله، فرداها عليه»، فأنشد الأبيات.

قولــه: «حيث شَطَّتْ بهــا النَّوَى»، معنى شطَّتْ: تبــاعَدَتْ، ويقــال: أشَطَّ فلان فى الحكمِ إذا عَدَلَ عنه متباعدًا، قال عز وجل: ﴿ولا تُشْطِطْ﴾.(١)

وقال الأحْوصُ:

أَلاَ يالَقَوْمِى قَدْ أَشطَّتْ عوَاذِلِى ... ويزْعمنَ أَنْ أَوْدَى بِحقِّىَ باطِلِى

وَيَلْحَيْنَنِى فى اللَّهْوِ أَلاَّ أُحِبَّهُ ... ولِلَّهْوِ داعٍ دائِبٌ غَيْرُ غافِلِ

والنَّوَى: البُعْد، ويقال: شطتْ بهِمْ نِيَّةٌ قَذَف، أى رحْلَة بعيدة، قال الشاعر(٢):

* وَصَحْصَحَانٍ قَذَفٍ كَالتُّرْسِ *

وليس بمأخوذ من «نأيت» فى اللفظ، ولكنه مثله فى المعنى.

وقوله:

* فَلَيْسَ لِدَهْرِ الطَّالِبِينَ فَنَاء *

يقول: الطالب فى إِثْرِ طَلِبَته أبدًا. ويُرْوَى أن رجلاً من قُرَيْشٍ بَعَثَ إلى رجل منهم ـ وكان أَخَذَ له غلاما ـ : يا هذا، إن الرجل ينام على الثُّكْلِ ولا ينام على الحَرَبِ، فإمَّا رَدَدْتَهُ، وإما عَرَضْتُ اسمك على الله فى كل يوم وليلة خمس مرات.

* * *

[قال أبو الحسن: الرجل الذى أخذ منه الغلام هو جعفر بن محمد بن على ابن الحسين، والآخذ سليمان بن على بن عبد الله بن العباس].

* * *

ومن أمثال العرب: «لا ينام إلا مَنْ اثَّأَرَ». ويقال لِمَنْ أدرك ثأرًا نَبِيلاً: أصاب ثأرًا مُنِيمًا، وأنشد:

---

(١) سورة ص ٢٢.

(٢) هو العجاج، والصحصحان: المكان المستوى الأملس، ولملاسته شبهه بالترس. (وانظر مشارف الأقاويز ـ ١).

تَقُولُ لِىَ ابْنَةُ الْبَكْرِىّ عَمْرٍو   لَعَلَّكَ لَسْتَ بِالثَّأْرِ الْمُنِيمِ

وقوله:

وَإِنّى لأَرْجُوكُمْ عَلَى بُطْءِ سَعْيِكُمْ   كما فى بُطُونِ الْحَامِلاتِ رَجاءُ

يقول: هذا رَجاءٌ غيرُ صادقٍ ولا موقوف عليه، كما أن هذه الحَوَامل لا يُعْلَمُ ما فى بطونها وليس بِمَيْئُوسٍ منه، وإنما يَتَهكَّم بهم وهو يَعْلَم أنَّ سَعْيَهُمْ غير كائن، ألا تراه يقول:

أُخَبِّرُ مَنْ لاَقَيْتُ أَنْ قَدْ وَفَيْتُمُ   وَلَوْ شئْتُ قَالَ الْمُخْبَرُونَ أَسَاءُوا

وقوله:

* كَأَنَّ دَنَانِيرًا عَلَى قَسِمَاتِهِمْ *

زعم أبو عبيدة أن القَسِمَاتِ مَجَارى الدُّمُوع، واحدتها قَسِمَة، وقال الأصْمَعِىّ: القَسِمات أعالى الوجه، ولم يُبَيِّنْهُ بأكثر من هذا. وقول أبى عبيدة مَشْرُوح، ويقال من هذا: رجل قَسِيمٌ، ورجل مُقَسَّمٌ، ووجه قَسِيمٌ ومُقَسَّمٌ، قال الشاعر:

وَيَوْمًا تُوَافِينَا بِوَجْهٍ مُقَسَّمٍ   كَأَنْ ظَبْيَةٍ تَعْطُو إِلَى وَارِقِ السَّلَم

قوله: «تعطو» أى تتناول، ويقال: عَطَا يَعْطُو إِذَا تَناوَلَ، وأعْطيتُه أنا، أى ناولته، قال امْرُؤ القَيْس:

وَتَعْطو بِرَخْصٍ غَيْرِ شَثْنٍ كَأَنَّهُ   أَسَارِيعُ ظَبْيٍ أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْحِلِ(١)

والسَّلَمُ: شجر بعينه كثير الشَّوك، فإذا أرادوا أن يَحْتطبوهُ شَدّوه ثم قطعوه، فمن ذلك قولُ الحَجَّاج: وَاللهِ لأَحْزِمَنَّكمْ حَزْمَ السَّلَمةِ، ولأَضْرِبَنَّكُمْ ضَرْبَ غَرَائِبِ الإِبِلِ(٢).

---

(١) برخص، أى ببنان رخص، والرخص: الناعم. والشثن: الغليظ الخشن. ظبى: اسم رملة، والأساريع، دود مفصل الألوان بياضا وحمرة، تشبه به أصابع النساء. والإسحل: شجر يستاك بعيدانه.

(٢) غرائب الإبل: هى الإبل الغريبة التى تدخل بين الإبل حال ورودها الماء، فتضربها الرعاء ضربا شديدا.

قال: وحدثنى التَّوَّزِىُّ عن أبى زيد قال: سمعت العرب تُنْشِد هذا البيتَ فتنصب «الظَّبْيَة» وترفعها وتخفضها.

قال أبو العباس: أما رفعها فعلى الضمير، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿علم أَنْ سَيَكُونُ منكُمْ مرْضَى﴾(١) وهذا الباب قد شرحناه فى الكتاب «المُقْتَضَب» فى باب «إنّ وأَنّ» بجميع علله، ومَنْ نَصَبَ فعلى غير ضمير، وأعملَها مخففة عَملَها مُثَقَّلةً؛ لأنها تَعْمَلُ لشَبَهها بالفعل، فإذا خُفِّفَتْ عَملَتْ عَمَلَ الفعل المحذوف، كقولك: لم يَكُ زيدٌ منطلقًا، فالفعل إذا حذف يَعْمَلُ عَملَهُ تامًّا، فيصير التقدير: كأنّ ظَبْيَة تَعطُو إلى وارقِ السّلم هذه المرأةُ. وحَذَفَ الخبر لما تقدم من ذكره. ومن قال: «كأَنْ ظَبْيَةً» جَعَلَ «أن» زائدةً، وأَعْمَلَ الكاف، أراد: كظبية، وزاد «أنْ» كما تزيدُها فى قولك: لَمَّا أنْ جاء زيدٌ كَلَّمْتُهُ، ووالله أنْ لو جئتَنى لأعطيتك.

وقوله:

* لَهُمْ أَذْرُعٌ بَادٍ نَوَاشِرُ لُحَمِها *

فكلُّ شىء كان على «فِعَال» من المؤنث فَجَمْعُهُ أَفْعُل، وكذلك فُعَال تقول: ذراعٌ وأَذْرُعٌ، وكُرَاعٌ وأَكْرُعٌ، لأنهما مؤنثتان، ومن أنَّثَ اللسانَ قال: أَلْسُن، ومن ذَكَّرَهُ قال أَلْسِنَة، وشِمَالٌ وأشْمُلٌ، كما قال الشاعر:(٢)

* يَأتِى لَهَا مِنْ أَيْمُنٍ وَأَشْمُلِ *

فأما المُذكر فعلى أفعلَة فى أدنى العَدَد وفُعُل فى الكثير، يقال: حِمارٌ وأَحْمِرَةٌ وحُمُر، وفِرَاشٌ وأفْرِشَةَ وفُرُش. والنَّوَاشِرُ: ما يظهر من العُرُوقِ فى ظَهْرِ الذِّراع مما يُدَانى «المِعْصَم، وذلك الموضع يقال له أَسَلَة الذِّراع، قال زُهَيْر:

وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا ... مَرَاجِعُ وَشْمٍ فِى نَوَاشِرِ مِعْصَمِ(٣)

---

(١) المزمل ٢٠.

(٢) زيادات ر: «هو أبو النجم العجلى»، وبعده:

* وهى حيالَ الفرْقَدينْ تعتلَى *

وانظر الطرائف الأدبية ٦٣.

(٣) الرقمتان: روضتان بناحية الضمان.

وقوله:

* وَبَعْضُ الرِّجَالِ فِى الحُرُوبِ غُثَاءُ *

فالغُثَاءُ: ما يَبِسَ من البَقْل حتى يصير حُطَاما، وينتهى فى اليُبْسِ فيَسْوَدّ، فيقال له: غثاء وهَشِيم ودِنْدِن وثِنٌّ، على قَدْر اختلاف أجناسه، ويقال له: الدَّرين، قال الله عز وجلّ: ﴿فَجَعَلَهُ غثاءً أَحْوَى﴾[1]، وقال: ﴿فأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾[2]، وقال الشاعر يصف سحابا:[3]

إِذَا مَا هَبَطْنَ الأَرْضَ قَدْ مَاتَ عُودُهَا ... بكَيْنَ بهَا حَتَّـى يَعِيشَ هَشِيمُ

وقال الراجز:

* تكْفِى الْفَصِيل أُكْلَةٌ مِنْ ثِنٍّ *

وقد يقال للشىء الذى لا خير فيه: هذا غُثَاء، أى قد صار كذلك الذى وَصَفناه، ويُضْرَبُ هذا مَثَلاً للكلام الذى لا وَجْهَ له.

[الرجل تميمى فى الرثاء]

وقال رجل أحْسبُه تَميميًّا[4]:

لَوْ لَمْ يُفَارِقْنِى عَطِيَّةُ لَمْ أهِنْ ... ولَمْ أُعْطِ أعْدَائِى الَّذى كُنْتُ أَمْنَعُ

شُجَاعٌ إِذَا لاَقَى، وَرَامٍ إِذَا رَمَى، ... وَهَادٍ إذا ما أَظْلَمَ اللَّيْلُ مِصْدَعُ

سَأَبْكِيكَ حَتَّى تُنْفِدَ الْعَيْنُ مَاءَهَا ... وَيَشْفِىَ مِنِّى الدَّمْعُ مَا أَتَوَجَّعُ

أَحسَنُ الإنشادَيْنِ عندى: «لَمْ أَهِنْ»، يأخذه من وهَنَ يَهِن، لأنه إذا قال: «لم أهُنْ» فهو من الهوَانِ، ومن قال: «لم أهِنْ» فإنما هو من الضَّعْف، وهو أشبه

---

(١) الأعلى: ٥.

(٢) الكهف: ٤٥.

(٣) زيادات ر: «هو ابن ميادة، وقبله:

سحائب لا من صَيِّف ذى صواعق ... ولا محرقات ماؤهُنّ حميمُ

(٤) نسب هذه الأبيات أبو على القالى إلى حكيم بن معية أحد بنى ربيعةَ الجوع يرثى أخاه عطية بن معية. وانظر ذيل الأمالى ١: ٧٥. وفى زيادات ر «هو الفرزدق»، قال المرصفى: «يرثى صديقه ونديمه عطية بن جعال، وكان من سادات تميم».

بـقـولـه:

* وَلَمْ أُعْطِ أَعْدَائِى الَّذِى كُنْتُ أَمْنَعُ *

والآخـر غـير بعـيـد، يقـول: لم أَهُنْ على أعـدائى، وإذا قـال «لم أَهِنْ» فالأصل: «لم أوْهِـنْ»، ولكنَّ الواو إذا كانت فى مـوضع الفاء من الفـعْل، وكان ذلك الفعل علـى «يَفْعِل»، فالواو مـحذوفة، وإنما تُحْـذَف الواو لوقوعـها بين ياء وكسرة، وتصير حروف المُضَارَعة الباقية تابعة للياء، لئلا يختلف الباب، وهى التاء من قولك: «تَفْعِل» إذا عَنَيْتَ مخاطبًا أومـؤنثًا غائبًا، نحو: أنت تَعِد، وهى تَعِد، والهمـزة إذا عنيت نفسك، نحو: أنا أعـد، والنون إذا أخْبَرْتَ عن نَفْسِك ومعك غَيْرُك، نحو: نَحْنُ نَعِد.

فإن قـال قائل: إنما هذا لأن الفعل المتعـدى تحذف منه الواو، فإن كان غـيْرَ مُتَعَدٍّ ثبتت، فـقد قال أَقْبَحَ قول؛ لأن التَّعَدّىَ أو غيـرَ التعدى لايُحْدِثُ فى أنْفُسِ الأفعـال شيئًا، ولو كـان كما يقول لأثْـبَتَّ الواوَ فى «وَهَنَ يَهِنُ»، لأنك لاتقول: وهَنْتُ زيدًا، وكـــذلك وَرِمَ يَرِمُ، ووكف[1] البـيتُ يَكِفُ، ونَمَ[2] الذُّبابُ يَنِم، وهذا أكثـر من أن يُحْصَى. فإن لم تكن بعـد الواو كسرةٌ لم تُحْـذَف، نحو وَحِلَ يَوْحَل، ووَجِل يَوْجَل، ووَجِعَ الرجل يَوْجَع، وقـد يجوز يَيْجَعَ ويَـاجَع ويِيجُع لما نذكره إذا جَرَى ذِكْرُ هذه المفتوحة إن شاء الله، فأمَّا الحذف فلاَ يكون فيها.

فإن قال قـائل: فما بالُ يطأ ويَسَعَ حذفتْ منهـما الواو، ومثلهما ثَبَـتَتْ فيه الواو، فإنما ذلك لأنه كـان فَعِلَ يَفْعِلُ مثل وَلِىَ يَلِى، ووَرِمَ يرِم، فَـفَتَحتْـه الهمزة والعـين، والأصل الكسـر، فـإنما حذفت الواو ممـا يَلْزَم فى الأصل، ألاترى أنك تقول: وَلَغَ السَّبُعُ يَلَغ، فهذا فَعَلَ يَفْعَـلُ والأصل يَفْعِلُ، ولكن فَتَحَتْهُ العين، لأن حروف الحَلْق تَـفْتحُ ما كـانَ على يَفْعِل وَيَفْـعُل، ولولا ذلك لم تقع فَعَـلَ يَفْعَل. وحروف الحَلْق سـتة: الهـمزة، والهاء، والعـين، والغين، والحـاء، والخاء، وهُنَّ يُفْـتَحْنَ إذا كُنَّ فى مـوضع العين والـلام، فأمـا العين فنحـو سَأَلَ يَسْـأَلُ وذَهَبَ

---

(١) وكف البيت: قطر منه الماء.

(٢) ونم الذباب: سلح.

يَذْهَبُ، وأما اللام فمثل قَرأَ يَقرْأُ، وصَنَعَ يَصْنَعُ، وسائر هذا الباب على ما وَصَفْتُ لك.

وقوله:

* وَهَادٍ إذَا مَا أَظْلَمَ اللَّيلُ مصْدَعُ *

فتأويل «مِصْدع» أي ماض في الأمر، قال الله عز وجل: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾(١) ويقال: أحْزَمُ الناس مَنْ إذا وَضَحَ له الأَمْرُ صَدَعَ به.

وقال أعرابي(٢) يمدح سَوَّار بن عبد الله القاضي، وسَوَّارٌ أحد بني العَنْبَرِ بن عَمْرِو بن تميم:

وَأَوْقَفُ عندَ الأَمْرِ مَالَمْ يَضِحْ لَهُ ... وَأَمْضَى إِذَا مَا شَكَّ مَنْ كانَ مَاضِيَا

فاستَجْمَعَ في هذا المَدْح رَكانَةَ الحَزْم، وإِمْضاءَ العَزْم، ومثله قول النابغة الجَعْدِيِّ:

أَبَى لِي الْبَلاَءُ وَأَنِّي امْرُؤٌ ... إِذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أَرْتَبِ

ومن أمثال العرب السائرة الجَيِّدة: «رَوِّ تَحزَمْ، فإذا استَوْضَحْتَ فاعْزِمْ» ومن أمثالهم: «قد أَحْزُمُ لَوْ أَعْزِمُ»، وإنما يكون هذا بعد التَّوَقُّفِ والتَّبَيُّن، فقد قال الشَّعْبِيُّ: أصَابَ مُتَأَمِّلٌ أو كاد، وأخطأ مُسْتَعْجِلٌ أو كاد.

ومثل قوله:

* وَيَشْفِي مِنّي الدَّمْعُ مَا أَتَوَجَّعُ *

قولُ الفَرَزْدَق:

أَلَمْ تَرَ أَنِّي يَوْمَ جَوِّ سُوَيْقَةٍ(٣) ... بَكَيْتُ فَنَادَتْنِي هُنَيْدَةُ: مَالِيَا!

فَقُلْتَ لَهَا: إِنَّ الْبُكاءَ لَرَاحَةٌ ... بِهِ يَشْتَفِي مَنْ ظَنَّ أَلا تَلاَقِيَا

* * *

(١) الحجر ٩٤.

(٢) حاشية الأصل «هو سلمة بن عياش».

(٣) جو سويقة: موضع بالصمان.

[قال أبو الحسن ويَتْلُو هذين البيتين مما يُستَحْسَن:

قَعيدكُمَا اللهَ الَّذى أَنْتُمَا لَهُ ... أَلَمْ تَسْمَعَا بالبَيْضَتَيْنِ المُنَادِيَا![1]

حَبِيبٌ دَعَا، وَالرَّمْلُ بَيْنِى وَبَيْنَهُ ... فَأَسْمَعَنِى، سَقْيًا لِذلِكَ دَاعِيَا!

يقال: قَعيدَك اللهَ، وقَعْدَكَ اللهَ، ونَشْدَكَ اللهَ، أى سألتُكَ بالله، كما قال مُتَمِّمُ بن نُوَيْرَة، وهو من بنى يَرْبُوعٍ:

قَعِيدَكِ أَلاَّ تُسْمِعِينى مَلاَمَةً ... ولا تَنْكَئِى قَرْحَ الْفُؤَادِ فَيَيْجَعَا

ويروى: «فَقِعْدَكِ أَلاَّ تُسْمِعِينى»، والبيضتان: موضع معروف].

* * *

قال أبو العباس: وقال أبو بكر بن عَيَّاش: نَزَلَتْ بى مصيبةٌ أَوْجَعَتْنى، فَذَكَرْتُ قول ذى الرُّمَّة:

لَعَلَّ انْحِدارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً ... مِنَ الْوَجْدِ، أَوْ يَشْفِى نَجِىَّ الْبَلاَبِلِ

فَخَلَوْتُ فَبَكَيْت فَسَلَوْت.

[النضلة السلمى فى يوم غول]

وقال نَضْلَةَ السُّلَمِىُّ[2] فى يوم غَوْلٍ ـ وكان حقيرًا دَمِيما، وكان ذَا نَجْدَةٍ وبأْسٍ:

أَلَمْ تَسَلِ الْفَوارِسُ يومَ غَوْلٍ[3] ... بِنَضْلَةَ، وَهْوَ مَوْتُورٌ مُشِيحُ

---

(١) قعيدك الله، قال الجوهرى: «هى يمين العرب، وهى مصادر استعملت منصوبة بفعل مضمر، (وانظر اللسان قعد).

(٢) الأبيات فى مجالس ثعلب ٧ ـ ٨، روى أنه «مر قوم من بنى سليم برجل من مزينة يقال له نضلة فى إبل له، فاستسقوه لبنا فسقاهم، فلما رأوا أنه ليس فى الإبل غيره ازدروه، فأرادوا أن يستاقوها، فجالدهم حتى قتل منهم رجلا، وأجلى الباقين عن الإبل، فقال فى ذلك رجل من بنى سليم ...»، وأورد الأبيات. ونسبها الجاحظ فى البيان (٣ : ٣٣٨) إلى أبى محجن الثقفى، ولم ترد فى ديوانه.

(٣) الغول: ماء للضباب فيه نخل وعيون.

ورواية ثعلب:

* ألم تسألْ فَوَارِسَ من سُلَيْم *

ورواية الجاحظ:

* ألم تسل الفوارس من سُلَيْمٍ *

رَأَوْهُ فَـاْزْدَرَوْهُ وَهْـوَ حُـرٌّ[1] ... وَيَنْفَـعُ أَهْلَهُ الرَّجُلُ الْقَـبِـيحُ
فَـشَدَّ علَـيْهِمُ بالسَّـيْفِ صَلْتًـا ... كما عَضَّ الشَّبَا الفَرَسُ الْجَمُوحُ
فَـأَطْلَقَ غُلَّ صَـاحِـبِـهِ وَأَرْدَى ... قَـتِـيـلاً مِنْهُمُ وَنَجَـا جَـرِيحُ
وَلَمْ يَخْـشَوْا مَـصَـالَتَهُ عَلَيْـهِمْ ... وَتَحْتَ الرَّغْـوَةِ اللَّبَنُ الصَّـرِيحُ

قوله: «وهو مَوْتور مُـشِيح»، فالمُشِيح الحاملُ الجادُّ، يقـال: أَشاحَ يُشِيحُ إذا حَمَل، وأنشدنى التَّوَّزِىُّ قال: أنشدنى أبو زَيْدٍ ـ وهو لأبى العِيَال الهَذَلِىِّ:

مُـشِـيحٌ فَـوقَ شِـيَـحَـانٍ ... يَـشُـدُّ كَـأَنَّـهُ كَلِـبُ

قال: وشِيحان اسم فرسه.

* * *

[قـال أبو الحسن ويروى: «شَيْـحان»[بفتح الشين][2]، وحقه[3] على رواية أبى زيد ألا يَنْصَرِفَ لأنه فَـعْلان، فالألف والنون زائدتان، وهـو معرفة، فَـضَارَعَ عَطْشان ومـا جرَى مَجْـرَاه، وإنما اضطرَّ فَصَـرَفَه. وعن[4] أبى زيد أيضًـا يرويه: «شَيْحان»، وهو الجاد، وهو صفة شائعة، وليس كالأول، فالأول معرفة مشتق من الـنعـتْ[4]].

* * *

وقال ابن الإِطْنَابةِ، واسمه عمرو:

وَإِجْـشَامِى عَلَى المَكْرُوهِ نَفْـسِى ... وَضَـرْبِى هَامَـةَ الْبَـطَلِ المُشِـيحِ

ويقال فى هذا المعنى: رجل شِيحٌ، كما يقال: ناقة نِقْضٌ، إذا كانتْ هَزِيلا، قال أبو ذؤَيْبٍ[5]:

* وَشَايَحتَ قَبْلَ الْيَومِ إِنَّكَ شيحُ *

---

(١) ثعلب والجاحظ: «وهو خرق». والخرق: الفتى الكريم الخليقة.
(٢) من ر.
(٣) س: «وجب على رواية أبى زيد».
(٤ ـ ٤) ساقط من ر.
(٥) صدره:

* بدرْتَ إلى أولاهُمُ فسبقتَهُمْ *

وانظر ديوان الهذليين ١: ١١٦.

وقولـه: «بالسـيف صَلْتًا» يقـول: مُنْتَضًى، ورجل صَـلْتُ الجَبِيـنِ إذا كَانَ نَـقِيَّـه.

وقوله: «كما عَضَّ الشَّبَا» يريد حَدَّ اللجامِ، وشبَا كُلِّ شيءٍ حَدُّه.

وقوله: «وأَرْدَى» أى أهْلَكَ، يقال: رَدِىَ يَرْدَى إذا هَلَكَ، والردى: الهَلاك، قال الله عزّ وجل: ﴿وَمَا يُغْنِى عَـنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾(١)، قيل فيه قولان: إحداهما إذا تَرَدَّى فى النار، والآخر إذا مات، وهو «تَفَعَّل» من الرّدَى.

وقوله:

* وَلَمْ يخشَوْا مَصَالَتَهُ عَلَيْهِمْ *

فهى «مَفْعَلَةٌ» من صالَ يَصُولُ، ويقالُ: صالَ البعيرُ إذَا عَضَّ.

وقيل للمغيرَة بن شعْبَة: إنَّ بوَّابَـكَ يَأْذَنُ لأصحابه قبل أصحابك، فقال: إن المَعْرِفة لتَنْفَعُ عند الكلب العَقُورِ، والجَمَلِ الصَّئُولِ، فكيف بِالرجُلِ الكريمِ !

وقوله:

* وَتَحْتَ الرَّغْوَةِ اللبَنُ الصَّرِيحُ *

يقول: إذا رأيت الرَّغْوَةَ - وهو ما يَرْغُـو كَالجلدة فى أعلَى اللَّبَنِ - لم تَدْرِ ما تحـتهـا، فربمـا صادفْتَ اللبنَ الصـريح إذا كَـشَفْـتَـها، أى أنهم رَأَوْنى فـازْدَرَوْنى لدَمَامَتِى، فلما كَشَفُوا عنى وَجَـدُوا غير ما رأوا. والصَّريح: المَحضُ الخالص، من ذلك قولهم: عَرَبِىٌّ صَرِيحٌ أى خالص، ومَوْلًى صَرِيح.

ومن أمثال العرب: «إنه لَيُسرٌّ حَسْوًا فى ارْتغاء»، ومعنى ذلك أنه يُوهِمُك أنه يأخذ بِفيه تلك الجلدة عن اللبن لِيُصْلِحَهُ لك، وإنما يَـحْسُو من تحتها، يُضْرَبُ هذا المَثَلُ لِمَنْ يُرِيك أنه يُعِينُك، وإنما يَجْتَرُّ النفع إلى نفسه.

[لأعرابى من بنى سعد فى خلاف الدمامة]

وقال أعرابى - خُـبِّرْتُ أنه من بنى سعْد - وقد تَمَثَّلَ بهـذا الشِّعْرِ الْخَنَّوتُ، وهو تَوْبَةُ بن مُضَـرِّسٍ، أحد بنى مالك بن سعـد بن زيد مَنَاة بن تميم، فى خلاف الدَّمامة:

---

(١) سورة الليل : ١١.

وَلَمَّا الْتَقَى الصَّفَّانِ وَاخْتَلَفَ الْقَنَا ... نِهَالاً وَأَسْبَابُ الْمَنَايَا نِهَالُهَا

تَبَيَّنَ لِى أَنَّ الْقَمَاءَةَ ذِلَّةٌ ... وَأَنَّ أَشِدَّاءَ الرِّجَالِ طِوَالُهَا

دَعَوْا: يَالَسَعْدٍ! وَانْتَمَيْنَا لِطَيِّئٍ ... أُسُودُ الشَّرَى إِقْدَامُهَا وَنِزَالُهَا

قوله: «نهالا»، يريد أنها قد وَرَدت الدَّمَ مرة ولم تُثَنِّ، وذلك أن الناهلَ الذى يَشْرَبُ أوّل شَرْبَةٍ، فإذا شَرِبَ ثانية فهو عالٌّ، يقال: سقاه عَلاًّ بَعْدَ نَهل، وعللا بعد نهل، وفى المثل: «سُمْتُه سَوْمَ عالَّة» إذا عَرَضْتَ عليه عَرْضًا يستحى منه أن يُقْبلَ معه، والعالَّةُ لا حاجة بها إلى الشُّرْب، وإنما يُعْرَضُ عليها تَعْزيزًا. قال: «وأَسْبَابُ المَنَايَا نِهَالها»، أى أول ما يقع منها يكون سببًا لما بعده، وأنشدنى غير واحد:

* وَأَنَّ أَشِدَّاء الرِّجَالِ طِيَالُهَا *

وليس هذا بالجَيِّد، وإنما قَلَبَ الواو ياء لوقوعها بين كسرة وألف كقولهم: ثِيَابٌ، وحِيَاضٌ، وسِيَاطٌ، والواحد ثَوْبٌ، وَحَوْضٌ، وَسَوْط، وهذا جيد؛ لكون الواو فى الواحد، فأما فى مثل طوال، فإنما يجوز على التشبيه بهذا، وليس بجيد لتَحَرُّكِ الواو فى الواحد. وأنشدنى مسعود بن بِشْرٍ المازنىّ:

لَهُمْ أَوْجُهٌ بِيضٌ حِسَانٌ وَأَذْرُعٌ ... طِيَالٌ وَمَنْ سِيمَا الْمُلُوكِ نِجَارُ[(٢)]

ومجاز هذا فى النحو على ما وصفْتُ لك.

[العرب تمدح الطول]

والعرب تَمْدَحُ الطول، وتَضَعُ من القِصَرِ، فلا يَذكُره منهم إلا مُحْتَج عن نفسه، ولا يمدَحُ به غيْرَهُ، قال عنْتَرَة:

بَطَلٌ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فى سَرْحَةٍ ... يُحْذَى نِعَالَ السِّبْتِ لَيْسَ بِتَوْءِمِ[(٣)]

يقول: لم يُشَارِكْ فى الرَّحِمِ، وقال جَرِير:

تَعَالَوْا فَفَاتُونا فَفِى الحُكْمِ مَقْنَعٌ ... إِلَى الْغُرِّ مِنْ أَهْلِ البِطَاحِ الأَكَارِمِ[(٤)]

فَإِنِّى لأَرْضَى عَبْدَ شَمْسٍ وَمَا قَضَتْ ... وَأَرْضَى الطِّوَالَ الْبِيضَ مِنع آلِ هَاشِمِ

---

(١) حاشية الأصل: «ذكر أبو رياش فى شرح الحماسة أن هذا الشعر لأنيف بن حكيم النبهانى» وانظر شرح التبريزى ١: ١٨٩.

(٢) النجار: الأصل.

(٣) السبت: الجلد المدبوغ بالقرظ.

(٤) فاتونا: حاكمونا.

وقال حَسَّان بن ثابت:

وَقَـــدْ كُنَّا نَـقُـــولُ إذَا رَأَيْـنَا ... لِذِى جِـسْمٍ يُعَـدُّ وَذِى بَـيَـانِ

كَـــأَنَّكَ أَيُّهَـــا المعْـطَى بَيَـــانًا ... وَجِـسْمًـا مِنْ بَنِى عَـبْـدِ المَدَانِ

ويقـال إن علىَّ بـن عبـد الله بن العباس بن عبـد المطَّلب كان إلى مَنْكب عبد الله، وكان عبد الله إلى مَنْكب العباس، وكان العباس إلى منْكَب عبد المُطَّلب.

وحدثنى التَّوَّزِىُّ قال: طافَ علىٌّ بن عبـد الله بالبيت، وهناك عجوزٌ قديمةٌ، وعلىّ قـد فَرَعَ الناسَ، كـأنه راكبٌ والناسُ مُـشَاة، فـقالت: مَنْ هذا الذى فـرَعَ الناس؟ فـقيل: علىٌّ بن عـبد الله بن عـباس، فقـالت: لا إلَه إلا الله، إن الناس ليُرْذَلُونَ! عَهْدِى بالعباس يَطُوفُ بهذا البيت كأنه فُسْطاطٌ[1] أبيض.

وحـدثنى علىُّ بن القـاسم بن علىّ بن سُلَـيمـان بن علىّ بن عـبـد الله بن العبـاس قـال: كـان يُقال: صـار شَـبَهُ علىّ بن عـبد الله فى عِظَمِ الأجـسام فى العَلِيَّـيْنِ ـ يعنى علىّ بن أميـر المؤمنين المَهْـدِىّ المنسوب إلى أُمِّـه رَيْطَةَ، وعلى بن سليمان بن علىّ.

ويُرْوَى أن رسول الله ﷺ ـ وهو الأُسْوَة والْقُدْوَة ـ كان فوق الرَّبْعةَ[2]، ولـم يكن بالطويل المُشَذَّب[3]، وكـان إذا مَشَى مـع الطِّوَال طَالَهُمْ. ولـم يخـتلف أهل الحكْمَة والنَّظَر من العربِ والعَجَم أن الكمال فى الاعـتدال، ولا يقال غير هذا عن حكيمٍ. وأبْيَنُ ما فيه ما اختاره الله تعالى لنبيه محمد ﷺ.

وقد يقال: الكَيْسُ فى القِصَرِ. وقد قـيل فى خبرِ قَصِيرٍ[4] وكَيْدِهِ ومكْرِهِ ما قد سار به المَثَل، واستغنى عن الإعادة.

[لأعرابى يرد على مغنية عابته بالقصر]

وحدّثنى العباس بن الفَرَج الرِّياشِىُّ قال: حَدّثنى أبو عثمان المازنى قال: كان أعرابىّ يختلف إلى مُـغَنِّيَة لآل سليمان، فـأشرفت إليه[5] ذات مَرَّةٍ، فأوْمَـأَتْ إليه بيدها إيماءَ عائِبٍ له بالقِصَرِ، فأنَشأ يقول:

(١) الفسطاط: ضرب من الأبنية.

(٢) الربعة: الرجل بين الطول والقصر.

(٣) المشذب: المفرط فى الطول.

(٤) هو قصير بنى سعد اللخمى، وانظر خبره مع جذيمة بن مالك والزباء فى مجمع الأمثال: ٨٥.

(٥) ر: «عليه».

يَا جَعْفَرٌ يَا جَعْفَرٌ يَا جَعْفَرُ ... إنْ أَكُ رَبْعَةً فَأَنْت أَقْصَرُ
أَوْ أَكُ ذَا شَيْب فَأَنْت أَكْبَرُ ... غَرَّكَ سِرْبَالٌ عَلَيْك أَحْمَرُ
ومِقْنَعٌ مِنَ الحَرِيرِ أَصْفَرُ(١) ... وتحْتَ ذَاكِ سَوْأَةٌ لَوْ تُذْكَرُ

* * *

[قال أبو الحسن: أنْشَدَنى أبو العباس محمد بن الحسن الْوَرَّاقُ الشِّعْرَ الذى فيه قوله:

* ولَمَّا الْتقى الصَّفَّانِ واختلف القنَا *

بتمامه، وهو شعرٌ مختارٌ لرجل من طيِّئ، ويدل على ذلك ما تَسْمَعُه فى الشعر وهو قوله:

جَمَعْنَا لَهَمْ مِنْ حَيِّ غَوْثٍ وَمَالِكٍ ... كَتَائبَ يُرْدِى الْمُقْرِفِينَ نكالُهَا
لَهَمْ عَجُزٌ بالحَزْنِ فالرَّمْلِ فاللِّوَى ... وَقَدْ جَاوَزَتْ حَيَّىْ جَدِيسَ رِعالُها
وتَحْتَ نحُورِ الخَيْلِ حَرْشَفُ رَجْلَةٍ ... تُتَاحُ لحَبَّاتِ الْقُلُوبِ نِبَالُهَا
أَبَى لَهُمُ أَنْ يَعْرِفُوا الضَّيْمَ أَنَّهُمْ ... بَنُو ناتقٍ كانَتْ كَثِيراً عيَالُهَا
فَلَمَّا أَتينَا السَّفْحَ من بَطْنِ حَائِلٍ ... بحَيْثُ تَنَاصَى طَلْحُها وسَيَالُهَا
دَعَوْا لِنزارٍ وانْتَمَيْنَا لطَيِّئ ... كَأُسْدِ الشَّرَى إقْدَامُهَا ونِزَالُهَا
فلمَّا الْتَقَيْنَا بَيَّنَ السَّيْفُ فيهِمْ ... لسَائلَةٍ عنَّا حَفِيٍّ سُؤَالُهَا
ولَمَّا عَصَيْنَا بالرِّمَاح تَضَلَّعَتْ ... صُدُورُ الْقَنَا منهمْ وعلَّتْ نهَالهَا
ولَمَّا تَدَانَوْا بالسُّيُوفِ تقَطَّعَتْ ... وَسَائِلُ كانَتْ قَبْلُ سِلْمًا حِبَالُهَا
فَولَّوْا وأَطْرَافُ الرِّمَاح عليْهِمُ ... قَوَادِمُ مَرْبُوعَاتُهَا وَطِوَالُهَا

الكتائب جمع كَتيبة، سميت كَتيبة لاجتماعها وانضمام بعضها إلى بعض، يقال: تكَتَّبَ القومُ إذا تضامُّوا، ومنه أُخِذَ الكِتابُ لانضمام حروفه، ولذلك قالوا:

(١) المقنع: ما تغطى به المرأة رأسها وتستر محاسنها.

بَغلة مكتوبة إذا شُدَّ حَياؤها وضُمَّ . ويُرْدِى: يُهْلِكُ، يقال: رَدِىَ الرجل إذا هَلَكَ، والرَّدَى: الهَلاَكُ، والإرْدَاءُ: الإهْلاكُ. والمُقْرِفُون: الذين دخلوا فى الفساد والعَيْثِ،وهو فى الأصل الهُجْنَةُ، يقال: فرس مُقْرِفٌ إذا كان هَجِينًا، ثم يَشِيعُ فى الفساد.

والعَجُزُ: مُؤَخَّرُ الْعَسْكرِ هاهنا، وهو مستعار. والحَزْنُ: مَا خَشُنَ من الأرض وغَلُظَ، واللِّوَى: مُسْتَدَقُّ الرَّمْلَة حيث ينقطع، يقال أَلْوَيْتُمْ فانزلوا، أى صرتُمْ إلى آخر الرملة، وهو اللّوى. وجَديس: قبيلة معروفة، فلذلك لم يَصْرِفها. والرِّعالُ: الجماعات المتفرقة، واحدها رَعْلَةٌ.

والحَرْشفُ: نبت يكثر فى البادية، وإنما شَبَّهَ النَّبْلَ به فى الكثرة، والرَّجْلَةُ: الرَّجَّالَةُ. وتُتاح: تقَدَّرُ، يقال أَتَاحَ اْللهُ له كذا وكذا، أى قَدَّرَ له، والنِّبَالُ جمع نَبْلٍ.

والنَّاتقُ: الوَلودُ، فإذا أسْرَفَتْ فى ذلك وكثر ولدها جداًّ قيل مِنتاقٌ.

والسَّفْحُ: أصل الجبل من الوادى. وحائل: موضع. وتَناصى: تَقَابَلَ وتَقَرَّبَ حتى يَعْلَقَ هذا بهذا وهذا بهذا عند هبوب الرياح، يقال: تَناصَى الرجلان نصاءً وتَناصيًا إذا اقتتلا فَأَخَذَ كُلٌّ وَاحدٍ منهما بناصِية صاحبه، والطلْحُ والسَّيال: ضربان من الشجر معروفان.

وانْتَمَى ونَمَى: انْتَسَبَ. والشَّرَى: موضع كثير السباع، وإنما يريد: كإقْدامِ أُسْدِ الشَّرَى إقْدَامُها، ثم حَذَفَ لعلم السامع.

وعَصَيْنا: جعلنا الرماح كالْعصِىِّ. والعَلَلُ: الشُّرْب الثانى، والنَّهَلُ: الأول، يريد أنَّا أَعَدْناها إلى الطعن مرة بعد أخرى.

وقوادم: ذاتُ إقْدامٍ، فجاء به على الأصل، كما قال:

* يَخْرُجْنَ مِنْ أَجْوَازِ لَيْلٍ غَاضِ[1] *

أى مُغْضٍ، فجاء به على الأصل وهو كثير.

---

(١) البيت لرؤبة:

وبعده:

* نَضْوَ قداحِ النابل النواضى *

وانظر ديوانه ٨٢.

والمَرْبوعات: المُعْتَدِلَةُ التى لم تَبْلُغ أن تكون رُمْحًا، وهو رفْعٌ، كأنه قيل له: ما هى؟ فقال: هى مربوعاتهـا وطِوالها، ولو خَفَضَ وجَعَلَهُ بدل البعض من الكلّ لكان حَسَنا، وكان يكون مُـقْوًى، ولكن هكذا أنشدناه مرفوعًـا على التقدير الذى ذكرناه].

* * *

بابـ

[صبرة بن شيمان عند معاوية]

قال أبوالعباس: حُدِّثْتُ أن صَبِرَة بن شَيْمَانَ الحُدَّانىَّ دخل على معاوية، والوُفودُ عنده، فتكلَّموا فأكثروا، فقام صَبِرَة فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّا حَىٌّ فِعالٍ، ولَسْنا بِحَىِّ مَقالٍ، ونحن بأدْنَى فِعالنا عند أحسن مقالهم. فقال: صَدَقْت.

[كلمة يزيد بن أبى سفيان حين أرتج عليه]

وحُدِّثْتُ أن أبا بكر رضى الله عنه، ولَّى يَزِيدَ بن أبى سفيان رُبْعًا من أرباع الشام، فَرَقِىَ الْمِنْبَرَ فتكلَّمَ فَأُرْتِجَ عليه، فاستَأْنَفَ فَأُرْتِجَ عليه، فقطع الخطبة، فقال: سَيَجْعَل اللهُ بعد عُسْرٍ يُسْرًا، وبعد عىٍّ بيانًا، وأنتم إلى أميرٍ فَعَّالٍ أحوجُ منكم إلى أميرٍ قَوَّالٍ.

فَبَلَغَ كلامُه عمرو بن العاص، فقال: هُنَّ مُخْرِجَاتِى من الشام! استحسانًا لكلامه.

[جواب عامر بن قيس لعثمان بن عفان]

وقال عثمان بن عَفَّانَ رحمه الله[1] لعامر بن عَبْدِ قَيْسٍ العَنْبَرِىِّ - ورآه ظاهرَ الأعْرابِيَّةِ: يا أعرابىُّ، أين ربُّك؟ فقال بِالْمرصادِ!

[جواب على بن أبى طالب حين سئل: أين ربنا؟]

وقال قائل لعلىّ بن أبى طالب رحمه الله: أين كان ربُّنا قبل أن يَخْلُقَ السماواتِ والأرضَ؟ فقال علىّ: أينَ، سُؤالٌ عن مكانٍ، وكان اللهُ ولا مكان.

[للحسن البصرى فى المواعظ]

وحُدّثْتُ أن راهبين دخلا البَصْرَةَ من ناحية الشام، فنظرا إلى الحسن البصرىّ، فقال أحدهما لصاحبه: مِلْ بنا إلى هذا الذى كأنّ سَمْتَهُ سَمْتُ المَسيحِ، فَعَدَلاَ إليه، فَأَلْفَيَاهُ مُفْتَرِشًا بذَقَنِهِ ظاهرَ كَفِّهِ، وهو يقول: ياعَجَبًا لقوم قد أُمِرُّوا

---

(١) س: «رضى الله عنه».

بـالــزاد، وأُوذِنُــوا بــالــرحيــل، وأقـام أوّلـهـم على آخــرهـم! فليـت شِـعْـرى مـا الذى ينتظرون؟

وَنَظَرَ الحَسنُ إلى الناس فى مُصَلَّى البَصْرَة يضـحكون ويلعبون فى يوم عيد، فقال الحسنُ: إن الله جَعَلَ الصوم مضماراً لعباده لـيَسْتَبِقُوا إلى طاعته، فَسَبَقَ أقوامٌ ففازوا، وتَخَلَّفَ آخرون فخابوا، ولَعَمْرى لو كُشِفَ الغطاءُ لَشُغِلَ مُحْسِنٌ بإحسانه، ومُسِىءٌ بإساءته عن تَجْدِيد ثوب، أو تَرْطيل شَعَرٍ.

قوله: «ترطيل شعر» إنما هو تليينُ الشَّعَــر بالدُّهْنِ وما أشبهه، ويقال للرجل إذا كان فـيه لينٌ وتــوضيع: رجل رَطْلٌ، والذى يُوزَنُ به ويُكالُ يقــال له: رِطْلٌ، بكسر الراء.

وكان الحسن يقول: اُجْعَلِ الدنيا كالْقَنْطَرَة تَجُوزُ عليها ولا تَعْمُرُها.

قوله: «القنطرة» يعنى هذه المَعْقودة المعــروفة عند الناس، والعرب تُسَمِّى كل أَزَجٍ[1] قنطرة، قال طَرَفَةُ بن الْعَبْد:

كَـقَنْطَرَةِ الـرُّومِىِّ أَقْــسَمَ رَبُّهَـا   لَتُكْتَنَـفًـا حَـتَّى تُشَـادَ بِقَـرمَـدِ

قوله: «حتى تشــاد»، يقول: تُطْلَى، وكلُّ شىء طَلَيْتَ به البناء من جِصٍّ أو جَيَّـارٍ. وهـو الكلْسُ، فـهـو المشيـد، يقال: دار مُشَيَّدَةٌ، وقَصْرٌ مَـشِيدٌ، قال الله عـزّ وجل: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِى بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾[2]، وقال الشَّمَّاخ:

لاَ تَحْسِبَنِّي وَإِنْ كُنْتُ اُمْرَأً غِرِراً   كَحَـيَّةِ المَاءِ بَيْنَ الطِّينِ وَالشِّـيدِ

وقال عَدِىُّ بن زيد العبادىِّ:

شَـادَهُ مَـرْمَـرًا وَجَلَّلَهُ كِـلْســـــــــا فَللطيْـرِ فـى ذُرَاهُ وُكُـورُ

والمُقَرْمَـدُ: المطْلِىُّ أيضًا، فمن ثَمَّ قال: «حـتى تُشاد بقَرْمَدِ» فى مـعنى حتى تُطْلَى، ومن ذلك قول النابغة:

* رَابِى المَجَسَّةِ بِالْعَبِيرِ مُقَرْمَدِ[3] *

(١) الأزج: نوع من الأبنية يطول بناؤه.

(٢) سورة النساء ٧٨.

(٣) قبله:

* وإذا طعنت طعنتَ فى مستهدَف *

وانظر ديوانه ٣٢.

وقـال الحسن: تَلْقَى أَحَـدَهُمْ أبيضَ بضاًّ، يَمْـلَخُ فى الباطل مَلخًـا، يَنْفُض مِذْرَوَيْه، ويَضرِبُ أَصْدَرَيْـهِ، ويقول: هأنذا فاعْرِفونى. قد عرَفْـناك، فَمقَتَكَ الله، ومَقَتَكَ الصالحون.

قوله: «أبيض بضا» فالبضُّ الرقيقُ اللون، الذى يُؤَثِّرُ فيه كلُّ شىء.

وفى الحديث أن معاوية قَدِم على عمر بن الخَطَّاب رحمهما الله[1] من الشام وهو أَبَضُّ الناسِ، فَضَرَبَ عُمَرُ بيده على عَضُده، فَأَقْلَعَ عن مثل الشَّراب، أو مثل الشِّراكِ، فـقال: هذا والله لِتَشَـاغُلِك بالحَمَّـاماتِ، وذَوُ الحـاجاتِ تُقَطَّعُ أَنْفُـسُهُمْ حَسَرَاتٍ على بابك!

وقال حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ الهِلاَلِىُّ:

مُنَعَّـمَةٌ بَيْـضَاءُ لو دَبَّ مُـحْوِلٌ عَلَى جِلْدِهَا بَضَّتْ مَدَارِجُهُ دَمَا

وقوله: «يَمْلَخُ فى الباطل مَلْخًا»، يقول: يَمُرُّ مَرًّا سَرِيعًا، يقال: بَكْرَةٌ مَلُوخٌ إذا كانت سَهْلَة المَرِّ.

وقوله: «يَضْرِبُ أَصْدَرَيْه وأَزْدَرَيْه»، فإنما يقال ذلك للفارغ، يقال: جاء فلانٌ يَضْرِبُ أَصْـدَرَيْه وأَزْدَرَيْه، ولا يُتكَلَّمُ منه بواحـد، ويقال: فلانٌ يَنْـفُضُ مِذْرَوَيْه، وهما ناحيتاه، وإنما يوصف بالْخُيَلاء، وقال عَنْتَرَة:

أَحَوْلِى تَـنْفُضُ اسْتُكَ مِـذْرَوَيْهَا لِتَـقْـتُلَنِـى، فـهـأنذا عُـمَـارَا

ولا واحد لهـما، ولو أُفْرِدَتْ لقلتَ فى التثنيـة مِذْرَيان، لأن ذواتِ الواو إذا وقَعتْ فيهنَّ الواو رابعةً رَجَعَتْ إلى اليـاء، كما تقول فى مَلْهًى: مَلْهَيان، وهو من لَهَوْتُ، وفى مَغْزًى: مَغْزَيان، وهو من غَزَوْتُ، وإنما فعلتَ ذلك؛ لأن فعْلَهُ تَرْجِعُ فيه الواوُ إلى الياء إذا كـانتْ رابعةً فصاعدًا، نحو غـزوت، فإذا أَدْخَلْتَ فيه الألف قلتَ: أغـزَيْتُ، وكـذلك غـازَيْتُ واسْتَـغْـزَيْتُ، وإنما وجب هذا لانقـلابهـا فى المضارع، نحو يُغْزِى، ويَسْتَغْزِى، ويُغازى، وإنما انْقلبتْ لانكسار ما قبلها.

---

(١) ر ، س: «رحمه الله».

فإن قال قائلٌ: فمَا بالُ يترَجَّى ويتَغَازَى، يكونان بالياء، نحو: هُما يتَغازَيان ويتَرَجَّيان، فإنما ذلك لأنهما فى الأصل: رَجَّى يُرَجِّى، وغازَى يُغازِى، ثم لَحقتْ التَّاء بعد ثَبات الياء. والدليلُ على ذلك أن التاء إنما تَلْحَقُهُ على معناه، فقولَك: مِذْرَوان لا واحد له لما أعْلَمْتكَ، وثَبات الواو دليلٌ على أن أحدهما لا يُفْرَدُ من الآخر، فلذلك جاء على أصله[1].

(١) انظر أمالى المرتضى ١ : ١٥٦.

بابـ

[ليزيد بن الصقيل، وكان يسرق الإبل ثم تابـ]

قال أبوالعباس: قال يزيد بن الصَّقِـيلِ الْعُقَيْلىُّ ـ وكان يَسْرِقُ الإبل ثم تاب، وقُتِلَ فى سبيل الله:

ألا قُلْ لأَرْبَابِ المخائضِ: أَهْمِلُوا فَـقَدْ تَابَ مِـمَّـا تَعْلَمُـونَ يَزِيدُ

وَإِنَّ امْرأً يَنْـجُو مِنَ النَّارِ بَعْـدَ ما تَزَوَّدَ مِنْ أَعْـمَـالِهَـا لَسَعِـيـدُ

وفى هذا الشِّعر[1]:

إِذَا مَا المَنَايَا أَخْـطَأتْكَ وَصَادَفَتْ حَمِـيمكَ فَـاْعْلَم أَنَّهَـا سَتَـعُودُ

قوله: «ألا قُـلْ لأرباب المخائض»، فإن الـناقة إذا لَقِحَـتْ قيل لها خَـلِفَةٌ، وللجمـيع مخاضٌ، وهذا جَمْعٌ على غـير واحده، إنما هو بمنزلة امـرأة ونِساء، ثم جَمَعَ الجَمْعَ فقـال: مخَائض، كقولك فى رِسَالة: رَسَائل، وكـما تقول فى قوم: أَقْـوام، فَتَـجْـمَعُ الاسم الذى هو للجَـمْعِ، وكـذلك أعْراب وأعـارِيبُ، وأنعـامٌ وأناعيم.

وقوله: «أَهْمِلُوا»: أى اسْرَحُـوا إِبِلكُمْ، والهَمَلُ ما كان غـير مَحْظُور، وهو السُّدَى، ويُرْوَى فى مِثْل قوله:

إِذَا مَا المَنَايَا أَخْـطَأتْكَ وَصَادَفَتْ حَمِـيمَكَ فَـاْعْلَمْ أَنَّهَـا سَتَـعُودُ

عن بعض الصالحين[2] أنه كان يقول: إذا مات له جار أو حَمِيمٌ: أوْلَى لى! كِدْتُ وَاللهِ أكون السوادَ المخْتَرمَ[3].

* * *

[لابن حبناء التميمى فى مكارم الأخلاق]

وقال ابن حَبْناءَ التميمى:

أَعُـوذُ بِاللهِ مِنْ حَـالٍ تُزَيِّنُ لِى لَوْمِ الْعَشِـيرَةِ أَوْ تُدْنِى مِنَ النَّارِ

---

(١) س: «وفى هذا الشعر يقول».

(٢) حاشية الأصل: «هو محمد بن الحنفية»، وهو من زيادات ر.

(٣) يقال: اخترقن المنية، أى أخذته من بين أصحابه.

لا أَقْرَبُ الْبَيْتَ أَحْبُو مِنْ مُؤَخَّرِهِ   وَلاَ أُكَسِّرُ فى ابْنِ الْعَمِّ أَظْفَارى

إِنْ يَحْجبِ اللهُ أَبْصَاراً أُرَاقِبُهَا   فَقَدْ يَرَى اللهُ حَالَ الْمُدْلِجِ السَّارى

قوله:

* لا أَقرب البيت أحْبُو من مؤخَّره *

يقول: لا آتيه لِرِيبةٍ. ومِثْلُ ذلك قولُ الشاعر(١):

وَلَسْتُ بِصَادِرٍ مِنْ بَيْتِ جَارِى   كَفِعْلِ الْعَيْرِ غَمَّرَهُ الْوُرُودُ

يقول: لا أخْرُجُ خُروجَ الخائف، لأنه إنما يقال: تَغَمَّرَ الشارب إذا لم يَرْوَ، ويقال للقَدَحَ الصغير: الغُمَرُ من هذا.

وقوله:

* ولا أُكسِّر فى ابن العم أظفارى *

يقول: لا أغتابه، وهذا مَثَلٌ كما قال الْحطَيْئَة:

مَلّوا قِرَاهُ وَهَرَّتْهُ كِلابُهُمُ   وَجَرَّحُوهُ بِأَنْيَابٍ وَأَضْرَاسِ

وقوله:

* فقد يَرى الله حال المدلج السارى *

فالمدْلِجُ: الذى يسير من أول الليل، يقال: أَدْلَجْتُ، أى سِرْتُ من أول الليل، وادَّلَجْتُ، أى سرت فى السَّحَر، قال زهير:

* بكَرْنَ بُكُوراً وادَّلَجْنَ بسُحْرةٍ(٢) *

والسُّرَى لا يكون إلا سير الليل، قال الله عز وجل: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾(٣) من قولك أسْرَيْتُ، وهى اللغة القرَشيَّةُ، وغَيْرُهُمْ من العرب يقول سَرَيْتُ، وقد جاءت هذه اللغة فى القرآن، وقال الله عزّ وجل: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾(٤) فهذا من سَرَى،

(١) زيادات ر: «وهو عقيل بن علفة»، والبيت من كلمة له فى حماسة أبى تمام (١: ١٥١ ، ١٥٢) ـ طبعة الرافعى.

(٢) رواية الديوان ١٠: «واستحرن بسحرةٍ»، وبقيته:

* فهنَّ ووادى الرسِّ كاليد فى الفم *

(٣) سورة الحجر ٦٥.

(٤) سورة الفجر ٤.

ولو كان من «أسْرَى» لكان «يُسْرى»، كما قال لبيد:

فَبَاتَ وأسْرى القَوْمُ آخِرَ لَيْلِهِمْ ... وَمَا كَانَ وَقَّافًا بغير مُعَصَّر

والمُعَصَّرُ المَلْجَأُ، والسارى إنما هو من قولك سَرَى، كقولك: قَضَى فهو قاض، ومن أسْرَى يقال للفاعل: مُسْرٍ كما تقول: أعْطى فهو مُعْطٍ، كما قال الأَخْطَلُ:

نَازَعْتُهُمْ طَيِّبَ الرَّاحِ الشَّمُولِ وَقَدْ ... صَاحَ الدَّجَاجُ وَحَانَتْ وَقْعَة السَّارِى

والدجاج ها هنا: الديُوك، يريد وَقْتَ السَّحَر، لأنه يقال للديك: هذا دَجاجةٌ، فإن أردت الأنثى قلت: هذه، وكذلك هذا بقرة، وهذا بَطَّةٌ، وهذا حَمامةٌ إذا أردت الذكر، ولهذا باب يُذْكَرُ فيه إنْ شاء الله.

قال جَرير:

لَمَّا تَذَكَّرْتُ بِالّديْرَيْنِ أرَّقَنِى ... صَوْتُ الدَّجَاجِ وَقَرْعٌ بِالنَّوَاقِيسِ

قوله: «أرقنى صوت الدجاج»، والأرق لا يكون فى آخر الليل وإنما يكون فى جميعه.

وكذلك النواقيس لا تقرع أيضًا إلا فى السحر فإنما أراد: أرقنى انتظارى هذا الوقت؛ لأنه وعد فيه وعدًا فهو منتظر له.

* * *

[قال أبو الحسن: أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى الأبيات الرائيَّةَ المتقدمة بتمامها على ما أذكُره لك عن أبى عبد الله بن الأعرابىّ، وهى لأحد ابْنَىْ حَبْناءَ - أَحْسَبُهُ صَخْرا - وهما من بنى تميم، وكانا من الأزارقة. قال:

إنِّى هَزِئْتُ مِنُ أمِّ الْغَمْرِ إذْ هَزِئَتْ ... بشَيْبِ رَأْسِى، ومَا بِالشَّيْبِ مِنْ عَارِ

مَا شَقْوَةَ الَمْرءِ بِالإقْتَارِ يُقْتَرُهُ ... ولاَ سَعَادَتُهُ يَوْمًا بإكْثَارِ(١)

إنَّ الشَّقِىَّ الَّذِى فِى النَّارِ مَنْزِلُهُ ... والفَوْزَ فَوْزُ الَّذِى يَنْجُو مِنَ النَّار

---

(١) زيادات ر: «يقتره، الهاء تعود على الإقتار».

أَعُــوذُ بِاللهِ مِنْ أَمْــرٍ يُزَيِّنُ لِى لَوْمَ العَشِيـرَةِ أَوْ يُدْنِى مِنَ الْعَارِ
وَخَـيْـرِ دُنْيَـا يُنَسِّى شَـرَّ آخِـرَةٍ وَسَوْفَ يُنَبِّئُنِى الْجَبَّارُ أَخْـبَارِى

ثم يتفقان بَعْدُ فى الرواية، وكان ربما أَنْشَدَنَا: «إِنِّى هَزَأْتُ مِنْ أُمِّ الغَمْرِ»].

* * *

[لأعرابى من بنى الحارث بن كعب]

قال أبو العباس: وقال أعرابىٌّ من بنى الحارث بن كَعْب:

رَئِمْتُ لِسَلْمَـى بَوَّ ضَـيْمٍ وإِنَّنِى قَـدِيمًـا لآبى الضَّـيْم وابْنُ أُبَاة
فَقَـدْ وقَّفَتْنِى بَيْنَ شَكٍّ وَشُبْـهَةٍ وَمَا كُنْتُ وَقَّافًا عَـلَى الشُّبُهَات
فيـا بَعْلَ سَلْمَى كَم وكَمْ بِأذَاتِهَا عَـدمْتُكَ مِـنْ بَعْلٍ تُطِيلُ أَذَاتِى
بنفسى حَبِـيبٌ حَالَ بَابُكَ دُونَهُ تَقَطَّعُ نَفْـسِى دُونَهُ حَسَـرَاتِ
وَوَاللهِ لَوْلاَ أَنْ تُسَـاءَ لَـرُعْـتُـهُ بِمَا لَيْسَ بِالْمَـأْمُون مِنَ فتكَاتِى

قوله: «رَئِـمْتُ لِسَلْمَى بَوَّ ضَيْم» فـإنما هذا مَثَلٌ، وأصله أنّ الناقـة إذا أَلْقَت سَقْبَها فَـخِيفَ انقطاع لبنها أخذوا جِلْدَ حُوَارٍ[1] فَحَشَـوْهُ تِبْنًا، ولَطَخوهُ بشىء من سَلاها، ثم حَشَوْا أنفـها بخِرْقة، فَتَجِد لذلك كَرْبًا، ويقـال للخرقة التى تُجْعَلُ فى أنفها: الغمامةُ، ثم تُسَلُّ تلك الخرقة من أنفها فتجد رَوْحًا، وتَرَى ذلك البَوَّ تحتها، وهو جلد الحُوار المَحْشُوُّ فَـتَرْأَمُهُ، فإن دَرَّتْ عليه قيل: ناقـة درور، وتَرْأَمُهُ تَشُمُّهُ، ويقال فى هذا المعنى: ناقة ظئور، فَيُنْتَفَعُ بلبنها، ويقال: ناقة رائمٌ ورءوم إذا كانت تَرْأَمُ ولدها أو بَوَّها، فإن رَئِمَتْ ولم تَدُرَّ عليه فتلك العَلُوقُ، ولا خير عندها.

وأُنشـدونا عن أبى عـمرو - وكـان يقـرأ: ﴿ثُمَّ كَـانَ عَاقِـبَةَ الَّذِينَ أَسَـاءُوا السُّوءَى﴾[2] على «فعْلى»[3]:

---

(١) الحوار: ولد الناقة من حين تضعه إلى أن ينفطم.
(٢) الروم: ١٠.
(٣) زيادات ر: «لأفنون التغلبى»، والبيتان فى أمالى القالى: ٢ - ٥١، وشواهد المغنى للسيوطى ٥٤.

أَنَّى جَزَوْا عَـامِراً سوءى بِـفعلِهِمُ ... أَمْ كَيْفَ يَجْزُونَنِى السُّوءى مِنَ الحَسَنِ

أَمْ كيفَ يَنْفَعُ ما تُعْطِى الْعَلوقُ بِهِ ... رِئْمَـانَ أَنْفٍ إِذَا مَـا ضُـنَّ بِاللَّبنِ(١)

فقوله: «رئمتُ لسلمى بَوَّ ضيم»، أى أقمتُ لها على الضَّيْمِ، ويقال: فلان رَءومٌ للضَّيْمِ، إذا كان ذليلاً راضيًا بالخَسف.

[لأحد الأعراب]

وقال أعرابى ـ أحْسبُهُ تميمياًّ:

وَدَاهيَـةٍ دَاهَى بِهَا الْـقَوْمَ مُـفْلِقٌ ... شَـدِيدٌ بِعُورَانِ الْـكَلاَمِ أَزُومُهَـا

أَصَخْتُ لَهَا حَتَّى إِذَا مَـا وعَيْتُهَا ... رَمَيْتُ بِأُخْـرَى يَسْتَدِيرُ أَمِيـمُهَا

تَرَى الْقَوْمَ مِنْهَـا مُطْرِقِينَ كـأَنَّمَا ... تَسَاقَـوْا عُقَـاراً لا يَبِلُّ سَلِيمُـهَا

فلَمْ تَلْقَنِى فَهًّا، ولَمْ تَلْقَ حُجَّتِى ... مُلَجْلَجَةً أَبْغِى لهـا مَنْ يُقِيمُـها

قوله: «وداهية» يعنى حُـجَّةً داهَى بها القوم. مُفْلِقٌ: يريد عَجِـيبةً، والفِلقُ: اسم من أسماء الدواهى، ويقال: فَلْقٌ فى هـذا المعنى، ويقال: داهية فَلِيقٌ، وجاء القوم بالفَليق، وهذا مشهور كثير فى الكلام، ومنه قول خَلَفٍ الأحمر:

* مَوْتُ الإِمَامِ فِلْقَةٌ مِنَ الْفِلَقْ *

وأنْشَدَنى مُنْشِدٌ:

إِذَا عَرَضَـتْ دَوِيَّةٌ مُدْلَهِـمَّةٌ(٢) ... وغَرَّدَ حَادِيهـا عَمِلنَ بِنَا فَلْقَا(٣)

بفتح الفاء.

---

(١) فى حاشية الأصل: «قال ثعلب: اجتمع الكسائى والأصمعى بحضرة الرشيد، وكانا ملازمين له، يرحلان برحيله ويقيمان بإقامته، فأنشد الكسائى: «أنى جزوا عامرا... البيتين» فقال الأصمعى: إنما هو «رئمان» بالنصب، فقال له الكسائى: اسكت ! ما أنت! وهذا! يجوز فيه الرفع والنصب والخفض، أما الرفع فعلى الرد على «ما» لأنها فى موضع رفع بـ «ينفع»، والنصب بـ «لتعطى»، والخفض على الرد على الهاء فى «به». قال ثعلب: فسكت الأصمعى». وانظر المغنى ١: ٤١.

وفى أمالى القالى: «العلوق: التى ترأم بأنفها وتمنع درها، يقول: فأنتم تحسنون القول ولا تعطون شيئا فكيف ينفعنى ذلك!».

(٢) شطر هذا البيت لم يذكر فى س، وفى ر بين علامتى الزيادة، ورواه: «داوية».

(٣) عرض: تعرض. وغرد حاديها: طرب فى حدائه. والبيت فى إصلاح المنطق لابن السكيت ٣٢، ٢٦٤، وروايته فيه: «فرين بها فلقا». وقال فى شرحه: «أى عملن بها داهية من شدة سيرهن. والفلق: القضيب يشق فيعمل منه قوسان، ويقال لكل واحدة فلق». وهو أيضا فى اللسان (فلق).

وقوله: «شديدٌ بُعوران الكلام»، العَوْراءُ هى القبيحة، قال حاتم بن عبد الله الطائىُّ:

وعَوْرَاءَ قَدْ أَعرَضْتُ عَنْهَا فلمْ تَضِرْ وَذِى أودٍ قـومْـتُـهُ فَتَـقَـوَّمَـا

وأَزُومُهَا: إمْساكُهَا[1]، يقال: أَزِمَ به إذَا عَضَّ به فـأمسكه بين ثَنِيَّتَـيْه. وفى الحديـث أن أبا بكر رحمـه الله قال فى يوم أُحُـد: فنَظَرْتُ إلى حَلْقة مـن درعٍ قد نَشِبَتْ فى جَبِينِ رسول الله ﷺ، فانْكَبَبْتُ لأنزِعَهَا فأقْسَم علَىَّ أبو عبيدة، فَأَزَمَ بها أبو عبيدة بثَنِيَّتَيْه، فَجَذَبها جَـذْبًا رفيقًا، فانتزعها، وسَقَطَتْ، ثم نَظَرْتُ إلى أخرى فأرَدْتُها فأقْـسَم علىَّ أبو عبيدة، ففعل فـيها ما فعل فى الأولى، وكان مُـشفقًا من تحريكها لئلا يُؤْذِىَ بذلك رسول الله ﷺ، فكان أبو عبيدة أهْتَمَ.

وقوله: «فَأزَمَ بها»، يقال: أَزَمَ يأْزِمُ، وأزم يَأْزَمُ.

وقوله: «أصَخْتُ لها»: يقول استَمَعْتُ لها، قال العَبْدىُّ[2]:

يُصِـيخُ لِلنَّبْـأةِ أسْـمَـاعَـهُ إصَـاخَـةَ النَّاشِـد لِلْمنْشِـد

والإصاخة: الاسـتماع، والناشد: الطالب، والمنشد: الْمُعَـرِّف، يقال نشَدْتُ الضالة إذا طلبتها، وأَنْشَدْتُها: إذا عَرَّفْتها. والنَّبْأةُ: الصوت، قال ذو الرُّمَّة:

وقَدْ تَوَجَّسَ رِكـزًا مُقْـفِرٌ نَدُسٌ بِنَبْأة الصَّوْتِ ما فى سَمْعه كذبُ[3]

وقوله: «حتى إذا مـا وعَيْتُها»، يقول: جَـمَعْتُها فى سمـعى، يقال: وعَيْتُ العِلْمَ، وأوْعَيْتُ المَتاع فى الوعاء، قال الله عز وجل: ﴿**وَجَمَعَ فأوْعَى**﴾[4]، وقال الشاعر[5]:

الْخَيرُ يَبْـقى وإنْ طَالَ الزَّمانُ بِهِ والشَّرُّ أخْـبَثُ مَا أوْعَـيْتَ مَنْ زَادِ

وقوله:

* رَمَيْتُ بأخرى يستدير أميمُهَا *

---

(١) قال المرصفى: «أخطأ أبو العباس فى تفسير الوصف بالمصدر والصواب: ممسكها».

(٢) زيادات ر: «وهو المثقب».

(٣) توجس: تسمع. والركز: الصوت الخفى. مقفر: أخو قفرة. والندس: السريع الاستماع للصوت الخفى، يصف الصائد.

(٤) المعارج ١٨.

(٥) زيادات ر: (هو عبيد بن الأبرص).

يريد يستدير، من الدُّوار، ويقال فى هذا المعنى: يستديم، ومنه سميت الدُّوَّامَةُ[1]، وفى الحديث: «كُرِهَ البول فى الماء الدائم»؛ لأنه كالمستدير فى موضعه، قال جرير:

عوَى الشُّعَرَاءُ بَعْضُهُمُ لِبَعْضٍ عَلَىَّ فَقَدْ أَصَابَهُمُ انْتِقَامُ
إِذَا أَرْسَلْتُ صَاعِقَةً عَلَيْهِم رَأَوْا أُخْرَى تَحَرَّقُ فاسْتَدَامُوا[2]

وقوله: «أميمها» يريد المأموم بها، ويقال: أميمٌ ومأموم، كقولك: قَتيلٌ ومقتولٌ، ومَجْروح وجريح، ويقال: للشَّجَّة التى قد وَصَلَتْ إلى أُمِّ الدماغِ - وأُمُّ الدماغ جُلَيْدَةٌ رقيقةٌ تُحيط بالدِّماغ - فإذا وُصِلَ إلى تلك فالشَّجَّةُ آمَّةٌ ومَأْمومة، قال الشاعر:

يَحُجُّ مَأْمُومَةً فى قَعْرِهَا لَجَفٌ فَاسْتُ الطَّبِيبِ قَذَاهَا كالْمَغَارِيدِ[3]

المغاريد: صغار الْكَمْأة.

وقوله: «فى قعرها لجف»، أى تَقَلُّع، يقال: تَلَجَّفَتِ البئر، إذا انقلع طَيُّها من أسفلها، ولَجَّفَ القومُ مِكْيالهم، إذا وَسَّعوه من أسفله.

وقوله: «تَسَاقَوْا عُقارًا» يريد: كأنهم سُكارى لما نالهم من تلك الحُجَّة. وَالْعُقارُ: اسم من أسماء الخمر، وإنما سميت عُقارا لِمُعَاقَرَتِها الدَّنّ.

وقوله: «ما يَبِلُّ» يقال: بَلَّ وأَبَلَّ من مرضه، وكذلك اسْتَبَلَّ.

والسَّلِيمُ المَلْسوع، وقيل له سَليم على جهة التَّفاؤل، كما يقال لـلمَهْلَكَة مَفَازَةٌ، وللغراب: الأعْوَرُ على الطِّيَرَةِ منه لِصِحَّةِ بَصَرِهِ.

وقوله: «فلم تلفنى فَهًّا» يقول: ضَعيفًا، يقال: فَهَّ فلانٌ عن حُجَّتِهِ إذا ضَعُفَ عنها، ويقال: رجل مُفَهَّةٌ إذا كان عاجزًا.

وقوله: «مُلَجْلَجَة»، وهو أن يُرَدِّدَها فى فيه، وقد مضى تفسيره.

---

(١) الدوامة: فلكة يرميها الصبى بخيط فتدور.

(٢) استداموا: أخذهم الدوام، وهو الدوار.

(٣) البيت فى اللسان (غرد) ونسبه المرصفى إلى غذار بن دارة السنائى.

[لأبي مخزوم النهشلي يفخر بقومه]

وقال رجل يُكْنَى أبا مَخْزُوم، من بنى نَهْشَلِ بن دارمٍ[1]:

إنا بَنى نَهْشَلَ لا نَدَّعِى لأبٍ ... عَنْهُ، ولا هُوَ بالأَبْنَاء يَشْرِينَا

إنْ تُبْتَدَرْ غَايَةٌ يَوْمًا لِمَكْرُمَةٍ ... تَلْقَ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَا

وَلَيْسَ يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَدًا ... إلا افْتَلَيْنَا غُلامًا سَيِّدًا فِينَا

إنِّى لَمِنْ مَعْشَرٍ أَفْنَى أوائِلَهُمْ ... قِيلُ الْكُمَاةُ: إلا أَيْنَ الْمُحَامُونَا؟

لَوْ كَانَ فى الأَلْف مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَوْا: ... مَنْ فَارِسٌ؟ خَالَهُمْ إيَّاهُ يَعْنُونَا

وَلا تَرَاهُمْ وَإنْ جَلَّتْ رَزِيَّتُهُمْ ... مَعَ الْبُكَاة عَلَى مَنْ مَاتَ يَبْكُونَا

إنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَنْفُسَنَا ... وَلَوْ نُسَامُ بِهَا فى الأَمْنِ أُغْلِينَا

إذَا الكُمَاةُ تَنَحَّوْا أَنْ يَنَالَهُمُ ... حَدُّ الظُّبَاة وَصَلْنَاهَا بِأَيْدِينَا

فَرْضٌ عَلَى مُكْثِرِينَا نَيْلُ بَذْلِهِمُ ... وَالْجُودُ وَالْبَذْلُ فى طَبْعِ الْمُقِلِّينَا

إنِّى وَمَنْ كَأَبِى يَحْيَى وَعِتْرَتِهِ ... لا فَخْرَ إلا لَنَا أم من يُوَازِينَا

قوله: «إنا بنى نهشل»، يعنى نهْشَل بن دارم بن مالك بن حَنْظلة بن مالك ابن زَيْدِ مَنَاةَ بن تَميمٍ، ومن قال: «إنَّا بَنُو نَهْشَلٍ»، فقد خَبَّرَكَ، وجَعَلَ «بنو» خبر «إنّ»، ومن قال: «بنى»، إنما جَعَلَ الخبرَ

إنْ تُبْتَدَرْ غَايَةٌ يوما لِمَكْرُمَةٍ ... تَلْقَ السَّوَابِقَ مِنَّا والمُصَلِّينَا

ونَصَبَ «بَنى» عَلَى فِعْلٍ مضمر للاختصاص، وهذا أَمْدَحُ ومثله:

* نَحْنُ بَنِى ضَبَّةَ أصْحَاب الْجَمَلْ[2] *

---

(١) زيادات ر: «هو بشامة بن حزن النهشلى». والأبيات أوردها أبو تمام منسوبة إلى بعض بنى قيس بن ثعلبة، مع اختلاف فى الرواية وترتيب الأبيات وعددها، وانظر الحماسة ١: ٩٧ - بشرح التبريزى.

(٢) من رجز رواه ابن جرير الطبرى لعمرو بن يثربى الضبى قاله فى وقعة الجمل، وبعده:

نَنزل بالموت إذا الموت نزل ... القتل أحلى عندنا من العسل

نَنْعَى ابن عفان بأطراف الأسل ... ردّوا علينا شيخنا ثم بَجَل

وانظر تاريخ الطبرى، وحوادث ٣٦.

أراد نحن أصحاب الجمل، ثم أبان مَنْ يَخْتَصّ بهذا، فقال: أعنى بنى ضبة. وقرأ عيسى بن عمر: ﴿وامرأَتُه حمَّالةَ الحطب﴾[1] أراد وامرأتُه. ﴿فى جيدها حبلٌ من مسد﴾ ثم عرّفها بحمّالة الحطب، وقوله: ﴿والمقيمينَ الصلاة﴾ بعد قوله: ﴿لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون﴾[2] إنما هو على هذا، وهو أبلغ فى التعريف، وسَنَشْرَحُهُ على حقيقة الشرح فى موضعه إن شاء الله.

وأكثر العرب يُنْشِدُ[3]:

إنَّا بَنِى مِنْقَرٍ قَوْمٌ ذَوُو حَسَبٍ ... فِينَا سَرَاةُ بَنِى سَعْدٍ وَنَادِيهَا

وقرأ بعض القراء: ﴿فتبارَكَ اللهُ أحسَنَ الخالقين﴾[4].

وقوله: «يشرينا» يريد يَبيعُنا، يقال: شراه يَشْريه إذا باعه، فهذه المعروفة، قال الله عزّ وجل: ﴿وشَرَوْهُ بثمنٍ بَخْسٍ دراهم﴾[5]. وقال ابن مُفَرِّغ الحِمْيَرِىّ:

شَرَيْتُ بُرْدًا ولَوْلا مَا تكَنَّفَنِى ... مِنَ الحَوادِثِ مَا فَارَقْتُه أبَدا[6]

ويكون «شَرَيْتُ» فى معنى اشْتَرَيْتُ، وهو من الأضداد، وأنشدنى التَّوَّزِىّ:

اشْرُوا لَهَا خَاتِنًا وَأَبْغُوا لِخُتُنَتِهَا[7] ... مَوَاسِيًا أربَعًا فِيهِنَّ تذْكِيرُ[8]

وقوله:

* تَلْقَ السوابقَ منَّا والمصلِّينا *

فالمَصَلِّى الذى فى إثْرِ السابق وإنما سُمِّىَ مصلِّيًا؛ لأنه مع صَلَوَىِ السابق، وهما عِرْقان فى الرِّدْف، قال الشاعر:

تَرَكْتُ الرُّمْحَ يَعْمَلُ فى صَلاهُ ... كَأَنَّ سِنَانَهُ خُرْطُومُ نَسْرِ

(١) سورة المسد ٤، ٥.

(٢) سورة النساء ١٦٢.

(٣) زيادات ر: ·هو (لعمرو بن الأهتم المنقرى). وانظر...

(٤) سورة المؤمنون ١٤.

(٥) سورة يوسف ٢٠.

(٦) بعده في س وزيادات ر:
يا بُرْدُ ما مَسَّنَا دَهْرٌ أضَرَّ بنَا ... من قبلِ هذا، ولا بعنا له ولدا

(٧) كذا فى الأصل. وفى ر: «لخَتَنتها»، وهى المرة من الختن. وفى الزيادات: «كان ابن جابر يروى: «لختنتها» [بضم الخاء وتاءين]، ويقول: الخنت: «العفل». والعفل: لحم ينبت فى قبل المرأة.

(٨) تذكير: صلابة وحدة.

وقوله:

* إلا أفتَلَينا غلاما سيّدا فينا *

مـأخوذ من قـولهم: فَلَوْتُ الفُـلُوَّ[١] يَا فـتى، إذا أخـذتَه عن أمّـه، قـال الأَعْشَـى:

مُـلْـمِـعٍ لاعَـةِ الْـفُـؤَادِ إلَـى جحْـــــشٍ فَلاهُ عَنْهَا، فَبِئْسَ الْفَالى[٢].

وأخذ هذا المعنى من قول أَبى الطَّمَحان الْقَيْنِىِّ:

* إذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قامَ صَاحِبُهْ *

وقوله:

لَوْ كَانَ فى الأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَوْا: مَنْ فَارسٌ؟ خَـالَهُمْ إيَّاهُ يَعْنُونَا

مأخوذ من قول طَرَفة:

إِذَا القَوْمُ قالُوا: مَنْ فَتًى؟ خِلْتُ أنَّنِى عُنِيتُ، فَلَمْ أَكْسَـلْ ولَمْ أَتبَلّدِ

ومن قول مُتَمِّم بن نُوَيْرَة:

إِذَا القَـوْمُ قالُوا: مَنْ فَـتًى لِعَظِيمَـةٍ فَمَا كُلُّهُمْ يُدْعَى، ولَكِنَّهُ الْفَتَى

وقوله: «حَدُّ الظبات» فـالظُّبَةُ الحَدُّ بعينه، يقال: أصابتـه ظُبَة السيف، وظُبَةُ النَّصْلِ، وجمـعه ظُبَاتٌ. وأرا دَ بالظبَـةِ هاهنا موضع المَضْرِب من السـيف. وأخذ هذا المعنى من قول كعب بن مالك:

نَصِلُ السُّـيوفَ إِذَا قَصُـرْنَ بخَطْوِنَا قُدُمًـا، ونُلْحِقُهَـا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ

وقوله:

* إنَا لنرْخصُ يوم الرَّوْع أَنْفُسنَا *

---

(١) الفلو: المهر.

(٢) البيت فى وصف الناقة، ملمع: فى ضرعها لمع سود. واللاعة: الملتاعة. والفالى: الطارد.

أخذه من قول الهَمْدانىّ - وهو الأَجْدَع(١) - أبو مَسْروق بن الأجدع الفقيه:

لَقَدْ عَلِمَتْ نِسْوَانُ هَمْدَانَ أَنَّنى ... لَهُنَّ غَدَاةَ الرَّوْعِ غَيْرُ خَذُولِ

وَأَبْذُلُ فى الهَيْجَاءِ وَجْهِى وَإِنَّنِى ... لَهُ فى سِوَى الْهَيْجَاءِ غيْرُ بَذُولِ

ومن القتَّالِ الكِلاَبِىِّ حيث يقول:

أَنا ابْنُ الأكْرَمِينَ بَنِى قُشَيْرٍ ... وَأَخْوَالِى الْكِرَامُ بَنُو كِلاَبِ

نُعَرِضُ لِلطّعَانِ إِذَا الْتَقَيْنَا ... وُجُوهًا لا تُعَرَّضُ لِلسِّبَابِ

---

(١) هو الأجدع بن مالك بن أمية الوداعى، من بنى نوف بن حمدان. فارس شاعر، أدرك الإسلام، وبقى إلى زمن عمر بن الخطاب. (المؤتلف والمختلف للآمدى ٤٩).

بابـ

[من كلام عمر بن عبد العزيز]

قال عمـر بن عبد العزيز رحـمه الله: ثلاثٌ مَنْ كنَّ فيه فـقد كَمَلَ: من لم يُخْرِجْهُ غَضَبُهُ[١] عن طاعة الله، ولـم يستنزلُه رضاه إلى معـصية الله، وإذَا قدر عفا وكَفَّ.

[من كلام الحسن البصري]

قال الحســن: نِعَمُ الله أكثرُ منْ أَنْ تُشْكَرَ إلا ما أعـانَ عليه، وذُنوبُ ابْن آدم أكثر من أنْ يَسْلَمَ منها إلا ما عفا الله عنه.

[كلام عمر بن ذر حينما دخل على ابنه وهو يجود بنفسه]

وقال عمر بن ذَرّ[٢] ـ ودخل على ابنه وهو يَجُود بنفسه، فقال: يا بُنَيَّ، إنه ما علينا من موتك غضاضةٌ، ولا بنا إلى أحد سوى الله حاجةٌ. فلما قضى وصَلَّى عليه وواراه وَقَفَ على قبره، فقال:

ياذَرُّ، إنه قد شَغَلَنا الحُـزْنُ لك عن الحزن عليك؛ لأنّا لا نَدْرِى مَا قُلْتَ ولَا ماقيلَ لك، اللّهُمَّ إنى قد وَهَبْتُ له مَا قَصَّرَ فيه مما افترضْتَ عليه من حقّى، فَهَبْ له ما قَصَّـرَ فيه من حقّك، واجعل ثوابى عليـه له، وزِدْنِى من فَضْلك، إنِّى إليك من الراغبين.

وسُئِلَ: ما بَلَغَ من بِّره بك؟ فقال: مـا مَشَى معى بِنَهارٍ قَطْ إلاَ قَدَّمَنِى، ولا بليل إلا تقَدَّمَنِى، ولا رَقِىَ سَطْحًا وأنا تحته.

[جوابـ أبى دلامة حينما سأله المنصور عما أعده ليوم القيامة]

وماتـت بنـت عَـمّ للمنصور، فَـحَـضَـرَ جَـنَـازتها، وجلس لدفنها، وأقبل أبو دُلامةَ الشاعر، فقال له المنصور: ويْحَكَ! ما أعْدَدْتَ لهذا اليوم؟ فقال: يا أمير المؤمنين، ابْنةَ عَـمِّك هذه التـى واريْتَهـا قـبَـيلُ! قـال: فَضَـحِكَ المنصـور حـتى استُغْرِب[٣].

---

(١) ر: «من».

(٢) هو عمر بن ذر بن عبـد الله الهمدانى، من أقران أبى حنيفة وابن عيـينة، وكان رأسا فى الإرجاء، توفى سنة ٥٠ . (تهذيب التهذيب ٧: ٤٤٥).

(٣) استغرب فى الضحك: أكثر منه.

[الفرزدق فى سجن مالك بن المنذر بن الجارود]

ودخل لَبَطَة بن الفرزدق على أبيه وهو محبوس فى سجن مالك بن الْمُنْذر ابن الجارود(١)، ومالك عاملٌ على البصرة لخالد بن عبد الله القَسْرىِّ، فقال: يا أَبَت، هذا عمَرُ بن يزيد الأَسَيْدىُ، ضُربَ آنفًا أَلْفَ سَوْط فمات فَشُدَّ على حمار، فقال الفَرَزْدَقُ: كأنك والله يا بُنىَّ بمثلِ هذا الحديث قد تُحَدِّثُ به عن أبيك - والحَسَنُ(٢) إذ ذاك عند محبوس له - فقال: يا أبا فراس: ما عندك إن كان ذلك؟ فقال: والله يا أبا سعيد، للهُ أحَبُّ إلىَّ من سمْعى وبَصَرِى، ومن مالى وولدى، ومن أهلى وعَشيرتى، أَفَتَراهُ يَخْذلنى! فقال الحسن: لا.

[للفرزدق حين قتل عمر بن يزيد الأسيدى]

وكان عمر بن يزيد الأسَيْدِىُّ شريفًا، حدثنى التَّوَّزِىُّ عن أبى عُبَيْدَةَ قال: كان رجلُ أهلِ البَصْرَةَ عُمَرَ بن يزيد الأُسَيْدىَّ، ورجلُ أهل الشام عمرَ بن هُبيْرَة الفَزَارِىَّ، ورجلُ أهل الكوفة بلالَ بن أبى بُرْدَةَ بن أبى موسى الأشعرىّ، فقيل ذلك لعمر بن عبد العزيز، فقال: أَجَلْ، لَولا خبٌّ(٣) فى بلال، فقال بلالٌ لَمَّا بلغه ذلك: «رمَتْنِى بدائها وانسَلَّت» وقتله مالك(٤) بن الْمُنْذر تَعَصُّبًا فيما تذكره الْمُضَرِيَّةُ. فلما دُخلَ بمالك على هشام أَقْبَلَ على أصحابه، فقال: أما رأيتم عمر بن يزيد؟ أمَا إنى ما تَمَنَّيْتُ أن تكون أُمّى ولدَتْ رجلا من العرب غَيْرَهُ. ثم قال لمالك: قَتَلْتَ والله خيرًا منك حَسَبا، ونَسَبا، وريشًا(٥)، وعقبًا! فقال: وكيف يا أمير المؤمنين! أَلَسْتُ ابنَ المنذر بن الجارود، وابنَ مالك بن مسْمَعٍ! - وكان جَدَّهُ أبا أمه - وجعل عمر والسِّياطُ تأخذه ينادى: يا هشَامَاهُ! ففى ذلك يقول الفرزْدَق:

أَلَمْ يَكُ مَقْتَلُ الْعَبْدِىِّ ظُلْمًا　　　أَبَا حَفْصٍ مِنَ الْكُبَرِ الْعِظَامِ

قَتيلُ جَمَاعَةٍ فِى غَيْرِ حَقٍ　　　يُقَطَّعُ وَهْوَ يَدْعُو: يا هشَامِ!

---

(١) حاشية الأصل: «كان السبب فى سجن الفرزدق أنه كان قد هجا خالد بن عبد الله القسرى، فكتب خالد إلى مالك بن المنذر يأمره بحبسه، فأمر مالك أيوب بن عيسى الضبى فأتاه به، فأمر به إلى السجن، ففى ذلك يقول الفرزدق يهجو أيوب بن عيسى:

فلوْ كنتَ قيسيًّا إذا ما حبستنى　　　ولكنّ زنجيًّا غليظًا مشافرُهُ

متَتُّ له بالرّحْمِ بينى وبينَهُ　　　فألفيتُه منِّى بعيدًا أواصرُهُ

(٢) هو الحسن البصرى.

(٣) الخب: الخداع والمكر.

(٤) أى قتل مالك عمر بن يزيد الأسيدى.

(٥) الريش: اللباس والزينة. وفى ر ، س: «ودينا».

[لقاء الحسن البصري والفرزدق في جنازة]

وَالْتقى الحَسَن والفرزدق فى جنازة، فقـال الفرزدقُ للحسن: أتدرى ما يقول الناس يا أبا سعيد؟ قال: وما يقولون؟ قـال: يقولون: اجتمع فى هذه الجنازة خيرُ الناسِ وشَرُّ الناس! فقال الحسن: كَـلاَّ، لَسْتُ بخيرهم، ولَسْتَ بشرّهم، ولكن ما أعْدَدْتَ لهـذا اليوم؟ فـقال: شهـادة أن لا إلّه إلا الله مذ[1] ستُّـون سنة، وخَمْسَ نَجَائبَ لا يُدْرَكْنَ - يعنى الصلوات الخمس - فيزعم بعض التَّميميَّة أن الفرزدق رُئِىَ فى النوم، فقـيل له: ما صَنَعَ بك ربُّك؟ فـقال: غَـفرَ لى. فقـيل له: بأىِّ شىء؟ فقال: بالكلمة التى نازعنى فيها الحسن.

[الفرزدق وأولاد بني تميم]

وحدثنى العبـاس بن الفَرَجِ فى إسنادٍ له ذَكَرَهُ قال: كـان الفرزدق يَخْرُجُ من منزله فيرى بنى تميم والمصَـاحفَ فى حُجُورهم، فَيُسَـرُّ بذلك ويَجْذَلُ به، ويقول: إيهٍ فِدّى لكم أبى وأمّى! كذا والله كان آباؤكم.

* * *

[قال أبو الحسن: إنما هو فِداءٌ لكم، لكنه قَصَرَ الممدود على هذه الرواية].

* * *

[الفرزدق وأبو هريرة الدوسي]

ونظر إليه أبو هُرَيْرَةَ الدَّوْسِىُّ، فقال [له][2]: مَهْما فَعَلْتَ فَقَنَّطكَ الناسُ، فلا تقنَطْ من رحمة الله، ثم نظر إلى قدميه فقال: إنى أرى لك قَدَمَيْنِ لطيفتين، فابْتَغِ لهما مَوْقِعًا صالحًا يوم القيامة.

يقـال: قَنطَ يَقْنَطُ، وقَنَطَ يَقْنِطُ، وكـلاهما فـصيح، فـاقرأ بأيُّهـما شئت، وكذلك نَقِمَ يَنْقَمُ، ونَقَمَ يَنْقِمُ.

---

(١) ر: «منذ».

(٢) من ر، س.

[قول الفرزدق حينما تعلق بأستار الكعبة]

والفرزدق يقول فى آخر عُمْرِه حين تَعَلَّقَ بِأَسْتار الكعبة، وعاهَدَ ٱللهَ أَلاَّ يَكْذِبَ، ولا يَشْتِمَ مُسْلِمًا:

أَلَمْ تَرَنى عاهَدْتُ رَبِّى وَإِنَّنى لَبَيْنَ رِتَاجٍ قَائمًا وَمَقَامِ

عَلَى حَلْفَةٍ لاَ أَشْتِمُ ٱلدَّهْرَ مُسْلِمًا ولا خارجا من فِىَّ زُورَ كَلامِ

وفى هذا الشعر:

أَطَعْتُكَ يَا إِبْلِيسُ تِسْعِينَ حِجَّةً فَلَمَّا ٱنْقَضَى عُمْرِى وَتَمَّ تَمَامِى

رَجَعْتُ إِلَى رَبِّى وَأَيْقَنْتُ أَنَّنِى مُلاقٍ لأَيَّامِ ٱلْمَنُونِ حِمَامِى

قوله: «لَبين رتاج»، فالرِّتاجُ غَلَقُ الباب، ويقال: باب مُرْتَجٌ، أى مُغْلَقٌ، ويقال: أُرْتِجَ على فلان، أى أُغْلِقَ عليه الكلامُ، وقولُ العامة: «ارْتُجَّ عليه»، ليس بشىء، إلا أن التَّوَّزِىَّ حدثنى عن أبى عُبَيْدَةَ، قال: يقال: ٱرْتجَّ عليه، ومعناه وَقَعَ فى رَجَّةٍ، أى فى ٱختلاط، وهذا معنى بعيد جداًّ.

وقوله: «ولا خارجًا» إنما وَضَعَ اسم الفاعل فى موضع المصدر، أراد: لا أشْتِمُ الدهر مُسْلمًا، ولا يَخْرُجُ خروجًا من فِىَّ زُورُ كلامٍ، لأنه على ذا أَقْسَمَ، والمصدر يقع فى موضع اسم الفاعل، يقال: ماءٌ غَوْرٌ، أى غائر، كما قال الله عزّ وجل: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾(١)، ويقال: رجل عَدْلٌ، أى عادل، ويوم غَمٌّ، أى غامٌّ، وهذا كثير جداًّ، فعلى هذا جاء المصدر على فاعلٍ، كما جاء اسم الفاعل على المصدر، يقال: قُمْ قائمًا، فيوضع فى موضع قولك: قُمْ قيامًا، وجاء من المصدر على لفظ «فاعلٍ» حروفٌ منها: فلجَ فَالجًا، وعُوفِىَ عافِيَةً، وأَحْرُفٌ سوى ذلك يسيرة. وجاء على «مَفْعول»، نحو رجل ليس له مَعْقول، وخُذْ مَيْسُورَه، ودَعْ مَعْسورَه، لدخول المفعول على المصدر، يقال: رجل رضًا، أى مَرْضِىٌّ، وهذا درهم ضَرْبُ الأمير، أى مَضْرُوبٌ، وهذه دراهم وزن سَبْعَةٍ، أى مَوْزونةٌ. وكان عيسى بن عمر يقول: إنما قوله: «لا أشْتِمُ» حال، فأراد: عاهدت ربى فى هذه الحال وأنا غير شاتِمٍ ولا خارجٍ مَنْ فِىَّ زُورُ كلام، ولم يَذْكُر الذى عاهَدَ عليه.

---

(١) سورة الملك ٣٠.

[للفرزدق في أيام نسكه]

وقال الفرزدق في أيام نُسكه:

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إنْ لَمْ يُعَافِنى	أَشَدَّ مِنَ الْقَبْرِ الْتِهَابًا وَأَضْيَقَا
إذَا قَادَنى يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ	عَنِيفٌ، وَسَوَّاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا
لَقَدْ خَابَ مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ مَنْ مَشَى	إلَى النَّارِ مَغْلُولَ الْقِلَادَةِ أزرقا[1]
إذَا شَرِبُوا فِيهَا الْحَمِيمَ رَأَيْتُهمْ	يَذُوبُونَ مِنْ حَرِّ الْحَمِيمِ تَمَزُّقَا

[للفرزدق حين طلق النوار]

وحدثنى بعض أصحابنا عن الأَصْمَعِيِّ عن الْمُعْتَمِرِ بن سليمان عن أبى مَخزومٍ عن أبى شَفْقَلٍ راوية الفرزدق، قال: قال لى الفرزدَق يوما: امض بنا إلى حَلْقَةِ الحَسَن، فإنى أريد أن أطَلِّق النّوَار، فقلتُ: إنى أخاف عليكَ أن تَتْبَعَهَا نَفْسُكَ، ويَشْهَدَ عليك الحسنُ وأصحابه، فقال: امْضِ بنا فجئنا حتى وقَفْنا على الحسن، فقال: كيف أصْبَحْتَ يا أبا سعيد، فقال: بخير، كيف أصبحتَ يا أبا فراسٍ؟ قال: تَعَلَّمُنْ أن النَّوَار منى طالق ثلاثًا، فقال الحسنُ وأصحابه: قد سمعنا، قالُ: فانطلقنا، قال: فقال لى الفرزدق: يا هذا، إن فى قلبى من النَّوَار شيْئًا، فقلت: قد حذَّرْتك، فقال:

نَدمْتُ نَدامَةَ الْكُسَعِيِّ لَمَّا[2]	غَدَتْ مِنِّى مُطَلَّقَةً نَوَارُ[3]
وَكَانَتْ جَنَّتِى فَخَرَجْتُ مِنْهَا	كَآدَمَ حِينَ أَخْرَجَهُ الضِّرَارُ
وَلَوْ أَنِّى مَلَكْتُ يَدِى وَنَفْسِى	لَكَانَ عَلَىَّ لِلْقَدَرِ الخِيَارُ

قال الأصمعىّ: ما روى المعتمر هذا الشعر إلا من أجْلِ هذا البيت.

---

(١) ر: «موثقا».

(٢) الكسعى: رجل من كسع، حى من اليمن، اسمه غامد بن الحارث، وكان اتخذ قوسا وخمسة أسهم وكمن فى طريق قطيع، فرمى حمارا منه، فنفذ فيه السهم وصدم الجبل، فأورى نارا فظن أنه أخطأ، فرمى ثانيا وثالثا إلى آخرها وهو يظن خطأه، فعمد إلى قوسه فكسرها، ثم بات، فلما أصبح نظر فإذا الحمر مطرحة مصرعة، وأسهمه بالدم مضرجة، فندم وقطع إبهامه، وأنشد:

ندمتُ ندامةً لو أنّ نفسى	تطاوعنى إذًا لقطعتُ خمسى
تبَيَّن لىَ سَفَاهُ الرأى منِّى	لعمرُ أبيكَ حينَ كسَرْتُ قوسِى

وانظر مجمع الأمثال (٢: ٢٧٤).

(٣) فى زيادات ر بعد هذا البيت:

وكنتُ كفاقئٍ عينيه عمداً	فأصبح لا يضىء له النهارُ
وما فارقتُها شبعًا ولكنْ	رأيت الزهد يأخذ ما أُعارُ

باب
[ما قيل فى الخمر]

قال لقيط بن زرارة:

شـربتُ الخـمـرَ حـتَّى خلتُ أنىِّ ... أبُو قَـابُوسَ أوْ عـبـدُ المدانِ
أَمــشِّى فى بنـى عُــدسِ بنِ زَيْدٍ ... رَخىَّ البـالِ منطـلقَ الِّلسـانِ

وحدَّثنى أبو عثمان المازنى قالَ أسر رَجُلٌ يَوْمَ الحُسَيْنِ بن على رضى الله عنه فَأُتِىَ به يزيد بنُ معاوية فقال له: أليس أبوكَ القائلَ:

أرجِّلُ جُـمَّـتِى وأجـرُّ ذيلى ... وتحـملُ شكَّتى أُفقٌ كُـمـيْتُ
أُمَـشِّى فـى سَـراةِ بنى غُـطَيفٍ ... إذا مـا سَـامَنى ضَـيْمٌ أَبَيْتُ

قال: بلى. فأمرَ به فقتل.

[خبر هانئ بن عروة المرادى مع معاوية]

قال أبو العبَّاس: ونُمِىَ إلىَّ أن معاويةَ ولَّى كثير بن شهاب المذحجىَّ خُراسانَ فَاخْـتَانَ مـالا كثيرًا، ثم هرب فاستتر عندَ هانئ بن عُروةَ المرادىَّ، فـبلغَ ذلك مُعاويـةَ، فنذرَ دمَ هانئ، فخرج هَانئ فكانَ فى جوار معاوية، ثم حَضَرَ مـجلسه ومعاوية لا يعرفُـه، فلَمَّا نهضَ الناسُ ثبتَ مكَانَهُ، فسألهُ معـاوية عَنْ أمْره، فقال: أنا هَانئُ بنُ عُـروةَ، فـقـال: إنَّ هذا اليـومَ ليسَ بيـومٍ يقـول فـيـه أبوكَ: أرجِّلُ جَّمـتى. . . الشعرَ، فـقالَ لهُ هانِئٌ: أنا اليـومَ أعزُّ منى ذلكَ اليومَ، فـقَالَ له: بِمَ ذَاكَ؟ فقال: بالإسلامِ يا أمير المؤمنين، فقـالَ له: أينَ كثيرُ بن شهاب؟ قال: عندى فى عسكرِكَ يا أَميرَ المؤمنينَ. فقال له مُعَاوِيةُ: انظره إلى ما اختانه فخذْ منه بعضًا، وسوِّغْه بعضًا.

[نبذ من أقوال الشعراء فى الخمر وشاربيها]

وقالَ أعرابىٌّ:

ولقـد شـربْتُ الراحَ حَـتَّى خِلتُنى ... لـمَّـا خـرجْتُ أجرُّ فَـضلْ المئـزرِ
قَـابوسَ أو عَمـرَو بنَ هندٍ مـاثلا ... يُجْـبَى لهُ مـا دونَ دَارةِ قَـيْـصَـرِ

وقال آخر:

شربنَا منَ الدَّاذيِّ حتَّى كأنّنا ... مُلوكٌ لهم بَرُّ العراقيْنِ والبحرُ

فلمَّا انجلَتْ شمس النَّهار رأيتُنا ... تولَّى الغِنَى عنَّا وعاودَنا الفقْرُ

وقال آخر، وهو عبدُ الرحمنِ بنُ الحكم:

وكأسٍ ترى بينَ الإناء وبينها ... قذى العَيْنِ قدْ نَازعتُ أم أبانِ

ترى شاربيَها حين يَعْتورَانها ... يميلانِ أحيانًا ويَعْتدلانِ

فما ظنيُّ ذا الواشِى بأروعَ ماجدٍ ... وبدَّاءِ خودٍ حينَ يلتقيانِ

وقالَ آخرُ:

دَعتْنى أخَاهَا أمَّ عَمْرو ولمَ أكنْ ... أخاهَا ولم أرضَعْ لها بلَبَانِ

دَعَتنِى أخاها بعد ما كان بيننَا ... منَ الأمْرِ مالا يفعلُ الأخَوَانِ

وقالَ آخرُ (أنشده أبو علىٍّ لأم ضيغم البلوية):

فبتْنا فويْقَ الحىِّ لا نحنُ منهمُ ... ولا نحنُ بالأعْداء مختلطانِ

وبات يقينا ساقط الطل والنَّدى ... من الليْلِ بُردَا يُمنَة عَطِرانِ

نعدِّى بذكرِ اللهِ فى ذات بيننا ... إذا كان قلبانا بنا بَردَانِ

قال أبو الحسن: وزادنى فيه غير أبى العباس:

ونَصْدرُ عن زىِّ العفافِ وربما ... نَقَعْنَا غليلَ النفْسِ بالرشفانِ

قال أبو العباس: نعدِّى أى نصرِفُ الشرَّ بذكر الله، يقال: فعدِّ عما ترى، أى انصرفْ إلى غيره. ويقال: لا يعدونَّكَ هذا الحديثُ، أىَ لا يتجاوزنك إلى غيرك.

قال أبو العباس: وقال رجلٌ من قريش:

مَنْ تقرعِ الكأسُ اللئيمةُ سنَّهُ ... فلابدَّ يومًا أن يسىءَ ويجهَلا

ولم أرَ مطلوبًا أخسَّ غنيمَةً ... وأوضع للأشراف منها وأخملا

وأجدَرَ أن تلقى كريمًا يذمهَا ... ويشربَهَا حتَّى يخرَّ مُجدَّلا

فو اللهِ ما أدْرى أخبْلَ أصابهمْ ... أم العيشُ فيها لم يلاقُوه أشكلا

وقال آخر:

إذَا صدمتنى الكأسُ أبدت محاسنى ... ولم يخشَ ندمَـانى أذَاتى ولا بُخْلى
ولستُ بفـحَّـــاشٍ عليـه وإن أسَـا ... وما شكلُ من آذى نداماه من شكلى

وقال آخر:

كلْ هنيـئًـا ومـــا شـربتَ مـريئـا ... ثُمَّ قُمْ صـــاغـرًا فَـغَـيْــرُ كَـرِيمِ
لا أحبُّ النـديم يومِضُ بالـعَـيْـ ... ـنِ إذَا مـا انتـشَـى لعـرِس النَّدِيم

الإيماض: تفتحُ البرقِ ولمحُهُ، يُقَالُ: أوْمـضَت المرْأة إذا ابتسَمَتْ، وإنَّما ذلك تشبيه لِلَمع ثنايَاهَا بتبسُّمِ البرْقِ، فأرادَ أنه فتح عينَهُ ثم غمَّضها بغمزٍ.

قال حسَّان بن ثابتٍ:

كَـــأنَّ سَـبـيـئـــةً منْ بيتِ رأسٍ ... يَكونُ مـــزَاجَـهـــا عـسلٌ ومـــاءُ
إذا مـا الأشـــرباتُ ذكَـرْنَ يَـومًـا ... فَـــهُـــنَّ لطيِّـب الرَّاح الـفـــداءُ
نُولِّـيــهـــا الملامَـــةَ إن ألَمْـنا ... إذَا مَـــا كَـــانَ مَـــغْثٌ أَوْ لحَـــاءُ
ونشـــربُهَـا فـتـتــركُنَا ملُوكًـــا ... وأُسْـــدًا مَـــا يُنَهْـنِـهُنَا الِّلَـقَـــاءُ

المغْثُ: المماغثة باليد، واللِّحاءُ: الملاحــاةُ باللسانِ، يقول: يعتذرُ المسىء بأنْ يقولَ: كنتُ سكرانَ فَيُعذَرُ.

وقوله: كأنَّ سبيئةً، يقالُ: سبأتهَا إذَا اشتريتها سِباء، يعنى الخمرَ، والسَّابِئُ: الخَمَّار.

وقولهِ: «من بيت رأسٍ»، يعنى موضعًا، كما يُقالُ: حَارِثُ الجَوْلانِ.

باب

[نبذ من أقوال الحكماء]

قال أبو العباس: قال الأَحْنَفُ بن قَيْس: ألا أَدُلُّكم على المحْمَدة بلا مَرْزِئَة؟ الخُلقُ السَّجيح[1]، والكَفُّ عن القَبيح، ألا أُخْبِرُكُمْ بأدوَإِ الداء؟ الخُلُقُ الدَّنِىء، واللسان البَذِىء.

وقال الأحنف: ثلاثٌ فِىَّ ما أقولُهُنَّ إلا لِيَعْتَبرَ مُعْتَبِرٌ: ما دَخلت بين اثنين حتى يُدْخِلانى بينهما، ولا أتيتُ بابَ أحد من هؤلاء ما لم أُدْعَ إليه، - يعنى السُّلْطان - ولا حَلَلْتُ حبْوَتى إلى ما يَقُومُ إليه الناس.

تَكْسر الحاء وتضمها إذا أردتَ الاسم، وتفتحُها إذا أردتَ المَصْدر، أنشدنى عُمَارةُ بن عَقيلٍ لجَرير:

قُتِلَ الزُّبَيْرُ، وأَنْتَ عاقدُ حُبْوَةَ ... قُبْحًا لِحُبْوَتِكَ الَّتى لمّ تُحْلَلِ !

ويقال فى جمع حُبْوَةٍ: حِبًا وحُبًا، مقصوران.

وقال عُبَيْد الله بن عبد الله بن عُتْبَة: ما أَحْسَنَ الحَسنَات فى آثار السَّيِّئات! وأقْبَحَ السيئات فى آثار الحَسَنات! وأقبَحُ من ذا وأحْسَنُ من ذاكَ السَّيِّئات فى آثار السيئات، والحَسَناتُ فى آثار الحسنات.

والعَرَبُ تَلُفُّ الخبرين المختلفين، ثم ترمى بتفسيرهما جُمْلَةً، ثقةً بأن السامع يَرُدُّ إلى كلٍّ خَبَرَه. وقال الله عز وجل: ﴿**وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ**﴾[2].

وقال رجل لسَلْم بن نَوْفَلٍ: ما أَرْخَصَ السُّؤْدُدَ فيكم! فقال سَلْمٌ: أَمَّا نَحْنُ فلا نسوِّدُ إلا مَنْ بَذَلَ لنا مالَهُ، وأَوْطَأَنَا عِرضَهُ، وامْتَهَنَ فى حاجتنا نفسه. فقال الرجل: إن السُّؤْدُد فيكم لَغالٍ.

ولِسَلْمٍ يقول القائل:

يُسَوَّدُ أَقْوَامٌ وَلَيْسُوا بِسَادَةٍ ... بَلِ السَّيِّدُ المَعْرُوفُ سَلْمُ بْنُ نوفلِ

---

(١) الخلق السجيح: السهل.

(٢) سورة القصص ٧٣.

وقال معاوية رحمه الله لَعَرَابَةَ بن أوْس بن قَيْظِىّ الأنْصارِىِّ: بمَ سُدْتَ قومك؟ فقال: لَسْتُ بِسيدهم، ولكنّى رجلٌ منهم، فَعزَم عليه فقال: أعْطيْتُ فى نائبتهم، وحَلُمْتُ عن سَفيههمْ، وشَدَدْتُ على يَدَىْ حَليمهم، فَمَنْ فعَل منهم مِثلَ فِعْلِى فهو مِثلى، ومن قصرّ عنه فأنا أَفضلُ منه، ومن تجاوزه فهو أفضل منى.

[مدح الشماخ لعرابة بن أوس]

قال أبو العباس: وكان سَبَبُ ارتفاع عَرابة أنه قَدمَ من سَفر، فجَمعَهُ الطريقُ وَالَّشمَّاخ بنَ ضرار المُرِّىّ، فتحادثا، فقال له عَرَابة: ما الذى أقْدَمَك المدينة؟ قال: قَدمْتُ لأَمْتارَ منها، فمَلأَ له عَرابةُ رَوَاحِلَهُ بُرًّا وتَمرا، وأتحفه بغير ذلك، فقال الشَّمَّاخ:

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الأَوْسِىَّ يَسْمُو ... إلى الخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ القَرِينِ
إذا ما رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ ... تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بالْيَمِينِ
إِذَا بَلَّغْتنى وَحَمَلْتِ رَحْلِى ... عَرَابَة، فاشْرَقِى بِدَمِ الْوَتِين
ومِثْلَ سَرَاةِ قَوْمِكَ لم يُجَارَوْا ... إلَى رُبُعِ الرِّهَانِ وَلا الثمِينِ[1]

قوله: «تَلَقّاها عَرابةُ باليمين»، قال أَصحاب المعانى: معناه بالقُوَّة، وقالوا مثَل ذلك فى قول الله عزّ وجلّ: ﴿**والسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِه**﴾[2].

وقد أحسَنَ كلَّ الإحْسانِ فى قوله:

إِذَا بَلَّغْتنى وَحَمَلْتِ رَحْلِى ... عَرَابَةَ فَاشْرَقِى بِدَمِ الْوَتِينِ

يقول: لَسْتُ أحتاج إلى أن أرْحَلَ إلى غيره.

وقد عاب بعضُ الرُّواةِ قولَهُ: «فاشرقى بدم الوتين»، وقال: كان ينبغى أن يَنْظُرَ لها مع استغنائه عنها، فقد قال رسولُ الله ﷺ للأنصارية[3] المأسورة بمكة وقد نَجَتْ على ناقة رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إنِّى نَذَرْتُ إنْ نَجَوْتُ عليها أن أنحرَها. فقال رسول الله ﷺ: «لبِئْسَ ما جَزَيْتِها»، وقال: «لا نَذْرَ فى معصية، ولا نذرَ للإنسان فى غير مِلكه».

---

(١) الرهان: ما يوضع من المال فى مسابقة الخيل، والثمين: الثمن.

(٢) الزمر ٦٧.

(٣) ذكر ابن هشام أنها امرأة رجل من غفار. (وانظر خبر أسرها مع زوجها فى السيرة ٣: ٣٢٣ - ٣٢٧).

ومما لم يُعَب فى هذا المعنى قول عبد الله بن رَواحةَ الأنْصارِيِّ لما أمَّرَه رسولُ الله ﷺ بعد زَيد وجَعْفَرٍ على جَيْش مُؤْتَةَ[1]:

إذَا بَلَّغْــتِنى وحَــمَـلْتِ رَحْلِى ... مَـسِـيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْـدَ الْحِـساءِ

فَـشَـأْنَك فَانْعـمِى وَخَـلاكِ ذَمٌّ ... ولا أَرْجِـعْ إلَـى أهْلِـى وَرَائِـى

الحِسـاءُ: جمع حِسْيٍ، وهو موضع رَملٍ تحته صَلاَبَةٌ، فإذا مَطَرَت السماءُ على ذلك الرمل نزل الماء، فَـمَنَعَتْه الصَّلابةُ أن يَغيضَ، ومَنَعَ الرملُ السَّمَائمَ أن تُنَشِّفَه، فإذا بُحِثَ ذلك الرملُ أصيب الماء، يقال: حِسىٌ وأَحساء وحساء، ممدودة.

وقوله: «ولا أرجعْ إلى أهلى ورائى» مجزوم لأنه دعاء، فقوله: «لا» يعنى الجازمة، ومعناه: اللهم لا أَرْجِعْ، كما تقول: زيد لا تَغْفر له[2]، فهذا الدعاء يَنْجَزِمُ بما يَنْجَزِمُ به الأمر والنهى، كما تقول: زيد لِيَقُمْ، وزيد لا يَبْرَحْ.

وقد اتَّبَعَ ذو الرُّمَّةِ الشَّمَّاخَ فى قوله:

إذَا ابنَ أَبِى مُوسى بِلالاً بَلَغْـتِهِ ... فَقَامَ بِفَـأْسٍ بَيْنَ وِصليكِ جازِر

الوِصل: المَفْصل بما عليه من اللحم، يقال: قَطَعَ اللهُ أوصاله، ويقال: وِصْلٌ، وكِسْرٌ وجِدْلٌ، فى معنى واحد.

(١) مؤته: اسم قرية بالشام، موضع الغزوة المشهورة.

(٢) ر: «لا يغفر الله له».

باب

[لرجل من رجاز بنى تميم فى وقعة الجُفرة]

قال أبو العباس: أنشدنى التَّوَّزِىُّ لرجل من رُجّازِ بنى تميم فى وَقْعة الجُفْرة(١).

نَحْنُ ضَرَبْنَا الأَزْدَ بِالْعِرَاقِ ... وَالحَىَّ مِنْ رَبِيعَةَ المُرَّاقِ

وَابْنَ سُهَيْلٍ قائدَ النِّفَاقِ ... بِلاَ مَعُونَاتٍ وَلاَ أَرْزَاقِ

إلاَّ بَقَايَا كَرَمَ الأَعْرَاقِ ... لِشِدَةِ الخَشْيَةِ وَالإشْفَاقِ

* مِنْ المَخَازِى وَالحَدِيثِ البَاقِى *

الأعْرَاق: جمع عِرْق، يقال: فلان كريم العِرْقِ ولئيم العرْقِ، أى الأصل.

[أقوال فى قلة النوم]

وقال آخر يَصِفُ ابنه:

أَعْرِفُ مِنْهُ(٢) قِلَّةَ النُّعَاسِ ... وخِفَّةً فِى رَأْسِهِ مِنْ رَاسِى

* كَيْفَ تَرَيْنَ عِنْدَهُ مِرَاسِى *

يخاطب أُمَّ ابنه. فقوله: «أعرف منه قلة النعاس»، أى الذّكاءَ والحركة.

وكان عبد المَلكِ بن مَرْوانَ يقول لِمؤدِّبِ ولْده: عَلِّمْهُم الْعَوْمَ، وَهَذِّبْهُمْ بقلّة النوم.

وكذا قال أبو كَبِيرٍ(٣) الْهُذَلِىُّ:

فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الجَنَانِ مُبَطَّنًا ... سُهُدًا إِذَا مَا نَامَ لَيلُ الهَوْجَلِ(٤)

---

(١) الجفرة: موضع بالبصرة كانت به وقعة بين خالد بن عبد الله بن أسيد ـ وكان من قبل عبد الملك بن مروان ـ وبين أهل البصرة، من أصحاب مصعب بن الزبير، سنة ٧٠ . وانظر الخبر مفصلا فى (معجم البلدان ٣:١١٦).

(٢) س: «أعرف فيه».

(٣) س: «أبو بكير»، تصحيف.

(٤) حوش الجنان: حديد القلب. مبطنا: ضامر البطن خميصه. والهوجل: الأحمق.

وقال آخر:

فَجَاءَتْ بِهِ حُوش الفُؤُادِ مُسهدا وأفضـل أَوْلادِ الرَّجَالِ المُسَـهّدُ

وقال رسول الله ﷺ: «عَيْنَىّ تناماِن ولاَ ينامُ قَلْبِى».

[لعروة بن الورد]

وقال عُرْوَة بن الوَرْدِ العَبْسِىُّ، وهو عُرْوَةُ الصَّعاليك(١):

لَحَا(٢) اللهُ صُعْلُوكًا إذَا جَنَّ لَيْلُهُ مُصَافِى المُشَاشِ آلـفًا كُلَّ مَجْزِرِ(٣)

ينامُ ثَقيـلاً ثم يُصْـبِحُ قَـاعِـدًا يَحُتُّ الحصَى عَنْ جَنْبِهِ المُتَـعَفِّرِ(٤)

يُعِـينُ نسَـاءَ الحَىِّ ما يَسْـتَعِنَّهُ فَيُضْحِى طَلِيحًا كـالْبَعِيرِ المُحَسَّرِ(٥)

ولَكنَّ صُعْلوكًـا صَفيحَـةُ وَجْهِه كَـضَوْءِ سِـرَاجِ الْقَـابِسِ المُتَنَوِّرِ(٦)

مطلا عَلَـى أَعْـدَائه يَزْجُـرُونَهُ بسَاحَـتِهمْ زَجْـرَ المَنِيحِ المُشَـهَّرِ(٧)

وَإِنْ بَعُـدُوا لاَ يَأْمَنُونَ اقْـتِـرابَهُ تَشَــوُّفَ أَهْـلِ الْغَـائبِ المُتَـنَظَّرِ

فَـذلِكَ إِنْ يَـلْقَ المَنِيَّـةَ يَلْقَـهَـا حَميدًا، وَإِنْ يَسْتَغْنِ يَوْمًا فَأَجْدِرِ(٨)

***

[قال أبو الحسن: كـذا أنشده، «فذلكَ» لأنه لم يَرْوِ أوّلَ الشِّـعر، والصواب كسر الكاف، لأنه يخاطب امرأة، ألا تراه قال:

أَقِلِّى عَلَىَّ اللَّـوْمَ يابْنَةَ مَـالِكٍ ونَامِى، وَإِنْ لَمْ تَشتَهِى ذَاكِ فاسْهَرِى(٩)]

***

(١) لقب عروة الصعاليك؛ لأنه كان يجمع الفقراء الذين لامـال لهم ـ وهم الصعاليك ـ فيقوم بأمرهم وينفق عليهم.

(٢) لحا الله: دعاء عليه. والمشاش: العظام الرقيقة. والمجزر: موضع الجزر.

(٣) زيادات ر بعد هذا البيت:

يَعُـدُّ الغِنَى من نفسِـه كلَّ ليلةٍ أصاب قِـراها من صديقٍ مُيَـسّرِ

(٤) يحت الحصىَ: يفركه.

(٥) طليحا: من الطلح، وهو الإعياء.

(٦) صفيحـة وجهه: بشرة جلده. والقابس الآخذ شعلة من النار على طـرف عود. والمتنور: الذى يبصرالنار من بعيد.

(٧) مطلا على أعدائه: مشرفا عليـهم. يزجرونه: يصيحون به. المنيح: من قداح الميسر، يستـعار من صاحبه للتيمن بفوزه المشتهر.

(٨) زيادات ر بعد هذا البيت:

يريحُ علىَّ الليلَ أضـيافَ مـاجدٍ كريمٍ ومـالى سارحًـا مال مُقْـترِ

(٩) ما بين العلامتين تكملة من ر.

قوله:

* يَحُتُّ الحَصَى عَنْ جَنْبِهِ المُتَعَفِّرِ *

يريد المُتَتَرِّبَ، والعَفْرُ والْعَفَرَ: اسمان للتراب، من ذلك قولهم: عَفَّرَ اللهُ خَدَّه، ويقال للظَّبْية: عَفْرَاءُ إذا كانت يَضْرِبُ بياضُها إلى حُمْرة، وكذلك الكَثِيبُ الأَعْفَر.

وقوله: «كالبعير المحسَّر» هو المُعْيِى، يقال: جَمَلٌ حَسِير، وناقة حَسِير، قال الله عزّ وجل: ﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[1].

وقوله:

* وَإِنْ بَعُدُوا لاَ يَأمَنُونَ اقْترابَهُ *

على التقديم والتأخير، أراد: لا يأمَنون اقْترابه وإن بعدوا، وهذا حسن فى الإعْراب إذا كان الفعل الأول فى المجازاة ماضيًا، كما قال زُهَيْر:

وإن[2] أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مسألةٍ يَقُولُ: لاَ غَائِبٌ مَالِي وَلا حَرِمُ

فإن كان الفعلُ الأوّل مجزومًا لم يَجُزْ رفع الثانى إلا ضرورة، فسيبويه[3] يذهب إلى أنه على التقديم والتأخير، وهو عندى على إرادة الفاء، لعلَّة تَلْزَمُهُ فى مذهبه، نذكُرها فى باب المجازاة إذا جرَى فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى، فمن ذلك قوله:

يَا أَقْرَعُ بن حَابِس يَا أَقْرَعُ إِنّكَ إِنْ يُصْرَعْ أخُوكَ تُصْرَعُ

أراد سيبويه: إنك تُصْرَعُ إن يُصْرَعْ أخوك. وهو عندى على قوله: إن يُصْرَعْ أخوك فأنت تُصْرَعُ يا فتى، ونَسْتَقْصِي هذا فى بابه إن شاء الله تعالى.

وقوله:

* كيْفَ تَرَيْنَ عِنَدهُ مرَاسِي *

---

(١) سورة الملك ٤.

(٢) الكتاب ١: ٤٣٦.

(٣) نسبه سيبويه إلى جرير بن عبد الله البجلى، ونقل المرصفى عن كتاب قرحة الأديب أن صواب نسبته إلى عمرو بن خثارم البجلى، يحض الأقرع على أن يحكم بالفضل لجرير. (وانظر رغبة الآمل).

يقول للمرأة: عَزَزْتِنى[1] على شَبَهِهِ، ويقال: أَنْجَبُ الأولاد ولدُ الفارك؛ وذلك لأنها تُبْغِض زوجَهَا، فيسبِقُها بمائه. فَيَخْرُجُ الشَّبَهُ إليه، فيخرج الولد مُذَكرًا. وكان بعض الحكماء يقول: إذا أردت أن تَطْلُبَ ولد المرأة فأغْضِبْها، ثم قَعْ عليها. فإنك تسبِقُها بالماء، وكذلك ولد الفَزِعَة، كما قال أبو كَبِيرِ الهُذَلِىُّ:

مِمَّنْ حَمَلْنَ بِهِ وهُنَّ عَوَاقِدٌ حُبُكَ النِّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مُهَبَّلِ[2]

حَمَلَتْ بِهِ فى لَيْلَةٍ مَزْءودَةٍ كَرْهًا، وعَقْدُ نِطاقِهَا لَمْ يُحْلَلِ

مزءودة: ذات زُؤْدٍ، وهو الفَزَعُ، فمن نصب «مزءودة» فإنما أراد المرأة. ومن خفض فإنه أراد الليلة، وجعل الليلة ذات فَزَع، لأنه يُفْزَعُ فيها، قال الله عز وجل: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ والنَّهَارِ﴾[3] والمعنى: بل مَكْرُكُمْ فى الليل والنهار.

وقال جرير:

لَقَدْ لُمْتِنَا يَا أمَّ غَيْلاَنَ فِى السُّرَى وَنِمْتِ، وَمَا لَيْلُ المَطِىِّ بِنَائِمِ

وقال آخر:

* فَنَامَ لَيْلِى وَتَجَلَّى هَمِّى[4] *

وهذا الرجزُ ضدُّ ما قال الآخر فى ولده، فإنه أقر بأن امرأته غَلَبَتْهُ على شَبَهِهِ، وذلك قوله:

* نِمتُ وَعِرْقُ الخَالِ لاَ يَنَامُ *

يقول: عَزَّتْنِى أُمُّهُ على الشَّبَهِ، فذهبتْ به إلى أخواله. وقال آخر:

لقد بَعَثْتُ صاحِبًا من العَجَمْ بَيْنَ ذَوِى الأَحْلاَمِ وَالْبِيضِ اللِّمَمْ[5]

* كَانَ أَبُوهُ غَائِبًا حَتّى فُطِمْ *

---

(١) عززتنى: غلبتنى.

(٢) الحبك: جمع حباك، وهو ما يشد به النطاق، والنطاق: شقة تلبسها المرأة ترسل أعلاها إلى الركبة بعد شد وسطها بالحباك، وتدع الأسفل ينجر على الأرض. والمهبل: الكثير اللحم، أو المدعو عليه بالهبل وهو الثكل.

(٣) سورة سبأ ٣٣.

(٤) هو رؤبة وقبله:

* حارثُ قد فرَّجْت عنى غَمِّى *

(٥) ذو الأحلام: واحده حلم، وهو العقل. واللمم: جمع لمة، وهى ما ألم بالمنكب من شعر الرأس.

يقول: لم يُسْقَ غَيْلاً. وقال رسول الله ﷺ: «هَمَمْتُ أَنْ أَنْهى أُمَّتى عن الْغيلَة حتى عَلمْتُ أن فارسَ والرُّومَ تفعل ذلك بأولادها، فلا تُضير أولادَها». والغيلَة: أن تُرْضعَ المرأة وهى حامل، أو تُرْضعَ وهى تُغْشَى. ويَزْعُمُ أهلُ الطِّبِّ من العرب والعجم أن ذلك اللَّبَنَ داءٌ. وقالت أُمُّ تأبّط شرًّا: والله ما حَمَلْتُهُ تُضْعًا ـ ووُضْعا أيضًا ـ ولا وَضَعْتُهُ يَتْنًا، ولا سَقَيْتُهُ غَيْلاً، ولا أَبَتُّهُ مَئِقًا. وقال الأصمعى: ولا أَبَتُّهُ على مَأَقَة.

قولها: «ما حملته تُضْعًا»، يقال إذا حملت المرأة عند مُقْتَبَل الحيض، حَمَلَتْهُ وُضْعًا وتُضْعًا، وإذا خرجتْ رجْلا المولود من قِبَل رأسه قيل: وَضَعَتْهُ يَتْنًا، قال الشاعر:

فَجَاءَتْ بِهِ يَتْنًا يَجُرُّ مَشِيمَةً(١) تُسَابِقُ رِجْلاَهُ هُنَاكَ الأَنَامِلاَ

ويقال للرجل إذا قَلَبَ الشيءَ عن جهته: جاء به يَتْنا. قال عيسى بن عمر: سألت ذا الرُّمَّة عن مسألة، فقال لى: أَتَعْرِفُ الْيَتْنَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قال: فمسألتك، هذه يَتْنٌ. قال: وكنت قد قلبت الكلام.

والغَيْلُ ما فسرناه.

وأما قولها: «ولا أَبَتُّهُ مَئِقًا»، تقول: لم أبتْهُ مَغِيظًا؛ وذلك أن الخَرْقاءَ تبيتُ ولدها جائعًا مَغْموما، لحَاجتهُ إلى الرضاع، ثم تحركه فى مَهْده حتّى يغلبه الدُّوارُ فَينَوِّمَه، والكَيِّسة تُشْبعُه وتُغَنِّيه فى مَهْده، فيَسْرِى ذلك الفَرَحُ فى بدنه من الشِّبَعِ كما سَرَى ذلك الغَمُّ والجوع فى بدن الآخر.

ومن أمثال العرب: «أنا تَئِقٌ، وصاحبى مَئِقٌ، فكيف نَتَّفِقُ»؟

التّئِقُ: المملوء غيظًا وغضبًا، والمئق: القليل الاحتمال، فلا يقع الاتفاق.

---

(١) المشيمة: ما يكون فيه الولد.

بابـ

[من كلام ابن عباس]

قال أبوالعباس: قال ابن عباس رضى الله عنهما: لا يُزَهِّدَنّكَ فِى المعروف كُفْرُ مَنْ كفره، فإنه يَشْكُرُكَ عليه مَنْ لم تَصْطَنِعْهُ إليه.

[من كلام عبد الله بن جعفر]

وأُنْشِد عبدُ الله بن جعفر قولَ الشاعر:

إنَّ الصَّنِيعَةَ لاَ تَكُون صَنِيعَةً ... حَتَّى تُصِيبَ بِهَا طَرِيقَ المصْنَعِ

فقال: هذا رجل يريد أن يُبَخِّل الناسَ، أمْطِرِ المعروف مَطَرًا، فإن صادف موضعًا فهو الذى قصَدْتَ له، وإلا كنتَ أَحَقّ به.

* * *

[قال أبو الحسن الأخفش: حدثنا المبرّد فى غير الكامل قال: قال الحسَن والحُسَيْنُ رضوان الله عليهما لعبد الله بن جَعْفَرٍ: إنك قد أَسْرَفْتَ فى بَذْل المال، قال: بأبى أنتما وأمِّى! إن الله عَوّدَنى أن يُفْضِلَ علىّ، وعَوَّدْتُهُ أن أُفضِلَ على عِباده، فأخاف أن أَقْطَعَ العادَةَ فَتُقْطَعَ عنى].

* * *

[ليزيد بن المهلب وقد مر بأعرابية عند خروجه من سجنه]

وَمَرَّ يَزِيدُ بن المُهَلّبِ بأعرابية فى خروجه من سِجْن عمر بن عبد العزيز يريد البَصْرة، فَقَرَتْهُ عَنْزًا، فَقَبِلَهَا، وقال لابنه معاوية: ما معك من النفقة، فقال: ثمانمائة دينارٍ، قال: فادْفعْها إليها. قال ابنه: إنك تريد الرجالَ، ولا يكون الرجالُ إلا بالمال، وهذه يرضيها اليسير، وهى بَعْدُ لا تَعْرِفُكَ فقال له: إن كانت ترضى باليسير، فأنا لا أرضى إلا بالكثير، وإن كانت لاتعرفنى، فأنا أعرف نفسى، ادْفَعْها إليها.

[حديث للأصمعى عن ضرار بن القعقاع]

وزعم الأصمعىّ أن حَرْبًا كانت بالبادية، ثم اتصلت بالبصرة فتفاقَمَ الأمر فيها، ثم مُشِيَ بين الناس بالصُّلْح، فاجتمعوا فى الجامع، قال: فَبُعِثْتُ وأنا غلام

إلى ضرار بن القَعْقاع من بنى دارم، فاستأذنتُ عليه، فأذنَ لى، فدخلتُ، فإذا به فى شمْلَة يَخْلطُ بزْرًا لعنْز له حَلُوب، فخَبَّرْتُه بمُجْتَمَع القوم، فأمْهَلَ حتى أكلت العنز، ثم غَسَل الصَّحْفَة وصاح: يا جَارِيةُ غَدِّينا، قال: فأتته بزيت وتمر، قال: فدعانى فَقَذَرْتُهُ[1] أن آكُلَ معه، حتى إذا قَضَى من أكله حاجة، وثَبَ إلى طين مُلْقًى فى الدار، فغسَلَ به يَدَهُ، ثم صاح: يا جارية، اسقينى ماء، فأتته بماء، فَشَرِبَهُ، ومسح فَضْلَهُ على وجهه، ثم قال: الحمد لله، ماءُ الفُرات، بتمر البصرة، بزيت الشام، متى نؤدِّى شُكْرَ هذه النِّعم! ثم قال: يا جارية، علىَّ بردائِى، فأتته برداءٍ عَدَنِىّ، فارْتَدَى به على تلك الشَّمْلَة.

قال الأصمعىُّ: فتجافَيْتُ عنه استقباحًا لزيِّه، فلما دخل المسجد صلى ركعتين، ثم مشى إلى القوم، فلم تَبْقَ حُبْوَةٌ[2] إلا حُلَّتْ إعظامًا له، ثم جلس، فَتَحمَّلَ جميعَ ما كان بين الأحياء فى ماله وانصرف.

[بين زياد بن عمرو العتكى والأحنف بن قيس التميمى]

وحدثنى أبو عثمان [بكر بن محمد][3] المازِنِىُّ عن أبى عبيدة قال: لما أتَى زياد بن عمرو الْمِرْبَدَ[4]، فى عَقِب قتل مسعود بن عمرو العَتَكِىِّ[5]، جَعَلَ فى الْمَيمنَة بَكْر بن وائل، وفى الْمَيسرَة عبد القَيْسِ - وهم لُكيْز بن أفْصَى بن دُعْمِىّ بن جَديلَةَ بن أسَد بن رَبيعة - وكان زياد بن عمرو العَتَكِىُّ فى القَلْب، فبلغ ذلك الأَحْنَفَ، فقال: هذا غلام حَدَثٌ، شأْنُهُ الشُّهْرَة. وليس يُبَالِى أين قَذَفَ بنفسه! فَنَدَبَ أصحابَهُ، فجاءه حارثَةُ بن بَدْر الغُدانىُّ، وقد اجتمعت بنو تميم، فلما طلع قال: قُوموا إلى سيِّدكم، ثم أجلسه فناظَرَهُ، فجعلوا سَعْدًا والرِّبَابَ فى القَلْبِ، ورئيسُهُمْ عَبْسُ بن طَلْقِ الطَّعَّان، المعروف بأخى كَهْمَس، وهو أحَدُ بَنِى صريم بن

---

(١) س: «فقذرت».

(٢) الحبوة: أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بعمامة ونحوها.

(٣) من س.

(٤) المربد: سوق بالبصرة كانت تباع فيها الإبل.

(٥) كان مسعود بن عمرو من بنى عتيك، وهم بطن من الأزد، استخلفه عبيد الله بن زياد على البصرة، بعد أن هرب إلى الشام مطاردا. فوقف على المنبر يبايع من أتاه، فرماه رجل من أهل فارس فقتله، وعلى إثر ذلك شاعت الفتنة بين الناس. فريق يقول: قتلته الخوارج وفريق يقول قتلته تميم، (وانظر تفصيل الخبر فى تاريخ الطبرى، حوادث سنة ٦٥).

يَرْبوع، فَجُعِلَ فى القَلْبِ بحذاء الأَزْدِ، وجُعِلَ حارثةُ بن بدرٍ فى بنى حَنْظَلَةَ بحذاء بَكْرِ بن وَائِلٍ، وجُعِلَتْ عمرو بن تميم بحذاء عَبْـدِ القَيْس، فذاك حيثُ يقول حارثةُ ابن بَدْرٍ للأحْنف:

سَيَـكْفيكَ عَـبْسٌ أَخُو كَهْـمَسٍ ... مُـقَـارَعَـةَ الأَزْدِ بِالْمِـرْبَدِ[1]

وَتَكْفيكَ عَمْـرٌو عَلَى رِسْلِها[2] ... لُكَيْـزَ بنَ أَفْـصَى وَمَـا عَـدَّدُوا

وَتَكْفيكَ[3] بَكْـرًا إِذَا أَقْـبَـلَتْ ... بِضَـرْبٍ يَشـيبُ لَهُ الامْـرَدُ

فلما تواقفـوا بَعَثَ إليهم الأحْنَفُ: يا مَعْشَرَ الأَزْدِ وربيعـة من أهل البصرة، أنتم والله أحَبُّ إلينا من تَميمِ الكوفة، وأنتم جَـيرانُنَا فى الدار، ويَدنا على العَدُوِّ، وأنتم بدأتمونا بالأمس، ووطِئْتُمْ حَـرِيمنَا، وحَرَّقْتم علينا. فدَفَـعْنا عن أنفسنا، ولا حاجة لنا فى الشر ما أصَبْنَا فى الخير مَسْلَكًا، فتَيَمَّمُوا بنا طريقةً قاصدةً[4].

فـوجَّهَ إليـه زياد بن عـمرو: تَخَـيَّرْ خَلَّـةً من ثلاث: إن شئت فـانْزِلْ أنتَ وقـومكَ على حُكْمنا، وإن شئتَ فَـخَلِّ لنا عن البـصرة وارْحَلْ أنت وقـومُكَ إلى حيث شئتم، وإلا فَدُوا[5] قَتْلانا، واهْدروا دماءَكُمْ، ولْيُودَ مسعودٌ ديَةَ المُشْعَرَة.

قال أبو العباسُ: وتأويل قوله: «دِيَةَ المُشْـعَرَة» يريد أمْرَ الملوك فى الجاهلية، وكان الرجلُ إذا قُتِلَ وهو من أهل بيت المَمْلَكة وُدِىَ عشرَ دِياتٍ.

فبَـعَثَ إليه الأحنفُ: سنختـارُ: فانصرفـوا فى يومكم، فَهَـزَّ القومُ راياتِهِمْ وانصرفوا، فلما كـان الغدُ بَعث إليهم: إنكم خيرتمونا خلالاً ليس فيـها خيارٌ، أما النزول على حُكْمكم فكـيف يكون والكَلْمُ يَقْطُرُ دمًـا؟ وأما ترك ديارنَا فـهو أخـو القَتْلِ، قال الله عزّ وجل: **﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْـتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ ما فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾**[6]، ولكنَّ الثالثةَ إنما هى حَمْلٌ على المال، فنحن نُبْطِلُ

---

(١) فى البيت إقواء.

(٢) الرسل هنا: اللين والرفق.

(٣) ر: «تكفيك».

(٤) قاصدة: مستقيمة.

(٥) دوا قتلانا، من الدية.

(٦) النساء: ٦٦.

دماءنا، ونَدى قَتْلاكم، وإنما[1] مسعودٌ رجل من المسلمين، وقد أذْهَبَ ٱللَّهُ أمر الجاهلية.

فاجتمع القوم على أن يَقفُوا أمر مسعود، ويُغمَدَ السيفُ، ويُودَى سائرُ القَتْلَى من الأَزْد وربيعةَ، فضَمن ذلك الأحنف، ودَفَعَ إياسَ بن قتادة المُجاشِعيّ رهينةً حتى يُؤدَّى هذا المالُ، فَرَضِيَ به القومُ، فَفَخَرَ بذلك الفرزْدَقُ فقال:[2]

وَمنَّا الَّذى أَعْطَى يَدَيْه رَهِينَةً ... لِغارَىْ مَعَدٍّ، يوم ضَرْبِ الجَمَاجِمِ[3]

عَشِيَّةَ سَالَ المِرْبَدَان كلاَهُمَا ... عَجَاجَةَ مَوْتٍ بِالسُّيُوفِ الصَّوَارِمِ

هُنَالكَ لَوْ تَبْغِي كُلَيْبًا وَجَدْتَهَا ... أَذَلَّ مِنَ الْقِرْدَانِ تَحْتَ المَنَاسِمِ[4]

[قال أبو الحسن وكان أبو العباس ربما رواه: لغار[5] مَعَد]

ويقال: إن تَميمًا فى ذلك الوقت مع باديتها وحُلَفَائها من الأَساوِرَة[6] والزُّطِّ[7]، والسَّيَابِجَة[8] وغيرهم كانوا زُهاءَ سبعين ألفًا، ففى ذلك يقول جَرير:

سَائِلْ ذَوِى يَمَنٍ وَرَهْطَ مُحَرِّقٍ ... وَالأَزْدَ إذْ نَدَبُوا لَنَا مَسْعُودا[9]

فَأَتَاهُمُ سَبْعُونَ أَلْفَ مُدَجَّجٍ ... مُتَسَرْبِلينَ يَلاَمِعا[10] وَحَدِيدًا

قال الأحنفُ بن قَيْس: فكثرَتْ عليّ الدِّياتُ، فلم أَجِدْهَا فى حاضرة تميم، فخرجتُ نَحو يَبْرِينَ[11]، فسألتُ عن المقصود هناك، فأُرْشِدْتُ إلى قُبَّةٍ، فإذا شيخٌ

---

(١) س: «وأما مسعود».

(٢) من قصيدة يهجو فيها جريرا ويعرض بالبعيث، مطلعها:

وِدّ جرير اللؤم لو كان عانيًا ... ولمْ يَدْنُ من زأر الأسود الضَّراغِمِ

(٣) الغاران: مثنى غار، وهو الجيش، ومنه قول على يوم الجمل: «ماظنك بامرئ جمع بين هذين الغارين»!.

(٤) يريد كليب بن يربوع، رهط الفرزدق. والقردان: جمع قراد، وهو دويبة تعض الإبل.

(٥) ر: «لغازى معد».

(٦) الأساورة: قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديما، كالأحامرة. (اللسان).

(٧) الزط: جبل أسود من السند، وقيل هم من الهند. (اللسان).

(٨) السبابجة: قوم ذوو جلد من السند والهند، يكونون مع رئيس السفينة البحرية يبذرقونها، واحدهم سبيجى، ودخلت الهاء فى جمعه والنسب، كما قالوا: البرابرة. (اللسان).

(٩) المحرق: هو عمرو بن هند ملك الحيرة، وكان حرق يوم أوارة تسعة وتسعين رجلا من دارم، قبيلة الفرزدق.

(١٠) اليلامع: جمع يلمع، وهو الدرع هنا. وفى ر: «يلامقا»، جمع يلمق، وهو القباء.

(١١) يبرين: قرية كثيرة النخل فى بلاد البحرين.

جالس بفنائها، مُؤْتَزِرٌ بشَمْلَة، مُحْتَبٍ بحبل، فسَلَّمْتُ عليه، وانتسبت له فقال: ما فَعَلَ رسولُ الله ﷺ؟ فقلتُ: تُوُفِّيَ صلوات الله عليه! قال: فما فعلَ عُمَرُ بن الخطاب الذى كان يَحْفَظُ العرب ويَحُوطُها؟ قلت له: مات رحمه الله تعالى! قال: فأيُّ خَيْرٍ فى حاضرتكم بعدهما! قال: فذكرتُ له الدِّيات التى لزِمَتْنا للأزْد وربيعة. قال: فقال لى: أقِمْ، فإذا راعٍ قد أراحَ ألْفَ بعير، فقال: خُذْها، ثم أراح عليه آخر مثلهَا، فقال: خذْها، فقلت لا أحتاج إليهَا، قال: فانصرفت بالألف عنه، ووالله ما أدرى من هو إلى الساعة!

قوله «المَناسِم» واحداها مَنْسِمٌ، وهو ظُفْرُ البعير فى مُقَدَّمِ الخف، وهو من البعير كالسُّنْبُكِ من الفَرَس.

وقوله:

* عشيّةَ سالَ الْمربَدانِ كلاهما *

يريد المِرْبَدَ وما يليه مما جرى مَجْراه، والعرب تفعل هذا فى الشيئين إذا جَرَيَا فى بابٍ واحد، قال الفرزدق:

أَخَـذْنَا بِآفـاق السَّمَـاء عَلَيْكُمُ ... لَنَا قَـمَـرَاها وَالنُّجُـومُ الطَّوالِعُ

يريد الشمس والقمر: لأنَّهـما قد اجتمعا فى قولك، «النَّيِّران»، وغُلِّبَ الاسم المُذكَّرُ، وإنما يُؤْثر فى مثل هذا الخفَّة، وقالوا: «العُمَرَان» لأبى بَكْرٍ و عُمَرَ فإن قال القائل: إنما هو عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز، فلم يُصِبْ، لأن أهل الجمَل نادَوْا بَعلىٍّ بن أبى طالب رحمة الله عليه: أعْطنا سُنَّةَ العُمَرَيْن. فإن قال قائل: فَلِمَ لَمْ يقولوا: أَبَوَىْ بكرٍ، وأبو بكر أفضلهما؟ فلأنّ عمر اسم مفرد، وإنما طلبوا الخفة، وأنشدنى التَّوَّزىُّ عن أبى عُبَيْدَةَ لجرير:

وَمَا لِتَغْلِبَ إنْ عَدُّوا مَسَاعِيَهُمْ ... نَجْمٌ يضىءُ وَلا شَمْسٌ وَلاَ قَمَرُ

ما كانَ يَرْضَى رَسُولُ اللهِ فِعْلَهُمُ ... وَالْعُمَرَانِ أَبُو بَكْرٍ وَلاَ عُمَرُ

هكذا أنْشَدَنيه[1]:

وقال آخر[2]:

* قَدْنِىَ مِنْ نَصرِ الْخُبَيْبَيْنِ قَدِى *

---

(١) زيادات ر: «إنما قال هكذا أنشدنيه غير التوزى يرويه:

* والطّيبان أبو بكرٍ ولا عمرُ *

(٢) زيادات ر: «هو حميد بن الأرقط»، والبيت فى اللسان (قدد)، وإصلاح المنطق ٣٧٧، ٤٤٤ وبعده:

* ليْسَ الإمَامُ بالشَّحيحِ المُلْحِدِ *

يريد عبد الله ومُصْعبًا ابنى الزُّبَيْر وإنما أبو خُبَيْب عبد الله، وقرأ بعضُ القُرَّاء: ﴿سَلامٌ على إلْياسين﴾[1] فَجمَعَهُمْ على لفظ إلْيَاسَ، ومن ذا قولُ العرب: المَسامِعَةُ، والمَهَالِبَة، والمَناذِرةُ، فَجمَعَهُمْ على اسم الأب.

والمُشْعَرَة: اسم لقَتْلى الملوك خاصَّةً، كانوا يُكْبِرُونَ أن يقولوا: قُتلَ فلان، فيقولون: أُشْعِرَ فلانٌ، من إشعار البُدْن[2].

ويروى أن رجلا قال: حضرتُ المَوْقف مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فصاح به صائح: يا خليفة رسول الله ﷺ. ثم قال: يا أمير المؤمنين. فقال رجلٌ من خَلْفى: دعاه باسم رجل مَيِّت[3]، مات والله أمير المؤمنين. فالْتَفَتُّ فإذا رجل من بنى لِهْبٍ، وهم من بنى نَصْرِ بن الأَزْدِ، وهم أزْجَرُ[4] قوم، قال كُثَيِّرٌ:

سَأَلتُ أَخَا لِهْبٍ لِيزْجُرَ زَجْرَهُ ... وَقَدْ صَارَ زَجْرُ الْعَالمينَ إلَى لِهْبِ

قال: فلما وقفنا لرمى الجمار إذا حَصَاةٌ قد صكَّتْ صَلْعَةَ عمر فَأَدْمَتْهُ، فقال قائل: أُشْعِرَ والله أمير المؤمنين، والله لا يَقِفُ هذا المَوْقفَ أبدًا. فالْتَفَتُّ فإذا بذلك اللِّهْبِيِّ بعينه، فَقُتلَ عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه قبل الحَوْل.

---

(١) سورة الصافات ١٣٠.

(٢) البدن، بالضم: جمع بدنة، وهى الناقة والبقرة وهذا البعير مما ينحر بمكة للهدى وإشعارها: أن يشق جلدها أو سنامها بمبضع ونحوه حتى يظهر الدم، ليعلم أنه هدى.

(٣) يريد أبا بكر.

(٤) الزجر للطير هو التيمن والتشاؤم بها، والتفاؤل بطيرانها وهو ضرب من الكهانة.

بابـ

[لذى الرمة فى الزجر]

قال أبوالعبـاس: أنشدنى رجل من أصحـابنا من بنى سَعْدٍ، قـال: أنشدنى أعرابىّ فى قصيدة ذى الرُّمَّة:

أَلاَ يَا اسْلَمِى يَا دَارَ مَىَّ عَلَى الْبلَى ... ولاَ زَالَ مُنْهَلاًّ بِجَرْعَائِكَ الْقَطْرُ

بيتين لم تأتَ بهما الرُّواةُ، وهما:

رَأَيْتُ غُرَابًا سَاقِطًا فَـوْقَ قَضْبَةٍ(1) ... مِنَ الْقَضْبِ لَمْ يَنْبُتْ لَهَا وَرَقٌ نَضْرُ

فقُلْتُ: غُرَابٌ لاِغْتِرَابٍ، وَقَضْبَةٌ ... لِقَضْبِ النَّوَى، هَذِى الْعِيَافَةُ وَالزجْرُ

[لجحدر العكلى]

وقال آخر ـ [قال أبو الحسن: هو جَحْدَرٌ العُكْلِىُّ، وكان لصًّا] ـ :

وَقِـدْمًـا هَاجَنِى فَازْدَدْتُ شَـوْقًـا ... بُكَاءُ حَـمَـامَـتَـيْـنِ تجَـاوبَانِ

[«وقَدْما» عن أبى الحسن]

تَجَـاوبَتَـا بِلَحْنٍ أَعَـجَـمِىٍّ ... عَلَى عُـودَيْنِ مِنْ غَـرَبٍ وبَانِ(2)

فكان الْبَـانُ أَنْ بانَتْ سُلَيْـمَى ... وَفِى الْغَـرَبِ اغْـتِـرابٌ غَـيْـرُ دَانِ

[مما قيل فى المال]

وأنشدنى أبومُحَلِّمٍ لرجل من ولد طَلِبَةَ بن قَيْس بن عاصِم:

وَكُنْتُ إِذَا خَاصمتُ خَصْمًـا كبَبْتُهُ ... عَلَى الْوَجْه، حتّى خَاصَمَتْنِى الدَّرَاهِمُ

فَلمّـا تَنَازَعْـنَا الخُـصُـومّـةَ غُلِّبَتْ ... عَلَىَّ، وقـالُوا: قُم فَـإِنَّـكَ ظَالِمُ

وقرأت على أبى الفَضْل العباس بن الفَرَجِ الرِّياشِىِّ، عن أبى زيد الأنصارىّ:

وَلَقَـدْ بَغَيْتُ المَـالَ مِنْ مَـبْغَـاته ... والمَـالُ وَجْـهٌ للْـفَـتَى مَـعْـرُوضُ

طَلَبَ الْغِنَى عَنْ صَاحِبِى ليحبّنى ... إِنَ الْفَـقِـيـرَ إِلَى الْغَنِىِّ بَغِـيضُ

---

(1) القضبة: واحدة القضب، هو شجر له ورق كورق الكمثرى، إلا أنه أرق وأنعم.

(2) الغرب والبان: ضربان من الشجر.

وقال آخر ـ أَنْشَدَنيهِ التَّوَّزِىُّ عن أبى زيد ـ:

وَصَاحِبٍ نَبَّهْتُهُ لِيَنْهَضَا ... إِذَا الْكَرَى فى عَيْنِه تَمَضْمَضَا

فَقَامَ عَجْلانَ ومَا تَأَرَّضَا ... يَمْسَحُ بِالكَفَّيْنِ وَجْهًا أَبْيَضَا

قوله: «وما تأرّضا»: أى لم يلزم الأرض.

[لشبيب بن البرصاء يفخر بكرمه]

وأنشدنى التَّوَّزِىُّ عن أبى زيد الأنصارىّ ـ [قال أبوالحسن هو شَبِيبُ بن البَرْصاء] ـ :

لَقَدْ عَلِمَتْ أمُّ الصَّبِيَّيْنِ أَنَّنِى ... إِلَى الضَّيْفِ قَوَّامُ السِّنَاتِ خَرُوجُ

إِذَا المُرْغِثُ الْعَوْجَاءُ بَاتَ يَعُزُّهَا ... عَلَى ضَرْعِهَا ذُو تُومَتَيْنِ لَهُوجُ

وَإِنِّى لأُغْلِى اللَّحَمَ نِيًّا وإِنَّنِى ... لَمِمَّنْ يُهِينُ اللَّحْمَ وَهُوَ نَضِيجُ

قوله: «قَوّامُ السِّنَات» يريد سريع الانتباه، والسِّنَة: شدة النُّعَاس، وليس النوم بعينه، قال الله عز وجل. ﴿لا تأْخُذُهُ سِنَةٌ ولاَ نومٌ﴾[1]، وقال ابن الرِّقاع العامِلىُّ:

لَوْلاَ الْحَيَاءُ وَأَنَّ رَأْسِى قَدْ عَسَا ... فِيهِ المَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ القَاسِمِ

وَكَأَنَّهَا بَيْنَ النِّسَاء أعَارَهَا ... عَيْنَيْهِ أَحْوَرُ منْ جَآذِرِ جاسِمِ[2]

وَسْنَانُ أَقْصَدَهُ النُّعَاسُ فَرَنَّقَتْ ... فِى عَيْنِهِ سِنَةٌ، وَلَيْسَ بِنَائِمِ[3]

معنى «رنقت» تهيأت، يقال رَنَّقَ النَّسْرُ، إذا مَدَّ جناحيه ليطير، قال ذو الرُّمَّة[4]:

* على حَدِّ قَوْسَيْنَا كما رَنَّقَ النَّسْرُ *

---

(١) سورة البقرة ٢٥٥.

(٢) جاسم: قرية بالشام، وفى ر: «عاسم»، وهو رمل لبنى سعد.

(٣) أقصده: أصابه.

(٤) قبله فى زيادات ر:

* إذا ضربته الريحُ رنّق فوقنا *

وانظر ديوانه ٢١٨.

وقوله: «المُرغِثُ»: يعنى الّتى تُرْضِعُ وتُرْغِثُ[1] ولدها، ويقال لها رَغُوثٌ، قال طَرَفة:

لَيْتَ لَنَا مَكانَ المَلْكِ عَمْرٍو رَغُوثًا حَوْلَ قُبَّتِنَا تَخُورُ

وقوله: «يَعُزُّها»، أى يَغْلبها، وقال الله عز وجل: ﴿وَعَزَّنى فى الخِطَاب﴾[2]: يقول: غَلَبنى فى المُخَاطَبَة، وأصله من قوله: كان أعَزَّ منّى فيها. ومن أمثال العرب: «مَنْ عَزَّ بَزَّ»، و تأويله: من غَلَبَ اسْتَلَب. وقال زُهَيْرٌ: «وَعَزَّتْهُ يَدَاهُ وكاهِلُهُ»[3] يقول: كان ذلك أعَزَّ ما فيه، ويقال: لَهِجَ الفَصِيلُ فهو لَهُوجٌ إذَا لَزِمَ الضَّرْع، ويقال: رجل مُلْهِجٌ، إذا لَهِجَتْ فِصَالُهُ، فيتّخذ خلالا، فَيَشُدُّه على الضَّرْعِ، أو على أنف الفَصِيل، فإذَا جاء لِيَرْضَعَ أوْجَعَهَا بالخلال فَضَرَحَتْهُ[4] عنها برجلها، قال الشَّمَّاخُ يصف الحمار:

رَعَى بَارِضَ الْوَسْمِىِّ حَتَّى كَأَنَّما يَرَى بِسَفَا البُهْمَى أَخِلَّةَ مُلْهِجِ

البارضُ: أَوّلُ ما يَبْدُو من النبت، والبُهْمَى يشبه السُّنْبُلَ، يقول: فهو لما اْعتاد هذا المَرْعَى اللَّدْنَ اسْتَخْشَنَ البُهْمَى. وسَفَاها: شوكها. فيقول: كأنّه مخلول عن البُهمى، أى يراها كالأخِلَّة.

وقوله «ذو تُومتين» فالتُّومَةُ فى الأصل الحَبَّةُ[5]، ولكنها فى هذا الموضع التى تُعَلَّقُ فى الأُذن. وكالبيت الأخير قوله:

وَإِنِّى لأُغْلِى لَحْمَهَا وَهْىَ حَيَّةٌ وَيَرْخُصُ عِنْدى لَحْمُهَا حِينَ تُذْبَحُ
بذَا فانْدُبِينِى وَامْدَحِينِى فَإِنَّنِى فَتًى تَعْتَرِيهِ هِزَّةٌ حِينَ يَمْدَحُ

---

(١) ر: «يعنى التى ترضع ترغث»، س: «التى ترضع الرغث».
(٢) سورة ص ٢٣.
(٣) البيت بتمامه:
تميم فلوناه فأكملَ صُنْعَه فتمّ، وعزّته يداه وكاهلُه
وانظر ديوانه ١٣٠.
(٤) ضرحته: دفعته.
(٥) زيادات ر: «وقوله «الحبة» إنما معناه من حبات النظم».

بابـ

[لعمر بن عبد العزيز حينما سئل: أي الجهاد أفضل ؟]

قيل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: أىُّ الجهادِ أفضلُ؟ فقال: جِهَادُكَ هَوَاكَ.

[لرجل من الحكماء في مجاهدة النفس]

وقال رجل من الحكماء: اعْصِ النساءَ وهواكَ واصْنَعْ ما شئتَ.

[لمحمد بن على بن الحسين في الزهد]

وقال محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم: مالَكَ من عَيْشك إلا لَذَّةٌ تَزْدلفُ بك إلى حمامك، وتُقَرِّبُك من يومك، فَأَيَّة أَكْلَة ليس معها غَصَصٌ! أَوْ شَرْبَة لَيْسَ مَعَهَا شَرَقٌ! فتأمَّلْ أَمْرَكَ، فكَأَنَّك قد صِرْتَ الحبيبَ المفقود، والخَيَالَ المُخْتَرَمَ. أهلُ الدنيا أهلُ سَفَرٍ لا يَحُلُّونَ عَقْدَ رحالهم إلا فى غيرها.

قوله: «تَزْدَلفُ بك إلى حمامك»، يقول: تُقَرِّبك، ولذلك سميت المُزْدَلِفةَ. وقوله عزّ وجل: ﴿وَزُلَفًا مِنَ اللَّيلِ﴾(١) إنما هى ساعات يَقْرُبُ بعضُهَا من بعض، قال العَجَّاجُ:

نَاجٍ طَوَاهُ الأَيْنُ مِما وَجَفَا ... طَىَّ اللَّيَالِى زُلَفًا فَزُلَفَا

* سَمَاوَةَ الْهِلالِ حَتى احْقَوْقَفَا *

نَاجٍ: سريع، والأَيْنُ: الإِعْيَاء. والوَجِيفُ: ضَرْبٌ من السَّيْرِ. ونَصَبَ «طَيه الليالى» لأنه مصدر من قوله: «طواه الأَيْنُ»، وليس بهذا الفعل، ولكنَّ تقديره: طواه الأَيْنُ طَيًّا مثل طَىِّ الليالى، كما تقول: زيد يشرب شُرْبَ الإِبْل، إنما التقدير يشرب شربًا مثل شرب الإبل، «فَمِثْلَ» نعت، ولكن إذا حذفتَ المضاف استغنَى بأن الظاهر يُبَيِّنُه، وقام ما أضيف إليه مَقامه فى الإِعْراب، ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾(٢)، نُصِب لأنه كان: «واسأل أهلَ القريةِ». وتقول:

---

(١) سورة هود ١١٤.

(٢) سورة يوسف ٨٢.

بنو فلانٍ يَطَؤُهُمْ الطريق، تريد أهلَ الطريق فحذفتَ «أهل» فرفعتَ «الطريقَ» لأنه في موضع مرفوع، فعلى هذا فَقِسْ إن شاء الله.

وقوله «سماوة الهلال» إنما هو أعلاه، ونَصَبَ «سماوة» بـ «طيّ»، يريد طواه الأيْنُ كما طَوَت الليالي سَماوةَ الهلال. والشاهد على أنه يريد أعلاه قولُ طُفَيْل:

سَماوَتُه أَسْمَالُ بُردٍ مُحَبَّرٍ وَسَائِرُهُ مِنْ أَتْحَمِيٍّ مُشْرَعَبِ[١]

ويروى: «مُعَصَّب»، وإنما سماوته من قولك: سَماءٌ، فاعلم. فإذا وقع الإعراب على الهاء أظهرتَ ما تَبْنيه على التأنيث على أصله، فإن كان من الياء أظهرتَ الياء، وإن كان من الواو أظهرت فيه الواو، تقول: شَقاوةٌ لأنها من الشّقوة، وتقول: هذه امرأة سَقَّايَةٌ: إذا أردتَ البناء على غير تذكير، فإن بنيته على التذكير قَلَبْتَ الياء والواو همزتين؛ لأن الإعراب عليهما يَقَعُ، فقلت: سَقَّاءٌ وغَزَّاءٌ يافتى، فإن أنَّثْتَ قلت: سَقَّاءَةٌ وَغَزَّاءَةٌ، والأجْوَدُ فيما كان له تذكير الهمزُ، وفيما لم يكن له تذكير الإظهار، وإنما السماء من الواو، لأن الأصل سَمَا يَسْمُو إذا ارتفع، وسماء كلِّ شَيْءٍ سَقْفُه.

وقوله: «حتى احْقَوْقَقا» يريد اعْوَجَّ، وإنما هو افْعَوْعَل من الحِقْف. والحِقْفُ: النَّقَا من الرَّمل يَعْوَجُّ ويَدِقُّ، قال الله عزّ وجل: ﴿إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بالأَحْقافِ﴾[٢] أي بموضع هو هكذا.

[لعلي بن أبي طالب في وصف الدنيا]

وقال رجل لعليّ بن أبي طالب رحمة الله عليه[٣] وهو في خطبته[٤]: يا أمير المؤمنين، صِفْ لنا الدنيا، فقال: ما أَصِفُ من دار أوّلها عَنَاءٌ. وآخرها فَناءٌ، في حَلالها حِسابٌ، وفي حَرامها عقابٌ، مَنْ صَحَّ فيها أَمِن، ومَنْ مَرِضَ فيها نَدِمَ، ومن اسْتَغْنَى فيها فُتِنَ، ومن افْتَقَرَ فيها حَزِن.

(١) الأسمال: الأخلاق من الثياب. والمحبر: الموشى. والأتحمى: ضرب من البرود فيه خطوط. والمشرعب، يريد أنه منسوب إلى الشرعبية، وهي ضرب من البرود.
(٢) سورة الأحقاف ٢١. والأحقاف: رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن، وهي مساكن عاد.
(٣) س: «رضي الله عنه».
(٤) ر ، س: «وهو في خطبته».

قال الرَّبيعُ بن زياد الحارثيُّ: كنتُ عاملاً لأبى موسى الأشْعَرىِّ على البَحْرَيْنِ، فكَتَبَ إليه عمرُ بن الخطاب رحمه الله(١) يأمره بالقدوم عليه هو وعُمَّالَه، وأن يَسْتَخْلِفُوا جميعًا. قال: فلما قَدِمْنا أتيت يَرْفَأَ(٢) فقلتُ: يا يَرْفَأُ، مُسْتَرْشِدٌ وابن سبيل، أىُّ الهيآت أحبُّ إلى أمير المؤمنين أن يَرَى فيها عُمَّالَهُ؟ فأومأ إلىّ بالخُشونة، فاتَّخَذْتُ خُفَّيْنِ مُطارَقَيْنِ، ولَبِسْتُ جُبَّةَ صوف، ولثْتُ عمامتى على رأسى.

ودخلنا(٣) على عمر رحمه الله فَصَفَّنا بين يديه، فَصَعَّدَ فينا وصَوَّبَ، فلم تَأخُذْ عينُهُ أحدًا غيرى، فدعانى فقال: مَنْ أنت؟ قلت الربيع بن زياد الحارثيّ. فقال: وما تتولىّ من أعمالنا؟ قلتُ: البَحْرَيْن، قال: كَمْ تَرْتَزِقُ؟ قلتُ: ألْفًا، قال: كَثيرٌ، فما تَصْنَعُ به؟ قُلتُ: أتَقَوَّتُ منه شيئًا، وأعود به على أقاربَ لى. فما فَضَلَ عنهم فعلى فُقَرَاء المسلمين، قال: فلا بأسَ، ارجع إلى موضعك، فرجعتُ إلى موضعى من الصفِّ، فَصَعَّدَ فينا وَصَوَّبَ، فلم تقع عينه إلا علىَّ، فدعانى، فقال: كَمْ سِنُّكَ؟ قلتُ: خمس وأربعون سنةً، قال: الآن حين اسْتَحْكَمْتَ! ثم دعا بالطعام - وأصحابى حَديثٌ عهدهم بِلَيِّنِ العيش، وقد تَجَوَّعْتُ له - فأتىَ بخبز وأكسَارِ بعير، فجعل أصحابى يَعافون ذلك، وجعلت آكُلُ فأُجِيدُ، فجعلت(٤) أنْظُرُ إليه يَلْحَظُنى من بينهم، ثم سَبقتْ منى كلمةٌ تَمَنَّيْتُ أنى سُخْتُ فى الأرض، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الناس يحتاجون إلى صلاحك فلو عَمَدْتَ إلى أَلْيَنَ من هذا! فزجَرَنى، ثم قال: كيف قلتَ؟ فقلتُ: أقول: يا أمير المؤمنين أن تنظر إلى قُوتك من الطَّحينِ، فيُخْبَزَ لك قبل إرادتك إياه بيوم، ويُطبَخَ لك اللحمُ كذلك، فتُؤتى بالخبز لَيِّنًا، واللحم غريضًا. فسكَّنَ من غَرْبِه وقال: أهاهنا غُرْتَ؟ قلتُ: نعم، فقال: يا رَبيعُ إنا لو نشاء ملأنا هذه الرِّحابَ من صَلائِقَ، وسَبائِكَ،

---

(١) س: «رضى الله عنه».

(٢) يرفأ: مولى عمر بن الخطاب، يقال إنه أدرك الجاهلية. وحج مع عمر فى خلافة أبى بكر، وكان حاجبا على بابه. (تاج العروس).

(٣) ر، س: «فدخلنا».

(٤) س: «ثم جعلت».

وصناب، ولكنى رأيتُ الله عـز وجل نَعَى على قوم شَـهَوَاتِهِمْ، فـقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فى حَيَاتِكُمُ الدُّنْيا﴾[١]، ثم أمَـرَ أبا مـوسى بإقـرارى، وأن يَسْـتَبْـدِل بأصحابى.

قوله: «فَلَثْتُها على رأسى» يقول: أدرت بعضَها على بعضٍ على غير استواء يقال: رجل أَلْوَثُ إذا كان شديدًا، وذلك من اللَّوْث، ورجل أَلْوَثُ إذا كان أَهْوَجُ، وهو مأخوذ من اللَّوثة. وحدثنى عبد الصَّـمَد بن المُعَذَّل قال: سئل الأصْمَعىُّ عن المجنون، المسمى قَيْسَ بن مُعاذ، فَثَبَّتَهُ وقال: لم يكن مجنونًا، ولكن كانت به[٢] لُوثةٌ كلُوثةِ أبى حَيَّةَ الشاعر. وقيل للأشْعث بن قيس بن مَعْدِّى كَرِبَ الكِنْدىِّ: بِمَ كنتم تعـرفون السُّـؤدُدَ فى الصـبىّ منكم؟ قال: إذا كـان مَلُوثَ الإزْرة[٣]، طويلَ الغُرْلة[٤]، سائلَ الغُرَّة[٥]: كأنَّ به لُوثَةً، فَلَسْنا نَشُكُّ فى سُؤْدُده.

وقوله: «تُؤْتَى باللحم غـريضًا» يقول: طَرِيًّا، ويقال: لحم غَـرِيض، وشِواءٌ غَرِيض، يُرَاد به الطَّرَاءُ، قال الغَسّانىُّ[٦]:

إذَا مَـا فَـاتَنِى لَحْمٌ غَـرِيض ضَرَبْتُ ذِراعَ بَـكْرِى فاشْتَـوَيْت

وقوله: «صلائق» فـمعناه ما عُمِلَ بالنار طبخًا وشَـيًّا، يقال: صَلَقْتُ الجَنْبَ إذا شَوَيْتَهُ، وصَلَقْتُ اللحم إذا طبختَه على وجهه.

وقـوله: «سَبائك» يريـد ما يُسْـبَكُ من الدقـيق فَـيؤخَذُ خـالصـه، يريد الحوَّارَى[٧]، وكانت العرب تُسَمِّى الرُّقاقَ السَّبائك، وأصله ما ذكرنا.

والصِّناب: صِباغٌ يُتَّخَـذُ من الخَرْدَلِ والزبيب، ومن ذلك قيل للفرس صِنابىٌّ إذا كان فى ذلك اللونِ، وكان جَرير اشْـترى جارية من رجل يقال له زيد من أهل

---

(١) سورة الأحقاف ٢٠.

(٢) ر، س: «فيه».

(٣) كذا ضبطت فى الأصل بالضم، والإزرة: هيئة الائتزار.

(٤) الغرلة: القلفة.

(٥) الغرة فى الأصل: البياض فى جبهة الفرس. وسيلانها: استطالتها، وهو هنا استعارة لإشراق الوجه.

(٦) زيادات ر: «هو السموءل».

(٧) الحوارى: لباب البر.

اليمامة، ففرِكَتْ[1] جريرا، وجعلت تِحُنّ إلى زيد، فقال جرير:

تُكَلِّفُنى مَعِيشَةَ آلِ زَيْدٍ ... وَمَنْ لى بِالْمُرَقَّقِ وَالصِّنَابِ!
وَقَالَتْ: لاتَضُمُّ كَضَمِّ زَيْدٍ، ... وَمَا ضَمِّى وَلَيْسَ مَعِى شَبَابِى!

فقال الفَرَزْدَقُ يُجيبه:

فَإِن تَفْرَكْكَ عِلْجَةُ آلِ زَيْدٍ ... وَيُعْوِزْكَ الْمُرَقَّقُ وَالصِّنَابُ[2]
فَقِدْمًا كَانَ عَيْشُ أبيكَ مُرًّا ... يَعِيشُ بِمَا تَعِيشُ بِهِ الْكِلاَبُ

وأما قوله: «أكسار بعير»، فإن الكِسْرَ[3] والْجِدْلَ والْوِصْلَ: العَظْمُ يَنْفَصِلُ بما عليه من اللحم.

وأما قوله: «نَعَى على قوم» فمعناه أنه عابهم بها ووبَّخَهُمْ، قال أبو عبيدة: اجتمع العكاظِيُّون[4] على أن فُرْسانَ العرب ثلاثةٌ، ففارسُ تَميمٍ عُتَيْبَة بن الحارث ابن شِهاب أحدُ بنى ثَعْلَبَةَ بن يَرْبوع بن حَنْظَلَةَ، صَيَّادُ الفوارس وسَمُّ الفُرْسان. وفارسُ قيسٍ عامرُ بن الطُّفَيْلِ بن مالك بن جَعْفر بن كِلاب، وفارسُ ربيعةَ بِسْطامُ ابن قيسٍ بن مسعود بن قيس بن خالد، أحدُ بنى شَيْبَانَ بن ثَعْلَبَةَ بن عُكَابَة بن صَعْب بن علىّ بن بَكْر بن وائِل، قال: ثم اختلفوا فيهم حتى نَعَوْا عليهم سَقَطاتِهِمْ.

وأما قوله: «أَهِهنا غُرْتَ»، يقول: ذَهَبْتَ، يقال غارَ الرجلُ إذا أتَى الغَوْرَ وناحيتَهُ مما انخفض من الأرض، وأَنْجَدَ إذا أَتَى نَجْدًا وناحيتَهُ مما ارتفع فى الأرض، ولا يقال «أغار» إنما يقال: غارَ وأَنْجَدَ، وبيتُ الأعشى يُنْشَدُ على هذا:

نَبِىٌّ يَرَى مَالا ترونَ وَذِكْرُهُ ... لَعَمْرِىَ غَارَ فِى الْبِلاَدِ وَأَنْجَدَا

(١) فركته: أبغضته.
(٢) العلجة: مؤنث العلج، وهو الغليظ من كفار العجم.
(٣) الكسر والجدل، ضبطتا فى الأصل بفتح أوله وكسره.
(٤) العكاظى: منسوب إلى عكاظ، وهم الذين عادتهم الذهاب كل عام إلى عكاظ، وهو سوق كانت تقيمه العرب بين نخلة والطائف فى شوال من كل عام، يجتمع فيه شعراء العرب يتناشدون الشعر.

وقوله: «فَسكَّن من غَرْبه»، يقول: من حَدِّه، وكذلك يقال فى كل شىء. فى السَّيْف والسَّهْم والرجل وغير ذلك.

وقوله: «خفين مطارَقَيْن» تأويله: مُطْبَقَيْن، يقال: طارَقْتُ نَعْلى إذا أَطْبَقْتَها، ومن قال: «طَرَقْتُ» أو «أَطْرَقْتُ» فقد أخطأ، ويقال لكل ما ضُوعِف: فقد طُورِق، قال ذو الرُّمَّة[1]:

طِرَاقُ الْخَوَافِى وَاقِعٌ فَوْقَ رِيعَةٍ ... نَدَى لَيْلِهِ فى رِيشِهِ يتَرَقْرَقُ[2]

قوله: «رِيعة» موضعُ ارتفاعٍ: قال الله عزّ وجل: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾[3]، وهوجمع ريعة، وقال الشَّمَّاخُ:

تَعِنُّ لَهُ بِمِذْنَبِ كُلِّ وَادٍ ... إِذَا مَا الْغَيْثُ أَخْضَلَ كُلَّ رِيعِ[4]

[خطبة لعمر بن عبد العزيز]

قال أبو العباس: وحدثنى العباس بن الفَرَجِ الرِّياشِىُّ عن الأصْمَعِىِّ قال: قال عَدِىُّ بن الفُضَيْلِ: خرجت إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أستحفره بئرًا بالعَذْبَة، فقال لى: وأين العَذْبة؟ قلت: على ليلتين من البصرة، فتأسَّف ألا يكونَ بمثل هذا الْموضع ماءٌ. فأَحْفَرَنى، واشترط علىَّ أن أوّلَ شاربٍ ابنُ السَّبيلِ، قال فَحَضَرْتُهُ فى جُمْعَة وهو يَخْطُبُ، فسمعتُه وهو يقول:

يأيها الناس، إنكم ميِّتون، ثم إنكم مَبْعوثون، ثم إنكم مُحَاسَبون، فَلَعَمْرِى لئن كنتم صادقين لقد قَصَّرْتُمْ، ولئن كنتم كاذبين لقد هَلَكْتُمْ. أيها الناس إنه من يُقَدَّرْ له رِزْقٌ برأس جبل أو بِحضِيض أرض يَأْتِه، فاتقوا الله وأَجْمِلُوا فى الطّلب.

قال: فأَقَمْتُ عنده شهرًا ما بى إلا استماع كلامه.

قوله: «حضيض[5]» يعنى الْمُسْتَقَرُّ من الأرض إذا انْحدرَ عن الجبل، ولا يقال حضيضٌ إلا بِحضرَة جبلٍ، يقال: حَضِيضُ الجبلِ، ويُطْرَحُ الجبلُ فيُسْتَغْنَى عنه لأن هذا لا يكون إلا له، ومن ذلك قول امْرِئ القَيْسِ:

* نَظَرْتُ إِلَيْهِ قَائِمًا بِالْحَضِيضِ *[6]

---

(١) زيادات ر: «يصف صقرا».

(٢) الخوافى: ريشات إذا ضم الطائر جناحية خفيت، صد القوادم، وطراقها: ركوب بعضها على بعض.

(٣) الشعراء ١٢٨.

(٤) تعن: تظهر. والمذنب: مسيل الماء فى الحضيض.

(٥) ر: «قوله بحضيض».

(٦) الضمير يعود على الفرس فى البيت قبله وصدره:
« قلما أجَنَّ الشمسَ عَنِّىَ غيارَهَا»

فقال عليُّ بن أبى طالب رحمه الله: يابن آدم، لا تَحمِلْ هَمَّ يومِك الذى لم يَأْتِ عَلَى يومك الذى أنتَ فيه، فإنه إنْ يُعْلَمْ أنّه مَنْ أَجَلكَ يأت فيه رزقك، واعلم أنك لا تَكْسبُ من المال شيئًا فوق قُوتكَ إلا كنت خازنًا لغيرك فيه.

ويروى للنابغة(١):

وَلَستُ بِخابِئٍ أبدًا طَعَامًا　　　حِذَارَ غد، لِكُلِّ غَد طَعَام

ويروى أن رسول الله ﷺ قال: «من كان آمنا فى سَرْبِه(٢)، مُعافًى فى بَدَنِهَ، عنده قُوتُ يَوْمِهِ، كان كمَنْ حِيزَتْ له الدنيا بحَذَافيرِها».

قوله ﷺ: «فى سَرْبه» يقول: فى مَسْلكه، يقال: فلان واسعُ السَّرْبِ، وخَلِىُّ السّرْب، يريد المَسَالكَ والمذاهبَ، وإنما هو مثلٌ مضروب للمصدر والقلب، يقال: خَلِّ سَرْبَه، أى طريقه حتى يَذْهَبَ حيث شاء، ويقال ذلك للإبل لأنها تَنْسَربُ فى الطُّرُقات، ويقال: سَرِّبْ علىَّ الإبلَ، أى أرسِلْها شيئًا بعد شىء، فإذا قلت: سِرْبٌ، بكسر السين، فإنما هو قَطِيعٌ من ظباء، أو بقر، أو شاء، أو نساء، أو قَطًا، قال امروء القيس:

فَعنَّ لنا سِرْبٌ كَأنَ نِعاجَهُ　　　عَذَارَى دَوَارٍ فِى المَلاَءِ المُذَيَّلِ

دُوَارٌ: نسُكٌ يَنْسُكونَ عنده فى الجاهلية، ودُوَارٌ ما استدار من الرمل، ودَوّارٌ سِجْنُ اليمَامة. قال بعض اللُّصوص(٣):

كَانَتْ مَنَازِلنَا الّتى كُنَّا بِهَا　　　شَتَّى، فَأَلَّفَ بَيْننا دَوَّارُ

وقال عُمَرُ بن أبى ربيعةَ:

فَلَمْ تَرَ عَيْنِى مِثْلَ سِرْبٍ رَأَيْتُهُ　　　خَرَجْنَ عَلَيْنَا مِنْ زُقاقِ ابْنِ وَاقِفِ(٤)

---

(١) زيادات ر «هذا من شعر أوس بن حجر مثبت فيه فى كلمة لم يعرفها الأصمعى».

(٢) زيادات ر: «كذا وقعت الرواية بفتح السين عن أبى العباس والصواب كسرها، وإنما السرب، بفتح السين: المال الراعى».

(٣) زيادات ر: «واسمه جحدر».

(٤) نسبه أبو الفرج فى الأغانى ٢١: ١٧٥ إلى هدبة بن خشرم، من أبيات أربعة، وبعده:

تضمَّخنَ بالجادى حتى كأنما الـ　　　ـأنوف إذا استعرضنَ رَواعفُ

وفيها إقواء.

وكان الحسن يقول: ليس العَـجَبُ ممن عَطِبَ كيفَ عطِبَ، إنما العَجَبُ مِمَّنْ نجا كيف نجا.

وكان الحجاج بن يوسف يقول على المنبر: أيها الناس، اقْدَعُوا هذه الأنْفُسَ، فإنها أسْأَلُ شيءٍ إذا أُعْطِيَتْ، وأَمْنَعُ شيء إذا سُئِلَتَ، فَـرَحِمَ الله امرأً جعَلَ لنفسه خطامًا وزمامًا فقـادها بخطامها إلى طاعة الله، وعَطَفَها بزمامهـا عن معصية الله، فإنى رأيت الصَّبْرَ عن مَحَارم الله أيسَرَ من الصبر على عذابه.

قوله: «اقدعوا» يقال قَدَعْتُهُ عن كذا، أى منعته عنه، ومنه قول الشّمَّاخ:

إِذَا مَـا اسْتَـافَـهُنَّ ضَـرَبْنَ مِنْهُ   مكَانَ الرُّمحِ مِـنْ أَنْفِ الْقَـدَوعِ

قوله: «استافَهُنَّ» يعنى حِـمَاراً يَسْتَـافُ أُتُنًا، يقول: يَرْمَـحْنَهُ إذا اشْتَـمَّهُنَّ، والسَّوْفُ الشّمُّ.

وقوله:

* مكان الرمح من أَنْفِ القَدُوعِ *

يريد بالقَـدُوعِ المقـدوع، وهذا من الأضـداد، يقال طريـق رَكوبٌ إذا كـان يُرْكَبُ، ورجل رَكُـوبٌ للدوابِّ إذا كـان يركُبُـهَا، ويقـال: ناقـة رَغُوثٌ إذا كـانت ترْضِعُ، وحُوَارٌ رَغـوثٌ إذا كان يَرْضَع، ومـثل هذا كثير، يقـال: شاة حَلُوبٌ إذا كانت تُحْلَبُ، ورجل حَلُوبٌ إذا كـان يَحْلُب الشاة، والقَدُوعُ هاهنا: البـعير الذى يُقْدَعُ، وهو أن يريد الناقـة الكريمةَ ولا يكون كريمـا، فيُضْرَبُ أَنْفُـهُ بالرُّمْحِ حتى يَرْجِع: يقال: قَدَعْتُهُ، وقَـدَعْتُ أنفه، ويروى أن رسول الله ﷺ لما خَطَبَ خَدِيجةَ بنت خُوَيْلِدِ بن أَسَدِ بن عَبْدِ العُزَّى بن قصَىٍّ ذُكِـر لوَرَقَةَ بن نوْفلٍ فقال: محمد بن عبد الله يخطب خَدِيجة بنتَ خُوَيْلدٍ! الفَحْلُ لا يُقْدَعُ أنفهُ.

وكان الحجاج يقـول: إنَّ امرأً أتَتْ عليه ساعةٌ من عُمْره لم يَذْكُـرْ فيها ربَّه، أو يستغفرْ من ذنبِه، أو يُفكِّرْ فى مَعادِه، لَجَديرٌ أن تطول حَسْرَتُه يوم القيامة.

بابـ

[لعمارة بن عقيل يحض بنى كعب وبنى كلاب على بنى نمير]

قال أبو الحسن: أنشدنى عُمارةُ بن عَقيلٍ لنفسه يَحُضُّ بنى كَعْب وبنى كلاب، ابنْى رَبيعةَ بن عامر بن صَعْصَعَة بن معاوية بن بَكْرِ بن هوازنَ على بنى نَمْيرِ بن عامر بن صعصعة، وبينهم مُطالَبَاتٌ وتراتٌ[1]. وكانت بنو نُمَيْر أعداء عُمارة، فكان يَحُضُّ عليهم السلطانَ، ويُغْرِى بهم إخْوَتَهُمْ، ويحاربهم فى عَشيرته، فقال:

رَأَيْنَاكُمَا يَا بَنَىْ رَبِيعَةَ خُرْتُمَا ... لِعَضِّ الْحُرُوبِ، وَالْعَدِيدُ كَثِيرُ

وَصدَّقْتُمَا قَوْلَ الْفَرَزْدَقِ فيكُمَا ... وكَذَّبْتُمَا مَا كَانَ قالَ جَرِيرُ

أَصَابَت نُمَيْرٌ مِنْكُمُ فَوقَ قَدْرِهَا ... فكُلُّ نُمَيْرِىّ بِذَاكَ أَمِيرُ

فَإِنْ تَفْخَرُوا بِمَا مَضَى مِنْ قَدِيمكمْ ... فَقَدْ هُدِّمَتْ مَدَائِنٌ وَقُصُورُ

رَمَتْهَا مَجَانِيقُ الْعَدُوّ فَقُوّضَتْ ... مَدَائِن مِنْهَا كَالْجِبَالِ وسُورُ

وَشَيَّدَهَا الأَمْلاكُ: كِسْرَى وهُرْمُزٌ ... وَآلُ هِرَقْلٍ حِقْبَةً، وَنَضِيرُ

فَإِنْ تَعْمُرُوا الْمَجدَ الْقَدِيمَ فَلَمْ يَزَلْ ... لَكُمْ فى مُضِرَّاتِ الْحُرُوبِ ضَرِيرُ

خبَطْتُم لُيُوثَ الشَّأْمِ حَتَّى تَنَاذَرَتْ ... حِمَاكُمْ وَحَتّى لا يَهِرّ عَقُورُ

فكَيفَ بِأَكْنَافِ الشَّرِيفِ تُصِيبُكُمْ ... ثَعَلِبُ يَبْحَثْنَ الحَصَى وأُبُورُ

قال أبو العباس: قوله:

* فقد هُدِّمَتْ مدائن وقصور *

مثلٌ، يريد أنَّ مَجْدَكم الذى بناه آباؤكم متى لم تَعْمُرُوه بأفعالكم خَرِبَ وَذَهَبَ. وهذا كما قال عبد الله بن مُعاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب:

لَسْنَا وَإِنْ كَرُمَتْ أَوائلُنَا ... يَوْمًا عَلَى الأَحْسَابِ نَتَّكِلُ

نَبْنِى كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا ... تَبْنِى، وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

---

(١) الترات: جمع ترة، وهى الجناية.

وكما قال الآخر:

أَلْهَى بَنِى جُشَمٍ عَنْ كُلِّ مكْرُمَةٍ ... قَصِيـدَةٌ قَالَهَا عَمْـرُو بْن كلثومِ
يُفَـاخِرُونَ بِهـا مُذْ كـانَ أَوَّلُهُمْ ... يَا لَلرِّجَالِ لفـخر غَيْرِ مَـسْئُومِ!
إنّ الْقَـدِيمَ إِذَا مَـا ضَاعَ آخِـرُهُ ... كـسَـاعِـدٍ فَلَّـهُ الأَيَّامُ مَـحْطُومِ

وكما قال عامر بن الطّفَيْلِ:

إنى وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ فَارِسِ عـامِرٍ ... وَفى السِّرِّ مِنْهَا وَالصَّرِيحِ الْمُهَذَّبِ
فـمَا سَـوَّدَتْنِى عامـرٌ عَنْ وِرَاثَةٍ ... أَبَى اللهُ أَنْ أَسْـمُـو بِأُمٍّ وَلاَ أَبِ
وَلكِنَّنِى أَحْـمِى حِمَـاهَا وَأَتَّقِى ... أذاهَا، وَأرْمِى مَنْ رَمَاهَـا بِمِقْنَبِ

* * *

[قال أبـو الحسن: أنشَـدَنى هذه الأبياتَ مـحمـد بن الحسن المعـروف بابن الحَرُون - ويكنى أبا عـبد الله - لعامـر بن الطفيل العـامرىّ. قال أبو الحـسن: قال الأصمعىّ: وكان عامر بن الطفيل يُلَقَّبُ مُحَبِّرًا لِحُسْنِ شِعْرِهِ، وأولّها:

تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمْرِىِّ: مَالَكَ بَعْدَمَا ... أرَاكَ صَحِيحًا كالسَّلِيمِ الْمُعَذَّبِ!
فقُلْتُ لهَا: هَمِّى الّذِى تَعْلَمِينَهُ ... مِنَ الثَّأرِ فى حَيَّىْ زُبَيْدٍ وَأرْحَبِ
إنَ اغْزُ زُبَـيْدًا أَغْـزُ قَوْمًـا أَعِزَّةً ... مُرَكَّـبُهُمْ فى الحَىِّ خَيْـرُ مُرَكَّبِ
وَإِنْ اغزُ حَيَّىْ خَثْـعَمٍ فَدِمَاؤُهُمْ ... شِفَـاءٌ، وخَيْـرُ الثَّأْرِ لِلْمُـتَأَوِّبِ
فَمَـا أَدْرَكَ الأوْتَارَ مِثْلُ مُـحَقِّقٍ ... بِأَجْرَدَ طَاوٍ كـالْعَسِـيبِ الْمُشَذَّبِ
وأَسَـــمـرَ خَطِّىٍّ وأَبْـيَضَ بَاتِرٍ ... وَزَغْـفٍ دِلاَصٍ كالغَـدِيرِ الْمُثَوَّبِ
سِلاحُ امْرِئٍ قَدْ يَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّهُ ... طَلُوبٌ لِثَـارَاتِ الرِّجَـالِ مُطَلَّبِ

ثم أتى بإنشاد أبى العباس علـى وجهه، إلا أنه رَوَى: «مَنْ رَمَاهَا بِمَنْكِبِ». السليم: الملدوغ، وقيل له: «سَلِيم» تفاؤلاً له بالسلامة، وزُبَيْدٌ وأرْحَبُ: حَيَّانِ من اليمن. والثأر: ما يكون لك عند من أصاب حَميمك، ومن التِّرَةِ، ومن قال «ثار» فقد أخطأ.

والمتـأوِّب: الذى يأتـيك لطلب ثأره عندك، يقـــال: آبَ يئـوبُ إذا رَجَعَ. والتَّأوِيبُ فى غير هذا: السير فى النهار بلا تَوَقُّفٍ.

والأوتار والأَحْقادُ واحدهما وتْرٌ وحقْدٌ. والأجْـرَدَ: الفرس المتَحَسِّر الشّعر، والأجرد الضامر أيضًا. والعسيب: السَّـعَفَةُ. والمُشَذَّب: الطويل الذى أُخَذِ ما عليه من العُقَدِ والسُّلاَءَ[1] والخُوص، ومنه قيل للطويل المُعَرَّقِ: مُشَذَّب.

وخَطِّىّ: رمح منسوب إلى الخَطّ، وهى جـزيرة بالبَحْرَين، يقـال إنها تُنْبتُ عصا الرِّماح، وقال الأصمعىّ: ليستْ بها رِماح، ولكن سفينة كانت وقعتْ إليها، فيها رِماحٌ، وأُرْفِئَتْ بها فى بعض السنين المتقدمة، فقيل لتلك الرماح: الخَطِّيَّة، ثم عَمَّ كلَّ رُمْح هذا النَّسَبُ إلى اليـوم. والزَّغْف: الدِّرْع الرقيـقة النسـج، والمثوّب: الذى تُصَفِّـقُهُ الرياح فَـيَذْهَبُ ويجىء، وهو من ثابَ يَثُـوبُ إذا رَجَعَ. وإنما سُمِّىَ الغَدِيرُ غَديرًا؛ لأن السيل غادَرَه، أى تركه].

* * *

قال أبو العباس: قوله:

* لكم فى مُضِرَّاتِ الحروب ضَرير *

يقال: رجل ضَـرِير إذا كان ذا مشـقة على العَـدُوِّ، وقال مُهَلْهِلُ بن رَبِيـعة التَّغْلَبِىّ:

قَـتِـيلٌ مـا قَتِـيلُ المرءِ عَـمْـرٍو وَهَمَّـامُ بْنَ مُـرَّةَ ذُو ضَـرِيرِ[2]

وقوله: «خبطتُم ليوث الشام» يريد ما كان من نَصْرِ بن شَبَثٍ العُقَيْلِىِّ، وهو عُقَيْلُ بن كَعْبِ بن ربيعة.

وقوله: «أُبور» جمع وَبْر[3]، وإذا انضمت الواو من غير علة فهمزها جائز، وقد ذكرنا ذلك قبلُ.

---

(١) السلاء: شوك النخل.

(٢) زيادات ر: «ما»: زائدة، وفيها معنى التعظيم.

(٣) الوبر: دويبة على قدر السنورى.

وقال عُمارة أيضًا لهم، أنشدَنيه:

أَلاَ لله دَرُّ الْـحَيِّ كَـــعْـبٍ ... ذَوِى الْعَدَدِ الْمُضَاعَـفِ وَالْخُيولِ

أَمَـا فِـيـهِمْ كَـرِيمٌ مِـثْلُ نَصرٍ ... يُوَرِّعُ عَنْـهُمُ سَنَنَ الْفُـحَـولِ

تَنَوَّخَـهُـمْ نُمَـيْـرٌ كُلَّ يَوْمٍ ... كَـفِعْلِ أَخِى الْعَـزَازَةِ بِالذَّلِيلِ

وَلَيْـسُوا مِثْلَ عُـشْرِهِمْ وَلَكِنْ ... يَضِيعُ الْقَوْمُ مِنْ قِبَلِ الْعُقُولِ

فَـأَيْنَ فَـوَارِسُ السَّلَمَـاتِ مِنْهُمْ ... وَجَعْدَةَ وَالْحَرِيشِ ذَوُو الْفُضُولِ!

وأَينَ عُـبَـادَةُ الخَـشْنَاء عنهم[1] ... إذا مَـا ضَـاقَ مُطَّلَعُ السَّـبِـيلِ!

قوله:

* أَلاَ لله دَرُّ الحَيِّ كعْبٍ *

يريد كعب بن ربيعة بن عامر بن صـعْصَعَة بن معاوية بن بكر بن هَوَازن بن منصور بن عِكرِمَة بن خَصَفَة بن قَيْسِ بن عَيْلانَ بن مُضَر.

وقوله:

* أَمَا فِيهِمْ كَرِيمٌ مِثْلُ نَصْرٍ *

يعنى نصر بن شبَثٍ، أحد بنى عُقَيْلِ بن كَعْب بن رَبيعة. وقوله:

* يُوَرِّعُ عَنْهُمُ سَنَنَ الْفُحُوْلِ *

هو مَثَلٌ ضَـرَبَهُ، فجعلهم لإمـساكهم عن الحـرب بمنزلة النُّوق التى يَقْرَعُـهـا الفَـحْل ويُوَرِّعُ: يكُـفُّ وَيَمْنعُ وَيدْفَعُ. والوَرَعُ فى الدين إنمـا هو الكَفُّ عن أخـذ الحرام، وجاء فى الحديث: «لا تَنْظروا إلى صومه، ولا إلى صلاته، ولكن انظروا إلى وَرَعِه إذا أشفَى»، ومعناه إذا أشـرف على الدينار والدرهم. والسَّنَنُ: القَصْد، ثم أبان ذلك بقوله:

* تَنَوَّخَهُمْ نُمَيْرٌ كُلّ يوم *

يقـال: سانَّ الفـحلُ الناقة فَـتَنَوَّخَـها، وذلك إذا ركـبهـا من غيـر أن توَطأَ له، ولكن يَعْتَـرِضُها اعْـتراضًا. وتقـول العرب: إن ذلك أكـرم النِّتَاج؛ وذلك لأن

(١) ر: «منهم».

الولد يخرج صَلِيبًا مُذَكَّرًا، ويقال لذلك الحَمْلِ الذى يقع من التَّنَوُّخِ والاعتراض: يَعَارَة وعِراضٌ، يقال: حَمَلَتْهُ عِراضًا وحملته يَعارَة يا فتى، قال الراعى:

قَلائِص لاَ يُلْقَحْنَ إلاَّ يَعَارَةً　　　عِرَاضًا، ولاَ يُشْرَيْنَ إلاَّ غَوَالِيَا

وقال الطِّرِمَّاح:

سَوْفَ تُدْنِيكَ مِنْ لَمِيسَ سَبَنْدَا[1]　　　ةٌ أَمَارَتْ بِالْبَوْلِ مَاءَ الكِرَاضِ

نَضَّجَتْهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَنِيلَتْ　　　حِينَ نِيلَتْ يَعَارَةً فى عِرَاضِ

قوله: «سَبَنْدَاة» فهى الجَرِيئةُ الصَّدْر، يقال للجَرِىء الصدر: سَبَنْدَى وسبنْتى، وأصل ذلك فى النَّمِرِ، وزعم الأَصْمَعِى أن الكِرَاضَ حَلَقُ الرَّحِمِ، قال: ولم أسْمَعْهُ إلا فى هذا الشِّعْر.

وقوله: «نَضَّجَتْهُ عشرين يوما»، إنما هو أن تزيد بعد الحول من حيث حَمَلَتْ أياما: نحو الذى عَدّ، فلا يخرج الولد إلا مُحْكَما، قال الحُطَيْئَةُ:

لأَدْمَاءَ مِنْهَا كَالسَّفِينَةِ نَضَّجَتْ　　　بِهِ الحَوْلَ حَتَّى زَادَ شَهْرًا[2] عَدِيدُهَا

والعَزَازَةُ: العِزُّ، والمَصادر التى تقع على «فَعَالة» للمبالغة، يقال: عَزَّ عِزًّا وعزازةً، كما يقال: الشَّراسةُ والصَّرامَةُ، قال الله تعالى: ﴿**قالَ يا قَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ**﴾[3]، وفى موضع آخر: ﴿**لَيْسَ بِى ضَلالَةٌ**﴾[4].

وقوله: «فَأَيْنَ فَوَارِس السَّلَمات»، يريد بنى سَلَمَةَ الخَيْر، وبنى سَلَمَةَ الشر ابْنَىْ قُشَيْر بن كعب، وجَمَعَ لأنه يريد الحَىَّ أجْمَعَ، كما تقول المَهَالبةُ والمَسَامِعَةُ، فتجمعهم على اسم الأب، على المُهَلَّبِ ومِسْمَعٍ، وكذلك المَنَاذرةُ، وقد مرت الحجّة فى هذا.

وجَعْدَةُ بن كَعْبٍ والحَرِيُش بن كعب وبنو عُبادة، من بنى عُقيلِ بن كَعْبٍ. وقال: «الخَشْناء»، يريد القبيلة، وذكَرها بالخشونة على الأَعْداء.

---

(١) ر، س: «سبنتاة وسبنداة»، وكلاهما جائز.

(٢) ر: «عشرا».

(٣) الأعراف ٦٧.

(٤) الأعراف ٦١.

[سؤال معاوية بن أبي سفيان لدغفل بن حنظلة عن قبائل العرب]

ويروى أن معاوية بن أبى سُفْيان رحمه الله تعالى قال لِدَغْفَلِ بن حَنْظَلَةَ النسَّابة: ما تقول فى بنى عامر بن صَعْصَعَةَ؟ قال: أعناق ظباء، وأعْجازُ نساء. قال: فما تقول فى بنى تميمٍ؟ قال: حَجَرٌ أخْشَنُ: إن صَادَمْتَهُ آذاكَ، وإن تَرَكْتَهُ تركك، قال: فما تقول فى اليمن؟ قال: سَيِّدٌ وأنْوَك.

[لعمارة بن عقيل حينما أمره أبو سعد التميمي أن يضع يده في يد أبي نصر الطائي]

قال أَبو العباس: وأَنشدنى عُمارةُ لنفسه ـ وسببُ هذا الشعر الذى نذكره أن رجلا من بنى تميم، يُكْنَى أبا سَعْدٍ، كان منقطعًا إلى أبى نصر بن حُمَيْد الطائىِّ، ثم أحد بنى نَبْهانَ، وكان أبو نصرٍ واليًا على العرب، وكتب أبو سعد إلَى عُمارة يأمره أن يَضعَ يده فى يد أبى نصر، فقال عُمارة ـ:

دَعَانِى أَبُو سَعْدٍ وَأَهْدَى نَصِيحَةً ... إلَىَّ، وَمِمَّا أنْ تَغُرَّ النَّصَائِحُ[1]

لاِجْزرَ لَحمى كَلْبَ نَبْهَانَ كالَّذى ... دَعَا الْقَاسِطِىَّ حَتْفُهُ وَهْوَ نَازِحُ

أوِ الْبُرْجُمِىَّ حِينَ أهْدَاهُ حَيْنُهُ ... لِنَارٍ عَلَيْهَا مُوقِدَانِ وَذَابِحُ

وَرَأْىُ أبِى سَعْدٍ وَإنْ كَانَ حَازِمًا ... بَصِيرًا وَإنْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ المَسَارِحُ

أَعَارَ بِهِ مَلْعُونَ نَبْهَانَ سَيْفَهُ ... عَلَى قَوْمِه، وَالْقَوْلُ عَافٍ وَجَارِحُ

وَنَصرُ الْفَتَى فِى الْحَرْبِ أعْدَاءَ قَوْمِه ... عَلَى قَوْمِهِ لِلْمَرْءِ ذِى الطعْمِ فَاضِحُ

قوله: «لأجْزرَ لَحمى كَلْبَ نَبْهَانَ» أى لأكون جزرَة له، والجَزَرَةُ: البَدَنَةُ تُنْحَرُ، يقال: أجْزَرْتُ فلانًا، وتركتُ فلانًا جزرًا، قال عَنْتَرَةُ الْعَبْسىُّ:

إنْ تَشْتُمِاَ عِرْضِى فَإنَّ أبَاكُمَا ... جَزَرُ السِّبَاعِ وَكُلِّ نَسْرٍ قَشْعَمِ

وقوله:

. . . كالذى دعا القاسطى حَتْفُهُ وهو نازح

(١) زيادات ر: «مما بمعنى ربما».

فهـذا رجل من النَّمرِ بن قاسط، خرج يبـتغى قَرَظًا من بُعْـدٍ، فَنَهَشَتْهُ حَـيَّة فمات، فهو أحد القـارِظَيْنِ، والقارِظُ الأول من عَنَزَةَ، كان خرج مع ابن عَمٍّ له في طلب القَرَظِ، فقتلـه ابن عمه، لأنه كان يريد ابنته فمنعـه منها، قال أبو خِرَاش[1] الهُذَلِىُّ:

وَحَتَّى يَؤُوبَ الْقَـارِظَانِ كِلاَهُمَا ... وَيُنْشَرَ فِى الْقَـتْلَى كُلَيْبٌ لِوَائِلِ

وقولـه: «كالذى دعـا القاسطى حـتفـه» الهاء فى حـتفـه ترجع على الذى وتقديره كَالسبب الذى دعا القاسطىَّ حَتْفُه.

وقوله: «أو البُـرْجُمِىّ» فهـذا رجل من البَرَاجِمِ، وهم بنو مـالك بن حَنْظَلَةَ كان عمرو بن هِنْدٍ لما قَتَلَ بن دارمٍ بأُوارةَ، وكان سببُ ذلك أن أخاه أسْعَدَ بن المُنذرِ ـ وكان مُسْتَرْضَعًا فـى بـنى دارمٍ، فى حِجْرِ حاجب بن زُرارة بن عُدَسَ بن زيد بن عبد الله بن دارمٍ ـ انصرف ذاتَ يوم من صَيْدِهِ وبه نَبِـيذٌ، فَعَبِثَ كما يَعْبَثُ الملوك، فرماه رجل من بنى دارم بسـهم فقتَله[2]. ففى ذلك يقول القـائل؛ وهوعمرو بن مِلْقَطٍ الطائىّ لعمرو بن هند:

فَـــاقْــتُــلْ زُرَارَةَ لاَ أَرَى ... فى الْقَــــوْمِ أوْفَـى مِنْ زُرَارَه

فَغَزَاهم عمرو بن هند، فقتلهم يوم القُصَيْبَةِ[3] ويوم أُوَارَةَ، ففى ذلك يقول الأَعْشَى:

وَتَكُـونُ فى الـشّـــــرَفِ المُوا ... زِى مـنْقَـــــرًا وَبَنِـى زُرارَهْ
أَبْـنَاءَ قَـــــوْمٍ قُـــــتِّلُوا ... يَوْمَ الْقُـصَـيْـبَـةِ وَالأُوَارَهْ

ثم أَقْسَمَ عـمرو بن هند لَيُحَرِّقَنَّ مـنهم مائة، فبذلك سُـمِّىَ محرِّقًا، فـأَخَذَ تسعة وتسعين رجلا فَقَذَفَهُمْ فى النار، ثم أراد أن يُبِرَّ قَسَمَهُ بعجوز منهم لتكْمُلَ بها

---

(١) زيادات ر: «الصحيـح أن الشعر لأبى ذؤيب،وهو بهذه النسـبة فى ديوان الهذليين ١ :١٤٥، من قـصيدة مطلعها:

أساءلْتَ رسْمَ الدار أم لم تسائل ... عن السّكْن أم عن عهده بالأوائل!

(٢) زيادات ر: «رمى ناقة بسهم فقتلها» والرجل الذى قتله سويد بن ربيعة بن زيد بنَ عبد الله بن دارم».
(٣) يوم القصيبة لعمرو بن هند على بنى تميم، وهو يوم أوارة. (وانظر معجم البلدان ١: ٣٦٤ ، ٧: ١١٤).

العِدَّة فلما أَمَرَ بها قالت العجوز: أَلا فتًى يَفْدى هذه العجوز بنفسه[1]! ثم قالت: «هيهات صارت الْفتْيَانُ حُمَمًا»! وَمَرَّ وافدُ البَراجم ـ وهو الذى ذَكرْنا ـ فاشْتَمّ رائحة اللحم، فَظنَّ أن المَلك يَتخذ طعامًا، فَعَرَّجَ إليه فأُتىَ به إليه، فقال له: مَنْ أنت؟ فقال: أَبَيْتَ اللَّعْنَ! أنا وافد البراجم، فقال: «إن الشقىَّ وافدَ البراجِم»، ثم أمَرَ به فقُذِفَ فى النار، ففى ذلك يقول جرير يُعَيِّرُ الفَرَزْدَقَ:

أَيْنَ الذَّينَ بِنَارِ عَمْرٍو حُرِّقُوا ... أَمْ أَيْنَ أَسْعَدُ فِيكُمُ المُسْتَرْضَعُ!

وقال أيضًا:

وَأَخْزَاكُمُ عَمْرٌو كما قَدْ خَزِيتُمُ ... وَأَدرَك عَمَّارًا شَقِىَّ البَرَاجِمِ

وقال الطِّرِمَّاح:

وَدَارِمٌ قَدْ قَذَفْنَا مِنْهُمُ مِائَةً ... فى جاحِمِ النَّارِ إذْ يَنْزُونَ بِالْخَدَدِ[2]

يَنْزُونَ بِالْمُشْتَوَى مِنْهَا وَيُوقِدُهَا ... عَمْرٌو، وَلَوْلا شُحُومُ الْقَوْمِ لَمْ تَقِدِ[3]

ولذلك عُيِّرَتْ بنو تميم بحب الطعام، يعنى لطمع البُرْجِمِىِّ فى الأكل. قال يزيد بن عمرو بن الصَّعِق أحد بنى عمرو بن كلاب:

أَلا أَبْلِغْ لَدَيْكَ بَنِى تَمِيمٍ ... بِآيَةِ مَا يُحِبُّونَ الطَّعَامَا

وقال الآخر[4]:

إِذَا مَا مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ ... فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِئْ بِزَادِ

بِخُبْزٍ أَوْ بِتَمْرٍ أَوْ بِلَحْمٍ ... أَو الشَّىْءِ المُلَفَّفِ فى الْبِجَادِ[5]

تَرَاهُ يُنَقِّبُ البَطْحَاءَ حَوْلاً ... لِيَأْكُلَ رَأْسَ لُقْمَانَ بْنِ عَادِ

---

(١) زيادات ر: «على ما ذكر أصحاب الأخبار اسمها الحمراء بنت نضلة».

(٢) الخدد، أصله: «الخد» ففك إدغاق للقافيه، وهو كالأخدود، حفرة فى الأرض مستطيلة.

(٣) المشتوى: مكان الاشتواء.

(٤) زيادات ر: «ذكر ابن حبيب أن هذا الشعر لأبى المهوش الفقعسى، وذكر دعبل أنه لأبى المهموش الأسدى، وذكر ابن السيد البطليوسى أنه ليزيد بن عمرو بن الصعق الكلابى».

(٥) أراد وطب اللبن، يلف بكساء مخطط، اسمه البجاد.

وقوله: «لِلْمَرْءِ ذى الطَّعْمِ» يعنى الراجع إلى عقل، يقال: ليس فلان بذى طَعْمٍ، وفلان ليس بذى نَزَلٍ، أى ليس بذى عقل ولا معرفة، وإنما يقال: هذا طعام ليس له نَزَلٌ إذا لم يكن ذا رَيْعٍ، ومن قال «نُزْل» فى هذا المعنى فقد أخطأ.

[لأعرابىّ يهجو قوما من طيئ]

وقال أعرابىٌّ يَهْجُو قومًا من طَيِّئٍ:

ولَمَّا أنْ رأَيْتُ بَنِى جُوَيْنٍ جُلُوسًا لَيْسَ بَيْنَهَمُ جَلِيسُ
يَئِسْتُ مِنَ الَّتِى أَقْبَلْتُ أَبْغِى لَدَيْهِمْ إنَّنِى رَجُلٌ يَئُوسُ
إذَا مَا قُلْتُ: أَيُّهُمُ لأَىٍّ؟ تَشَابَهَتِ المَنَاكِبُ والرءوسُ

قوله: «جلوسًا ليس بينهم جليس»، يقول: هٰؤلاء قوم لا يَنْتَجِعُ الناسُ معروفَهم فليس فيهم غيرهم. وهذا من أقبح الهجاء.

ومن أمثال العرب: «سَمْنُهُمْ فى أديمِهِمْ»، ومعناه فى مأدومهم، وقيل: أديم ومأدوم مثل قَتيلٍ ومَقْتولٍ، وتقول الحكماء: من كثُرَ خيرهُ كثر زائره.

وقال المُهَلَّبُ بن أبى صُفْرة لبنيه: يا بَنِىَّ، إذا غَدَا عليكم الرجل وراحَ مسلِّمًا، فكفى بذلك تقاضيا.

وقال آخر:

أَروحُ لِتَسْلِيمٍ علَيْك وَاغْتَدِى وحَسْبُكَ بِالتَسْلِيمِ منى تَقَاضِيَا
كَفى بِطِلاَبِ المَرءِ مَا لاَ يَنَالُهُ عَنَاءً، وباليَأْسِ المُصرَّحِ ناهِيا!

* * *

[(1) قال أبو الحسن: وربما قال أبو العباس: «مُصرِحٌ» بكسر الراء (1)]

* * *

ومن أحسن المدح قول زُهَيْرٍ:

قَدْ جعَلَ الطَّالِبُونَ الْخَيْرَ فى هَرِمٍ وَالسَّائِلُونَ إلِىَ أَبْوَابِهِ طُرُقًا

(1 ـ 1) ر: «وربما قال أبو العباس: «مصرح» بكسر الراء، قال أبو الحسن والكسر أجود».

وقال رُؤْبَةُ[١]:

* إنَّ النَّدَى حَيْثُ ترى الضِّغاطا[٢] *

وقال آخر:

يَـزْدَحِـمُ الـناس عَـلَـى بَـابِـهِ وَالْمَشْرَبُ الْعَذْبُ كَـثِيرُ الزِّحَامِ

وقال أَشْجَعُ فى محمد بن منصور:

عَلَـى بَابِ ابْـنِ مَنْـصُـــــور عَـــــلامَـــاتٌ مِـنَ الْبَـــذْلِ

جَـــمَـاعَـــاتٌ وَحَـسْبُ الْبَــا بِ نُبْــــلاً كَـــــثْـــرَةُ الأَهْلِ

وقوله:

* تَشَابَهَتِ المَناكِبُ وَالرءوس *

إنما ضربه مَثَلاً للأخْلاق والأفعال، : أى ليس فيهم مُفَضَّلٌ.

ويقال: إن الأضْـبَطَ بن قُرَيْعِ بنِ عَـوْفِ بن كَعْبِ بن سَعْـدِ بن زَيْدِ مَنَاةَ بن تَمِيم، آذَتْهُ عشـيرتهُ من بنى سَعْد، فـخرج عنهم، فَجَعَلَ لا يُجـاوِر قومًا إلا آذَوْهُ فقال: «أَيْنَمَا أَذْهَبْ أَلْقَ سَعْدًا»، أى أَفِرُّ من الأذَى إلى مثله.

(١) زيـادات ر: «لـيس لـرؤبـة، وهـو لابـن أبى نخيـلـة»، وقال المرصـفى: الصواب لأبى نخيلة ـ وهو اسمه لا كنيته- ابن عدنـان بن زائدة، إحدى بنى سـعد بن زيد مناة بنى تميم. شـاعر راجـز، من مخـضرمى الدولتين.

(٢) الضغاط: التزاحم.

بابـ

[أقوال فى المجالس والجلساء]

قال أبو العباس : قال أبو إدريس الخَوْلانِيُّ[1]: المَسَاجِدُ مَجَالِسُ الْكِرَامِ.

وقيل للأحْنف بن قَيْسٍ أحد بنى مُرَّة بنى عُبَيْد بن الحارث بن كَعْبِ بن سَعْدٍ، أيُّ المجالس أطْيَبُ؟ فقال: ما سافر فيه البصر، واتَّدَعَ فيه البَدَنُ.

اتَّدَعَ: افتعل من التَّوْدِيعِ، والأصل «اوْتَدَعَ»، فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، وهذا القول مذهب أهل الحجاز يقولون: ايتَزَنَ ياتَزِنُ، وهو رجل مُوتَزِنٌ[2]، والأجود أن تقلب ما كان أصله الواو والياء فى باب «افْتَعَلَ» تاءً وتُدْغِمهَا فى التاء من «افْتَعَلَ»، فتقول: اتَّدَعَ يَتَّدِعُ، وهو مُتَّدِعٌ، ومُتَّزِنٌ[3] ومُتَّعِدٌ من الوَعْدِ، ومُتَّئِسٍ من اليأس، تكون الياء كالواو؛ لأنها إن أُظْهِرَتْ انقلبتْ على حركة ما قبلها فصارت كالواو، وتكونان واوين عند الضمة، نحْوُ مُوعِدٍ ومُوتَعِدٍ، ومُوئِسٍ ومُوتَئِسٍ، وياءين للكسرة، والواو قد تُقْلَبُ إلى التاءَ ولا تاء بعدها، نحو تُرَاثٍ من ورث، وتجَاه من الوَجْهِ، وتُكأَة. وإنما ذلك كَرَاهيَة الضمة فى الواو، وأقربُ حروف الزوائدِ والبَدَلِ منها التاء فقُلِبَتْ إليها، وقد تُقْلَبُ للبدل فى غير ضم، نحو: هذا أَتْقَى من هذا، وضربته حتى أَتْكأْتُه[4]، فلما كانت بعدها تاء افْتَعَلَ كَان الوجهُ القلب ليقع الإدغامُ، وقد فسرنا هذا على غاية الاستقصاء فى الكتاب «المُقْتَضَب».

وقيل للمُهَلَّبِ بن أبى صُفْرَةَ: ما خَيْرُ المجالس؟ فقال: ما بَعُدَ فيه مَدَى الطرْفِ، وكَثُرَتْ فيه فائدةُ الجليس.

ويروى عن لُقْمان الحكيم أنه قال لابنه: يابُنَيَّ، إذَا أتيتَ مجلس قومٍ فارْمَهَمْ بسَهْمِ الإسلام ثم اجلس، فإن أفاضوا فى ذكر الله، فَأَجِلْ سَهْمَكَ مع سِهامهم، وإن أفاضوا فى غيره فَخَلِّهِمْ وانْهَضْ.

---

(١) هو عائذ الله بن عبد بن عمرو أبو إدريس الخولانى، قاص أهل الشام وعالمهم وقاضيهم روى عن أبى هريرة وأبى ذر وغيرهم. مات سنة ٨٠ هـ. (تهذيب التهذيب ٥: ٨٥).

(٢) ر ، س: «ايتزر، ياتزر، وهو رجل موتزر».

(٣) ر ، س: «متزر».

(٤) اتكأته: وجدته على هيئة المتكئ.

قوله: «فـارمهم بسهم الإسلام» يعنـى السَّلام. وقوله: «فأَجِلْ سـهمك مع سهامهم»، يعنى أدْخُلْ معهم فى أمرهم، فَضَرَبَهُ مَثَلاً، من دخول الرجل فى قِدَاحِ المَيْسِرِ.

وقال وهْبُ بن عبد مَنَاف بن زُهْرَةَ جَدّ رسول الله ﷺ لأُمِّه:

وَإِذَا أَتَيْتَ جَـمَاعَةً فى مَـجْلِسٍ فَاْخْـتَرْ مَـجَالِسَـهُمْ وَلَمَّا تَعْـقُدِ

وَدَعِ الْغُـوَاةَ الجَاهِلِينَ وَجَـهْلَهُمْ وَإِلَى الَّذِينَ يذكِّـرونك فَاعْـمِدِ

وقال ابْن عباس رحمه اللهُ: لِجَلِيسى علىَّ ثلاثٌ: أن أَرْمِيَهُ بطَرْفى إذا أقبل، وأُوَسِّعَ له إذا جلس، وأُصْغِىَ إليه إذا حَدَّثَ.

وكان القَعقَاعُ بن شَوَر[1]، أحد بنى عـمرو بن شَيْبـان بن ذُهْل بن ثَعْلَبَة بن عُكابَة بن صَعْب بن على بـن بكرِ بن وائلٍ إذا جالسه جَلِيسٌ فَـعَرَّفَه بالقَصْـد إليه جَعَلَ له نصيبًا فى ماله، وأعانَهُ على عَـدُوِّه، وَشَفَعَ له فى حاجته، وغدا إليه بعد المجالسة شاكرًا له حتى شُهِرَ بذلك. وفيه يقول القائل:

وَكُنْتُ جَلِيسَ قَـعْقَـاعِ بن شَوْرٍ وَلاَ يَشْـقَى بِقَـعْــقَـاعٍ جَلِيسُ

ضَحُـوكُ السِّنِّ إنْ أَمَرُوا بِخَـيْرٍ وَعِنْدَ السُّـوءِ مِـطْرَاقٌ عَـبُـوسُ

وحدثَنى التَّوَّزىُّ أن رجــلا جالَسَ قوما من بنى مَخْـزُوم بن يَقظَةَ بن مُرةَ بن كَعْب بن لؤَىِّ بن غالب بن فِـهْرِ بن مالكِ بن النَّضْرِ بن كِنانَةَ، فأسـاءوا عِشْرَتَهُ، وَسَعَوْا به إلى معاوية، فقال:

شَقِيتُ بِكُمْ وكُنْـتُ لَكُمْ جَلِيسًا فَلَسْتُ جَلِيسَ قَـعْقَـاعِ بْنَ شَوْرِ

وَمِنْ جَـهْلٍ أَبُو جَـهْلٍ أَخُـوكُمْ غَـزَا بَدْرًا بِمِـجْـمَـرَةٍ وَتَوْرِ[2]

نَسَبَه إلى التَّوْضيع[3]، كقول عُتْـبَةَ بن رَبيعة بن عَبْد شـمس بن عبد مَناف لحكيم بن حزام لما بلغـه قَول أبى جَهْل بنِ هشام: انْتَـفَخَ واللهِ سَحْرُهُ[4] وَنحْرُهُ، سَيَعْلَمُ مُصَفِّرُ اسْتِه مَنِ انْتَفَخَ سَحْرُهُ اليوم!

(١) ذكره ابن حجر فى لسان الميزان ٤: ٤٥٤ قال: «من كبار الأمراء فى دولة بنى أمية»، وفى القاموس إنه من التابعين.

(٢) المجمرة: إحدى المجامر التى يوضع فيها الطيب ليتبخر به. والتور: إناء يبل فيه نحوالعود والمسك.

(٣) التوضيع: التحنيث.

(٤) يراد بالسحر هنا الرئة.

وقال رجل من بنى مَخْـزوم للأحوص بن محمد بن عـبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبى الأَفْلَحِ الأنصارىّ ليُؤْذِيَه: أَتَعْرِفُ الذى يقول.

ذَهَبَتْ قُـرَيْشٌ بِالمَكَارِمِ كُلِّـهَـا وَاللؤْمُ تَحْتَ عَمَائِمِ الأنْصَارِ[1]

فقال الأَحْوَصُ: [لا أَدْرى[2]]، ولكِنِّى أَعْرِفُ الذى يقول:

الـنَّـاسُ كَـنَّـوْهُ أَبَـا حَـكَـمٍ وَاللهُ كَـنَّاهُ أَبَـا جَـهْـلِ

أَبْقَـتْ رِيَاسَـتُـهُ لأسْـرَتِهِ لُؤْمَ الْـفُـرُوعِ وَدِقَّـةَ الأَصْلِ

وهذا الشعر لحسان بن ثابت، والبيت الذى أنشده المخزومىّ للأخْطَلِ. وكان يَزِيدُ بن معاوية عَـتَبَ على قـوم من الأنصار، فـأَمَرَ كَـعْبَ بن جـعَيْلٍ التَّـغْلَبىَّ بهجـائهم، فقال له كَعْبٌ: أَأَهْجُو الأنصار! أرَادِّى أنتَ إلى الكُفْرِ بعـد الإسلام! ولكنى أَدُلُّكَ على غلام من الحَىِّ نَصْرَانِّى: كأنّ لسانَهُ لسانُ ثورٍ - يعنى الأخْطَل.

قال: فلما قال هذا البيت دخلَ النُّعْمَانُ بن بَشِير بن سَعْد الأنصارى[3] على معاوية فَحَسَرَ[4] عمامته عن رأسه، ثم قال: يا معاوية، أَتَرى لؤْمًا! فقال: ما أرَى إلا كَرَمًا. فقال النعمان:

مُـعَـاوِىَ إِلا تُـعْطِنَا الحَـقَّ تَـعْـتَرِفْ

لِحَـى الأَزْدِ مَـسْدُولاً عَـلَيْـهَا الْعَـمَـائِمُ

---

(١) قاله:

لعنَ الإله من اليـهـود عـصـابة بالجزع بين صـليـصل وصـرار
قـوم إذا هدر العـصيـرُ رأيتَـهم حـمـرا عـيـونهم مـن المسطار
خلّوا المكـارم لستمُ من أهلـهـا وخـذوا مسـاحيكم بنى النجـار

- صليل وصرار: موضعان. والمسطار: الخمرة المتـخذة من أبكار العنب. المساحىَ: جمع مسحاة، وهى مجرفة من حديد.

(٢) تكمله من ر ، س.

(٣) من كبار الخزرج.

(٤) روى أن النعمـان قال: يا أميرالمؤمنيـن، أترى لؤما؟ قال: لا، بل أرى كرمـا وخيرا، فمـاذا؟ قال: زعم الأخطل أن اللؤم تحت عمائم الأنصار، قال: أو فعل ذلك؟ قال: نعم، قال: لك لسانه.

أَيَشْتِمُنَا عَبْدُ الأرَاقِمِ ضَلَّةً
فَمَاذَا الَّذى تُجْدى عَلَيْكَ الأَرَاقِمُ!(١)

فَمَالِىَ ثَأْرٌ دُونَ قَطْعِ لِسَانِهِ فَدُونَكَ مَنْ تُرْضِيه عَنْهُ الدَّرَاهِمُ

[نبذ من أقوال الحكماء]

وكان الأحنف بن قيس يقول: لا تزال العرب عَربًا ما لَبِسَت العَمائمَ، وتَقَلَّدَتِ السيوف، ولم تَعْدُدِ الْحِلم ذُلاًّ، ولا التَّوَاهُبَ فيما بينها ضَعَةً.

وقالوا فى تأويل قوله: «مَا لَبِست الْعَمَائم»، يقول: ما حافظت على زِيِّهَا. وقوله: «وتقلدت السيوف» يريد الامتناع من الضَّيْمِ. وقوله: «ولم تعدد الحلم ذلا»، يقول: ما عَرَفَتْ موضع الحلم، وتأويل ذلك: أن الرجل إذا أَغْضَى للسلطان، أو أغضى عن الجواب وهو مأسورٌ لم يُقَلْ: حَلُمَ، وإنما يقال حَلُمَ إذا تَرَكَ أن يقول الشيء لصاحبه مُنْتَصِرًا، ولا يخاف عاقبة يَكْرَهُهَا، فهذا الحلم المَحْضُ، فإذا لم يفعل ذلك ورأى أن تَرْكَهُ الحِلْمَ ذُلٌّ فهو خطأ وسَفَهٌ. وقوله: «ولم تر التواهب بينها ضَعَةً» نحوٌ من هذا، وهو أن يَهَبَ الرجلُ من حقه مالا يُسْتَكْرَهُ عليه.

وكان يقال: أَحْيُوا المعروف بإماتته، وتأويل ذلك أن الرجل إذا اعتدّ بمعروفه كَدَّرَهُ، وقيل: المَنَّةُ تَهْدِمُ الصَّنِيعة.

وكان يقال: كتمان المعروف من الْمُنْعَمِ عليه كفرٌ، وذكره من الْمنعِم تكدير له.

وقال قَيْسُ بن عاصم: يا بنى تميم، اصْحَبُوا مَنْ يذكر إحسانكم إليه، ويَنسَى أيَادِيَهُ إليكم.

---

(١) الأراقم: هم بنو بكر وجشم ومالك والحارث ومعاوية أبناء تغلب، وهم قوم الأخطل.

باب

[لبعض الشعراء يمدح أسَيْلِمَ بن الأحنف]

قال أبو العباس: قال عبد المَلكِ [بن مَرْوان[1]] لأسُيْلِمَ بن الأحْنف الأسَدىِّ: ما أَحسنُ ما مُدحْتَ به؟ فاستعفاه، فأبى أَن يُعْفِيَهُ وهو معه على سريره، فلما أَبى إلا أن يُخْبِرَهُ، قال قولُ القائل:

أَلا أَيُّهَا الرَّكْبُ الُمخِبُّونَ هَلْ لَكُمْ
بِسَيِّدِ أَهْلِ الشَّامِ تُحْبَوْا وَتَرْجعُوا[2]

مِنَ النَّفَرِ الْبِيضِ الَّذِينَ إذَا اعْتَزَوْا
وَهَابَ الرِّجَالُ حَلْقَةَ الْبَاب قَعْقَعُوا[3]

إذَا النَّفَرُ السُّودُ الْيَمانُونَ نَمْنَمُوا
لَـهُ حَوْكَ بُرْدَيْهِ أَجَادُوا وَأَوْسَعُوا

جَلا الْمِسْكُ وَالحَمَّامُ وَالبِيضُ كَالدُّمَى
وَفَرْقُ المَدَارَى رَأْسَهُ فَهْوَ أَنْزَعُ[4]

فقال له عبد الملك: ما قال أخو الأَوْسِ أحسنُ مما قيل لك ـ [قال أبو الحسن: هو أَبو قَيْسِ بن الأَسْلَتِ]:

قَدْ حَصَّتِ الْبَيْضَةُ رَأْسِى فَمَا ... أطْعَمُ نَوْمًا غَيْرَ تَهْجَاعِ[5]

[لكثير فى المدح]

وحُدِّثْتُ أَن كُثَيِّرًا كان يقول: لَوَددْتُ أنى كنتُ سبقتُ الأَسْوَدَ ـ أو العبدَ الأسودَ ـ إلى هذين البيتين ـ يعنى نُصَيْبًا فى قوله:

---

(١) من س.

(٢) المخبون: الذين تخب بهم دوابهم، من الخبب وهو سرعة العدو.

(٣) من القعقعة، وهى الصوت، والمراد أنهم لا يتهيبون لقاء الناس.

(٤) المدارى: جمع المدرى، وهو المشط. وأنزع، من النزوع، وهو انحسار الشعر من أعلى الجبين.

(٥) حصت: أذهبت شعره. والبيضة، هنا: لباس الرأس فى الحرب. والتهجاع: النوم الخفيف.

مِنَ النَّفر الْبِيضِ الَّذِينَ إِذَا انْتَجَوْا

أقَرَّتْ لِنَجْوَاهُمْ لؤىُّ بْنُ غالِب

يُحَيَّوْن بَسَّامِينَ طَوْرًا، وَتَارَةً

يُحَيَّوْنَ عَبَّاسِينَ شُوس الحَواجِبِ[1]

* * *

والمختار من الشِّعر الأولِ قوله:

مِنَ النَّفَرِ الْبِيضِ الَّذِينَ إذا اعْتزَوْا

وَهَابَ الرِّجَالُ حَلْقَةَ الْبَابِ قَعْقَعُوا

يخبر بجلالتهم ومعرفتهم بأقدارهم، وثقتهم بأن مثلهم لا يُرَدُّ. وقد قال جَرير للتَّيْم خلاف هذا، وهو قوله:

قَوْمٌ إِذَا احْتَضَرَ المُلوكُ وُفُودَهُمْ　　　نُتِفَتْ شَوَارِبُهُمْ عَلَى الأَبْوَابِ

[نقد لشعر نصيب]

وحُدِّثْتُ أن جريرًا كان يقول: وَدِدْتُ أن هذا البيت من شعر هذا العبد كان لى بكذا وكذا بيتًا من شعرى - يعنى قول نُصَيْب:

بِزَيْنَبَ أَلْمِمْ قَبْلَ أَن يرحل الرَّكْب

وَقُلْ إنْ تَملِّينَا فَمَا مَلِّكِ الْقَلْبُ

وأما قول نُصَيْب:

أَهِيمُ بِدَعْدٍ مَا حَيِيتُ وَإِنْ أَمُتْ　　　أُوَكِّلْ بَدعْدٍ مَنْ يَهِيمُ بِهَا بعدى

فلم تَجِد الرّواةُ ولا مَنْ يفهم جَواهر الكلام له مَذْهَبًا، وقد ذكر عبد الملك لِجُلَسَائه ذلك فكلٌّ عابَهُ، فقال عبد الملك: فلو كَان إليكم كيف كنتم قائلين؟ فقال رَجل منهم: كنت أقول:

أهِيمُ بِدَعْدٍ مَا حَيِيتُ وَإِنْ أمُتْ　　　فَوَا حَزَنَا مَنْ ذَايَهِيمُ بِهَا بَعْدِى!

---

(1) من الشوس، وهو النظر بمؤخر العين.

فقال عبد الملك: مَا قلتَ واللهِ أسْوأُ مما قاله، فقيل له: فكيف كنتَ قائلا فى ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال كنتُ أقول:

أهيمُ بدَعْدٍ مَا حَيِيتُ فَإنْ أمُتْ ... فَلا صَلَحَتْ دَعْدٌ لِذِى خُلَّةٍ بَعْدِى

فقالوا: أنت واللهِ أَشْعَرُ الثلاثة يا أَمير المؤمنين.

[الفرزدق ونصيب وما قالاه من الشعر عند سليمان بن عبد الملك]

وقد فُضِّلَ نُصَيْبٌ على الفَرَزْدَقِ فى مَوْقِفه عند سليمان بن عبد الملك، وذلك أنهما حَضَرا، فقال سليمانُ للفرزدق: أَنْشِدْنى - وإنما أراد أن يُنْشِدَهُ مَدْحًا له - فأنشده:

وركْب كأنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عِنْدَهُمْ ... لَهَا تِرَةً مِنْ جَذْبِهَا بالْعَصَائِبِ(١)

سَرَوْا يَخْبُطونَ الرِّيحَ وهىَ تَلُفُّهُمْ ... إلَى شُعَبِ الأكْوَارِ ذَاتِ الحَقائِبِ(٢)

إذَا آنَسُوا نَارًا يَقُولونَ لَيْتَهَا ... - وقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمُ - نارُ غَالِبِ(٣)

فأعرض عنه سليمان كالمُغْضَبِ، فقال نصيب: يا أَمير المؤمنين، ألا أُنْشِدُكَ فى رَوِيِّها ما لعله لا يَتَّضِعُ عنها! فقال: هاتِ، فأنشده:

أَقُولُ لِرَكْبٍ صَادِرين لَقِيتُهمْ ... قِفَا ذَاتِ أَوْشَالٍ ومَوْلاكَ قَارِبُ(٤)

قِفُوا خَبِّرُونِى عَنْ سُلَيْمانَ إنَّنى ... لَمعْرُوفِه مِنْ أَهْلِ وَدَّانَ طَالِبُ(٥)

فعاجُوا فَأَثْنَوا بِالَّذِى أَنْتَ أَهْلُهُ ... ولَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الْحَقائِبُ

وهذا فى باب المدح حسن ومتجاوزٌ ومُبْتَدَعٌ ولم يُسْبَقْ إليه. على أن الشاعر - وهو أخو هَمْدَانَ - قد قال فى عَصْرِه فى غير المدح:

يَمُرُّونَ بالدَّهْنا خِفَافًا عِيَابُهُمْ ... ويَخْرُجْنَ مِنْ دَارِينَ بُجْرَ الحَقَائِبِ

عَلَى حينَ أَلْهَى النَّاسَ جُلُّ أُمُورِهِمْ ... فَنَدْلاً زُرَيْقُ الْمَالَ نَدْلَ الثَّعَالِبِ

(١) الترة: الثأر.

(٢) الأكوار: الرحال، مفردها كور.

(٣) خصرت: بردت.

(٤) قفاذات أو شال: خلف بقعة ذات مياه. مولاك: يريد نفسه، قارب: طالب للماء.

(٥) ودان: قرية قريبة من الجحفة.

وليس شعْـرُ نُصَيْبٍ هذا الذى ذكرناه فى المدح بأجود من قـول الفرزدق فى الفخر، وإنما يُفَاضَلُ بين الشيئين إذا تناسبا.

وقد قال سليمـان للفرزدق حين أنَشَده نصيب: كيـف تراه؟ قال: هو أشعر أهل جِلْدته، فقام الفرزدق وهو يقول:

وخَـيْرِ الشِّـعْرِ أَشْـرَفهُ رِجـالاً ... وشَـرُّ الشِّعْـرِ ما قـالَ الْعَـبِيـدُ

* * *

ثم نرجع إلى تفسير الشعر.

قوله: * يَمُرُّونَ بالدَّهْنَا خِفَافًا عِيَابُهُمْ *

يعنى قـومًا تِجَـارًا، وقد قالوا إنما ذَكَـرَ لُصُوصًـا، والأول أَثْبَتُ؛ وذلك أن دارين سُوقٌ من أسواق العرب.

وقوله: «بُجْر الْحقَائِب» يقول: عظام، ويقال للرجل إذا انْدَلَقَتْ سُرَّتُه فَتَتَأَتْ متقدمة: رجل أَبْجَرُ، ويقال لها: البُجْرَةُ والبَجَرَةُ. وفُعْلَةٌ وفعَلَةُ تقعان فى الشىء، يقال: قُلْفَةٌ وقَلَفَةٌ، وصُلْعَة وصَلَعَةٌ، ومثل هذا كثير.

وقـوله: «على حـينَ ألهى الناس» إن شـئتَ خـفضتَ «حـين» وإن شـئت نصبت، أما الخفض فـلأنه مخفوض، وهو اسم منصرف، وأما الفـتح فلإضافتك إياه إلى شىء غير مُعْرب؛ فبنيته على الفتح، لأن المضاف والمضاف إليه اسم واحد فبنيته من أجل ذلك، ولو كان الذى أضفته إليـه معربا لم يكن إلا مخفوضًا، وما كان سوى ذلك فهو لحن، تقول: «جئتك على حينِ زيد»، و«جِئْتُكَ فى حينِ إمْرَةِ عبدِ الملكِ»، وكذا قولُ النابغة:

عَلَى حِينِ عَاتبْت المَشِيبَ على الصِّبَا ... وقُلْتُ: أَلَمَّا أَصْحُ والشَّيْبُ وازِع!

إن شئت فتحت، وإن شـئت خفضت، لأنه مضاف إلى فعل غـير متمكن. وكذلك قولهم: «يَوْمـئذ»، تقول: عجبت من يومِ عبـد اللهِ، لا يكون غيره، فإذا أضـفـتَـهُ إلـى «إذ»، فـإن شـئـت فتـحت على مـا ذكرت لك فى «حـين»، وإن شئت خفضتَ، لِمَا كـان يستحقه اليومُ من التَّمكُّن قبـل الإضافة. تقرأ إن شئت:

﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمَئذ﴾[1]، وإن شئت: ﴿مِنْ عذابِ يَوْمَئِذٍ﴾ على ما وصفتُ لك، ومن خفض بالإضافة قال: سير بزيد يَوْمَئذ، فأعربته فى موضع الرفع، كما فعلت به فى الخفض، ومن قال: ﴿مِنْ خِزْىِ يَوْمَئذ﴾ فبناه قال: سيرَ بزيد يَومْئذ، يكون على حالة واحدة لأنه مبنىّ، كما تقول: دُفِعَ إلى زيد خمسة عَشَرَ دِرْهَمًا، وكما قال عز وجل: ﴿عليها تسْعَةَ عشَرَ﴾[2].

وأما قوله:

* فَنَدْلاً زُرَيْقُ المالَ نَدْلَ الثعالب *

فَزُرَيْقٌ قَبيلة. وقوله «نَدْلاً» مصدر، يقول: أنْدُلى نَدْلاً يا زُرَيْق المالَ، والنَّدْلُ: أن تَجْذِبَهُ جَذْبًا، يقال: نَدَلَ الرجلُ الدَّلْوَ نَدْلاً إذا كان يَجْذِبُها مملوءة من البئر، فنصَبَ «نَدْلاً» بفعل مضمر وهو «انْدُلى». وهذا فى الأمر، تقول: ضَرْبًا زيدًا، وشَتْمًا عبدَ الله، لأن الأمر لا يكون إلا بفعل، فكان الفعلُ فيه أقوى، فلذلك أضمرته، ودلّ المصدر على الفعل المضمر، ولو كان خبرًا لم يجز فيه الإضمارُ؛ لأن الخبر يكون بالفعل وغيره، والأمر لا يكون إلا بالفعل، قال الله عز وجل: ﴿فَإِذَا لقيتم الّذينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾[3]. فكان فى موضع «اضْرِبوا»، حتى كأن القائل قال: فاضربوا، ألا تَرَى أنه ذكر بعده الفعل مَحْضًا فى قوله: ﴿حتى إذا أثْخَنْتُمُوهُم فَشُدُّوا الوَثَاقَ﴾، ولو نَوَّنَ مُنَوِّنٌ فى غير القرآن لَنَصَبَ «الرقاب»، وكذلك كل موضع هو بالفعل أَوْلَى.

وقوله: «ندل الثعالب» يريد سرعةَ الثعالب، يقال فى المَثَلِ: «أكْسَب من ثَعْلَبَ».

وأما قول نُصَيْبِ:

* ولَوْ سكتوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الحَقَائِبُ *

---

(1) المعارج ١١ .

(2) المدثر ٣٠.

(3) محمد ٤ .

فإنما يريد أنهم يرجعون مملوءة حقائبهم من رِفْدِهِ، فقد أَثْنَتْ عليه الحقائب من قبل أن يقولوا، وأما قول الأعْشَى:

وإنَّ عِتَاقَ العيسِ سَوْفَ تَزُورُكُمْ ثَنَاء عَلَى أعَجْازِهِنَّ مُعَلَّقُ(١)

فإنما أراد المدح الذى يُحْدَيْنَ به، والحادى من ورائها، كما أن الهادى أمامها.

وأما قول أبى وَجْزَةَ السعدىّ:

رَاحَتْ بِستِّينَ وَسْقًا فى حَقِيبَتِها ما حَمَلَتْ حَمْلَها الأدْنَى ولا السَّدَدَا

فإنما أراد ما يوجب ستين وَسْقًا، لا أن الناقة حَمَلَتْ ستين وَسْقًا.

[حديث أبى وجزة وأبى زيد الأسلمى]

وكان من حديث ذلك أن أبا وَجْزَةَ السُّلَمِىَّ، المعروف بالسَّعْدىّ لنزوله فيهم، ومحالفته إياهم، كان شَخَصَ إلى المدينة يريد آل الزُّبَيْرِ، وشَخَصَ أبو زيد الأسلمىُّ يريد إبراهيمَ بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَرَ بن مَخْزُومٍ ـ وهو والى المدينة ـ فاصْطَحَبا، فقال أبو وجزة: هَلُمَّ فلْنَشْتَرِكْ فيما نُصيبه، فقال أبو زيد الأسلمىُّ: كَلاَّ، أَنا أَمْدَحُ الملوك، وأنت تمدح السُّوَق(٢)، فلما دخلا المدينة صار أبو زيد إلى إبراهيم بن هشام فأنشده:

* يَا بْنَ هِشَامٍ يَا أَخَا الْكِرَامِ *

فقال إبراهيم: وإنما أنا أخوهم، وكأَنِّى لَسْتُ منهم! ثم أَمَرَ بِهِ فَضُرِبَ بالسياط.

وامْتَدَح أبو وَجْزَةَ آل الزُّبَيْرِ، فكتبوا إليه بستين وَسْقًا من تمر، وقالوا: هى لك عندنا فى كل سنة، فانْصَرَفا، فقال أبو زيد:

مَدَحْتُ عُرُوقًا للنَّدَى مَصَّتِ الثَّرَى حَدِيثًا فَلَمْ تَهْمُمْ بِأَنْ تَتَزَعْزَعَا

نَقَائِذَ بُؤْسٍ ذَاقَتِ الْفَقْرَ وَالْغِنَى وحَلَّبَتِ الأَيَّامَ وَالدَّهْرَ أَضْرُعَا

(١) عتاق العيس: نجائب الإبل البيض فى شقرة يسيرة.

(٢) السوق: جمع السوقة، وهى من الناس من لم يكن ذا سلطان.

سَقَاها ذَوُو الأرْحَامِ سَجْلاً عَلَى الظَّما وَقَـدْ كَـرِبَتْ أَعْنَاقُـهـا أن تَقَطَّعـا

بِفَضْلِ سِجالٍ لَوْ سَـقَوْا مَنْ مَشَى بِهَا عَلَى الأرْضِ أَرْوَاهُمْ جميعًا وَأَشْبَعا

فَـضَمَّتْ بِأَيْدِيهَـا عَلَى فَـضْلِ مَائِهَـا منَ الرِّيِّ لَمَّـا أوْشكَتْ أَنْ تَضَلَّعـا

وَزَهَّدَهَا أنْ تَفْـعَلَ الْخَـيْـرَ فى الغِنَى مُقَـاسَاتُهَـا مِنْ قَبْلِه الفَـقْرَ جُـوَّعَا

وقال أبو وجزة:

رَاحَتْ رَواحًـا قَلوصِى وَهْى حَامِـدَةٌ آلَ الزُّبَيْـرِ ولَمْ تَعْـدِلْ بِهِـمْ أَحَـدًا

رَاحَت بِسِـتِّينَ وَسْـقًا فى حَـقِيبَتِـهَا مَا حَمَلَتْ حَمْلَهَا الأَدْنَى وَلاَ السَّدَدَا

مَـا إنْ رَأَيْتُ قَلُوصًـا قَبلَهَـا حَـمَلَتْ سِـتِّيـنَ وَسْقًـا ولاَ جَـابَتْ بِهِ بَلَدَا

ذَاكَ الْقِـرَى، لاَ قِـرَى قَـوْمٍ رَأَيْتُـهُمُ يَقْـرُونَ ضَـيْـفَـهُمُ الَملْوِيَّةَ الْجُـددَا

أما قول أبى زيد لإبراهيم:

مدحتُ عروقًا للندى مضت الثرى حديثًا . . .

فإنما عَنَى أن إبراهيم وأخاه مـحمدًا إنما تَطَعَّما بالعيش، ودخـلا فى النِّعمة، وخرجا من حدّ السُّوق إلى حدّ الملوك حديثًا، وذلك بهشام بن عبد الملك؛ لأنهما كانَا خالَيْه، وإنّما ولاَّهَما عن خُمُول.

وقوله: «فلم تهمم بأن تتزعزعا»، فـإنما هذا مَثَلٌ: يقال: فلان يَهْتَزُّ للنَّدَى، ويرتاح لفعل الخير، كما قال مُتَمِّم بن نُوَيْرَة:

تَرَاهُ كَنَصْلِ السَّيْفِ يَهْـتَزُّ للنَّدَى إِذَا لَمْ تَجِدْ عند امْرِئِ السَّوْءِ مَطْمَعَا

وتأويل ذلك أنه يتحرك تَحَرُّكَ سرُور لفعل الخير.

[لأبى رباط فى ابنه]

قال أبو العباس: وأنشدنى التَّوَّزِىُّ لأبى رِباطٍ، يقول لابنه:

رَأَيْتُ رِبَاطًا حِـيـنَ تَمَّ شَـبَـابُهُ وَوَلَّى شَبَابِى لَيْسَ فى بِرِّهِ عَتْبُ(١)

---

(١) أى بر خالص لا عتب فيه ولا لوم.

إِذَا كَـانَ أَوْلادُ الرِّجَـالِ مَـرَارَةً فَأَنْتَ الْحَلالُ الحْلوُ وَالْبَارِدُ الْعَذْبُ

لَنَا جَـانِبٌ مِنْهُ أَنيقٌ وَجَـانِبٌ شَدِيدٌ عَلَى الأَعدَاءِ مَـرْكَبُهُ صَعْبُ

وَتَأْخُـذُهُ عِنْدَ المَكَارِمِ هِـزَّةٌ

كَمـا اهْـتَزّ تَحْتَ الْبَارِحِ الْغُصنُ الرَّطْبُ(١)

[أعرابى عند عمر بن هبيرة]

قال: وحدثنى علىّ بن عـبد الله قال: حدثنى العُتْبىُّ قـال: أشْرَفَ عمر بن هُبَيْرَةَ الفَزَارِىُّ من قصره يومًا فإذا هو بأعرابىّ يُرَقِّصُ جَمَلَهُ الآلُ(٢)، فقال لحاجبه: إن أرادنى هذا فَأَوْصِلْهُ إِلىَّ، فلما دنا الأعرابىُّ سأله فقال: قصدتُ الأمير. فأَدْخَلَهُ إليه، فلما مَثَلَ بين يديه قال له عمر: ما خَطْبُكَ؟ فقال الأعرابىُّ:

أَصْلَحَكَ اللهُ، قَلَّ مَـا بِيَـدِى فَمَـا أُطِيقُ الْعِـيَـالَ إِذْ كَـثُـرُوا

أَلَـحَّ دَهْـرٌ أَنْحَـى بِـكَـلْكَـلِـهِ فَـأَرْسَلُـونِى إِلَيْـكَ وَانْتَـظَرُوا

رَجَـوْكَ لِلدَّهْرِ أَنْ تَكُـوَن لَهُمْ غَـيْثَ سَحَـابٍ إِنْ خَـانَهُمْ مَطَر

قال: فأخذتْ عمرَ الأرْيَحِيّة، فَجَعَلَ يهتَزُّ فى مجلسه، ثم قال: أرسلوك إِلَىَّ وانتظروا؟ إذًا والله لا تجلسُ حتى ترجعَ إليهم غانمًا، فَأَمَرَ له بألف دينار وردَّهُ على بـعيـره.

قال أبو العباس: وحدثنى أبو إسحاق القاضى إسماعيل بن إسحاق أن الخبر لِمَعْنِ بن زائدة، وصحّ ذلك عندى.

* * *

وقوله: «نقائذ بؤس(٣)» واحدتها نَقيذَة. وتأويله أنهم أُنْقِذُوا من بُؤْسٍ، يقال للرجل والمرأة ذلك على لفظ واحد، تقول: هذا نَقيـذَةُ بُؤْسٍ، تقع الهاء للمبالغة؛ لأن أصله كالمصدر، كقـولك: زيد مَكْرُمَةٌ لأهله، وزيد كـريمة قـومه، أى يَحُلُّ مَحَلَّ العقدة الكريمة، والخَصْلَة الكريمة.

---

(١) البارح: الريح.
(٢) الآل: ما تراه فى الضحى بين السماء والأرض.
(٣) من كلمة أبى زيد الأسلمى ص ١٨٨.

وفى الحديث أن رسول الله ﷺ أكْرَمَ جرير بن عبد الله البَجَلىَّ لما وَرَدَ عليه، فبسط له رداءه، وعَمَّمَهُ بيده، وقال له: «إذا أتاكم كَرِيمةُ قومٍ فأكْرِموهُ». هكذا روى فُصَحاءُ أصحاب الحديث.

وقد قال ﷺ قبل ورُوده عليه: «يَطْلُعُ عليكم من هذا الفَجِّ خَيْرُ ذى يَمَن، عليه مَسْحَة مَلك».

[لصخر بن عمرو الشريد]

وقال صَخْرُ بن عمرو بن الشَّريد، يعنى معاويةَ أخاه، وكان قتله هاشم ودُرَيْدٌ ابْنا حَرْمَلَةَ المُرِّيَّانِ من غطفان، فقيل لصخر: اهْجُهُمْ، فقال: ما بينى وبينهم أقْذَعُ من الهِجاء، ولو لَم أُمْسِكْ عن هجائهم إلا صَوْنًا لنفسى عن الخَنَا لفعلت ثم قال:

وعَاذلةٍ هبّتْ بِلَيلٍ تَلومُنى ... ألاَ لاَ تَلُومينى كَفَى اللَّوْمَ مَا بِيَا

تَقُولُ: ألاَ تَهْجُو فَوَارِسَ هاشِمٍ ... وَمَالِىَ إذْ أَهْجُوهُمُ ثُمَّ مَالِيَا !

أبَى الشَّتْمِ أنِّى قَدْ أصَابُوا كَرِيمَتِى ... وَأَنْ لَيْسَ إِهْدَاءُ الخَنَا مِنْ شِمَالِيا[1]

وتقول العرب للرجل: راوية ونَسَّابَةٌ؛ فتزيد الهاء للمبالغة، وكذلك عَلاَّمَة؛ وقد تلزمُ الهاءُ فى الاسم فتقع للمذكر والمؤنث على لفظ واحد، نحو رَبْعَة ويَفَعَة وصَرورة[2]. وهذا كثير لا تُنْزَعُ الهاءُ منه، فأما راوية وعلامة ونسَّابة فحذفُ الهاء جائزٌ فيه، ولا يَبْلُغُ فى المبالغة ما تَبْلُغُهُ الهاء.

* * *

---

(١) زيادات ر بعد هذا البيت:

إذا ذكر الإخوان رقرقت عبرةً ... وحييتُ رسمًا عند لِثَّة ثاويا

إذا ما امرؤ أهدى لميت تحيةً ... فحياك ربُّ العرش عنى مُعاويا !

وهوّن وجدى أننى لم أقلْ له ... كذبتَ، ولم أبخل عليه بماليا

قال الأخفش: وأنشدنى الأحول:

* ومالىَ أن أهجوهمُ ثم ماليا *

(٢) رجُل ربعة: بين الطول والقصر. ويفعة: شارف الاحتلام، والصرورة: الرجل الذى لم يحج ولم يتزوج، وأصله من الحبس.

وقوله[1]:

* وَحَلَّبَتِ الأَيَّامَ وَالْدَّهْرَ أَضْرُعًا *

فإنه مَثَلٌ، يقال للرجل المجرِّبِ للأمور: فلان قد حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطُرَه، أى قد قاسى الشِّدَّةَ والرَّخَاء، وتَصَرَّفَ فى الفقر والغِنى، كما قال القائل:

قَدْ عِشْتُ فى النَّاسِ أطْوَارًا عَلَى طُرُقٍ شَتَّى، وَقَاسَيْتُ فيها اللِّينَ والْفَظَعَا

كلاًّ بَلَوْت، فَلاَ النَّعْمَاءُ تُبْطِرُنِى وَلا تَخَشَّعْتُ مِنْ لأْوائِهَا جَزَعَا

لا يَمْلأُ الْهَوْلُ صَدْرِى قَبْلَ مَوْقِعِه وَلاَ أَضِيقُ بِه ذَرْعًا إِذَا وَقَعَا

ومعنى قوله: «أَشْطُرَه» فإنما يريد خُلوفَهُ، يقال: حَلَبْتُهَا شَطْرًا بعد شَطْرٍ: وأصل هذا من التَّنَصُّفِ، لأن كل خِلْفٍ عَدِيلٌ لصاحبه. وللشَّطْرَ وجهان فى كلام العرب، فأحدهما النصف كما ذكرنا، من ذلك قولهم: شَاطَرْتُكَ مالى، والوجه الآخر القَصْدُ، يقال: خُذْ شَطْرَ زَيد، أى قَصدَه، قال الله عز وجل: ﴿**فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ**﴾، أى قَصده، ﴿**وَحَيْثُما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**﴾[2].

قال أبو العباس، وأنشدنى التَّوَّزِىُّ عن أبى عُبيدة قولَ الشاعر:

إِنَّ الْعَسِيرَ بِهَا دَاءٌ مُخَامِرُهَا فَشَطْرَهَا نَظَرُ الْعَيْنَيْنِ مَحْسُور

يريد ناحيتها وقصدَها، والعَسير: التى تَعْسِرُ بِذَنَبِها إذا حَمَلَتْ، أى تشيلُهُ وترفعه، ومنه سمى الذَّنَبُ عَوْسَرًا، أى تضرب بذنبها. ومعنى ذلك أنه ظهر من جَهْدِهَا وسُوءِ حالها ما أطيلَ معه النظر إليها حتى تَحْسِرَ العينانِ. والحَسير: المُعيِى، وفى القرآن: ﴿**يَنْقَلِب إليكَ البَصَرُ خاسِئًا وهو حَسِيرٌ**﴾[3].

وقوله:

* سقَاهَا ذَوُو الأَرْحَامِ سَجْلا عَلَى الظَّمَا *

---

(1) انظر ص ١٨٨.

(2) سورة البقرة ١٤٤.

(3) سورة الملك ٤.

فالسَّجْلُ فى الأصل الْدَّلْوُ، وإنما ضربه مَثَلاً لما فاضَ عليها من ندَى أقاربها، يقال للدلو ـ وهى مؤنثة: سَجْلٌ وذَنُوبٌ، وهما مُذَكَّران، والغَرْبُ مذكر، وهو الدلو العظيمة، ويقال: فلان يُسَاجِلُ فلانا، أى يُخْرِجُ من الشرف مثل ما يُخْرِجُ الآخر، وأصل المُساجلة أن يَسْتَقِىَ سَاقيان، فيُخْرِجُ كلٌّ واحدٍ منهما فى سَجْلِه مثل ما يُخْرِجُ الآخَرُ، فأيُّهما نَكَلَ فقد غُلِب، فضربتْه العرب مثلا للمفاخرة والمساماة. وبَيَّنَ ذلك الفَضْلُ بن العباس بن عُتْبَةَ بن أبى لَهَبٍ فى قوله:

مَنْ يُسَاجِلْنِى يُسَاجِلْ ماجِدًا ... يَمْلأُ الْدَّلْوَ إِلَى عَقْدِ الْكَرَبْ

ويقال: إن الفَرَزْدق مَرّ بالفَضْل وهو يَسْتَقى، ويُنْشِدُ هذا الشعر، فَسَرا الفرزدَقُ ثيابه عنده، ثم قال: أنا أُساجِلُكَ ـ ثِقَةً منه بنَسبه ـ فقيل له: هذا الفَضْلُ ابن العباس بن عتبة بن أبى لهب. فرد الفرزدق ثيابه عليه ثم قال: ما يُساجلك إلا مَنْ عَضَّ بأيْر أبيه!

يقال: سَرَا ثوبَهُ ونَضَا ثوبه فى معنى واحد، إذا نزعه، ويقال: سَرَى عليه الهَمُّ إذا أتى ليلا، وأنشد:

* سَرَى هَمِّى وَهَمُّ المَرْءِ يَسْرِى[1] *

وسَرَى هَمُّهُ إذا ذهب عنه. والمواضَخَةُ مثل المُساجلة، قال العَجَّاجْ:

* تُوَاضِخُ التَّقْرِيبَ قِلْوا مِخْلَجًا *

أى تُخْرِجُ من العَدْوِ مثل ما يُخْرِجُ، قال اللّٰه عز وجل على مَخْرَجِ كلام العرب وأمثالهم: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾[2]. وأصل الذّنوب الْدلْوُ كما ذكرت لَكَ.

وقال عَلْقمةُ بن عَبَدَة للحارث بن أبى شمْر الغَسَّانىّ:ـ [قال أبو الحسن: غير أبى العباس يقول شِمْرٌ، وبعضهم يقول شَمْرٌ] ـ وكان أخوه أسيرا عنده، وهو

(١) بقية البيت كما فى زيادات ر:

* وغار النجم إلاّ قيدَ؟ *

وفيها: «البيت لعروة بن أذينة الليثى شيخ مالك بن أنس».

(٢) سورة الذاريات ٥٩.

شَأْسُ بن عَبَدَةَ أَسَرَهُ فى وقعة عين أُباغ. ـ [قال أبو الحسن: غيره يقول إباغ، بالكسر] ـ فى الوقعة التى كانت بينه وبين المُنْذرِ بن ماء السّماءِ، فى كلمةٍ له مَدَحَه فيها:

وَفى كلِّ حَىٍّ قدْ خَبَطْتَ بِنعْمةٍ فَحُقَّ لَشَأْسٍ مِنْ نداكَ ذَنُوبُ

فقال المَلِكُ: نعم وأَذْنِبَةٌ.

وقوله:

* وقد كَرَبَتْ أعناقُها أن تَقَطَّعا *

يقول: سُقِيَتْ هذا السَّجْلَ وقد دَنَتْ أعناقُها من أَن تَقَطَّعَ عطشًا، وكَرَبَ فى معنى المُقاربةِ، يقال: كاد يفعلُ ذلك، وجَعَل يفعل ذلك، وكَرَبَ يفعلُ ذلك، أى دنا من ذلك. ويقال: جاء زَيد والخَيْلُ كارِبَتُهُ، أى قد دَنَتْ منه وقَرُبَتْ. فأما أَخَذَ يفعلُ، وجَعَلَ يفعلُ، فمعناهما أنه قد صار يفعل، ولا تقع بعد واحدة منهما: «أن» إلا أن يُضْطَرَّ شاعرٌ، قال الله عز وجل: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾(١) أى لم يَقْرُبْ من رؤيتها، وإيضاحه: لم يَرَهَا ولم يكدْ، وكذلك: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾(٢)، وكذلك: ﴿كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾(٣) بغير «أَنْ». ومن أمثال العرب: كادَ النَّعامُ يطير، وكاد العَرُوس يكون أميرًا، وكاد المُنْتعِلُ يكون راكبًا، وقد اضْطرَّ الشاعرُ فأَدْخَلَ «أن» بعد «كاد»، كما أدخلها هذا بعد «كَرَبَ» فقال:

* وَقَدْ كَرَبَتْ أَعْنَاقُهَا أَنْ تَقَطَّعَا *

وقال رُؤْبَة:

* قَدْ كادَ مِنْ طُولِ الْبِلَى أَنْ يَمْصَحَا(٤) *

---

(١) سورة النور ٤٠.
(٢) سورة النور ٤٣.
(٣) سورة التوبة ١١٧.
(٤) يمصح: يدرس.

فكاد بمنزلة كَرَبَ فى الإعْمَال والمعنى، قال الشاعر:

أَغِـثْنِى غِيَـاثًا يَا سُلَيْمَـانُ إِنَّنِى سَبَقْتُ إِلَيْكَ المَوْتَ، وَالمَوْتُ كَارِبِى
خَـشْيَـةَ جَوْرٍ مِنْ أَمِـيرٍ مُـسَلَّطٍ وَرَهْطِى، وَمَا عَادَاكَ مِثْلُ الأَقَارِبِ!

وقوله: «لَمَّا أَوْشَكَتْ أَنْ تَضَلَّعَـا»: يقول: لما قارَبَتْ ذلك، والوَشِـيكُ القريب من الشيء والسـريع إليه، يقـال: يُوشِكُ فلانٌ أن يفـعل كذا وكـذا، والماضى منه أوْشَكَ، ووقعتْ بأن وهو أجـود، وبغير «أنْ» كـما كان ذلـك فى «لَعَلَّ»، تقول: لَعَلَّ زيدًا يقوم، فهذه الجَـيِّدةُ، قال الله عزّ وجل: ﴿**لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُون قريبًا**﴾(١)، و﴿**لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾(٢)، و﴿**لَعلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْـدَ ذلكَ أَمْرًا**﴾(٣). وقال متمِّمُ ابن نُوَيْرَةَ:

لَعَلَّـكَ يَوْمًـا أَنْ تُلِمَّ مُـلِمَّـةٌ عَلَيْكَ مِنَ اللائى يَدَعْنَكَ أَجْدَعَا

وعَسَى، الأجودُ فيـها أن تستَعمَلَ بأنْ، كقولك: عـسى زيد أن يقوم، كما قال الله عزّ وجل: ﴿**فَعَسَى اللهُ أَنْ يأْتِىَ بالفتْحِ**﴾(٤)؛ وقال جَلَّ ثناؤه ﴿**عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ**﴾(٥)، ويجوز طَرْحُ «أَنْ» وليس بالوجه الجيد، وقال هُدْبَةُ:

عَسَى الكَرْبُ الَّذِى أَمْسَيْت فِيهِ يَكُـونُ وَرَاءَهُ فَـرَجٌ قَـرِيبُ

وقال آخر(٦):

عَسى اللهُ يُغْنِى عَنْ بِلاَدِ ابن قَادِرٍ بِمُنْهَـمِـرٍ جَـوْنِ الرَّبَابِ سَكُوبِ

وحروف المقَارِبَة لها باب قد ذكرناها فيه على مـقاييسها فى الكتاب المُقْتَضَبِ بغاية الاستقصاء.

---

(١) سورة الأحزاب ٦٣.
(٢) سورة طه ٤٤.
(٣) سورة الطلاق ١.
(٤) سورة المائدة ٥٢.
(٥) سورة التوبة ١٠٢.
(٦) هو سماعة بن أشول النعامى.

وقوله: «أن تَضَـلَّعَا»، معناه أن تمتلـئ، وأصله أن الطعام والشراب يَـبْلُغانِ الأضلاعَ فيكُظَّانِهَا[1] كذلك قال الأصمعىّ فى قولهم: أَكَلَ حتى تَضَلَّعَ.

وأما قول أبى وَجْزَة: «راحتْ بستِّين وَسْقَـا» فالوَسْقُ خمسة أَقْفزة بُملْجَم[2] الْبَصْرة، وفى الحديث عن النبى ﷺ: «ليس فيما دونَ خَـمْسةِ أَوْسُقٍ صدَقَة»، فما كان أقل من خـمسـة وعشـرين قفيـزا بالقَفِـيزِ الذى وصـفنا، وهو نصف القفـيز البَـغْدَادىِّ فى أرض الصـدقة فَلاَ صـدقة فـيه، وإنما أراد: أنه أَخَـذَ الكتابَ بـهذه الأوْسُقِ، فلذلك قال:

مَا إِنْ رَأَيْتُ قُلوصًا قَبْلَهَا حَملَتْ ستِّينَ وَسْـقًا ولاَ جَابَتْ بِهِ بَلَدَا

وأما قوله:

* يَقْرُونَ ضَيْفَهُمُ المَلْوِيَّةَ الجُدُدا *

فإنما أراد السياط، وجمع جَديد جُدُدٌ، وكذلك باب «فَعيلٍ» الذى هو اسْم، أو مضارع للاسم، نحـو قَضيبٍ وقُضُبٍ، ورَغيف ورُغُف، وكـذلك سَرِيرٌ وسُرُرٌ وجَديدٌ وجُدُدٌ، لأنه يَجْرِى مَجْرَى الأسماء، وجَرِيرٌ وجُرُرٌ. فما كان من المضاعف جاز فيه خاصةً أن تُبْدَلَ من ضمته فتحة لأن التضعيف مُسْتَثْقَلٌ، والفتحة أَخَفُّ من الضمة، فيجـوز لمن يُمالُ إليها اسْتخفافًا، فيـقال: جُدَدٌ وسُرَرٌ، ولا يجوز هذا فى مثل قَضيب لأنه ليس بمضاعَف، وقد قرأ بعضُ القُرَّاء: ﴿عَلَى سُرَرٍ مَوْضُونَة﴾[3]، ويقال للسـوط الأَصْبَحِىُّ، يُنْسَبُ إلى ذى أَصْبَحَ الْحِمْيَرِىِّ، وكـان أوّلَ منْ اتخذ هذه السِّياطَ التى يُعاقِبُ بها السلطانُ، ويقال له: العرْفَاصُ والقطيعُ. وقال الشَّمَّاخ:

* تَكَادُ تَطِيرُ مَنْ رَأَى الْقَطِيعِ *

وقال الصَّلَتَانُ العَبْدِىُّ:

أَرَى أُمَّـةً شَـهَـرَتْ سَـيْـفَـهَـا وَقَدْ زِيدَ فى سَوْطِهَـا الأصْبَحِىُّ

(١) من الكظة.
(٢) مكيال لأهل البصرة.
(٣) سورة الواقعة ١٥.

وقال الراعى:

أَخَذُوا الْعَرِيفَ فَقَطَّعُوا حَيْزُومَهُ ... بِالأَصْبَحِيَّةِ قَائِمًا مَغْلُولا

وقال الراجز:

* حَتَّى تَرَدَّى طَرَفُ الْعِرْفَاصِ *

وقوله: «وَلاَ جابتْ به بَلَدَا»، يقول: ولا قَطَعَتْ به، يقال: جُبْتُ البلاد، وقال اللّٰه عزّ وجل: ﴿وَثَمُودَ الّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بالْوَاد﴾[1]. ويقال: رجل جَوَّابٌ جَوَّالٌ. وأَنْشَدَنِى علىُّ بن عبد اللّٰه، قال: أنشدنى القَحْذَمِّى:

مَا مَنْ أَتَتْ مِنْ دُونِ مَوْلِدِهِ ... خَمْسُونَ بِالمَعْذُورِ بِالْجَهْلِ

فَإِذَا مَضَتْ خَمْسُونَ عَنْ رَجُلٍ ... تَرَكَ الصِّبَا وَمَشَى عَلَى رِسْلَ

وأَمَرَ مُصْعَبُ بن الزُّبَيْرِ رجلا من بنى أَسَدِ بن خُزَيْمَةَ بقتل مُرَّةَ بن مَحْكان السَّعْدِىِّ، فقال مُرَّةُ فى ذلك:

بَنِى أسَدٍ إنْ تَقْتُلُونِى تُحَارِبُوا ... تَميمًا إذَا الْحَرْبُ الْعَوَانُ اشْمَعَلَّت

وَلَسْتُ وَإِنْ كَانَتْ إِلَىَّ حَبِيبَةً ... بِبَاكٍ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا تَوَلَّت

قوله: «إذا الحرب العوان»، فهى التى تكون بعد حَرْبٍ قد كانت قبلها، وكذلك أصل العوان فى المرأة إنما هى التى قد تزوجت، ثم عاودتْ فخرجتْ عن حدِّ البِكْرِ، وقول الله عز وجل فى كتابه العزيز: ﴿لاَ فارضٌ وَلاَ بكْرٌ﴾[2] هو تمام الكلام، ثم استأنف فقال: ﴿عَوَانٌ بيْنَ ذلك﴾. والفارض: هاهنا المسنَّة، والبِكْرُ: الصغيرة، ويقال: لهَاةٌ فارضُ أى واسعة، وفَرْضُ القَوْسِ موضع مَعْقِدِ الْوَتَرِ، وكل حَزٍّ فَرْضٌ، والْفُرْضة مُتَطَرَّقٌ إلى النَّهْرِ: قال الراجز:

* لَهَا زِجاجٌ وَلَهَاةٌ فارِضُ *

وقوله: «اشْمَعَلَّتْ»، إنما هو ثارَتْ فأسرعتْ، قال الشّمّاخُ:

---

(١) سورة الفجر ٩.

(٢) سورة البقرة ٦٨.

رُبَّ ابْنِ عَمٍ لِسُلَيْمَى مُشْمَعِلّ   أَرْوَعَ فى السَّفَرِ وَفى الحَىِّ غَزِلْ
طَبَّاخِ سَاعَاتِ الْكَرَى زَادَ الْكَسِلْ

وقوله:

ولسْت وإن كـانتْ إلىّ حبيبـة   بباكٍ علـى الدنيا ....

إنما هو تقديم وتأخير، أراد: ولست بباكٍ على الدنيـا وإن كانت إلىَّ حبيبةً، ولولا هذا التقدير لم يجز أن يُضمرَ قبل الذِّكْرِ، ومثله:

إنْ تَلْقَ يَوْمًـا عَلَى عِلاتِهِ هَرِمًـا   تَلْقَ السَّمَاحَـةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقَا

وكذلك قول حَسَّان بن ثابت:

قدْ ثَكلَتْ أَمُّـهُ مَنْ كُنْتُ وَاحِدَهُ   أَوْ كَانَ مُنْتَسِبًا فى بُرْثُنِ الأسَدِ

يقول: من كنتُ واحده قد ثَكلَتْ أمُّهُ، وكذلك قوله:

شَـرَّ يَوْمَـيْـهَـا وأَخْـزَاهُ لَهَـا   رَكِـبَتْ هِـنْدٌ بِحَـدْجٍ جَـمَـلاَ

يقول: ركبت هند بِحِدْجٍ جَمَلاً فى شَرِّ يَوْمَيْهَا.

* * *

وقال رجل من مُزَيْنَةَ:

خَلِيلَىَّ بِالْبَوْبَاةِ عُـوجَا فَلاَ أَرَى   بِهَـا مَنْزِلاً إلاَ جَـدِيبَ المقـيّـدِ
نَذُقْ بَرْدَ نَجْدٍ بَعْدَ مَـا لَعِبَتْ بِنَا   تِهَـامَةُ فى حَـمَّـامِهَـا المتَوَقِّـدِ

قـوله: «بالبوباة»، فـهى المُتَّسَـعُ من الأرض: وبعضـهم يقول: هى المَوْمَـاةُ بعينـها، قلبت الميم باء لأنهـما من الشَّفَةِ، ومثلُ ذلك كثيـر، يقولون: ما اسْمُكَ وبَـا اسْمك؟ ويقولون: ضَـرْبَةُ لازِمٍ ولازِبٍ، ويقولون: هذا ظَأْمِى وظَأْبِى: يَعْنون السِّلْفَ - [قال أبوالحسن: الجيِّدُ سِلْفٌ، وما قـال ليس بممتنع] - ويقولون: زُكْـبَةُ سَـوْءٍ وزُكْـمَةُ سَـوْءٍ: أى وَلَدُ سَـوْءٍ، ويقـولون: عَـجْمُ الذَّنَبِ وعَـجْبُ الذَّنَبِ، ويقولون: رجل أخْرَمُ وأخْرَبُ، وهذا كثير. وقال عُمَرُ بن أبى ربيعة:

عُـوجـا نُحَـيِّى الطَّلَلَ المُحْـولاَ   والرَّبْعَ مِـنْ أَسْـمَـاءَ والمَنْزِلا

بجَـانِبِ الْـبَـوْبَـاةِ لَمْ يَعْـدهُ   تَقَـادُمُ الْعَـهْـدِ بِـأَنْ يُؤْهَلا

وقوله: «إلا جَديبَ المقيَّد»، يقال: بلد جَدْبٌ وجَديبٌ، وخَصْبٌ وخَصيبٌ، والأصل فى النعت خَصيبٌ ومُخصِبْ، وجَديبٌ ومُجْدِبٌ، والخصْبُ والجَدْبُ إنما هما ما حلّ فيه، وقيل: خَصيبٌ وأنت تريد مُخْصِبٌ، وجَديبٌ وأنت تريد مُجْدِبٌ، كقولك: عذاب أليمٌ وأنت تريد مُؤْلِمٌ، قال ذوالرُّمة.

وَنَرْفَعُ مِنْ صُـدُورِ شَمَـرْدَلاَتٍ   يَصُكُ وَجُـوهَهَـا وَهـجٌ أَلِيمُ

ويقال: رجل سَميع، أى مُسْمِعٌ، قال عَمْرُو بن مَعدى كرب:

أَمِنْ رَيْحَـانَةَ الدَّاعِى السَّـمِيعُ   يُؤرِقنى وأَصْـحَابِى هُـجُوعُ

وأَما قوله: «المُقَيَّدُ» فهو موضع التقييد، وكل مَصْدَر زيدت الميمُ فى أوله إِذَا جاوَزَت الفعل من ذوات الثلاثة فهو على وزن المَفْعول، وكذلك إذا أردتَ اسم الزمان واسم والمكان، تقول: أَدْخَلْتُ زيداً مُدْخَلاً كريماً. وسَرَّحْتُهُ مُسَرَّحًا حَسَنًا، واستخرجتُ الشيء مَسْتَخْرَجًا، قال جَرير:

أَلَمْ تَعْلَمْ مُـسَـرَّحِىَ الْقَـوَافِى   فَـلاَ عِـيًّـا بِـهِنَ وَلاَ اْجْـتِـلاَبَا

أى تَسْريحى، وقال عز وجل: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِى مُنْزَلاً مُبارَكًا﴾(١)، ويقال: قمتُ مَقامًا، وأَقَمْتُ مُقامًا، وقال عز وجل: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقاما﴾(٢) أى موضع إقامة، وقال الشاعر(٣):

وَمَـا هِىَ إِلاَ فى إِزَارٍ وَعِلْقَـةٍ   مُغَارَ ابْنِ هَمَّامٍ عَلَى حَىِّ خَثْعَمَا

يريد زمنَ إِغارة ابْن هَمَّام.

---

(١) سورة المؤمنون ٢٩.

(٢) سورة الفرقان ٦٦.

(٣) فى زيادات ر قبل هذا البيت:

تطول القـصـار والطوال يَطلْنَهـا   فـمن يرها لا ينسـهـا مـا تكلّمـا

وفيها نسبة البيتين إلى حميد بن ثور، وقد حقق العلامة المرصفى نسبتهما إلى الطماح بن عامر (وانظر رغبة الآمل).

وأما قوله: «نَذُقْ بَرْدَ نَجْدٍ»، فذاك لأن نَجْدًا مرتـفعةٌ وتِهامةُ غَوْرٌ منخفض، فنَجْدٌ باردة.

ويروى عن الأَصْمعىّ أنه قال: هَجَمَ علىَّ شهرُ رمضان وأنا بمكة. فخرجتُ إلى الطائف لأصُومَ بها هَرَبًا من حَرِّ مكة فلقينى أعرابىّ فقلت له: أين تريد؟ فقال: أريد هذا البلدَ المبارك لأصوم هذا الشهر المبارك فيه. فقلت: أما تخاف الحرّ؟ فقال: من الحرِّ أفِرّ.

وهذا الكلام نظير كلام الرَّبيع بن خُثَيْم، فإن رجلا قال له ـ وقد صلّى ليلةً حتى أصبح ـ أتْعَبْتَ نفسك، فقال: راحتَها أطلبُ: إنَّ أَفْرَهَ العَبيد أكْيَسُهُمْ.

ونظير هذا الكلام قولُ رَوْحِ بن حاتم بن قَبيصةَ بن المُهَلّبِ ـ ونظر إليه رجل واقفًا بباب المنصور فى الشمس ـ فقال: قد طال وُقوفك فى الشمس! فقال رَوْحٌ: لِيَطول وقوفى فى الظل.

ومثله من الشعر قوله: [قال أبو الحسن: هو عُرْوَةُ بن الْوَرْدِ]:

تَقُولُ سُلَيْمَى لَوْ أَقَمْتَ بِأَرْضِنَا ... ولَم تَدْرِ أَنّى لِلْمُقَامِ أُطَوِّفُ

لعَلَّ الّذِى خَوّفْتِنَا مِنْ وَرَائِنَا ... سَيُدْرِكُهُ مِنْ بَعْدِنَا المتَخَلِّفُ

ويروى: «لَسَرَّنا».

وقال آخر:

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّار مِنكمْ لتَقْرُبُوا ... وَتَسْكُبُ عَيْنَاىَ الْدُّمُوعَ لِتَجمُدَا

وهذا معنى كثير حسن جميل.

وقال حَبيبُ بن أَوْسٍ الطائِىُّ:

أَآلِفَةَ النَّحِيبِ كَمِ افْتِرَاقٍ ... أَجَدَّ فكَانَ دَاعِيَةَ اجْتِمَاعِ

وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الأَوْبَاتِ إلا ... لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحِ الْوَدَاعِ

وقال رجل ـ واْعتَلَّ فى غُرْبَة فتَذكرَ أهله:

لَوْ أَنّ سَلْمَى أَبْصَرَتْ تَخَدُّدِى ... وَدِقَّةً فى عَظْمِ سَاقِى وَيَدِى

وَبُعْدَ أَهْلِى وَجَفَاءَ عُوَّدِى ... عَضَّتْ مِنَ الْوَجْدِ بِأطْرَافِ اليَدِ

قوله: «أبصـرت تخدُّدى»، يريد ما حَـدَث فى جسمـه من النُّحول، وأَصل الخَدّ ما شَقَقْتَهُ فى الأرض، قال الشَّمَّاخُ:

فَـقُلْتُ لَهُمْ خُدُّوا لَهُ بِرِمَـاحِكُمْ بطَامِـسَةِ الأعْـلامِ خَفَّـاقَةِ الآلِ

ويقال للشيخ: قد تَخَـدّدَ، يراد قد تَشَنَّجَ جِلْدُهُ، وقال الله عزَّ وجل: ﴿قتل أَصْحَابُ الأُخْدُود﴾[1]، وقيل فى التفسيـر: هؤلاء قوم خَدُّوا أخاديدَ فى الأرض، وأشعلوا فيها نِيرانًا فَحرَقوا بها المؤمنين.

وقوله:

* عَضَّتْ من الْوَجْدِ بأطراف اليد *

فإن الحَزيـن، والمغَـيـظ، والنـادمَ، والمُتَأَسِّفَ يَعَضُّ أطراف أصابعـه جزَعًا، قال الله عز وجل: ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾[2].

وفى مثل ما ذكرنا من تَخَدُّدِ لحم الشيخ، يقول القائل[3]:

يَا مَنْ لِشَـيْخٍ قَـدْ تَخَـدَّدَ لَحْـمُـهُ أَفْنَى ثَلاثَ عَـمَـائِمٍ أَلْوَانَا[4]
سَـوْدَاءَ حَـالِكَةً وَسَحْق مُـفَـوَّفٍ وَأَجَـدَّ لَوْنًا بَعْـدَ ذَاكَ هِجَـانَا
صَحِبَ الزَّمَانَ عَلَى اخْتِلاف فُنُونِه فَـأَرَاهُ مِنْهُ كَـرَاهَةً وَهَـوَانَا
قَـصَـرَ اللَّيَـالِـى خَطْوَهُ فَـتَـدَانَى وَحَنَوْنَ قَـائِمَ صُلْبِـهِ فَتَـحَـانَى
وَالمَوْتُ يَـأْتِى بَعْـدَ ذلِكَ كُـلِّهِ وَكَـأَنَّمَـا يُـعْنَى بِذَاكَ سِـوَانَا

قوله:

* أفنى ثلاثَ عمائم ألوانا *

---

(١) سورة البروج ٤.
(٢) سورة آل عمران ١١٩.
(٣) قوله فى زيادات ر:
ذهبَ الشبـاب فلا شـباب جُـمانا وكـأن مـا قد كـان لم يك كـانا
وطويت كفّى يا جمانُ على العصا وكـفـى جـمانَ بطـيهـا حـدثانا
(٤) زيادات ر: «ألوانا: صفة لثلاث على المعنى، كأن قال: مختلفات».

يعنى أن شعــره كان أسود ،ثم حَـدَثَ فيه شـيب مع السواد،فـذلك قوله: مُفـوف، والتَّفْويفُ: التنقـيش، وإنما أخذ من الفـوف، وهى النكتة البيـضاء التى تَحْدُثُ فى أظفـار الأحْداث، وسـميت بذلك لشَبَـهها بشجرة يقـال لها الفُـوفَةُ وجمعها فوفٌ، والسّـحْقُ: الخَلَقُ، يقال عنده: سَحْقُ ثوبٍ، وجَرْدُ ثَوْبٍ، وسَمْل ثـوبٍ.

وقوله: أَجَدَّ أى استَجَدَّ لَونا، والهجـان الأبيضُ، وهى العمامة الثالثة يعنى حيث شَمِلَهُ الشيب.

بابـ

[من أمثال العربـ]

قال أبو العباس: من أمثال العرب: لم يَذهَبْ من مالك ما وعَظك.

يقول: إذا ذهب من مالــك شيء: فَحَذّرَكَ أن يَحُلَّ بك مِثْلُه، فـتأديبهُ إياكَ عوَضٌ من ذَهابه.

ومن أمثــالهم: رُبَّ عَجَلَة تَهَبُ رَيْثـا. وتأويله أن الرجل يَعْمَلُ العــمل فلا يُحْكِمُهُ للاستعجال به، فيحتاج إلى أن يعود فينقضه ثم يستأنف، والرَيْثُ الإبْطاءُ، وراثَ عليه أمْرُهُ إذا تأخر.

ومن أمــثال العــرب: عَشِّ ولا تَغْــتَرَّ. وأَصل ذلــك أن يَمُرَّ صــاحبُ الإبل بالأرض المكلئَة فيقول: أَدَعُ أَنْ أُعَــشيِّ إبلي منها حتى أرِدَ على أخرى، ولا يَدْرِى ما الذى يَرِدُ عليه.

وقريب منه قــولهم: « أَن تَرِدَ الماءَ بماءٍ أكيَس». وتأويله أَن يَــمُرَّ الرجل بالماء فلا يَحْمِل منه اتّكالا على ماء آخر يصير إليه، فيقال له: أَن تَحْمِلَ معكَ ماءً أَحْزَمُ لك، فإن أَصبتَ ماء آخر لم يَضرك، فإن لم تَحْمِلْ فَخفقتَ من الماء عَطِبْتَ.

ومن أَمثــالهم: «قد أحْزُمُ لو أعزِمُ»، يقــول: أعْرِفُ وجه الحَزْمِ فــإن عَزَمْت فأمضيتُ الرأى فأنا حازِمٌ، وإن تركت الصــواب وأنا أراه وضَيَّعْتُ العَزْمَ لم ينفعنى حَزْمى، ومثله قول النابغة الجَعْدى:

أَبَى لِىّ الْــبَــلاءُ وَأنى امْــرُؤٌ إذَا مَــــا تَــبَــيَّنْتُ لَــمْ أَرْتَبِ

وقال أعرابى يمدح سَوّارَ بن عبد الله:

وَأوْقَفُ عِنْدَ الأمرِ مَا لمْ يَضِحْ لَهُ وَأَمْضَى إذَا مَا شَك مَنْ كانَ مَاضِيَا

فالذى يُحْمَد إمْــضاءُ ما تبين رُشْدُهُ، فأما الإقــدام على الغَرَرِ وركُوب الأمر على الخَطَرِ فليس بمحــمود عند ذوى الألبــاب، وقد يتَــحَسَّنُ بمثله الفــتّاك، كــما قال[1]:

عَلَيْكمْ بِدَارِى فَــاهْدِمُوهَا فَــإنَّهَا تُرَاثُ كَرِيمٍ لاَ يَخَــافُ الْعَوَاقِــبَا

---

(١) زيادات ر: «هو سعد بن ناشب المازنى، عن الرياشى وغيره».

إذَا هَمَّ أَلْقَى بيْنَ عَـينَيْـهِ عَزْمَـهُ ... وأعرَضَ عَنْ ذِكْرِ الْعَـوَاقِبِ جَانبَا

ولَمْ يَسْتَشِرْ فِى رأْيِه غَـيْرَ نَفْسِهِ ... ولَم يَرْضَ إلاّ قَائِم السَّيْفَ صَاحِبَا

فهذا شأن الفُتَّاك، وقال الآخر:

غُلاَمٌ إذا مَا هَمَّ بالفَتْكِ لَمْ يُبَلْ(1) ... ألاَ مَتَ قَلِيلاً أمْ كـثِيـرًا عَوَاذِلُهْ

وقال آخر:

وَما الْعَجْزُ إلاَ أنْ تُشَاوِرَ عَاجزًا ... وَمَا الْحَـزْمُ إلاَّ أنْ تَهُمّ فَتَفْـعَلاَ

فأما قول علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه: مَنْ أكْثَرَ الفِكْرَةَ فى العَواقب لم يَشْجُعْ، فتأويله أنه من فكَّرَ فى ظَفَرِ قِرْنِه به، وعُلُوِّه عليه لم يُقْدِمْ وإنما كان الْحَزْمُ عند علىّ رضى الله عنه أن يَخْطُرَ أمر الدين ثم لا يُفَكّـرَ فى الموت. وقد قيل له: أتقتلُ أهل الشـام بالغداة، وتظهر بالعَشِىِّ فى إزار ورداء؟ فـقال: أبالموتِ أُخَوَّفُ؟ والله ما أبالى أسَقَطْتُ على الموت، أم سَقَطَ الموتُ علىَّ.

وقال للحسن ابنه: لا تَبْـدأْ بدعاءٍ إلى مُبارَزَةٍ فإن دُعيتَ إليـها فأجبْ، فإن طالبها باغ، والباغى مَصْرُوع.

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يَلْتَفُّ فى كسـائه وينام ناحية المسجد، فلما وَرَدَ الْمَرْزُبانُ(2) عليه جعلوا يسألونه عنه. فيقـال: مَرَّ هاهنا آنفًا، فَيَصْغُرُ فى قلب المرْزُبان إذا رآه كبعض السّوَقِ، حتى انْتهى إليه. وهو نائم فى ناحية المسجد، فقـال المَرْزُبان: هذا والله المُلْكُ الهنىء. يقول: لا يحـتاج إلى أَحْـرَاسٍ ولا عدَد. فلما جـلس عمر امـتلأ قلبُ العِلجْ منه هَيْـبةً لما رأى عنده من الجِـدِّ والاجتـهاد، وأُلْبِسَ من هَيْبةِ التقوى.

[للكلبى وقد سأله خالد القسرى عن السؤدد]

وقال الكَلْبِىّ: قال لى خالد بن عبـد الله بن يزيد بن أَسد بن كرزِ القَسْرِىُّ: ما تَعُدُّون السُّؤدَدَ؟ فـقلتُ: أما فى الجاهلية فالرِّياسة، وأمـا فى الإسلام فالولاية،

(1) أصله «يبالى»، حذفت الياء للجازم.

(2) زيادات ر: «كذا وقعت الرواية «المرزبان». والصواب الهرمزان، وكان صاحب تستر».

وَخيْــر من ذا وذاك التّقْوَى، فـقال لى: صَدَقْتَ، كـان أبى يقول: لم يُدْرك الأولُ الشّرَفَ إلا بالفـعل، ولا يدركه الآخرُ إلا بما أدركَ به الأولُ. قال: فـقلتُ: صدق أبوك، ساد الأحنْف بحلمه، وساد مالك بن مِسْمَعٍ بمحبـة العَشيرة له، وساد قُتَيْبَةُ بدَهائه، وساد المُهَلَّبُ بجـميع هذه الخِلال، فـقال لى: صدقتَ، كـان أبى يقول: خيـر الناسِ للناس خيرهم لنفســه، وذلك أنه إذا كان كذلك اتَّقَى على نفسه من السَّرَق لئـلا يُقْطَعَ، ومن القَتْل لئلا يُقـادَ، ومن الزنا لئلا يُحَـدَّ، فَسَلم الناس منه باتقائه على نفسه.

[نبذ من أقوال الحكماء]

قال أبو العباس: وكان عبد الله بن يزيد أبو خالد من عقلاء الرّجال، قال له عبـد الملك يومًـا: ما مالـكَ؟ فقال: شـيئـان لا عيْلَةَ عـلىَّ معهـما، الرضـا من الله، والغنى عن الناس. فلما نَهَضَ من بين يديه قيل له: هَلاَّ خَبَّرْتَه بمقدار مالكَ؟ فقال: لم يَعْدُ أن يكون قليلا فَيَحْقِرَنى، أو كثيرًا فيَحْسُدَنى.

وقال رسـول الله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أن يكون أعَزّ الناسِ فليَـتَّق ٱلله، ومن سَرَّه أن يكون أغْنَى الناسِ فليكُنْ بما فى يد ٱلله أوْثَقَ منه بما فى يده، ومَنْ سَرّهُ أن يكون أقْوَى الناسِ فليتوكل على ٱلله».

وقال علىّ بن أبى طالب رضى ٱلله عنه: «مَنْ سَرَّهُ الغنى بلا مال، والعِزُّ بلا سُلْطان، والكثرة بلا عَـشيرةٍ، فلْيَـخْرُجْ من ذُلِّ معصـية الله إلى عزِّ طاعتـه، فإنه واجد ذلك كله».

وخَطَب رسول ٱلله ﷺ ذاتَ يوم فَحمدَ ٱلله بماهو أهْلهُ ثم أَقْبَلَ على الناس، فقال: «أيها الناس إن لكم مَعالِم فانْتَهُوا إلى مَعالمكم، وإن لكم نِهاية فانتهوا إلى نهايتكم، فإن العبد بين مَخَافَتَيْنِ: أجَلٌ قد مضى لا يَدْرى ما ٱلله فاعِل فيه، وأجَلٌ باق لا يَدرى ما ٱللهُ قاضٍ فيه، فَلْيَأخُذ العبـدُ من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشَّبيبة قبل الكِبر، ومن الحياة إلى المماتِ، فو الذى نفسُ محمد بِيَدِه، ما بعد الموت مِنَ مُسْتَعتَب، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنةُ أو النار».

وقال رسـول الله ﷺ: «أمرنى ربى بتسع: الإخـلاصُ فى السِّرِّ والعَـلانِية، والعَدْلُ فى الغَضب والرِّضـا، والقَصْدُ فى الفقر والغنى، وأن أعْـفُوَ عمّن ظلمنى، وأصِلَ من قَطَـعَنى، وأعْطِىَ مَنْ حَـرمَنِى، وأن يكونَ نُطْـقِى ذكـرًا، وَصَـمْـتِى فِكْرًا، ونَظَرِى عِبْرَةً».

وحُدِّثْتُ أنه الْتَـقَى حكيمانِ، فـقال أحدهما للآخَـر: إنى لأحِبُّكَ فى الله، فقـال له الآخر: لو علمتَ منى ما أعْلَمُـهُ من نفسى لأَبْغضْتَنى فى الله، فـقال له صاحِـبُه: لو عَلِمْتُ منك ما تَعْلَـمُهُ من نَفْسك، لكان لى فـيما أعْلَمُـه من نفسى شغل.

وكان مالكُ بن دينار يقول: جاهدوا أهْوَاءَكُمْ كـما تجُاهدون أعْداءكم. وكان يقول: ما أَشَدَّ فطامَ الكبير!

وقيل لعمر بن عبد العزيز: أىُّ الجِهادِ أفضل؟ فقال: جِهادُكَ هَوَاك.

وكان الحسن يقول: حادثوا هذه القلوبَ، فإنها سريعة الدثور. واقْدَعُوا هذه الأنْفُسَ فإنها طُلَعةٌ، وإنكم إلاَّ تَقْدَعُوها تَنْزِعْ بكم إلى شَرِّ غاية.

قوله: «حادثوا»، مَثَل، ومعناه: أجْلُوا واشْحَذوا، تقول العرب: حادَثَ فلانٌ سَيْفَهُ إذا جلاه وشحَذَهُ، وقال زَيْدُ الخَيل:

وَقَدْ عَلِمتْ سَلاَمَةُ أَنّ سَيْفِى ... كَـرِيهٌ كلّـمَـا دُعِـيَتْ نَزَالِ

أحـادِثُهُ بِصَـقْلٍ كُـل يَوْمٍ ... وَأَعْـجُمُـهُ بِهَـامَـات الرِّجَـالِ

قوله: «أعْـجُمُهُ بِهـامَات الرِّجَال»: أى أُعَـضُّهُ، يقال: عَـجَمَهُ إذا عَـضّهُ. والدثور: الدُّروس، يقـال دَثَرَ الرَّبْعُ إذا مَحّ[1]، ومعناه: تَعَهّـدُوهَا بالفكر والذكر. وقوله: «فـإنها طُلَعـةٌ»، يقول كـثيـرة التَّشَوُّفِ والتَّنَـزِّى إلى ما ليس لَهـا، وأنشد الأَصْمعىُّ:

وَلاَ تَملَّيت[2] مِنْ مَالٍ وَلاَ عُمرٍ ... إلاَّ بِمَا سرَّ[3] نَفْسَ الحَاسِدِ الطُّلَعَةْ

(١) محت الدار: عفت ودرست، وفى س: «انمحى».

(٢) كذا فى الأصل، بكسر التاء. وفى ر: بفتح التاء، وفى الزيادات: «الرواية الصحيحة بكسر التاء لا غير؛ لأنه يخاطب امرأة تقدم ذكرها فى الشعر يدعو عليها».

(٣) ر، س: «ساء».

قال: ويقال للجارية إذا كانت تُبْرِزُ وجهها لِتُرِىَ حُسْنها ثم تُخْفِيه لِتُوهِمَ الحَياءَ: خُبَأَةٌ طُلَعَة.

وكان عمر بن عبد العَزيز رحمه الله يقول: أيها الناس إنما خُلِقْتُمْ للأَبَد: ولكنكم تُنْقلون من دارٍ إلى دار. ويروى عن المَسيحِ صلواتَ الله وسلامه عليه أنه كاَن يقول: إن احتجتم إلى النَّاس فكلواُ قَصْدًا وامْشوا جانبًا.

ولَمّا احْتضِرَ قَيْسُ بن عاصمٍ قال لبنيه: يا بَنِيَّ، احفظوا عنى ثلاثًا، فلا أَحَدَ أَنْصَحُ لكم منى إذا أنا متُّ فَسَوِّدوا كبارَكم، ولا تُسَوِّدوا صِغاركم، فيحقرَ الناسُ كبارَكم، وتَهونوا عليهم. وعَلَيْكُمْ بحفْظ المالِ فإنه مَنْبَهَةٌ للكريم، ويُسْتَغْنَى به عن اللئيم، وإياكم والمَسْأَلةَ فإنها أخِرُ[1] كَسْبِ الرجل.

(١) ر: «أخر» بفتح الهمزة وكسر الخاء. وفى الزيادات: بقصر الهمزة لا غير، ومن رواه بالمد فقد أخطأ، ومعنى أخر أدنى.

بابٌ

[لرجل من الأعراب يرثى رجلا منهم]

قال أبو العباس: أُنْشِدْتُ لرجل من الأعْراب يَرْثى رجلا منهم:

فَلَوْ كَانَ شَيْخًا قَـدْ لَبِسْنَا شَبَابَهُ ... وَلكنَّهُ لَمْ يَعْـدُ أَن طَرَّ شَارِبُهْ[1]

وَقَاكَ الرَّدَى مَنْ وَدَّ أَنَّ ابْنَ عَمِّهِ ... يُرَى مُـقْـتِرًا أَوْ أَنَّهُ ذَلَّ جَـانِبـهْ

[لحسان يوصى امرأته]

وقال آخر لامرأته[2]:

فَـإِمَّـا هَلَـكْتُ فَـلاَ تَـنْكِحِى ... ظَلُوم الْعَـشِـيـرَةِ حَـسَّـادَهَا

يَرَى مَـجْـدَهُ ثَلْبَ أَعْـرَاضِـهَـا ... لَدَيْه، وَيُـبْـغِـضُ مَنْ سَـادَهَا

[لصخر بن حبناء يعاتب أخاه]

وقال آخر:ـ [قال أبو الحسن: هو لِيَزيدَ بن حَبْناءَ أو لصَخْرِ بن حَبْناء، يقول لأخيه]:

لَحَـا اللهُ أكـبَـانَا زنَادًا وَشَـرَّنَا ... وَأَيَسـرَنَا عَـنْ عِـرْضِ وَالِده ذَبَّا

رَأَيْتُكَ لَمَّـا نِلْتَ مَـالاً وَمَـسَّنَا ... زَمَـانٌ تُرَى فى حَدِّ أَنْيَـابِهِ شَـغْبَـا

جَـعَلْتَ لَنَا ذَنْبًـا لِـتَـمْنَعَ نَائِلاً ... فَأَمْسِكْ، وَلاَ تَجْـعَلْ غِنَاكَ لَنَا ذنبَا

قولـه: «أكبانَـا زنادًا» الزِّنادُ التى تقْدَحُ بهـا النار، ويقال: أوْرَى الـقادحُ إذا خرجتْ له النـارُ، وأَكْبَى إذا أَخْفَقَ منهـا: هذا أصله يُضْرَب للرجل الـذى يَنْبَعِثُ الخيرُ عن[3] يديه، ويُضْرَبُ الإكباءُ للذى يمتنعُ الخيرُ على يديه، قال الأعشى:

وَزَنْدُكَ خَـيْـرُ زِنَادِ المُـلُو ... كِ صَـادَفَ مِنْهُنَّ مَـرخٌ عَفَـارا

وَلَوْ بِتَّ تَـقْـدَحُ فى ظُلْـمَـةٍ ... صَـفَـاةً بِنَـبْعٍ لأوْرَيْتَ نَارا[4]

---

(١) طر شاربه: طلع ونبت.

(٢) زيادات ر: «حسان بن ثابت»، والبيتان فى ديوانه ١٣٩.

(٣) ر ، س: «على يديه».

(٤) الصفاة: الصخرة الملساء. والنبع: شجر لانار له، يريد أنه موفق فى كل أمر.

والمَرخُ والعَفار: شـجر تُسرعُ فيه النار، ومن أمثـالهم: «فى كلّ شَجَرٍ نار، واسْتَمْجَدَ المَرْخُ والعفار»، واستَمْجَد: اسـتكْثَرَ، يقال: أَمْجَدْتُه سبًّا وأمْجَدْتُه ذمًّا، إذا أكثرتَ من ذلك، ومن أمثالهم: «أرْخِ يديك واستَرْخ، إنَّ الزّنادَ من مَرْخ».

ويقال: رجل ذو شَـغْبٍ إذا كان يَشْغَبُ على خصـمه، ضربه مَثَـلا للزمان الذى يَهِرُّ على أربابه، أى يَمَسُّهُمْ بالفقر والجَدْبِ.

[لعبد الله بن معاوية يعاتب صديقه]

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب:

رَأيْتُ فُضَيْـلاً كَانَ شَيْئًـا مُلَفَّفًا ... فكَشَّفَـهُ التَمْـحِيصُ حَتَّـى بَدَا لِيَا

أَأَنْتَ أَخِى مَالَمْ تكُنْ لِىَ حَاجَةٌ ... فَإنْ عَرَضَتْ أَيْقَنْتُ أَنْ لاَ أَخَا لِيَا!

فَلاَ زَادَ مَـا بَيْنِى وَبَيْنَكَ بَعْـدَمَا ... بَلَوْتُكَ فى الحَـاجَـاتِ إلاَ تَمَـادِيَا

فَلسْتُ بَراءٍ عَـيْبَ ذِى الْوُدّ كُلَّهُ ... وَلاَ بَعْضَ مَا فِيـه إذَا كنتُ رَاضِيَا

فَعَيْنُ الرّضَا عَن كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ ... وَلكنَّ عَيْنَ السُّخْـطَ تُبْدِى المَسَاوِيا

كِـلاَنَا غَنِىٌ عَنْ أَخِـيهِ حَـيَـاتَه ... وَنَحْنُ إذَا مِـتْنَا أَشَـدُّ تَغَـانِيَـا

قوله: «كان شيئًـا ملففا»، يقول: كان أمرا مُغَطًّى. والتمـحيص: الاختبار، يقال: أدخلتُ الذَّهبَ فى النار فَمَحَّصْـتُهُ، أى خرج عنه ما لم يكن منه، وخَلَصَ الذهبُ، قـال الله عزّ وجل: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الّذينَ آمَنـوا وَيَمْحَقَ الكَافِرِينَ﴾(١)، ويقال: مُحِّصَ فلانٌ من ذنوبه.

وقوله:

* أَأَنْتَ أخِى مَالَمْ تَكُنْ لِىَ حَاجَةٌ *

تقرير وليس باستفهام، ولكنَّ مـعناه: أنى قد بَلَوْتَكَ تُظْهِرُ الإخاءَ فإذا بدت الحاجة لم أرَ من إخائك شيئًا، وقال الله عزّ وجل: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونى وَأُمِّىَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونَ اللهِ﴾(٢)، إنما هو توبيخ وليس باستفهام، وهو جل وعزّ العالِمُ

---

(١) سورة آل عمران ١٤١.

(٢) سورة المائدة ١١٦.

بأنّ عيسى لم يَقُلْهُ. وقد ذكرنا التقرير الواقع بلفظ الاستفهام فى موضعه من الكتاب «المُقْتَضَب» مُسْتَقْصًى، ونذكر منه جملةً فى هذا الكتاب إن شاء اْللّه تعالى.

[لعلى بن أبى طالب فى الشجاع]

وقال علىّ بنِ أبى طالب رحمه الله: ثلاثةٌ لايُعْرفونَ إلا فى ثلاث، لا يُعْرَفُ الشُّجاعُ إلا فى الحَرْبِ، ولا الحَليمُ إلا عند الغضَبِ، ولا الصَّدِّيقُ إلا عند الحاجة.

[لعبد الله بن معاوية يمدح]

وقال عبد اْللّه بن معاوية(1) أيضًا:

أَنَّى يَكُونُ أَخًا أوْ ذَا مُحَافَظَةٍ … مَنْ كُنْتَ فى غَيْبِه مُسْتَشْعِرًا وَجِلاَ

إذَا تَغَيَّبَ لَمْ تَبْرَحْ تَظُنُّ بِهِ … سُوءًا وَتَسْأَلُ عَمَّا قالَ أَوْ فَعَلاَ

[لعبد الله بن الزبير الأسدى يمدح عمرو بن عثمان بن عفان]

وقال آخر(2):

سَأَشْكُرُ عَمْرًا ما تراخَتْ مَنِيَّتِى … أيَادِىَ لَمْ تُمْنَنْ وَإنْ هِىَ جَلَّتِ

فَتًى غَيْرُ مَحْجُوبِ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ … وَلاَ مُظْهِرُ الشَّكْوَى إذَا النَّعْلُ زَلَّتِ

رَأَى خَلَّتِى مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا … فَكانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتِ

[ما تمثل به على بن أبى طالب من الشعر حينما رأى طلحة فى القتلى]

وتمثل علىٌّ بن أبى طالب رضى اْللّه عنه فى طَلْحَة بن عُبَيْد الله رحمه اْللّه:

فَتًى كانَ يُدْنِيهِ الْغِنَى مِنْ صَدِيقِهِ
إذَا مَا هُوَ اسْتَغْنَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ(3)

---

(1) زيادات ر: «ذكر دعبل فى أخبار الشعراء أن هذا الشعر لعبد الله بن الزبير الأسدى».

(2) نسب هذه الأبيات أبو الفرج الأصفهانى إلى عبد الله بن الزبير الأسدى يقولها فى عمرو بن عثمان بن عفان حينما أتاه فرأى تحت ثيابه ثوبا رثا، فدعا وكيله، قال: اقترض لنا مالا، فقال: هيهات ما يعطينا التجار شيئا، قال: فأربحهم ما شاءوا فاقترض له أولا ثمانية آلاف درهم وثانيا عشرة آلاف، ووجه بها إليه مع تخت ثيابه، فقال فيه الأبيات. (الأغانى ١٣: ٢٣).

(3) من أبيات لسلمة بن يزيد الجعفى، أحد الصحابة، يقولها فى رثاء أخيه قيس بن زيد؛ وقبله:

ألم تعلمى أن لست ما عشت لاقيا … أخى إذ أتى من دون أوصاله القبرُ

وهوّن وجدى أننى سوف أغتدى … على إثره يومًا وإن نفس الأمر

(وانظر الإصابة ٣: ١٢٠).

فَتَى لاَ يَعُدُّ المَالَ رِبًا وَلاَ تُرَى
بِهِ جَفْوَةَ إنْ نَالَ مَالا وَلا كِبْرُ
فَتًى كَانَ يُعْطِي السَّيْفَ فى الرَّوْعِ حَقَّهُ
إذَا ثَوَّبَ الدَّاعِي، وتَشْقَى بِهِ الجُزْرُ
وَهَوَّنَ وَجْدِي أَنَّنِي سَوْفَ أَغْتَدِى
عَلَى إثْرِهِ يَوْمًا وَإنْ نَفَّسَ الْعُمْرُ

***

[قال أبو الحسن: بعضهم يقول هو للأُبَيْرِد الرِّياحِيِّ، وبعد البيت الثالث:

فَلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ، إمَّا تَرَكْتَنَا حَمِيدًا وَأَوْدَى بَعْدَكَ المَجْد وَالْفَخْرُ]

[كلمة علي بن أبى طالب فى طلحة حينما رآه مقتولا]

قال أبو العباس: وحدثنى التَّوَّزِيّ قال: حدثنى محمد بن عَبَّاد بن حَبيب بن المُهَلّب - أحْسِبُه عن أبيه - قال: لما انقضى يوم الجَمَل خرج عليٌّ بن أبى طالب رحمه الله فى ليلة ذلك اليوم: ومعه قنْبَرُ بيده(1) مَشْعَلَةٌ من نار يَتَصَفَّح القَتْلَى حتى وقفْ على رجلٍ - قال التَّوَّزِيُّ فقلتُ: أهو طَلْحةُ(2)؟ قال نعم - فلما وقف عليه قال: أَعْزِزْ عَلَيَّ أبا محمد أَنْ أراكَ مُعَفَّرًا تحت نجوم السماء وفى بطون الأوْدِية! شفَيْتُ نفسى وقتلتُ مَعْشَرِى! إلى الله أشْكُو عُجَرِى وبُجَرِى!

قوله: «مُعَفَّرًا»، أى مُلْصَقَ الوجهِ بالتراب، ويقال للتراب: العفَر والعفْر يقال: ما مَشى عَلَى عفَرِ الترابِ مِثْلُ فلان.

وقوله: «إلى الله أشكو عَجرِى وبُجَرِى»، يقول: ما أُسِرُّ من أمرى. قال الأصمعىّ: هو(3) قولُ سَائرٌ. فى أمثال العرب: «لَقِيَ فلانٌ فلانًا فَأَبَثَّهُ عُجَرَهُ وبُجَرَه».

(1) ر: «وفى يده».

(2) أبو محمد كنية طلحة بن عبيد الله التميمى، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الستة أصحاب الشورى رمى يوم الجمل بسهم فى ركبته، فما زال الدم يسيح حتى مات وذلك فى جمادى الأولى سنة ٣٦، (الإصابة ٣: ٢٩٠).

(3) ر ، س: «وهو».

وقال النَّمرُ بن تَوْلَب(١):

تَدَارَكَ مَا قَبلَ الشَّبَابَ وَبَعْدَه ... حَوَادثُ أَيَّام تَمُرُّ وَأَغْفُلُ

يَسُرُّ الْفتى طُولُ السَّلاَمَة وَالْبَقَا ... فَكَيْفَ يَرى طُول السَّلاَمَة يَفْعَلُ!

يردُّ الْفَتَى بَعْدَ اعْتدَالٍ وَصِحَّةٍ ... يَنُوءُ إذَا رَامَ الْقيَامَ وَيُحْمَلُ

قصر «البقاء» ضَرورة، وللشاعر إذا اُضْطُرَّ أن يَقْصُرَ الممدود، وليس له أن يَمُدَّ المقصور؛ وذلك أن الممدود قبل آخره ألف زائدة، فإذا احتاج حَذْفَها لأنها ألف زائدة، فإذا حَذَفَهَا رَدَّ الشيءَ إلى أصله، ولو مَدَّ المقصور لكان زائدا فى الشيءِ ما ليس منه، قال الشاعر ـ وهو يَزيدُ بن عمرو بن الصَّعِق:

فَرَغْتُمْ لِتَمْرِين السِّيَاطِ وَأَنْتُمْ ... يُشَنُّ عَلَيْكمْ بِالْفِنَا كلُّ مَربَعِ(٢)

فقصر «الفنَاءَ»، وهو ممدود. وقال الطِّرِمَّاح:

وَأَخْرَجَ أُمُّهُ لسَوَاسِ سَلْمَى ... لِمَعْفورِ الضَّرا ضَرِمِ الجنين

قوله: «وأخرَجَ»، يعنى رَماداً، والأخْرَجُ الذى فى لونه سواد وبياض، يقال: نَعامة خَرجاءُ.

وقوله: «لسواس سلمى»، فإنَّ أَجَأ وسَلْمَى جَبَلا طيئ، وسَوَاسُ سَلْمى: الموضع الذى بِحَضْرَةِ سَلْمَى، يقال: هذا من سُوس فُلانٍ ومن تُوس فلان: أى من طَبْعِه. وأمُّهُ: يعنى الشجرةَ التى هى أصله.

وقوله: «لمعفور الضَّرَا»، فالضَّرَاءُ: ما واراك من شجرٍ خاصَّةً، والخَمَرُ ما واراك من شىء. والمعفور: يعنى ما سقط من النار من الزَّنْدِ.

---

(١) زيادات ر: «كل نمر فى العرب كالنمر بن قاسط وغيره مكسور النون مجزوم الميم إلا النمر بن تولب. عن ابن دريد، قال أبو حاتم: يقال: النمر، بفتح النون وتسكين الميم، ولا يقال: النمر، بفتح النون وكسر الميم».

(٢) قال المرصفى: «يهجو بنى أسد، وتمرين السياط: دلكها وتليينها بالدهان، يرميهم بأنهم أذلاء لا يصقلون السيوف ولا يشحذون الأسنة ولا يبرون النبال. وكل مربع: يريد فى كل موضع أقمتم فيه زمن الربيع».

وقوله «ضَرِم الجنين» يقول مُشْتَعِلٌ، والجنين: مالم يَظْهَرْ بَعْدُ، يقال للقَبْرِ جَنَنٌ، والجَنينُ: الذى فى بطن أمه، والمِجَنُّ: التُّرس لأنه يَسْتُرُ، والمجنون: المُغَطَّى العقل، وسُمِّى الجِنُّ جِنًّا لاختفائهم، وتُسَمَّى الدُّرُوعُ الجُنَنَ؛ لأنها تستر من كان فيها. وقَصَرَ «الضَّرَاءَ» وهو ممدود، ومثل هذا كثير فى الشعر جداً.

وقوله: «ينوء إذا رام القيام»، يقول: يَنْهَضُ فى تَثَاقُلٍ، قال الله عزّ وجل: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ﴾(١)، والمعنى أن العُصْبَةَ تَنُوءُ بالمفاتح، ولشرح هذا موضع آخر.

وقال آخر(٢):

* أَنُوءُ ثَلاَثًا بَعْدَهُنَّ قِيَامِى *

ويُرْوَى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كفَى بالسَّلامة داءً».

وقال حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ الهِلالِىُّ:

أرَى بَصَرِى قَدْ رَابَنِى بَعْدَ صِحَّةٍ ... وَحَسْبُك دَاءً أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا

وَلاَ يَلْبَثُ العَصْرَانِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ ... إِذَا طَلَبَا أَنْ يُدْرِكَا مَا تَيَمَّمَا

وقال أبو حَيَّةَ النُّمَيْرِىّ:

أَلاَ حَىِّ مِنْ أَجْلِ الحَبِيبِ المَغَانِيَا ... لَبِسْنَ البِلَى مِمَّا لَبِسْنَ اللَّيَالِيَا

إِذَا مَا تَقَاضَى المَرْءَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ ... تَقَاضَاهُ شَىْءٌ لا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا

وقال بعض شعراء الجاهلية(٣):

كَانَتْ قَنَاتِى لاَ تَلِينُ لِغَامِزٍ ... فَأَلاَنَهَا الإِصْبَاحُ وَالإِمْسَاءُ

وَدَعَوْتُ رَبِّى فى السَّلاَمَةِ جَاهِدًا ... لِيُصِحَّنِى، فَإِذَا السَّلاَمَةُ دَاءُ

---

(١) سورة القصص ٧٦.

(٢) زيادات ر: «العمر بن قميئة». وقبله:

* على الراحتين مرة وعلى العصا *

(٣) البيتان فى زهر الآداب ٢٢٣، ونسبهما إلى عمرو بن قميئة، وهما فى العقد الفريد ٣: ٥٨، وعيون الأخبار ٢: ٣٢٢، من غير عزو. ونسبهما المرصفى إلى عبد الرحمن بن سويد المرى.

وقال عَنْتَرَةُ بن شَدَّاد:

فمَا أَوْهَى مِـرَاسُ الْحَرْبِ رُكْنِى وَلكِنْ مَـا تَقَـادَمَ مِنْ زَمَـانِى

ومن أمثـال العرب إذا طال عـمر الرجل أن يقـولوا: «لقد أَكَلَ الدَّهْر عـليه وشَرِبَ»، إنما يريدون أنه أَكَلَ هو وشرب دَهْرًا طويلاً، قال الجَعْدِىُّ:

* أَكَلَ الدَّهْرُ عَلَيْهِم وَشَرِبْ(١) *

والعرب تقـول: نَهارُكَ صائم، وليلك قائم، أى أنت قـائم فى هذا وصائم فى ذاك، كما قال الله عزّ وجل: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ﴾(٢)، والمعنى والله أعلم: بل مَكْرُكُمْ فى الليل والنهار، وقالَ جرير:

لَقَدْ لُمتِنَا يَا أُمَّ غَيْلاَنَ فى السُّرَى وَنِمْتِ، وَمَـا ليلُ المَطِـىِّ بِنَائِمِ

[للفرزدق يرثى ابنى مسمع]

وقال الفَرَزْدَق:

تُبكَىِّ عَلَى المَنْتُوفِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ
وَتَـنْـهَى عَنِ ابْـنَـى مِـسْـمَعٍ مَنْ بكَاهُما(٣)!
غُلاَمَانِ شَبَّا فى الحُرُوبِ وَأَدْرَكَا
كِـرَامَ المَسَـاعِـى قَـبْـلَ وَصْـلِ لِحَـاهُـمَـا

وابنا مِسْمَعٍ كَان قتلَهـما معاوية بن يزيد بن المُهلّب مع عَدِىِّ بن أَرْطاةً(٤) لما أتاه خبر قتل أبيه، وكان ابنا مسمع ممَّن خالف على يزيد بن المهلَّب. والمَنْتُوف كان

(١) صدره كما فى زيادات ر:

* كم رأينا من أناس هلكوا *

(٢) سورة سبأ ٣٣.

(٣) تبكى: تحمل الناس على البكاء.

(٤) عدى بن أرطاة الفزارى، والى البصرة ليزيد بن عبد الملك، وكان يزيد أمره أن يتحرز من يزيد بن المهلب ويحبس أهله. وبلغ ابن المهلب ذلك، فلحق بالبـصرة، وتغلب عليها، ودعا إلـى نفسه، وبلغ يزيد بن عبد الملك، وقد أخـرج أهله من السجن، وأسر اثنين وثلاثين رجلا، منهم عدى بن أرطـاة وابنه محمد وابنا مسمع وربيع بن زياد الأزدى، ومـال بهم إلى واسط، فوجه إليه يزيد أخاه مسلمـة بجيش كثيف، فخرج له ابن المهلب، واستخلف ابنه معاوية على الخـزائن والأسرى، فلما بلغه قـتل أبيه ضرب أعناق الأسرى جميعا غير ربيع بن زياد، وكان ذلك سنة ١٣٢، (وانظر رغبة الآمل).

مَوْلَى لبنى قَيْسِ بن ثَعْلَبَةَ بن عُكابة. وابنا مَسْمَعٍ من بنى قَيْسِ بن ثعلبة، وكَانَ المنتوف كَالخليفة ليزيد بن المهلب، وفى ذلك يقول جَرير:

وَالأَزْدُ قدْ جَعَلُوا المَنْتُوفَ قائِدَهُمْ ... فَقَتَّلَتْهُمْ جُنُودُ اللهِ وَانْتُتِفُوا

وتمام شعر الفرزدق:

وَلَوَ قُتِلاَ منْ جِذْمِ بكْرِ بْن وَائِلِ ... لَكَانَ عَلَى النَّاعِى شَدِيدًا بُكَاهُمَا[1]

وَلَوْ كَانَ حَيًّا مَالِكٌ وَابْنُ مَالِكٍ ... إذًا أوْقَدَا نَارَيْنِ يَعْلُو سَنَاهُمَا[2]

السَّنَا: ضوء النار، وهو مقصور، قال الله عز وجل: ﴿**يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ**﴾[3]. والسّناء من الشرف، ممدود، قال حَسَّانُ بن ثابت:

وَإنَّكَ خَيْرُ عُثْمَانَ بْنَ عَمْرٍو ... وَأَسْنَاهَا إذَا ذُكِرَ السَّنَاءُ

والبكاء يمد ويُقْصَرُ، فَمَنْ مَدَّ فإنما جعله كسائر الأصوات، ولا يكون المصدر فى معنى الصوت مَضْموم الأول إلا ممدودا، لأنه يكون على «فُعَال» وَقَلَّمَا يكون المصدر على «فُعَلٍ»، وقد جاءَ فى حروف: نحو: الهُدَى والسُّرَى وما أشبهه، وهو يسير، فأما الممدود فنحو: العُوَاء، والدُّعاء، والرُّغَاء، والثُّغاء، فكذلك البُكاءُ، ونظيره من الصحيح الصُّراخُ والنُّباحُ، ومن قَصَرَ فإنما جعل البكاء كَالحُزْن، وقد قال حَسَّانٌ، فَقَصَرَ وَمَدَّ:

بَكَتْ عَيْنِى وَحُقَّ لَهَا بُكاهَا ... وَمَا يُغْنِى البُكاءُ وَلا الْعَوِيلُ!

فقصر ومدَّ.

[لجرير يرثى ابنه سوادة]

وقال جرير:

قالوا نَصِيبَكَ مِنْ أَجْرٍ فَقُلْتُ لَهُمْ ... كَيْفَ الْعَزَاءُ وَقَدْ فارَقْتُ أَشْبَالِى![4]

---

(١) الجذم: الأصل، قال المرصفى: «هذه رواية منكرة؛ لأنها تنفى نسبهما عن بكر بن وائل، ورواية ديوانه:

ولو أصْبَحا من غير بكر بن وائلٍ ... لكان على الجانى ثقيل دماهما

(٢) مالك أبو مسمع وابن مالك هو مسمع بن مالك بن مسمع بن شيبان بن شهاب البكرى.

(٣) سورة النور ٤٣.

(٤) زيادات ر: «نصيبك» بالنصب لا غير؛ لأنه مفعول بإضمار فعل تقديره احفظ نصيبك، أو احرز نصيبك».

هذَا سَــوادَةُ يَجْلُو مُــقْلَتَــىْ لَحِمٍ   بَازٍ يُصَرْصِرُ فَوْقَ المَرْقَبِ الْعَالِى
فارَقْتُهُ حِينَ غَضَّ الْدَّهْرُ مِنْ بَصَرِى   وَحِينَ صِرْتُ كعَظْمِ الرِّمَّةِ الْبَالِى

وقوله: «يجلو مـقلتي لَحِم»، شبَّــهَ مُقْلَتيْــه بِمقْلُتَى البـازى، ويقال: «طائر لَحِم» من هذا. وقوله: «يُصرصر» يعنى يصوّت، يقـال: صرصر البازى والصَّقْرُ، وما كان مِنْ سِباع الطير، ويقال: صَرْصَرَ العُصْفورُ: وأَحْسبُهُ مستعارًا؛ لأن الأصل فيه أن يستعمل فى الجوارح من الطير، قال جرير:

* بَازٍ يُصَرْصِرُ بِالسَّهْتبى قَطًا جُونَا[1] *

وقال آخر:

* كَمَا صَرْصَرَ الْعُصْفُورُ فى الرُّطَبِ الثَّعْدِ[2] *

وأنشدنى عُمــارةُ: «باز يُصَعْصِعُ» وهو أصح ـ [قال أبو الحسن: «يُصَعْصِعُ» وهو الصواب، ولكن هكذا وقع فى كتابه. ويُصَرْصِر لا يَتَعَدَّى] ـ.

قال أبو العباس: وقوله: «كعظم الرِّمَّة» فهى البالية الذاهبة، والرَّمِيمُ: مشتق من الرّمةِ، وإنما هو فعيلٌ وفِعْلَةٌ، وليس بجمع له واحد.

ومما كَفَّرَتْ به الفقهاءُ الحَجَّــاجَ بن يوسف قولهُ، والناس يَطوفون بقبر رسول الله ﷺ ومنْبَره ـ وإن شئت قلت: «يُطيفــون»، قال أبو زيد: تقول العرب: طُفْتُ وَأَطَفْتُ به، وَدُرْتُ وَأَدَرْتُ به، ويقال: حَدق وَأَحْدقَ، قال الأخْطَلُ:

الْمُنْعِمُون بَنُو حَرْبٍ وَقَدْ حَدَقَتْ   بِيَ الْمَنِيَّــة واسْتَـبْطَأْتُ أَنْصَــارِى

إنما يَطوفونَ بأعْوادٍ ورِمَّةٍ.

ومن أمثال العرب: «لَوْلاَ أن تُضَيِّعَ الفتيانُ الْذِّمَّة، لَخَبَّرْتُها بما تَجدُ الإبلُ فى الرِّمَّة»: يقول: لولا أن تَدَعَ الأحْدَاثُ التَّمَسُّكَ بالوفـاء، والرِّعاية للحُرْمَةِ لأعلمتها أن الإبل تتناول العظم البالى، وهو أقلّ الأشياءِ فَتجدُ له لَذة.

---

(١) يصف الإبل وهى تسير فى الفلوات، والسُّهبى: موضع في بنى تميم. وقبله:
* كأنْ حاديَها لمّا أَضرَّ بها *

(٢) الثعد: وواحدته ثعدة، وهو ما لان من البسر وأرطب.

ومثل بيت جَرِيرٍ الأخير قول أبى الشَّغْبِ يرثى ٱبنه شَغْبًا:

قَـدْ كَانَ شَـغْبٌ لَوَ أَنَّ اللهَ عَمَّـرَهُ ... عِـزًّا تُزَادُ بِهِ فِي عِـزِّهَا مُـضَـرُ

لَيْتَ الْجِبَالَ تَدَاعَتْ قَـبْلَ مَصْرَعِهِ ... دَكًّـا فَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَحْجَـارِهَا حَجَـرُ

فَارَقتُ شَغْبًا وَقَـدْ قَوَّسْتُ مِنْ كِبَرٍ ... بِئْسَ الْحَلِيفَانِ: طُولُ الْحُزْنِ وَالْكِبَرُ

قوله: «قوّست» يقول: انحَنَيْتُ كالقوس، قال امْرُؤُ القَيْس:

أَرَاهُنَّ لا يُحْـبِبْنَ مَنْ قَلَّ مَـالُهُ ... وَلاَ مَنْ رَأَيْنَ الشَّيْبَ فِيهِ، وقوّسَا

[لسليمان بن قتة يرثى الحسين بن على]

وقال سليمان بن قَتَّةَ يرثى الحسين بن علىّ بن أبى طالب عليهما السلام:

مَـرَرْتُ عَلَى أَبْيَاتِ آلِ مُـحَمَّـدٍ ... فَلَمْ أَرَهَا كَـعَـهْـدِهَـا يَومَ حُلَّتِ

فَـلاَ يُبْـعِـدِ اللهُ الـدّيَارَ وَأَهْلَهَـا ... وَإِنْ أَصْبَحَتْ مِنْ أَهْلِهَا قَدْ تَخَلَّتِ

وَكَـانُوا رَجَـاءً ثُمَّ صَـارُوا رَزِيَّةً ... فَقَدْ عَظُمَتْ تِلْكَ الرَّزَايَا وَجَلَّتِ(١)

وَإِنَّ قَـتِـيلَ الطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... أَذَلَّ رِقَـابَ الْمُسْلِمِـينَ فَـذَلَّتِ(٢)

وَعِنْـدَ غَنِيٍّ قَطْـرَةٌ مِنْ دِمَـائِـنَا ... سَنَجْزِيهِمُ يَوْمًا بِهَا حَيْثُ حَلَّتِ(٣)

إِذَا افْتَقَـرَتْ قَيْسٌ جَبَرْنَا فَـقِيرَهَا ... وَتَقْـتُلُـنَا قَـيْسٌ إِذَا النَّـعْلُ زَلَّتِ

وسليمان بن قَتَّة(٤) رجل من بنى تَيْم بن مُـرَّة بن كَـعْب بن لؤَىّ، وكـان منقطعًا إلى بنى الهاشمِ.

[للفرزدق يرثى ابنيه]

وقال الفَرَزْدَقُ يرثى ٱبْنَيه:

بِفِى الشَّامِتِينَ التُّرْبُ أَنْ كَانَ مَسَّنِى ... رَزِيَّة شِبْلَىْ مُخْدِرٍ فى الضَّرَاغِمِ(٥)

وَمَـا أَحَـدٌ كَـانَ الْمَنَايَا وَرَاءَهُ ... - وَلَوْ عَـاشَ أَيَّامًا طِوَالا - بِسَـالِمِ

(١) جاء هذا البيت فى ر ، س بعد البيت الذى يليه.

(٢) الطف: موضع قريب من الكوفة، قتل فيه الحسين عليه السلام.

(٣) غنى: قبيلة فى قيس.

(٤) هو سليمان بن قتة المحاربى التابعى، وقتة أمه.

(٥) المخدر فى الأصل: الأسد الذى يلزم خدره، وهو هنا كناية عن نفسه.

أَرَى كُلَّ حَىٍّ مَا تَزَالُ طَلِيعَةً ... عَلَيْهِ المَنَايَا مِنْ ثَنَايَا الْمَخَارِمِ
يُذكرُنِى ابنَىّ السِّماكَانِ مَوْهِنًا ... إذَا ارْتَفَعَا فَوْقَ النُّجُومِ الْعَوَاتِمِ(١)
وَقَد رُزِئَ الأَقْوَامُ قَبْلِى بَنِيهِمُ ... وَإِخْوَانَهُمْ، فاقنَىْ حَيَاءَ الْكَرَائم
وَمَاتَ أَبِى وَالْمُنذِرَانِ كِلاَهُمَا ... وَعَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ شِهَابُ الأَرَاقِمِ
وَقَدْ كَانَ مَاتَ الأَقْرَعَانِ وَحَاجِبٌ ... وَعَمْرٌو أَبُو عَمْرو، وَقَيْسُ بْنُ عَاصِمِ
وَقَدْ مَاتَ بِسْطَامُ بْنُ قَيْسِ بْنِ خَالد ... وَمَاتَ أَبُو غَسَّانَ شَيْخُ اللَّهَازِمِ
وَقَدْ مَاتَ خَيْرَاهُمْ فَلَمْ يُهْلِكَاهُمُ ... عَشِيَّةَ بانَا رَهْطُ كَعْبٍ وَحَاتِمِ
فَمَا ابْنَاكِ إِلاَّ مِنْ بَنِى النَّاسِ فاصْبِرِى ... فَلنْ يَرْجِعَ المَوْتَى حَنِينُ الْمَآتِمِ

قال: وأنشدنى التَّوَّزِىُّ عن أبى زيد: «خَنِينُ المآتم» بالخاء معجمة(٢).

قوله: «ما تزال طليعة» يريد طالعةً، والثَّنايا جمع ثَنِيَّةٍ، وهى الطَّرِيقُ فى الجبل، ومن ذلك(٣):

أَنَا ابْنُ جَلاَ وَطَلاَّعُ الثَّنَايَا ... مَتَى أَضَعِ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِى

والمَخارِمُ: جمع مَخرَمٍ، وهو مُنْقَطَعُ أنف الجبل.

وقوله: «فوق النجوم العَوَاتِمِ»، يعنى المتأخرة، يقال: فلان يأتينا ولا يُعتِّم: أى لا يتأخر، وعَتَمَةٌ اسم للوقت، فلذلك سميت الصلاةُ بذلك الوقتِ، وكل صلاة مضافةٌ إلى وقتها، تقول: صلاة الغَداة، وصلاةُ الظهرِ، وصلاةُ العصرِ، وأما قولك: الصلاةُ الأولى، فالأولى نعت لها إذ كانت أوّلَ ما صُلِّىَ، وقيل أوَّل ما أظهِرَ.

وقوله: «فاقْنَىْ حَياءَ الكرائم»، يقول: فالْزَمِى، وأصل القِنْيَة المالُ اللازمُ، يقال: اقْتَنَى فلانٌ مالاً إذا اتَّخَذَ أصل مالٍ، وقيل فى قول الله عز وجل: ﴿وأنّهُ

---

(١) السماكان: كوكبان، أحدهما الرامح، والثانى الأعزل. والموهن: نصف الليل.
(٢) زيادات ر: «الخنين»، بالخاء صوت من الخيشوم.
(٣) زيادات ر: هذا الشعر لسحيم بن وثيل الرياحى».

هُوَ أغْنَى وأقْنَى﴾(١)، أى جَعَلَ لهم أصل مال، وأنشد أبو عبيدة(٢):

لَوْ كَانَ للدَّهْرِ عِزٌّ يَطْمَئِنُّ به لَكَانَ لِلدَّهْرِ صَخْرُ مَالَ قُنْيَان(٣)

والكَرائم: جمع كَرِيمة، والاسم من «فعيلة» والنعتُ يجمعان على «فَعائِل»، فالاسم نحو: صَحِيفةٍ وصحائفَ، وسَفينة وسَفَائِن، والنعت نحو: عَقيلة وعَقائل، وكَريمةٍ وكَرَائِم.

وقوله: «ومات أبى» يريد التأسىَ بالأشراف، وأبو غالب بن صَعْصَعَة بن ناجية بن عقال بنَ محمد بن سُفْيان بن مجاشع، وكان أبوه شريفا، وأجداده. إلى حيث انْتَهَوْا، ولكل واحد منهم قصة يطول الكتاب بذكرها والمنْذران: المنذر بن المُنْذرُ بن ماء السَّماء اللَّخمىُّ، يريد الابن والأب، وعمرو بن كلثوم التَّغْلَبىُّ، قاتل عمرو بن هند، وكان أحَدَ أشراف العرب وفتَّاكِهِمْ وشعرائهم، والأراقِمُ: قبيلة من بنى تَغْلِبَ، ابنة وائل، من بنى جُشَمَ بن بكْرٍ، وزعم أهل العلم، أنهم إنما سُمُّوا الأراقم؛ لأن عُيونهم شُبِّهَتْ بعيون الحَيَّات، والأراقم: واحدها أرْقَم، فكانوا معروفين بهذا، وقال الفرزدق يَرُدُّ على جَرير فى هجائه له وللأخْطَل:

إنّ الأَرَاقِمَ لَنْ ينالَ قَديمَهَا كَلْبُ عَوَى مُتَهتِّمُ الأَسْنانِ

وجعله شِهابًا لهم لنوره وبَهائه وضِيائه، تقول العرب: إنما فلان نَجْم أهلِه، وكذلك قالت الخَنْساء:

* كَأنَّهُ عَلَمٌ فى رَأْسِهِ نَار *

والأقْرعان: الأقْرَعُ بن حابس، وابنه الأقْرَعُ من بنى مجاشع بن دارمٍ، وكان الأقْرَعُ فى صدر الإسلام سَيِّدَ خنْدفَ(٤)، وكان مَحَلُّهُ فيها محلَّ عُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ فى قَيْسٍ. وحاجبُ بن زُرارَةَ بن عُدَسَ سَيِّدُ بنى تَميم فى الجاهلية غير مُدافَعٍ.

---

(١) سورة النجم ٤٨.

(٢) زيادات ر: «الشعر لأبى المثلم الهذلى يرثى صخرا».

(٣) رواية ديوان الهذليين ٢: ٢٣٨:

* لو كان للدهر مالٌ عند متلده *

(٤) خندف: قبيلة سميت باسم ليلى بنت حلوان، وكانت زوجا لإلياس بن مضر.

وعمـرو أبو عمرو، يريد عـمرو بن عُدَسَ، وكان شـريفا، وكان ابنه عـمرو شريفًا، قتل يوم جَبَلَةَ[1]، قتلته بنو عـامر بن صَعْصَعَـة، وقتلوا لَقيطَ بن زُرارَةَ ـ وكان الذى ولِىَ قـتله عمـارة الوَهَّاب العَبْـسىّ، وينسب إلى بنى عامـر؛ لأن بنى عَبْسٍ كانوا فـيهم معَ قيسِ بن زُهَيْرٍ، وعُمـارةُ هذا كان يقال له: «دالِقٌ»[2]، وقتله شِرْحافٌ الضَّبِّىُّ، ولذلك يقول الفرزدق:

وَهُنّ بِشِـرْحَـافٍ تَدارَكْنَ دَالِقًـا عُمَارَةَ عَبْسٍ بَعْدَ مَا جَنَحَ الْعَصْرُ

وزعم أبو عبـيدة أن فـاطمة بنت الْخُـرْشُبِ الأنمارِيَّة أَرِيَتْ فى منامهـا قائلا يقول: أعشرة هدَرةٌ أحَبُّ إليكِ أم ثلاثةٌ كعشرة ـ [هدرة بالدال غـير معجمة، قال أبو الحسن: هم السُّقَّاط من الناس] ـ فلم تقل شيئًـا، فعاد لها فى الليلة الثانية فلم تَقُلْ شيـئًا، ثم قَصَّتْ ذلك على زوجـها فقال: إن عـاد لك الثالثة فـقولى: ثلاثة كعشرة ـ وزَوْجُها زياد بن عبد الله بن ناشب العَبْسىّ ـ، فلما عاد لها قالت: ثلاثة كعـشرة، فـولدتهم كلَّهم غـايَةً، وَلَدَتْ رَبيعَ الْحفَّـاظ، وعُمـارةَ الوَهَّاب، وأَنَسَ الفَوَارِس، وهى إحدى المُنْجباتِ من العرب ـ

وأَسَرُوا حاجِـبًا، فذلك حيث يقول جـرير يعير الفرزدق ويُعْلِمُهُ فـخر قَيْسٍ عليه:

تُحَضّضُ يَا بْنَ الْقَـيْنِ قَيْسًا لِيـجْعَلوا لِقَـوْمِـكَ يَوْمًـا مِـثْلَ يَوْمِ الأرَاقِمِ

كَـأَنَكَ لَمْ تَشْـهَدْ لَقِـيطًا وَحـاجِبًـا وَعَمْرَو بْنَ عَمْرٍو إِذْ دَعَوْا يالدارِمِ دَارِمِ!

ولَمْ تَشْهَدِ الجَوْنَيْنِ وَالشِّعْبَ ذَا الصَّفَا وَشَـدَّاتِ قَـيسٍ يومَ دَيْرِ الجَـمَـاجِمِ

الجوْنَان: مـعاويةُ وحَسَّانُ ابنا الجَـوْن الكنْديَّان، أُسرا فى ذلك اليوم، فَـقُتِلَ حسان، وفُودِىَ معاويةُ بسبب يطول ذكره. والشِّعْبُ: شِعْبُ جَبَلة.

وقوله:

* وشدّات قيس يوم دَيْر الجَماجِم *

---

(١) جبلة: موضع فى نجد، ويوم جبلة من أعظم أيام العرب وأشدها لعامر وحلفائهم من بنى عبس على تميم وحلفائهم من ذبيان وأسد.

(٢) سمى بذلك لكثرة غاراته، من دلق الغارة على عدوه إذا شنها عليه.

هذا فى الإسلام، يعنى وَقْعةَ الحجَّاجِ بن يوسف بن الحكَمِ بن أبى عَقيلٍ الثَّقفىِّ بعبد الرحمن بن محمد بن الأَشْعث بن قيس بن مَعْدى كَربَ الكِنْدِىِّ بدَيْر الجَماجِم.

قوله(١):

* وقد مات بسْطام بن قيس بن خالد *

يعنى الشَّيْبانِىّ، وهو فارس بكْر بن وائل وابن سيدها، وقتِل بالحَسنِ(٢) - وهو جَبَلٌ - قتله عاصم بن خَليفة الضَّبِّىُّ، وكان عاصِمُ بن خليفة أسلم فى أيام عثمان رحمه الله، فكان يقف ببابه فيستأذن عليه، فيقول عاصمُ بن خليفة الضبىّ: قاتِلُ بِسْطامٍ بن قَيْسٍ بالباب - [قال أبو الحسن: الوجه عندى فى «بسطام» ألا ينصرف لأنه أعجمى] - وكان سببُ قتله إياه أن بِسْطامًا أغارَ على بنى ضَبَّةَ، وكان معه حازٍ يحزو له - [قال أبوالحسن: «حاز» بالزاى أى زاجرٌ] -، فقال له بِسْطامٌ: إنى سمعت قائلا يقول:

* الدَّلْوُ تَأْتِى الْغَرَبَ المزَلَّهْ(٣) *

فقال الحازى: فَهَلاَّ قُلْتَ:

* ثمَّ تَعُودُ بَادِنًا مُبْتَلَهْ(٤) *

قال: ما قلت، فاكْتَسَحَ إبِلَهُمْ، فَتنادَوْا واتَّبَعوهُ، ونظرت أم عاصم إليه، وهو يَقَعُ حديدة له - أى يَحُدُّها، والْميقَعةُ: المِطْرَقةُ - فقالت له: ما تَصْنَعُ بهذه؟ - وكان عاصم مضعوفًا(٥) -، فقال [لها](٦): أقتل بها بِسْطامَ بن قيسٍ، فَنَهَرَتْهُ، وقالت: اسْتُ أُمِّكَ أَضْيَقُ من ذلك! فنظر إلى فَرَسٍ لِعَمِّهِ مُوثقةً إلى شجرة

---

(١) رجع إلى تفسير قول الفرزدق ص ٢٠٤.

(٢) زيادات ر: «كذا وقعت الرواية، بالحسن، وهو جبل بالجيم، والصواب: حبل بالحاء. قال ابن سراج رحمه الله تعالى: الحسن والحسين: حبلا رمل».

(٣) الغرب هنا: الماء الذى يسيل من الدلو. والمزلة: موضع الزلل.

(٤) البادن فى الأصل: الضخم البدن، يريد هنا أن الدلو تعود ممتلئة بالماء.

(٥) ر: «منقوصا».

(٦) تكملة من ر.

فاعْرَوْراها ـ أى ركبها عُرْيًا ـ ثم أقبل بها الريحَ، فنظر بسطام إلى الخيل قد لَحقتْه، فجعل يَطْعُنُ الإبل فى أعجازها، فصاحت به بنو ضَبَّةَ: يابسطام، ما هذا السَّفَهُ! دَعْها، إمَّا لنا وإمَّا لك، وانْحَطَّ عليه عاصمٌ، فطعَنَهُ فرمى به على الألاءة ـ وهى شجرة ليست بعظيمة، وكَانَ بسطام نَصْرانيًّا، وكَانَ مَقْتَلُهُ بعد مَبعَث النبى ﷺ ـ فأراد أخوه الرجوع إلى القوم، فصاح به بسطامٌ: أنا حَنيفٌ إن رَجَعتَ، ففى ذلك يقول ابن عَنَمة الضَّبِّىُّ ـ وكَان فى بنى شيبان:

فَخَرَّ عَلَى الألاءَةِ لَمْ يُوَسَّدْ　　　كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلُ

ولما قُتِلَ بسطام لم يَبْقَ فى بَكْرِ بن وائِلٍ بيتٌ إلا هُجِمَ (أى هُدِمَ).

وقوله:

* ومات أبو غَسَّان شيخ اللَّهازم *

يعنى مالك بن مِسْمَع بن شَيْبان بن شِهاب، أَحَدَ بنى قَيْسِ بن ثَعْلَبَةَ، وإليه تُنْسَبُ المسامعة. وكَانَ سيد بكْرِ بن وائلٍ فى الإسلام، وهو الذى قال لعُبَيْد الله بن زياد بن ظَبْيان، أحد بنى تيم اللَّات بن ثَعْلَبَةَ ـ وكَان حين حَدَث أمر مسعود بن عمرو المَعْنِىِّ من الأزْدِ فلم يُعْلِمْهُ به، فقال له عبيد الله ـ وهو أحد فُتَّاك العرب، وهو قاتل مُصْعَبِ بن الزبير ـ: أيكونُ مثل هذا الْحَدَث ولا تُعْلِمُنى به! لَهَمَمْتُ أن أُضرِم دارك عليك نارًا ـ فقال له مالك: اُسكتْ أبا مَطَر، فوالله إن فى كنانتى سَهْمًا أنا أَوْثَقُ به منى بكَ، فقال له عبيد الله: أوَ أنا فى كِنانَتك؟ فو الله لو قمت فيها لطُلْتُها، ولو قعدتُ فيها لَخرَقْتُها، فقال له مالك ـ وأعجبه ما سُمِع منه ـ: أَكْثَرَ الله فى العشيرة مِثْلَكَ! قال: لقد سألتَ ربَّك شَطَطًا!

وفى مالك بن مِسْمَع يقال:

إذَا ما خَشينَا مِنْ أَمِيرٍ ظُلاَمَةً　　　دَعَوْنَا أَبَا غَسَّانَ يَوْمًا فَعَسْكَرَا

قوله: «وقد مات خيراهم»، تثنية كقولك: مات أَحْمَرَاهُمْ، ولم يَخْرُجْ مَخْرَجَ النعت، ألا تَرَى أنك تقول: هذا أحْمَرُ القوم إذا أردتَ: هذا الأحْمَر الذى للقوم، فإذا أردتَ الذى يفْضُلُهُمْ فى باب الحمرة قلتَ: هذا أَشَدُّهُمْ حمرةً، ولم

تقل: هذا أحمرهُم، وكذلك خيراهم، وإنما أردتَ هذا خيرُهم ثم ثَنَّيْتَ، أى هذا الخير الذى هو فيهم.

وقوله: «عَشِيَّةَ بانا»، مردود على قوله: «خيراهم».

وقوله: «رَهْطِ كعب وحاتم»، إنما خفضتَ «رهطا» لأنه بدل من «هم» التى أَضَفْتَ إليها «الخيرين»، والتقدير: وقد مات خَيْرَا رهط كعبٍ وحاتِمٍ، فلم يُهْلكاهم عشيةَ بانا.

فأما كَعْبٌ، فهو كعب بن مَامَةَ الإيادىُّ، وكان أحدَ أجواد العرب الذى آثَرَ على نفسه، وكان مسافرًا ورفيقُهُ رجل من النَّمِرِ بن قاسط فَقَلَّ عليهما الماءُ فَتَصَافناهُ - والتَّصافُنُ: أن يُطْرَحَ فى الإناء حَجَرٌ[1] ثم يُصَبُّ فيه من الماء ما يَغْمُرُهُ لئلا يتغابنوا: وكذلك كل شيء وُقِفَ عَلَى كَيْلِه أو وزْنِه، والأصل ما ذكرنا - فجعل النَّمَرىُّ يشرب نصيبه، فإذا أَخَذَ كعبٌ نصيبه قال: اسْقِ أخاك النَّمَرِىَّ، فَيُؤْثِرُهُ حتى جُهِدَ كعبٌ، ورُفِعتْ له أعلام الماء، فقيل له: رِدْ كَعْبُ ولا وُرودَ به، فمات عَطَشًا، ففى ذلك يقول أبو دُؤاد الإيادِىُّ:

أَوفَى عَلَى المَاءِ كَعْبٌ ثُمَّ قِيلَ لَهُ: ... رِدْ كَعْبُ إنَّكَ وَرَّادٌ فَمَا وَرَدَا

فَضُرِبَ به المَثَلُ، فقال جَرير فى كَلِمَتِهِ التى مَدَحَ فيها عُمَرَ بن عبد العَزيز:

يَعُودُ الْفَضْلُ مِنكَ عَلَى قُرَيْشٍ ... وَتَفْرُجُ عَنْهُمُ الْكُرَبَ الشِّدَادَا

وَقَدْ أَمَّنْتَ وَحْشَهُمُ بِرِفْقٍ ... وَيُعْيِ النَّاسَ وَحْشُكَ أَنْ تُصَادَا

وَتَبْنِى المَجْدَ يَا عُمَرُ بْنَ لَيْلَى ... وَتَكْفِى المُمْحِلَ السَّنَةَ الجَمَادَا

وَتَدعُو اللهَ مُجْتَهِدًا لِيَرْضَى ... وَتَذْكُرُ فِى رَعِيَّتِكَ المَعَادَا

وَما كَعْبُ بْنُ مَامَةَ وَابْنُ سُعْدَى ... بِأَجْوَدَ مِنكَ يَا عُمَرَ الجَوَادَا

تَعَوَّدْ صَالِحَ الأَخْلاقِ إِنِّى ... رَأَيْتُ المَرْءَ يَلْزَمُ مَا اسْتَعَادَا

هذا كعب بن مامة الذى ذكرناه.

---

(١) زيادات ر: «هذا الحجر الذى يقسم به الماء، يقال له المقلة، بفتح الميم».

وأما ابن سُعْدَى، فـهو أَوْسُ بن حارِثَةَ بن لأمٍ الطائىُّ، وكان سيـدًا مُقدَّمًا، فوَفَدَ هو وحاتمُ بن عبـد الله الطائىُّ على عَمْرو بن هند، وأبوه المُنْذِر بن المنذر بن ماء السمـاء، فدعا أَوْسًا فـقال له: أأنت أفضلُ أم حاتمٌ؟ فـقال: أَبَيْتَ اللَّعنَ! لو ملكنى حاتم وولدى ولُحمَتى لوَهَبَنا فى غَداة واحدة. ثُمَّ دعا حاتمًا فقال له: أنت أفضلُ أم أوْسٌ؟ فقال: أَبَيْتَ اللعن! إنما ذُكِرْتُ بأوسٍ، ولأحَدُ وَلَدِه أفضلُ منى.

وكاَن النُّعْـمانُ بن المُنْذِرِ دعا بحُلَّـة وعنده وُفُودُ العرب من كلِّ حَىّ فـقال: احْضُروا فى غَد، فإنى مُلْبِسٌ هذه الحُلَّةَ أكْرَمَكُمْ، فحـضر القوم جميعًا إلا أوسًا، فقيل له: لم تتخلف؟ فقال: إن كان المراد غيرى فأَجْمَلُ الأشياء ألا أكون حاضرًا، وإن كنت أنا المراد فَـسأُطْلَبُ ويُعْـرَفُ مكانى. فلما جلس النـعمان لم يـر أوسًا، فقال: اذهبـوا إلى أوس فقولوا له: احْضُـرْ آمنًا مما خِفْتَ، فَحضَـر فَأُلْبِسَ الحُلةَ، فحسـده قوم من أهله، فقالوا للحُطَيْئة: اهْـجه ولك ثلثمائة ناقة، فقـال الحطيئة: كيفَ أهجو رجلا لا أرى فى بيتى أثاثًا ولا مالا إلا من عنده!

ثم قال:

كَيْفَ الْهِجَاءُ وَمَا تَنْفَكُّ صالِحَةٌ   مِنْ آلِ لأمٍ بِظَهْرِ الْغَـيْبِ تَأْتِينِى

فقـال لهم بِشْرُ بن أبى خازم، أحـدُ بنى أسَد بن خُزَيْمـة: أنا أهجوه لكم، فأخذ الإبل وفعل، فأغـار أوس على الإبل فاكْتَسَحَها، فجعل لا يستـجير حَيًّا إلا قال: قد أجَرْتُكَ إلا من أوس. وكان فى هجائـه إياه قد ذكر أُمهُ، فأُتِىَ به، فدَخَل أَوْسٌ على أمِّهَ فقال: قد أُتينا ببِشْرٍ الهاجى لك ولى، فما تَرَيْنَ فيه؟ فقالت له: أوَ تُطيعُنى فيه؟ قال: نعم، قالت: أرى أن تَرُدَّ عليه مالهَ، وتَعْفُوَ عنه وتَحْبُوَه، وأفعلُ مثل ذلك، فإنه لا يَغْسِلُ هجاءَهُ إلا مَدْحُهُ.

فخرج إليـه فقال: إن أمى سُعْـدَى التى كنتَ تهجوها قد أمـرتْ فيك بكذا وكذا، فقال: لا جَرَمَ والله! لامَدَحْتُ أحدًا حتى أموتَ غَيْرَك. ففيه يقول:

إلَى أَوْسِ بْنَ حَـــارِثَةَ بْن لأمٍ   لِيَقْضِـىَ حَاجَتِى فِيمَـنْ قَضَاهَا

وَمَا وَطِئَ الثَّرَى مِثْلُ ابْنِ سُعْدَى   وَلا لَبِسَ النِّعَـالَ وَلاَ احتَـذَاهَا

وأما حاتمٌ الذى ذكره الفَرَزْدَقُ، فهو حاتم بن عبد الله الطائىُّ، جَوادُ العرب، وقد كَان الفرزدق صافَنَ رجلاً من بنى العَنْبر بن عمرو بن تميم إداوة(١) فى وقت، فرامَهُ الْعَنْبَرِىُّ وسامه أن يُؤْثِرهُ ـ وكانَ الفرزدق جَوادًا ـ فلم تَطِبْ نفسُه عن نفسه، فقال الفرزدق:

فَلَمَّا تَصَافَنَّا الإِدَاوَةَ أَجْهَشَتْ ... إِلَىّ غُضُونُ الْعَنْبرِىِّ الْجُرَاضِمِ

فَجَاءَ بِجُلْمُودٍ لَهُ مِثْلِ رَأْسِه ... لِيَشْرَبَ مَاءَ الْقَوْمِ بَيْنَ الصَّرَائِمِ

عَلَى سَاعَةٍ لَوْ أَنَّ فِى الْقَوْمِ حَاتِمًا ... عَلَى جُودِهِ ضَنَّت بِهِ نَفْسُ حَاتِمِ

أمّا قوله: «أجْهَشَتْ» فهو التَّسَرُّعُ، وما تراه فى فَحْواه من مُقاربة الشىء، يقال: أجْهَشَ بالبكاء. والغُضون: التكسّر فى الجلد، والجُراضم: الأحمر الممتلئ.

وقوله:

* ليشرب ماء القوم بين الصرائم *

فهى جمع صَرِيمة: وهى الرملة التى تنقطع من مُعْظَمِ الرمل، وقوله: «صَرِيمةٌ» يريد مصرمة، والصَّرْمُ: القطع، وأنشد الأصْمَعِىُّ:

فَبَاتَ يَقُولُ أَصْبِحْ لَيْلُ حَتّى ... تَجَلَّى عَنْ صَرِيمَتِهِ الظَّلَامُ

يعنى ثَوْرًا، وصَرِيمته: رَمْلَته التى هو فيها، وقال المفسرون فى قوله عز وجل: ﴿فَأَصْبَحَتْ كالصَّرِيم﴾(٢) قولين، قال قوم: كالليل المُظْلِم، وقال قوم: كالنهار المضىء، أى بيضاء لا شىء فيها، فهو من الأضداد، ويقال: لَكَ سَوادُ الأرض وبياضُها، أى عامرها وغامرُها، فهذا ما يُحْتَجُّ به لأصحاب القول الأخير، ويحتج لأصحاب القول الأوّل فى السواد بقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾(٣)، وإنما سُمِّىَ السواد سوادًا لعمَارتِهِ، وكل خُضْرةٍ عند العرب سَوادٌ، ويروى:

عَلَى سَاعَةٍ لَوْ أَنَّ فى الْقَومِ حَاتِمًا ... عَلَى جُودِهِ مَا جَادَ بِالْمَاءِ حَاتِمُ

جَعل «حاتما» تبيينًا للهاء فى جوده، وهو الذى يسميه البصريون البدل، أراد: على جود حاتمٍ.

---

(١) الإداوة: إناء صغير من جلد يتخذ للماء، وجمعه أداوى.

(٢) سورة القلم ٢٠.

(٣) سورة الأعلى ٥.

باب

[نبذ من أقوال الحكماء]

قال أبو العباس: كان يقال: إذا رَغِبْتَ فى المكارم فاجْتَنب المحارمَ.

وكان يقال: أنْعَمُ الناس عيشًا مَنْ عاش غيره فى عيشه.

وقيل فى المثل السائر: من كان فى وطَنَ فَلْيُوَطِّنْ غيرَه وطنه، ليَرْتَعَ فى وَطَنِ غيره فى غربته.

قال: وانْتبه معاوية من رَقْدة له، فَأَنْبَه عمرو بن العاص، فقال له عمرو: ما بقى من لَذَّتك[1]؟ قال: عَينٌ خَرَّارَةٌ فى أرض خوَّارة[2]، وعينٌ ساهرةٌ لعين نائمة، فما بقى من لذلتك يا أبا عبد الله؟ قال: أن أَبيتَ مُعْرِسًا بعقيلة من عَقائل العربِ. ثم نَبَّهَا وَرْدان[3]، فقال له معاوية: ما بقى من لذتك؟ فقال: الإفضالُ على الإخوان، فقال له معاوية: أسكتْ، أنا[4] أحقُّ بها منك، قال[5]: قد أَمْكَنَكَ فافْعَلْ.

ويروى أن عمرًا لما سُئل قال: أن أسْتَتِمَّ بناء مَدينتى بمصر، وأنَّ وردْانَ لما سُئِلَ قال: أن أَلْقَى كريمًا قادرًا فى عَقِبِ إحسانٍ كان منى إليه، وأن معاوية سئل عن الباقى من لذته فقال: مُحادَثَةُ الرجالِ.

ويروى عن عبد المَلك أنه قال ـ وقد سئل عن الباقى من لذته فقال: مُحادَثَةُ الإخوان فى الليالى القُمْرِ[6] على الكثْبان العُفْرِ[7].

وقال سليمان بن عبد الملك: قد أكلنا الطَّيِّبَ، ولَبِسْنَا اللَّيِّنَ، وركبنا الفارهَ[8]، وامْتَطَيْنا العَذْراءَ، فلم يَبْقَ من لَذَّتى إلا صَديق أطْرَحُ بينى وبينه مَئُونَةَ التَّحَفُّظ.

---

(١) كذا فى الأصل، س. وفى ر: «ما بقى من لذتك يا أمير المؤمنين».

(٢) عين خرارة: جارية. خوارة: سهلة لينة.

(٣) وردان: مولى عمرو بن العاص.

(٤) ر: «فأنا».

(٥) ر: «فقال له».

(٦) قمر: جمع قمراء، وهى الليلة التى يغمرها ضوء القمر.

(٧) العفر: جمع أعفر، وهو اللون الأحمر.

(٨) الفاره: النشيط من الدواب.

وقال رجل لرجل من قريش: إنى والله ما أَمَلُّ الحديثَ، قال: أَيُمَلُّ الْعَتِيق(1).

وقال المهَلَّبُ بن أبى صُفْرة: العيش كلُّه فى الجليس المُمْتِعِ.

وقال معاوية: الدنيا بحَذافيرها الخَفْضُ والدَّعَةُ.

وقال يزيد بن المهلَّب: ما يَسُرُّنى أنى كُفيتُ أمْرَ الدنيا كلَّه، قيل له: ولم أيُّها الأميرُ؟ قال: أكْرَهُ عادةَ العَجْزِ.

ويروى عن بعض الصالحين أنه قال: لو أنزل الله كتابًا أنه مُعَذِّبٌ رجلا واحدًا لخِفْتُ أن أكونَهُ، أو أنه راحمٌ رجلا واحدًا لرَجَوْتُ أن أكونه، أو أنه مُعَذِّبى(2) لا مَحالةَ ما ازْدَدْتُ إلاَّ اجتهادًا لئلا أرْجِعَ على نفسى بلائمةٍ.

[أدب عمر بن عبد العزيز]

ويروى أن عمر بن عبد العزيز كان يدخل إليه سالم مَوْلَى بنى مَخْزُومٍ، ـ وقالوا: بل زِيادٌ ـ وكان عمر أراد شراءه وعتقه، فأعتقه موَاليه، وكان عمر يسميه: أخى فى الله، فكان إذا دخل وعمُر فى صدر مجلسه تَنَحَّى عن الصَّدْرِ، فيقال له فى ذلك فيقول: إذا دَخَلَ عليك مَنْ لا تَرَى لك عليه فَضْلاً فلا تأخُذْ عليه شَرَفَ المجلس.

وهَمَّ السِّراجُ ليلةً بأن يَخْمُدَ، فوَثَبَ إليه رَجاءُ بنُ حَيْوَة ليُصلحه، فأقسَمَ عليه عمرُ فَجَلَس، ثم قام عمر فأصلحه. فقال لهُ رَجاءٌ: أتقوم يا أمير المؤمنين! قال: قمتُ وأنا عمرُ بن عبد العزيز، ورجعتُ وأنا عمر بن عبد العزيز.

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تَرفَعونى فَوْق قَدْرى، فتقولوا فِىَّ ما قالت النصارى فى المسيح، فإن الله اتّخَذَنى عبدًا قبل أن يَتَّخذَنى رسولا».

ودخل مَسْلمةُ بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز فى مَرْضَته التى مات فيها، فقال: ألاَ تُوصى يا أمير المؤمنين؟ قال: فِيم أُوصِى؟ فوالله إنْ لى من مالٍ،

---

(1) ر، س: «إنما يمل العتيق»، والعتيق: القديم.

(2) ر: «ولو علمت أنه معذبى».

فقال: هذه مائة ألف فَمُرْ فيها بما أحبَبْتَ، فقال: أوَ تَقْبَلُ؟ قال: نعم، قال: تُرَدُّ على من أُخذَتْ منه ظلمًا. فبكى مَسْلَمَةُ ثم قال: يرحمك الله! لقد ألَنْتَ منا قلوبًا قاسية، وأبقيتَ لنا فى الصالحين ذكْرًا.

[بر على بن الحسين بأمه]

وقيل لعلىٍّ بن الحسين بن على بن أبى طالب رحمهم الله: إنك مِنْ أبَرِّ الناس بأمِّك ولَسْنَا نراك تأكل مع أُمِّكَ فى صَحْفَةٍ، فقال: أخاف أن تَسْبِقَ يدى إلى ما سَبَقَتْ عينُها إليه فأكون قد عَقَقْتُها.

[لعمر بن ذر فى ابنه]

وقيل لعمر بن ذَر ـ حيث نُظرَ إلى تَعزِّيه عن ابنه ـ كيف كان بِرُّهُ بك؟ فقال: ما مشيت بنهار قَطُّ إلا مَشَى خَلْفى، ولا بليل إلا مشى أمامى، ولا رَقِىَ سَطْحًا وأنا تحته.

[لأبى المخش فى ولده]

وقال أبو المخَشِّ: كانت لى ابنةٌ تَجلسُ معى على المائدة، فتُبْرِزُ كَفًّا كأنها طَلْعَةٌ[1]، فى ذراعٍ كأنها جُمَّارةٌ[2]، فلا تقع عينُها على أُكْلة نَفيسة إلا خَصَّتْنى بها، فَزَوَّجْتُها، وصار يجلس معى على المائدة ابنٌ لى فيُبْرِزُ كفًا كأنها كِرْنافةٌ، فى ذراعٍ كأنها كَرَبَةٌ، فوالله إن تَسْبِقُ عينى إلى لُقْمة طَيِّبَةٍ إلا سَبَقَتْ يده إليها.

وقال الأصمعىُّ: قيل لأبى المخَشِّ: أمَا كان لك ابن؟ فقال: المخَشُّ، وما كان المخَشُّ؟ كان والله أشْدَقَ خُرْطمانيًّا إذا تكلم سال لُعابُه، كأنما ينظر من قَلْتَيْنِ[3]، وكأنَّ تَرْقُوَتَهُ بُوانٌ أو خالفةٌ، وكأنَّ مُشاشَ مَنْكِبَيْهِ كِرْكِرةُ جَمَلٍ، فَقَأَ اللهُ عَيْنَىَّ هاتين إنْ كنتُ رأيتُ بهما أحْسَنَ منه قبله ولا بعده!

قوله: «بوان أو خالفة» فهما عمودان من عُمُد البيت، البوانُ فى مُقَدَّمه والخالفة فى مُؤَخَّرِه. والكِرْنافةُ: طَرَفُ الكربةِ العريض الذى يتصل بالنخلة كأنه كَتِفٌ.

---

(١) الطلعة: واحدة الطلع، وهو نور النخلة.

(٢) الجمارة: شحمة النخلة.

(٣) مثنى قلت، وهو نقرة مستديرة فى أرض صلبة.

حدثنى بهذا الحديث العباسُ بن الفرَج الرِّياشيُّ عن الأَصْمَعيِّ، وحدثنى عمّن حدثه قال: مَرَّ بنا أعرابيٌّ يَنْشُدُ ابنا له، فقلنا: صِفْهُ، فقال: دُنَيْنِرٌ، قلنا لم نَرَهُ، فلم نَلْبَثْ أن جاء بِجُعَلٍ على عُنُقِه، فقلنا: لو سألتَ عن هذا لأَرْشَدْناكَ، مازال مُنْذُ اليوم بين أيدينا.

وأنشد مُنْشِدٌ، وأنشدنى الرِّياشيُّ أحد البيتين:

نِعمَ ضَجيعُ الْفَتَى إذا بَرَدَ اللَّيْـلُ سُحَيْرًا وَقَرْقَفَ الصَّرِدُ[1]
زَيَّنَهَا اللهُ فى الْفُؤَادِ كَمَا زُيِّنَ فِى عَيْنِ وَالِدٍ وَلَدُ

[لأم ثواب الهزانية تصف عقوق ابنها]

وقالت أُمُّ ثَوابِ الهِزَّانِيَّة، من عنَزَةَ بن أَسَدِ بن رَبيعةَ بن نِزارٍ، تعنى ابنها:

رَبَّيْتُهُ وَهْوَ مِثْلُ الْفَرْخِ أَعْظَمُهُ أُمُّ الطَّعَامِ تَرَى فى رِيشِهِ زَغَبَا[2]
حَتى إذَا آض كَالْفُحَّالِ شَذَّبَهُ أَبَّارُهُ وَنَفَى عَنْ مَتْنِهِ الكَرَبَا
أَنْشَا يُخَرِّقُ أَثْوَابِى ويَضْرِبُنِى أَبَعْدَ سِتِّينَ عِنْدِى يَبْتَغِى الأدبَا!
إنِّى لأُبصِرُ فى تَرْجِيلِ لِمَّتِهِ وَخَطِّ لِحْيَتِهِ فى وَجْهِهِ عَجَبَا[3]
قالَتْ لَهُ عِرْسُهُ يَوْمًا لِتُسْمِعَنى: رِفْقًا فَإِنَّ لَنَا فى أُمِّنَا أربَا
وَلَوْ رَأَتْنِىَ فِى نارٍ مُسَعَّرَةٍ مِنَ الجَحِيمِ لَزَادَتْ فَوْقَهَا حَطَبَا

قوله: «أباره»، فهو الذى يُصْلِحُهُ، يقال: أَبَرْتُ النخل وأَبَرْتُهُ (خفيفة)، إذا لَقَّحْتَهُ.

[خبر مالك بن العجلان مع أبى جبيلة]

ويروى أن مالك بن العَجْلانِ ـ أو غيرَه من الأنصار ـ كان يُتحفُ أبا جُبَيْلَةَ المَلِكَ حيث نزل بهم بتمْرٍ من نخلةٍ لهم شَرِيفةٍ، فغاب يوما، فقال أبو جُبَيْلَةَ: إن

---

(١) قرقف، من القرقفة، وهى الرعدة. والصرد: الذى آله الصرد، وهو البرد.
(٢) الزغب: ما يبدو من ريش الفرخ.
(٣) الترجيل: التسريح. واللمة: شعرالرأس الذى يلم بالمنكب.

مالكًا كان يُقوِّتُ علينا جَنَى هذه النخلة فَجُدُّوها، فجاء مالك ـ وقد جُدَّتْ ـ فقال: مَنْ سَعى على عَذْقِ[1] الْمَلِكِ فَجدَّهُ، فأعلموهُ أن المَلِكَ أَمَرَ بذلك، فجاء حتى وقَف عليه فقال:

جَدَدْتَ جَنَى نَخْلَتِى ظَالِمًا ... وكان الثِّمارُ لِمَنْ قَدْ أَبَرْ

فلما دخل النبىُّ ﷺ المدينةَ أَطْرَفُوه بهذا الحديث، فقال ﷺ: «الثمر لمن أَبَر، إلا أن يَشْتَرِطَهُ المشترى».

والفحال فُحَّال النخل: ولا يقال لشىء من الفحول فحَّالٌ غيره. وأنشدنى المازنىُّ:

يُطِفْن بفُحَّالٍ كأنَّ ضِبابَهُ ... بطونُ المَوالى يومَ عيدٍ تَغَدَّتِ[2]

وضِبابهُ: طلْعه. وآض: عاد ورجع.

وقولها: «شذَّبه» تقول: قطع عنه الكرَب والعَثاكيل[3]، وكلُّ مشذَّب مقطوع، ويقال للرجل الطويل النحيف: مشذَّب، يشبَّه الجذع المحذوف عنه الكرَب، وأصل التشذيب القطع، وقال الفرزدق:

عضَّتْ سيوفُ تميمٍ حين أغضبها ... رأس ابن عَجْلى فأضحى رأسُه شَذَبا

أراد: عضَّتْ سيوفُ تميم رأسَ ابن عجلى حين أغضبها.

وابن عْجلى: عبد الله بن خازم السُّلَمىِّ، وأمّه عجلى، وكانت سوداء، وهو أحد غربان العرب فى الإسلام.

[للمهلب وقد سئل: من أشجع الناس؟]

وسئل المهلب. مَنْ أشجع الناس؟ فقال: عباد بن حصيْن، وعمرو بنُ عبيد الله بن معمَر، والمغيرة بن المهلب؛ فقيل: فأين ابن الزبير وابن خازم وعُمَيْر ابن الحباب؟ فقال: إنَّما سئلت عن الإنس ولم أسأل عن الجن!

---

(١) العذق بالفتح: اسم النخل عند أهل الحجاز.
(٢) البيت فى اللسان (ضبب ـ فحل) ونسبه للبطين التيمى.
(٣) العثاكيل: الشماريخ، واحده عثكول.

بابـ

[من كلام عائشة]

رَوَى شعبة عن واقد بن محمد، عن أبى مُلَيكة، عن القاسم بن محمد قال: قالت عائشة رضى الله عنها: مَنْ أرضى اللهَ بإسخاط الناس كفاه الله ما بينه وبين الناس. ومَنْ أَرْضَى الناس بإسخاطِ الله وكلَه الله إلى الناس، ومَنْ أصلح سريرته أصلح الله علانيتَه.

[بين الحسن بن زيد والى المدينة وابن هَرْمة]

ويروى أن الحسَن بن زيد[1] لمّا وَلِّىَ المدينة قال لابن هَرْمة[2]: إنى لستُ كمنْ باع لَك دينَه رجاءَ مَدْحك أو خوفَ ذمِّك، قد أفادنى الله بولادة نبيِّه الممادح، وجنَّبنى المقابح، وإنَّ من حقّه علىَّ ألاَّ أغضىَ على تقصير فى حقِّه، وأنا أقسم بالله، لئن أُتيتُ بك سكرانَ لأضربنَّك حدَّين: حداًّ للخمر، وحداًّ للسكر، ولأزيدنَّ، لموضع حرمتك بى. فليكن تركُها لله تُعَنْ عليه؛ ولا تدعْها للنَّاس فتوكَل إليهم. فنهض ابن هَرْمة وهو يقول:

نهانى ابْنُ الرسول عن المدامِ ... وأدَّبنى بآداب الكرامِ

وقال لِىَ اْصطبرِ عنها ودعْها ... لخوفِ الله لا خوفِ الأنامِ

وكيف تصبرْى عنها وحُبِّى ... لها حبٌّ تمكّن من عظامِى!

أرى طيبَ الحلال علىَّ خُبثًا ... وطيب النفس فى خُبْث الحرامِ

[من كلام مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشى]

وقال الحسن لمطرف بن عبد الله بن الشِّخير الحَرشىِّ: يا مطرِّف، عظ أصحابَك، فقال مطرِّف: إنى أخاف أن أقول ما لا أفعل.

فقال الحسن: يرحمك الله! وأيُّنا يفعل ما يقول! لَودَّ الشيطان أنَّه ظفر بهذه منكم، فلم يأمر أحدٌ بمعروف، ولم يَنهَ عن منكر.

---

(١) هو الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب، ولى المدينة لأبى جعفر المنصور سنة ١٥٠.

(٢) هو إبراهيم بن هرمة من متقدمى الشعراء، ممن أدرك الدولتين: الهاشمية والأموية (وانظر ترجمته ومراجعها فى الشعر والشعراء ٧٢٩ ـ ٧٣١).

- وقال مطرِّف بن عبد الله لابنه: يا عبدَ الله، العلم أفضلُ من العمل، والحسنة بين السيئتين، وشرّ السيْر الحَقْحَقة.

قوله: «الحسنة بين السيئتين»، يقول: الحقُّ بين فعل المقصِّر والْغَالى. ومن كلامهم: خيرُ الأمور أوساطها.

قوله: «وشرُّ السير الحقحقة»، وهو أن يستفرغ المسافر جُهْدَ ظَهره فيقطعَه، فيُهلِك ظهره، ولا يبلغ حاجته. يقال: حقحق السيرَ إذا فعل ذلك. وقال الراجز:

* وانبتّ فعلَ[1] السائر المُحَقْحِق *

وحُدثت أن الحسن نفى سابقَ الحاجّ وقد أسرع، فجعل يومِئ إليه بإصبعه فِعلَ الغازلة، وهو يقول: «خرقاء وجدتْ صوفا».

وهذا مَثَل من أمثال العرب يضربونه للرجل الأحمق الذى يجد مالاً كثيرًا فِيعيث فيه، وشبيه بهذا المثل قوله: «عبدٌ وخلى[2] فى يديه».

ويروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن هذا الدين متين فأَوْغِلْ فيه برفق، ولا تبغِّضْ إلى نفسِك عبادَةَ ربّك، فإن المنبتّ لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى».

قوله« «متين»، المتين الشديد، قال الله عزّ وجل: **﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾**[3].

وقوله: «فأوغل فيه برفق»، يقول: ادخُل فيه، هذا أصل الوُغول، ويقال مشتقًّا من هذا للرجل الذى يأتى شَرَابَ القومِ من غير أن يُدْعَى إليه: واغِلٌ، ومعناهُ أنه وَغَلَ فى القوم وليس منهم، قال امْرُؤُ الْقَيْسِ:

حَلَتْ لِيَ الْخَمْرُ وَكَنْتُ امْرَأً ... عَنْ شُرْبِها فِى شُغُلٍ شَاغِلِ
فَالْيَوْمَ أُسْقَى غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ[4] ... إِثْمًا مِنَ اللهِ وَلاَ وَاغِلِ

(١) زيادات ر: «فعل» بالنصب الرواية الصحيحة، لأنه مصدر معنى».
(٢) الخلى: الرطب من الحشيش.
(٣) سورة الأعراف ١٨٣.
(٤) المستحقب: الذى يحمل الشىء فى الحقيبة.

والمُنْبَتُّ: مثل المُحَقْحِقِ، واشتقـاقه من الانقطاع، يقال: انْبَتَّ فلانٌ من فلان أى انقطع منه، وبَتَّ الله ما بينهم، أى قَطَعَ، قال محمد بن نُمَيْر:

تَواعَـدَ لِلْبَـيْنِ الْخَلِيطُ لِيَنْبَـتُّـوا وَقَالُوا لِـراعى الذَّوْدِ: مَوْعِدُكَ الـسَّبْتُ

وَفِى النَفْسِ حَاجَاتٌ إِلَيْهِمْ كَثِيرَةٌ ومَوْعِدُهَا فِى السَّبْت لَو قَدْ دَنا لْوَقْتُ(١)

ويروى:

* أَلاَ قَرَّبَ الْحَىُّ الْجِمال لَيَنْبَتُّوا *

وحُدِّثْتُ أن ابْن السَّمَّاك كـان يقول: إذا فَعَلْتَ الحسَنة فافْرَحْ بهـا واسْتَقْلِلْها فإنك إذا استقللتها زِدْتَ عليها، وإذا فَرِحْتَ بها عُدتَ إليها.

ويروى عن أُوَيْسٍ القَـرَنِىِّ أنه قـال: إنّ حـقـوق الله لم تَتْـرُكْ عند مـسلم درهـمًـا.

[يزيد بن هبيرة ينصح المنصور]

ودخل يَزِيدُ بن عُـمَرَ بن هُبَيْـرَة على أميـر المؤمنين المَنْصور فـقال: يا أمـير المؤمنين، توسّعْ تَوَسُّعًا قُرَشيًّا، ولا تَضِقْ ضيقًا حِجازيًّا.

ويروى أنه دَخَل عليه يوما فقال له المنصورُ: حَدِّثْنا، فقال: يا أمير المؤمنين، إن سُلْطانَكُمْ حَديثٌ، وإمارَتَـكُم جَديدةٌ، فأذيقوا الناس حَلاوةَ عَـدْلها، وجَنِّبوهُمْ مَرارةَ جَوْرِها. فوالله يا أمير المؤمنين لقد مَحَضْتُ لك النصيحة.

ثـم نَهَضَ فنَهَض معه سبعمائـة من قيْسٍ، فأَتْـأَرَهُ المنصور بصَـرَهُ، ثم قال: لا يَعِزُّ مُلْكٌ يكون فيه مِثْلُ هذا.

قوله: «مَحَضْتُ لك النصيحة» يقول: أخلصت لك، وأصل هذا من اللبَن، والمَحْضُ منه: الخالص الذى لا يشوبُهُ شىء، وأنشد الأصمعِىُّ:

امْتَحَـضَا وَسَقَّـيَانِى ضَيْحَـا وَقَدَ كَـفَيْتُ صَاحِبَىَّ المَيْـحَا(٢)

---

(١) روى الأخفش البيت الأخير.

(٢) رواية اللسان عن شمر: (محض) «إنى كفيت» وفى زيادات ر: «الميح: طلب الشىء هاهنا وهاهنا».

ويقال: حَسَبٌ مَحْضٌ.

وقوله: «أتأره بصره» يقول: أتبعه بصره، وحَددَ إليه النَّظَر، وأنشد الأصمعيُّ:

مَازِلْتُ أَرْمُقُهُمْ وَالآلُ يَرْفَعُهُمْ ... حَتَّى اسْمَدَرَّ بِطَرْفِ العَيْنِ إِتْآرِى(١)

[لأسماء بن خارجة فى كرم الخلق]

ويروى عن أسماء بن خارجةَ أنه قال: لا أُشاتِمُ رجلا، ولا أَرُدُّ سائلا، فإنما هو كريم أسُدُّ خَلَّته، أو لئيم أشترى عِرْضى منه.

[للأحنف بن قيس]

ويروى عن الأحنَف بن قَيْسٍ أنه قال: ما شاتَمْتُ رجلا مذْ كنتُ رجلا، ولا زَحَمتْ رُكْبَتَاىَ رُكْبَتَيْه، وإذا لم أَصِلْ مُجْتَدِىَّ حتى يَنْتِحَ جَبِينُهُ عَرَقًا كما يَنْتِحُ الحَميتُ، فو الله ما وصَلْتُهُ.

قوله: «مُجْتَدِىَّ» يريد الذى يأتيه يطلب فضله، يقال: اجتداه يَجْتَدِيه، واعْتَفاه يَعْتَفِيه، واعتراه يَعْتَرِيه، واعْتَرَّهُ يَعْتَرُّهُ، وعراه يَعْرُوه: إذا قصده يتعرَّضُ لنائله. وأصل ذلك مأخوذ من الجَدَا، مقصور، وهو المطر العامُّ النافع، يقال: أصابَتْنا مَطْرَةٌ كانت جَدًا على الأرض، فهذا الاسم، فإذا أردتَ المصدر قلتَ: فلان كثير الجَداء، ممدود، كما تقول: كثير الغناء عنك، ممدود، هذا المصدر، فإذا أردت الاسم الذى هو خلاف الفَقْر قلت: الغنى ـ بكسر أوله ـ وقَصَرْتَ. قال خُفافُ بن نَدْبَة يمدح أبا بكر الصدّيق رضى الله عنه:

لَيْسَ لِشَىْءٍ غَيْرَ تَقْوَى جَدَاءْ ... وَكُلُّ شَىْءٍ عُمْرُهُ لِلفَنَاءْ
إِنَّ أَبَا بَكْرٍ هُوَ الْغَيْثُ إِذْ ... لَمْ تَشْمَلِ الأَرْضَ سَحَابٌ بماءْ
تَاللهِ لاَ يُدْرِك أَيَّامَهُ ... ذو طُرَّةٍ حافٍ وَلا ذُو حِذَاءْ
مَنْ يَسْعَ كَىْ يُدْرِكَ أَيَّامَهُ ... يَجْتَهِدِ الشَّدَّ بِأَرْضٍ فَضَاءْ

---

(١) زيادات ر: «وهو للكميت بن زيد». والبيت فى اللسان (تأر) غير منسوب. واسمدر: لم يكد يبصر.

وَهذا من طَرِيف الشعْـر لأنه ممدود، فهو بالمد الذى فيـه من عَروض السَّريع الأولى، وبيته فى العَروض:

أَزْمَانَ سَلْمَى لا يَرَى مِـثْلَهَا الرَّا ءُونَ فى شَـامٍ وَلاَ فـى عِـرَاقْ

ثم نرجع إلى تأويل قول الأحْنَف.

قوله: «حتى يَنْتِح جَبِينُهُ عرقًا»، فهو مثل الرَّشْح.

وحدثنى أبو عـثمان المازنىُّ فى إسناد له ذَكَـرَهُ قال: قال رُؤْبَة بن العَـجَّاج: خرجتُ مع أبى نريد سليمانَ بن عبد الملك، فلما صرْنا فى الطريق أهْدىَ لنا جَنْبٌ من لحم عليه كـرافئُ الشحم، وخَـريطةٌ من كَمْأة، ووَطْبٌ من لبن، فَـطبخنا هذا بهذا، فما زالتْ ذِفْرَياىَ(1) تَنْتِحَان منه إلى أن رجعتُ.

وقوله: «الحَميت»، فالحميتُ والزِّقُّ اسمان له، وإذا زُفِّتَ أو كان مَرْبُوبًا فهو الوَطْب، وإذا لم يكن مـربوبًا ولا مُزَفَّـتًا فهـو سِقـاءٌ ونحْىٌ، والوَطْبُ يكون للَّبن والسمن، والسِّقاء يكون للبن والماء. قالت هنْدٌ بنت عُتْـبَةَ لأبى سُفْيان بن حَرْب لما رجـع مُسْلمًا من عند النبى ﷺ إلى مكّة فى ليلة الفتح، فصاح: يا مَعْشَرَ قُرَيْش، أَلاَ إنِّى قد أَسْلَمْتُ فأسْلموا، فإنَّ محمداً قد أتاكم بما لا قِبَلَ لكم به. فأخذتْ هند برأسه، وقالت: بئس طَلـيعةُ القومِ أنتَ! والله ما خُـدِشْتَ خَدْشًا، يا أهل مكة، عليكم الْحَميتَ الدَّسِمَ فاقتلوه.

وأمـا قول رُؤْبَةَ «كَـرَافئَ الشـحم» يريد طبَقَـات الشـحم، وأصل ذلك فى السحاب إذا رَكِب بعضُهُ بعضًا، يقال له: كِرفِئٌ، والجميع كرافِئُ.

* * *

[قال أبوالحـسن الأخفش: واحد الكَرَافِئ كِـرْفِئَةٌ، وهاء التأنيث إذَا جُـمعَتْ جمع التـكسيـر حُـذِفَتْ لأنـهـا زائـدة، بمنـزلـة اسم ضُمَّ إلى اسْم، وأحْسَبُ أن أبا العبـاس لم يَسْمَع الواحـدَ من هذا فقـاسه، والعـرب تَجْتَرئ عـلى حذف هاء التأنيث إذا احتـاجت إلى ذلك، وليس هذا موضع حاجة إذا كانت قد اسْـتُعْملَتْ الواحدةُ بالهاء، ونظير هذا قـولهم: ما فى السماء كِرْفِئةٌ، وما فى السـماء قَذَعْملَةٌ وَقذَعْمِـيلَةٌ، وما فى السمـاء طُحْربةٌ وطِحربةٌ، وما فى السـماء قِرْطَعْبَـةٌ، وما فى السماء كَنَهْوَرَةٌ، وهى القطعة من السحاب العظيمة كالجبل و ما أشبهه].

* * *

(1) الذفرى: العظم الشاخص.خلف الأذن.

باب

[لحسان بن ثابت يهجو مسافع بن عياض التيمي]

قال أبو العباس: قال حَسَّانُ بن ثابت يهجو مُسافِعَ[1] بن عِياض التَّيْميَّ، من تَيْمِ بن مُرة بن كَعْبِ بن لؤَيٍّ، رَهْطِ أبى بكر الصِّدِّيق رحمه الله:

لَوْ كنْتَ مِنْ هاشِمٍ أَوْ مِنْ بَنِى أَسَدٍ ... أَوْ عَبْدِ شَمْسٍ أَو أَصْحَابِ الِّلوَا الصِّيدِ

أَوْ مِنْ بَنِى نَوْفَلٍ أَوْ رَهْطِ مُطَّلِبٍ ... لله دَرُّكَ! لَمْ تَهْمُمْ بتَهْدِيدِى

أَوْ فِى الذُّؤَابَةِ مِنْ قَوْمٍ ذَوِى حَسَبٍ ... لَمْ تُصْبِحِ الْيَوْمَ نِكْسًا ثَانِىَ الجِيدِ

أَوْ مِنْ بَنِى زُهْرَةَ الأَخْيَارِ قَدْ عَلِمُوا ... أَوْ مِنْ بَنِى جُمَحَ الْبِيضِ المَنَاجِيدِ

أَوْ فِى السَّرَارَةِ مِنْ تَيْمٍ رَضِيتُ بِهِمْ ... أَوْ مِنْ بَنِى خَلَفِ الْخُضْرِ الْجَلاَعِيدِ

يَا آلَ تَيْمٍ أَلاَ يُنْهَى سَفِيهُكُمُ ... قَبْلَ الْقِذَافِ بِقَوْلٍ كالجَلاَمِيدِ

لَوْلاَ الرَّسُولُ فَإِنِّى لَسْتُ عَاصِيَهُ ... حَتَّى يُغَيِّبَنِى فى الرَّمْسِ مَلْحُودِى

وَصَاحِبُ الْغَارِ إِنِّى سَوْفَ أَحْفَظُهُ ... وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ ذو الْجُودِ

لَقَدْ رَمَيتُ بِهَا شَنْعَاءَ فَاضِحَةً ... يَظَلُّ مِنْهَا صَحِيحُ الْقَوْمِ كالْمُودِى

قوله: «لو كنتَ من هاشم» يريد هاشم بن عَبْدِ مَناف بن قُصَىّ بن كلاب بن مُرَّةَ بن كَعْبِ بن لُؤَىِّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْرِ بن كنانةَ، والنَّضْرُ أبو قُرَيْشٍ، ومَنْ كان من بنى كنانةَ لم يَلِدْهُ النَّضْرُ فليس بقُرَشِىٍّ. وبنو أسد ابن عبد العُزىّ بن قُصَىّ. وعبد شمس [هو عبد شمس[2]]، بن عبد مَناف بن قُصَىٍ. وأصحاب اللواء بنوّ عبْد الدار بن قُصىّ. واللواء ممدود إذا أردتَ به لواء الأمير، ولكنه احتاج إليه فقَصَرَهُ، وقد هَيَّنَّا جواز ذلك، فأما الِّلوَى من الرمل فمقصور، قال أمْرُؤُ القَيْس:

* بِسِقْطِ الِّلوَى بَيْنَ الدَّخُولِ وحومَلِ *

كذا يرويه الأصمعىّ، وهذه أصح الروايات[3].

---

(١) ذكره ابن حجر فى الإصابة (٦: ٨٦)، وقال: «لا أعرف له صحبة ولا أعرف له رواية».

(٢) ما بين العلامتين ساقط من ر.

(٣) أى رواية «وحومل» بالواو. ورواية المفضل: «فحومل».

وقوله: «أو من بنى نوفل» فهو نَوْفَلُ بنِ عبد مَناف بن قُصَىّ. والمطّلِبُ الذى ذكره هو ابْن عبد مَناف بن قُصَىّ.

وقوله: «لم تُصبِح اليوم نكْسًا»، فالنّكْسُ الْدَّنىء الْمُقَصّر. ويقول بعضهم: إن أصلَ ذلك فى السِّهام، وذلك أن السَّهْم إذا ارْتَدَعَ(١) أو نالته آفة نُكِسَ فى الكِنانة ليُعْرَفَ من غيره قال الحُطَيْئةُ:

قَدْ نَاضَلوكَ فَأَبْدَوْا مِنْ كِنَانَتِهِمْ مَجْدًا تليدًا وَنَبلاً غَيْرَ أَنْكاسِ

قوله: «مجدًا تليدًا»، قالوا: نواصى الفرسان(٢) الذين كان يُمَنُّ عليْهم.

وقوله: «ثانىَ الجيد» قد مرّ تفسيره فى قول الله عز وجل: ﴿ثانىَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾(٣).

وقوله: «أو من بنى زُهْرَةَ»، فهو زُهْرَةُ بنُ كلاب بن مُرَّةَ. ويُرْوَى أن رسول الله ﷺ قال: «خُلقتْ من خير حَيَّيْنَ: مِنْ هاشِمٍ وزُهْرَةَ». وبنو جُمَح بن عمرو ابن هُصَيْصِ بن كَعْب بن لُؤَىّ.

وقوله: «المناجيد» مَفاعيل، من النَّجْدة، والواحد منْجادٌ، وإنما يقّال ذلك فى تكثير الفعل، كما تقول: رجلٌ مِطْعانٌ بالرُمْحِ، ومِطْعامٌ للطعام.

وقوله:

* أو فى السرارة من تَيْمٍ رضيت بهمْ *

يقول: فى الصَّميم منهم والمَوْضِعِ المَرْضِىِّ، وأصل ذلك فى التّرْبةِ، تقول العرب: إذا غَرَسْتَ فاغْرِسْ فى سَرارةِ الوادى، ويقال: فلانٌ فى سِرِّ قومه، والسُّرَّةُ مثل ذلك، قال القُرَشِىُّ:

هَلاَّ سَأَلْت عَنِ الّذِينَ تَبَطحُوا كَرَمَ البطَاحِ وخَيْرَ سُرَّةِ وَادِ(٤)

---

(١) السهم المرتدع: هو ما أصاب الهدف وانكسر عوده.

(٢) نواصى الفرسان: يريد شعور النواصى، وقد كانت العرب إذا أسروا أسيرا خيروه بين جزء الناصية والأسر، فإن اختار الجز جزوها، وخلوا سبيله.

(٣) سورة الحج ٩.

(٤) تبطحوا: سكنوا بطاح مكة..

وَعَنِ الَّذِينَ أبَوْا فَلَمْ يُسْتَكْرَهُوا أَنْ يَنْزِلوا الْوَلَجَاتِ مِنْ أَجْيَادِ[1]
يُخْبِرْكِ أَهْلُ الْعِلْمِ أَن بُيُوتَنَا مِنْهَا بِخَيْرِ مَضَارِبِ الأَوْتَادِ

وقوله: «أو من بنى خَلْفِ الخُصْرِ»، فإنه حَذَفَ التنوين لالتقاء الساكنين. وليس بالوَجْه، وإنما يُحْذَفُ من الحرف لالتقاء الساكنين حروفُ المَدِّ واللين، وهى الألف، والياء المكسور ما قبلها، والواو المضموم ما قبلها، نحو قولك: هذا قَفَا الرجلِ، وقاضى الرجل، ويَغْزو القومُ، فأما التنوين فجاز فيه هذا؛ لأنه نون فى اللفظ، والنون تُدْغم فى الياء والواو، وتزاد كما تزاد حروفُ المدِّ واللينِ، ويُبْدَلُ بعضُها من بعض، فتقول: رأيتُ زَيْدًا فَتُبْدِلُ الألف من التنوين، وتقول فى النسب إلى صَنعَاءَ وبَهْرَاءَ[2] صَنعانىٌّ وبَهْرانىٌّ، فَتُبْدِلُ النونَ من ألف التأنيث، وهذه جُمْلَة وتفسيرها كثير، فلذلك حُذِفَ، ومثل هذا من الشعر:

عَمْرُو الّذِى هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ ورِجَالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ

وقال آخر[3]:

حُمَيْدُ الّذِى أمَجٌ دارُهُ أَخُو الخَمْرِ ذُو الشَّيْبَةِ الأَصْلَعِ[4]

وقرأ بعض القُرَّاء: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدُ * اللهُ الصَّمَدُ﴾. وسمعتُ عُمارة بن عَقيلٍ يَقْرَأُ: ﴿وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارَ وَكُل فى فَلَك يَسْبَحُونَ﴾[5] فقلتُ: ماتريد؟ فقال: «سابقٌ النهارَ». وقوله: «أو أصحاب اللوا»، فإنّما[6] خَفَّفَ الهمزةَ،

---

(١) والولجات: جمع ولجة، وهى الكهف، وأجياد: موضع بمكة مما يلى الصفا.
(٢) صنعاء: عاصمة اليمن، وبهراء: قبيلة بها.
(٣) نسبه الشريف المرتضى (٢: ٢٦٩) إلى ابن الزبعرى: وروايته:

* عمرو العلا هشم الثريد لقومه *

وبعده:

وهو الذى سنَّ الرحيل لقومه رحَل الشتاء ورحلة الأصياف

(٤) هو حميد الأمجى، منسوب إلى أمج: بلد من أعراض المدينة، من أبيات ذكرها ياقوت فى معجم البلدان (أمج)، وهى:

شربتُ المدامَ فلمْ أُقْلِع وعوتبتُ فيها فلم أسمع
حميدُ الذى أمجٌ داره أخوالخمرِ ذو الشيبة الأصلعِ
علاه المشيبُ على حبّها وكان كريما فلم ينزعِ

(٥) سورة يس ٤٠.
(٦) كلمة: «فإنما» ساقطة من ر.

وتَـخَفَّـفُ إذا كان قبلها ساكنٌ، فتُطْرَحُ حركتها على الساكن وتحْذَفُ، كقولك: مَنَ أبوكَ؟ وقوله عز وجل: ﴿الَّذِى يُخْرِجُ الخَبْءَ فى السَّمَـٰوَاتِ وَالأرض﴾(١).

وخَلَفٌ الذى ذكره من بنى جُمَح بن عَمْرو بنِ هُصَيْصِ بن كَعْبِ بن لُؤَىّ.

وقـوله: «الخُضْـرِ الجَلاَعـيد»، يقـال فيـه قولان: أحـدهما أنه يريد سـوادَ جلودهم(٢)، كما قال الفَضْل بن العَبَّاس بن عُتْبة بن أبى لَهَب:

وَأنَا الأخْـضَـر مَن يَعْـرِفُنِى أَخْضَـرُ الْجِلدَةِ فى بَيْتِ العَرَبْ

فهذا هو القول الأول. وقال آخرون: شبـههم فى جُودهم بالبُحور. وقوله: «الجلاعـيد»، يريد الشِّدادَ الصِّلابَ، واحـدهم جَلْعَدٌ، وزاد الياء للحـاجة، وهذا جَمْعٌ يجىء كثيـرًا؛ وذلك أنه موضع تلزمه الكسرة، فَتُشْبَعُ فتـصير ياءً، يقال فى خاتَم: خَوَاتِيمُ، وفى دانِقٍ دَوانيقُ، وفى طَابَقٍ طَوابيقُ، قـال الْفَرَزْدَقُ فى مثل هذا الجمع:

تَنْفِى يَدَاهَا الحَصَى فى كلِّ هَاجِرَةٍ نَفْىَ الدَّرَاهِيمِ تَنْقَادُ الصَّيَارِيفِ(٣)

وقوله: «قبل القذاف» يريد المُقاذَفَةَ، وهذه تكون من اثنين فما فوقهما، نحو المُقاتَلَة والمُشاتَمة، فباب «فاعَلْتُ» إنما هو للاثنين فصاعدًا، نحو قاتلْتُ وضارَبْتُ، وقد تكون الألف زائـدة فى فاعَلْتُ فُتـبْنَى للواحد، كـما زيدت الهـمزة أوَّلاً فى «أفعَلْتُ» فتكون للواحد، نحو عاقَبْتُ الِّلصَّ، وعافاه الله، وطارَقْتُ نَعْلى.

وقوله: «وصاحب الغار»، يعنى أبا بكْرٍ رحمه الله، لمصاحبته النبىَّ ﷺ فى الغار، وهذا مشهور لا يُحْتاج إلى تفسيره.

وطلحة بن عـبيد الله نسبـه إلى الجود لأنه كان من أجْوَد قُـرَيْشٍ. وحَدَّثنى التَّوَّزىُّ قـال: كان يقال لطلحـة بن عبيد الله: طَلْحـة الطَّلَحات، وطَلْحَةُ الْخَـير، وطَلْحَةُ الجـود. وذكر التَّوَّزىُّ عن الأصمـعِىّ أنه باع ضَيْعَـةً له بخمسةَ عـشر ألف

---

(١) سورة النمل ٢٥.

(٢) قال المرصفى: «وذلك أن العرب تسمى الأسود أخضر، والأخضر أسود، لما أن الخضرة إذا اشتدت تقارب السواد، والمراد من سواد الجلمود لون السمرة لا السواد الحالك».

(٣) تنقاد الصياريف، أى تمييز الصياريف للدراهيم، لتخرج الزائف منها.

درهم، فَقَسَّمها فى الأطْبَاق[١]. وفى بعض الحديث أنه مَنَعَهُ أن يَخْرُجَ إلى المسجد أن لفّق له بين ثوبين[٢].

وحدثنى العُتْبِىُّ فى إسنادٍ ذَكَرَهُ قال: دعا طَلْحَةُ بن عبيد الله أبا بكر وعمر وعثمان رحمة الله عليهم، فأَبْطأَ عنه الغُلامُ بشىء أراده، فقال طلحةُ: يا غلامُ، فقال الغلامُ: لَبَّيكَ! فقال طلحة: لا لَبَّيكَ! فقال أبو بكر: ما يَسُرُّنى أنِّى قُلْتُها وأنَّ لى الدنيا وما فيها. وقال عمر: ما يَسُرُّنى أنى قَلْتَها ولى نصف الدنيا، وقال عثمان: ما يسرنى أنى قلتها وأنَّ لى حُمْرَ النَّعَمِ. قال: وصَمَتَ عليها أبو محمد، فلما خرجوا من عنده باع ضَيْعَةً بخمسة عشر ألف دِرْهَمٍ، فتصدَّق بِثَمنَهَا.

وقوله:

* يَظَلُّ مِنْهَا صَحِيحُ الْقَوْمِ كالمُودِى *

فالمودى فى هذا الموضع الهالك، وللمودى موضع آخر يكون فيه القوىَّ الجادَّ، حدثنى بذلك التَّوَّزِىُّ فى كتاب الأضداد، وأنشدنى[٣]:

* مُودُون يَحْمُونَ السبيلَ السَّابِلاَ[٤] *

[لرجل من العرب يرثى]

وقال رجل من العرب:

خَلِيلَىَّ عُوجَا بَارَكَ اللهُ فيكُمَا	عَلَى قَبْرِ أُهْبَان سَقَتْهُ الرَّوَاعِدُ
فَذَاكَ الْفَتَى كلُّ الْفَتَى كَانَ بَيْنَهُ	وبَيْنَ المُزَجَّى نَفْنَفٌ مُتَبَاعِدُ
إذَا نَازَعَ الْقَومُ الأحَادِيثَ لَمْ يكُنْ	عَيِيًّا ولاَ عِبئًا عَلَى مَنْ يُقَاعِدُ

(١) الأطباق: جمع طبق: وهو الجماعة من الناس.

(٢) التلفيق: ضم أحد الثوبين إلى الآخر، قال المرصفى: «وكأنه كره الحضور بهما إلى المسجد خوف الشهرة».

(٣) البيت لرؤبة، وروايته فى ديوانه ١٢٢:

* مودينَ يحمُون السبيل السابلا *

وبعده:

* تعدو العرضَنَى خيلُهم عراجلا *

(٤) زيادات ر: «المؤدى» بالهمز: التام الأداة والسلاح، وبغير الهمزة: الهالك.

قوله: «على قَبْر أُهْبَانٍ» فهذا اسم عَلَمٌ كزيد وعمرو، واشتقاقه من وَهَبَ يَهَبُ، وهمزَ الواوَ لانضمامها، كقوله عز وجل: ﴿وإذَا الرُّسل أُقِّتَتْ﴾(١). فهو «فُعِّلَتْ»، من الوَقْتِ. وقد مضى تفسير همزِ الواو إنما انْضَمَّتْ وهو لا ينصرف فى المعرفة وينصرف فى النكرة، وكل شيء لا ينصرف فَصَرْفُهُ فى الشعر جائز؛ لأن أصله كان الصَّرْف، فلما احتيج إليه رُدَّ إلى أصله، فهذا قولُ البصريين. وزعم قوم أن كلَّ شيء لا ينصرف فَصَرْفُهُ فى الشعر جائز، إلا «أَفْعَلَ» الذى معه «منكَ»، نحو: أفْضَلَ منك، وأكرم منكَ. وزعم الخليل - وعليه أصحابه - أن هذا إذا كانت معه «منك» بمنزلة «أحْمَرَ» لأنه إنما كمَلَ أنْ يكون نَعْتًا بـ «منك»، وأحْمَرُ لا يحتاجُ إليها، فهو مع «منْكَ» بمنزلة «أحْمَرَ» وحْدَهُ، قال: والدليل على أن «منك» ليست بمانعتَه من الصرف أنه إذا زال عن بناء «أفْعَلَ» انصَرَفَ، نحو قولك: مررتُ بخيْرٍ منك، وشَرٍّ منك، فلو كانت «منكَ» هى المانعةَ لمَنَعَتْ هنا، فهذا قولٌ بَيِّنٌ جداً.

وقوله: «المُزَجَّى»، فهو الضعيفُ: يقال: زَجَّى فلان حاجتى، أى خَفَّ عليه تَعْجيلُها، والمُزْجَاةُ من البضائع: اليَسيرةُ الخفيفةُ المَحْمِلِ. والنفْنفُ وجمعه النَّفَانفُ: كلُّ ما كان بين شيئين عالٍ ومنخفض، وقال ذو الرُّمَّة: «فى نَفْنَفٍ يَتطَوَّحُ(٢)».

وقوله: «ولا عِبئًا عَلَى من يقاعدُ» فالعِبْء، الثِّقْل، يقال حَمَل عِبْئًا ثقيلاً، ووَكَدَهُ بقوله: «ثقيلاً»، ولو لم يقله لم يَحْتَجْ إليه.

[لرجل يذكر ابنه]

وقال آخر يذكر ابنه:

ألاَ يَاسُمَيَّةُ شُبِّى الْوَقُودَا ... لَعَلَّ اللَّيَالِى تُؤَدِّى يَزِيدَا

---

(١) سورة المرسلات ١١.

(٢) البيت بتمامه:

ترى قُرْطَهَا فى واضحِ الليتِ مُشْرِفًا
عَلَى هَلَكٍ فى نفنفٍ يتطوَّحُ

وانظر ديوانه ٨٢.

فَنَفْسِى فِداؤكَ مِنْ غائِبٍ   إذَا ما المَسَارِحُ كانَتْ جَلِيدَا
كَفانِى الّذِى كُنْتُ أَسْعَى لَهُ   فَصَارَ أبًا لى وَصِرْتُ الوَلِيدَا

قوله: «شُبِّى»، يقال: شَبَبتُ النارَ والحربَ إذا أوْقَدْتَهما، ويقال: شَبَّ يَشُبُّ شَبًّا، قال الأعْشى:

تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا   وبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى والمُحلّقُ

وقوله:

* إذا ما المَسارح كانت جليدًا *

فالمَسارحُ الطُّرُقُ التى يَسْرَحون فيها، واحدها مَسْرَحٌ، والجَلِيدُ يقع من السماء. وهو نَدًى فيه جُمُودٌ، فَتبْيَضُّ له الأرض، وهو دون الثَّلْجِ، يقال له: الجَليد، والضَّريب، والسقيط، والصَّقيع.

وقالوا فى قوله:

* رِجلاَ عُقَابٍ يَوْمَ دَجْنٍ تُضْرَبُ *

أى يَصيبَهَا الضَّرِيبُ.

وقوله: «وصرت[1] الوليد»، الوليد[2]: الصغير، وجمعه وِلْدان، وهو فى القرآن[3] ونظير وَليد ووِلْدان ظليمٌ وظِلْمان، وقضيب وقِضْبانٌ، وباب «فعال فعلانٌ»، نحو عِقبانٍ وذِبَّانٍ وغِرْبان. وقولهم: «أمْرٌ لا يُنادَى وَليدُهُ»، يقال فيه قولان يتقاربان[4]، فأحدهما أنه لا يُدْعَى له الصِّغارُ، والوجه الآخر لأصحاب المعانى، يقولون: ليس فيه وَليدٌ فيُدْعَى، ونظير ذلك قول النابغةِ الجَعْدِيِّ:

سَبَقْتُ صِيَاحَ فَرَارِيجِها   وضرب[5] نَوَاقِيس لَمْ تُضْرَبِ

---

(١) ر ، س: «وكنت».
(٢) س: «فالوليد».
(٣) زيادات ر: «قوله عز وجل: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾» «الواقعة ١٧».
(٤) ر: «متقاربان».
(٥) ر: «وصوت».

أى ليْستْ ثَمّ، ولكنَّ هذا من أوقاتها. وقالت أخت طَرَفَةَ بن الْعَبْد:

عَدَدْنَا لَهُ سِتًّا وعِشرينَ حِجَّةً ... فَلمَّا توفَّاها اْستَوَى سَيِّدًا ضَخْمًا

فُجِعْنَا بِهِ لَمَّا رَجَوْنَا إِيَابَهُ ... عَلَى خَيْرِ حالٍ لاَ وَلِيدًا ولاَ قَحْمَا

الوليد: ما ذَكَرْنا، والقَحْمُ: الرجل المتناهى سِنًّا، ويقال ذلك فى البعير قَحْمٌ وَقَحْرٌ ومُقْلَحِمٌّ، ويقال للبعير خاصَّةً: قُحارية، فى وزن[1] قُرَاسِيَة، وأنشد الأصْمعِىّ:

رأَيْنَ قَحْمًا شَابَ وَاقلحَمَّا ... طالَ عليه الدَّهْرُ فَاسْلَهَمَّا

المُسْلَهِمُّ: الضامر.

[لرجل آخر يرثى ابنه]

وقال آخر لابنه يَرْثيه:

وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ بِتَّ مُسْتَشْعِرَ الثَّرى ... وبِتُّ بِمَا زوَّدْتَنِى مُتَمَتِّعَا

ولوْ أَنَّنِى أَنْصَفْتُكَ الْوُدَّ لَمْ أَبِتْ ... خِلاَفَكَ حَتَّى نَنْطَوِى فى الثَّرَى مَعًا

[لإبراهيم بن عبد الله بن حسن يرثى أخاه]

وقال إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن يرثى أخاه محمدًا:

أَبَا الْمَنازِلِ يَا عُبْرَ الْفَوَارِسِ مَنْ ... يُفْجَعْ بِمِثْلِكَ فى الدُّنْيَا فَقدْ فُجِعَا

اللهُ يَعلَمُ أنِّى لَوْ خَشِيتُهُمُ ... أو آنسَ الْقَلْبُ مِنْ خَوْف لَهُمْ فَزَعَا

لَمْ يَقْتُلُوكَ ولَمْ أُسْلمْ أُخَىَّ لهُمُ ... حَتَّى نَعِيشَ جَمِيعًا أَوْ نَمُوتَ مَعَا

قوله: «ياعُبْرَ الفوارس، يصفه بالقوة منهم وعليهم، كما يقال: ناقة عُبْر الهَواجِرِ وعُبْر السُّرَى»[2].

وقوله:

* أوْ آنس القلب من خوف لهم فزعَا *

---

(١) ر: «بوزن».

(٢) عبر الفوارس، من قولهم: ناقة عبر أسفار: إذا كانت قوية.

يقول: أحَسَّ، وأصل الإيناس فى العين، يقال: آنستُ شخصًا، أى أبْصَرْتَه من بعد، وفى كتاب الله جلّ وعز: ﴿آنَسَ مِنْ جانبِ الطُّور نَارًا﴾(١).

[لمتمم بن نويرة يرثى أخاه]

وقال مُتَمّم بنُ نُوَيْرَةَ(٢):

وَقـالوا: أَتَـبْكى كُلَّ قَـبْـرٍ رَأَيْتَـهُ ... لِمَيْتٍ ثَوَى بَيْنَ اللِّوَى والدَّكَادكِ!

فَقُلْتُ لَهُمْ: إنَّ الأَسَى يَبْعَثُ البُكا(٣) ... ذَرُوِلى فَـهذا كُلُّهُ قَـبْرُ مـالِكِ(٤)

الأَسَى: الحُزن، وقد مرّ تفسيره.

[لعلى بن عبد الله بن العباس يفخر]

وقال على بن عبد الله بن العباس بن عبد المُطَّلِب رحمة الله ورضوانه عليه:

أَبِى الْعَبَّـاسُ قَـرْمُ بَنِى قُـصَىٍّ ... وَأَخْـوَالـى المُلوكُ بَنُو وَلِيـعَـهْ

هُمُ مَنَعُـوا ذِمَـارِى يَوْمَ جـاءَتْ ... كَتَـائِبُ مُسْـرِف وَبَنُو اللَّكِيـعَهْ

أَرادَ بِىَ الَّتِى لا عِـزَّ فِـيـهـا ... فَـحَـالَتْ دَونَهُ أَيْـدٍ مَنِيـعَـهْ

قوله: «بنو وليعة»، فهم أخـواله من كِنْدَةَ، وأُمُّهُ زُرْعَةُ بنت مِشْرَحٍ الكِنْدِيَّةُ، ثم إحدى بنى وَلِيعَةَ.

وقوله: «كـتائبُ مُسْرِفٍ» يعنى مـسلم بن عُقْبَةَ المُرّىّ صـاحبَ الحَرَّة، وأهلُ الحجـاز يسمونه مـسرفًا، وكَـان أراد أَهْلَ المدينة جميـعًا على أن يبـايعوا يَزيدَ بن معاويةَ على أن كلَّ واحـد منهم عَبْدَ قِن له إلا علىَّ بن الحُسَيْنِ، فقـال حُصَيْنُ بن نُمَيْرٍ السَّكُونِىُّ مـن كِنْدَةَ: «ولا يُبايِعُ ابْنُ أختنا علىُّ بن عبـد الله إلاَّ على ما يُبايِعُ عليه علىُّ بن الحسين، على أنه ابن عَم أميـر المؤمنين، وإلا فالحَرْبُ بيننا». فأُعْفِىَ علىُّ بن عبد الله، وقبِلَ منه ما أراد، فقال هذا الشِّعْرَ لذلك.

---

(١) سورة القصص ٢٩.

(٢) زيادات ر: «يرثى أخاه»، وفى س قبل هذا البيت:

ومستضحك إذ لم يُصَبْ كـمصيبتى ... وليس أخو الشَّـجْوِ الحـزين بضاحك

(٣) ر: «الأسى».

(٤) فى س بعد هذا البيت:

أَلمْ تـرهُ فـينا يقـسِّم مـاله ... ويأوى إليـه مـرملات الضـرائكِ

وقولـه: «بنو اللكيعـة»، فهى اللئـيمـة، ويقال فى النداء للّئـيم: يا لَكَع، وللأنثى: يالَكاعِ، لأنه موضع معرفة. كما يقال: يا فُسَقُ ويا خُبَث، فإن لم تُردْ أن تَعْدلَهُ عن جهنه قلتَ للرجل: يا أَلْكَعُ، وللأنثى يالَكْعاءُ، وهذا موضع لا تقع فيه النَّكِرَة، وقد جاء فى الحـديث ـ والأصل ما ذكرتُ لك ـ: «لا تَقوم السـاعةُ حتى يَلِىَ أمر[1] الناس لَكَع ابن لُكَع»، فـهذا كناية عن اللئيم ابن اللئـيم، وهذا بمنزلة «عمـر» ينصرف فى الـنكرة، ولا ينصرف فى المعـرفة. ولكاعِ يُبْنَى على الـكسر، وسنشرح باب «فَعال» للمؤنث على وُجوهه الأربعة عند أول ما يَجْرِى من ذكره إن شاء الله، وقد اُضْطُرَّ الحُطَيْئَةُ فَذَكَرَ «لَكاعِ» فى غير النِّداء، فقال يَهْجو امرأته:

أُطَوِّفُ مَـــا أُطَـوِّفُ ثُمَّ آوِى إلَى بَيْـتٍ قَـعِـيـدَتُـهُ لَكاعِ

قعيدة البيت: رَبَّةُ البيت، وإنما قيل قعيدة لقعودها وملازمتها، ويقال للفرس قُعْدَةٌ من هذا، وهو الذى يَرْتبطه صاحبه فلا يُفارقه، قال الجُعْفِىُّ:

لكنْ قـعِـيـدَةُ بَيْـتِنَا مَـجْـفُـوَّةٌ بَادٍ جَنَاجِنُ صَدْرِهَا، ولَهَا غِنَى

الجَناجِنُ: ما يظهر عند الهُزالِ من أطراف ضُلوع الصدر، واحدها جِنْجِنٌ.

[لهشام أخى ذى الرمة]

وقال هشام أخو ذى الرُّمَّة:

تَعزَّيْـتُ عَنْ أَوْفَى بِغَيْـلانَ بَعْدَهُ عزاء، وجَفْنُ العَـيْن بالمَاءِ مُتْرَعَ

وَلَمْ تُنْسنِى أَوْفَى المُصِيـبَات بعده ولكن نكءَ القرح بالقرح أوجع

غَيْلانُ: هو ذو الرُّمَّـة، وكان هِشامٌ من عُقَلاء الرجال. حـدثنى العباس بن الفَرَجِ فى إسناده له[2] يَعْزوه إلى رجل أراد سَفَرًا، فقال: قال لى هِشامُ بن عُقْبَةَ. إنَّ لكل رُفْقـة كَلْبًا يَشْرَكُـهُمْ فى فَضْلَة الزاد، ويَهِرُّ دونهم، فـإن قَدَرْتَ ألا تكونَ كَلْبَ الرُّفْقة فـافْعَلْ، وإيَّاكَ وتأخيرَ الصَّلاة عن وقـتها، فإنك مُصَلِّيهـا لا مَحَالَةَ، فَصَلِّها وهى تُقْبَلُ منك.

---

(١) ر ، س: «أمور الناس».

(٢) ر ، س: «فى إسناد ذكره».

[لحسان بن ثابت الأنصاري في لهوه]

وقال حَسَانُ بن ثابت الأنصاريُّ:

تَقُولُ شَعْثَاءُ(١) لَوْ صَحَوْتَ عَنِ الـــكَأْسِ لأصْبَحْتَ مُثْرِيَ الْعَدَدِ
أهْوَى حَدِيثَ النَّدْمَانِ فى فَلَقِ الصُّـبْحِ وَصَوْتَ الْمُسَامِرِ الْغَرِدِ
لاَ أَخْدِشُ الْخَدْشَ بالجَلِيسِ وَلا يَخْشَى نَدِيمى إذا انْتَشَيْتُ يَدِى
يَأْبَى لِيَ السَّيْفُ والِّلسَانُ وَقَوْ مٌ لَمْ يُضَامُوا كَلِبْدَةَ الأَسَدِ

لِبْدَةُ الأسد: ما يَتَطارَقُ مِنْ شَعَرِهِ بين كِتفَيْهِ، ويقال: أَسَدٌ ذو لِبْدَةٍ وَذو لِبَدٍ.

[لجرير في مرضه حين عادته قيس]

وحدّثنى عُمارة قال: مرض جَرِيرٌ مَرْضَةً شديدةً، فعادتْه قيس، فقال:

نَفسِى الْفِداءُ لِقَومٍ زَيَّنُوا حَسَبِى وَإِنْ مَرِضتُ فَهُمْ أَهْلِى وَعُوَّادى.
لَوْ خِفتُ لَيْثًا أَبَا شِبْلَيْنِ ذَا لِبَدٍ مَا أَسْلَمُونى لِلَيْثِ الْغَابَةِ الْعَادِى
إِنْ تَجْرِ طَيْرٌ بِأَمْرٍ فِيهِ عَافِيَةٌ أَوْ بالرَّحِيلِ فَقَدْ أَحْسَنْتُمُ زادِى

[لعبد الرحمن بن ثابت يهاجى عبد الرحمن بن الحكم]

وقال عبد الرحمن بن حَسَّان بن ثابت بن الْمُنْذِر بن حَرَامٍ، وهو يهاجِى عبدَ الرحمن بن الحكَمِ بن أبى العاصى بن أُمَيَّةَ بن عبد شَمْسٍ:

فَأَمَّا قَوْلُكَ: الخُلَفَاءُ مِنَّا فَهُمْ مَنَعُوا وَرِيدَكَ مِنْ وِدَاجِى
وَلَوْلاَهُمْ لَكُنْتَ كَحُوتِ بَحْرٍ هَوى فى مُظْلِمِ الْغَمَراتِ دَاجِ
وكُنْتَ أذَلَّ مِنْ وَتِدٍ بِقَاعٍ يُشَجِّجُ رَأْسَهُ بِالْفِهْرِ واجِى(٢)

فكتب مُعاويةُ إلى مَرْوانَ أن يُؤَدِّبَهُما وكانا تَقاذَفا، فَضَرَبَ عبدَ الرحمن بن حسّان ثمانين، وضَرَبَ أخاه عشرين، فقيل لعبد الرحمن بن حسّان: قد أمْكنَكَ فى مَرْوانَ ما تريد، فَأَنْشِدْ بذكره، وارْفَعْهُ إلى مُعاوية، فقال: إذًا والله

(١) زيادات ر: «هى امرأته، وهو اسمها».
(٢) الفهر: الحجر الذى يملأ الكف.

لا أَفْعلُ، وقد حدَّثنى كما تُحَدُّ الرجالُ الأحرارُ، وجَعَل أخاه كنصف عبد. فأَوجَعهُ بـهـذا الـقـول.

* * *

ويروى أن عبد الـرحمن بن حَسَّان لسَعَـهُ زُنْبورٌ فجاء أباه يبكـى، فقال له: مالك؟ فقال: لسعنى طائِر كأنه مُلْتَفٌّ فِى بُرْدَى حِبَرَةٍ. قال: قلتَ واللهِ الشعرَ.

ويروى أن معلَمه عاقب صبيانا(1) على ذَنْبٍ وأراده بالعقوبة، فقال:

اللهُ يَعْلَـمُ أَنِّى كُنْتُ مُـنْتَـبِـذًا   فى دَارِ حَسَّـانَ أَصْطَادُ الْيَعَاسِيـبَا

وأَعْرَقُ قومٍ كـانوا فى الشعر آلُ حَسَّـان، فإنهم كانوا يَعْتـدُّون ستةً فى نَسَق كُلهم شاعرٌ، وهم سَعيد بن عـبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن الْمُنْذِر بن حرام، وبعد هؤلاء فى الوقت آلُ أبى حَـفْصة، فـإنهم أهل بيت كلُّهم شاعـر، يتوارثونه كابِرًا عن كَابِر.

ويـروى أن ابنـة لابـن الـرِّقـاع وقف ببـاب أبيها قوم يسألون عـنه، فقالت: ما تريدون؟ فقالوا: جئنا لنُهاجِيَهُ، فقالت وهى صَبِيَّةٌ:

تَجَمَـعْتُمُ مِنْ كلِّ أَوْبٍ وَوِجْـهَةٍ   عَلَى وَاحِدٍ لاَ زِلتُم قِـرْنَ واحِدِ

فهذه بلغتْ بطبـعها على صِغَرِها مَبْلَـغَ الأعشَى فى قَلْب هذا المعنى، حيث يقول لِهَوذَةَ بن علىّ:

يَرَى جَمْعَ مَا دُونَ الثَّلاثِين قُصْرَةً   وَيَعْدُو عَلَى جَمْعِ الثَلاثِينَ وَاحِدَا

---

(1) ر: «الصبيان».

بابـ

[نبذ من كلام الحكماء]

قال أبو العباس: قال عـمر بن الخطاب رحمه الله[1]: عَلّمُوا أولادكم العَومَ والرّماية، ومُـروهُمْ فَلْيَثِبُوا على الخـيل وثْبًا، ورَوُّوهُمْ ما يَجْمُلُ من الشـعْر. وفى حديث آخر: وَخَيْرُ الخُلُقِ للمرأة المِغْزَلُ.

ويروى عن الشَّعْبِيِّ أنه قال: قال عبد الله بن العباس، قال لى أبى: يا بُنَيّ، إنى أرى أمير المؤمنين قد اختَصَّكَ دون مَـنْ ترى من المهاجرين والأنصار، فاحْفَظْ عنى ثلاثًا: لا يُجَرِّبَنَّ عليكَ كَـذبًا، ولا تَغْتَبْ عنده مسلمًا، ولا تُفْـشِيَنَّ له سِراًّ، قال: فقلتُ له: يَا أبَهْ، كُلٌّ واحدةٍ منها خيـرٌ من ألف، فقال: كلٌّ واحدة منها خيرٌ من عشرة آلاف.

وحدثنى العبـاس بن الفَرَج فى إسناد ذكره قال: نُظِرَ إلى عـمرو بن العاص على بَغْلة قد شَمطَ[2] وَجْهُها هَرَمًا، فقيل له: أتَرْكَب هذه وأنت على أكْرَم ناخرة بمصر؟ فـقال: لا مَلَلَ عندى لدابتى مـا حَمَلَتْ رجْلىّ، ولا لامرأتى مـا أحْسَنَتْ عِشْرتى، ولا لصديقى ما حَفِظَ سِرِّى، إن المَلَلَ من كَوَاذب الأخْلاق.

قوله: «على أكرم ناخـرة» يريد الخيل، يقال للواحد ناخـرٌ، وقيل: ناخِرَة، يراد جماعةٌ، كما تقول: رجل بَغّالٌ وحَمّـارٌ، والجماعة البَغَّالَةُ والحمَّارَةُ، وكذلك تقول: أتتنى عُصْبَةٌ نَبيلةٌ، وقبيلة شَرِيفة، والواحد نبيلٌ وشريف.

[فى مشاورة معاوية عمرو بن العاص فى أمر عبد الله بن هاشم بن عتبة]

وشاوَرَ مُعـاوية عَمْرًا فى أمر عـبد الله بن هاشم بن عُتْبَـةَ بن مالك بن أبى وَقَّاصٍ - وكان هاشم بن عُتْبَة أحَدَ فُرْسان[3] علىّ رحمه الله - فأُتِيَ بابنه مُعاويةُ، فشاور عَمْـرًا فيه، فقال: أرى أن تقتله، فقال له مـعاوية: إنى لم أرَ فى العَفْو إلا خيْرًا، فمضى عمرٌو مُغْضبًا، وكتب إليه:

---

(١) ر ، س: «رضى الله عنه».

(٢) شمط وجهها: ابيضّ.

(٣) زيادات ر: «وهو المرقال».

أَمَرْتُكَ أَمْرًا حازمًا فَعَصَيْتَنى ... وكانَ مِنَ التَّوْفيقِ قَتْلُ ابْنِ هَاشِمِ

أَلَيْسَ أَبُوهُ يَا مُعَاوِيَةُ الَّذى ... أَعَانَ عليًّا[1] يومَ حَزِّ الْغَلاَصِمِ[2]

فَقَتَّلَنا حَتَّى جَرَى مِنْ دِمَائِنَا ... بِصِفِّينَ أَمْثَالُ الْبُحُورِ الْخَضَارِمِ

وهذا ابْنُهُ، والمرءُ يُشْبِهُ عِيصَهُ[3] ... ويُوشِكُ أَنْ تُلْفى[4] بِهِ جِدَّ نَادِمِ

فبعث معاوية بأبياته إلى عبد الله بن هاشم، فكتب إليه عبد الله بن هاشم:

مُعَاوِىَ إِنَّ الْمَرْءَ عَمْرًا أَبَتْ لَهُ ... ضَغِينَةُ خِبٍّ غِشُّهَا غَيْرُ نَائِمِ

يَرَى لَكَ قَتْلِى يَابْنَ هِنْدٍ وإِنَّمَا ... يَرَى مَا يَرَى عَمْرٌو مُلُوكُ الأعَاجِمِ

عَلَى أَنَّهُمْ لا يَقْتُلُونَ أَسِيرَهُمْ ... إِذَا كَانَ مِنْهُ بَيْعَةٌ للمُسَالِمِ

فَإِنْ تَعْفُ عَنِّى تَعْفُ عَنْ ذِى قَرَابَةٍ ... وإِنْ تَرَ قَتْلِى تَسْتَحِلَّ مَحَارِمى

فَصفَحَ عنه.

[من كلام عمرو بن العاص لعائشة]

وقال عمرو لعائشة رحمة الله عليهما[5]: لوَدِدْتُ أنَّك كنت قُتلْت يوم الجَمَلِ! فقالت: ولِمَ لا أبالك؟ فقال: كُنْتِ تَمُوتِينَ بأَجَلِكِ، وتَدْخُلِينَ الجنةَ، ونَجْعَلُكِ أكبر التشنيع على عليّ.

[ما قاله عمرو بن العاص حين احتُضِر]

وحدثنى العباس بن الفرج الرِّيَاشِيُّ فى إسنادٍ ذكره، آخره «ابنُ عباس»، قال: دخلت على عمرو بن العاص وقد احْتُضِرَ، فدخل عليه عبد الله بن عمرو فقال له: يا عبد الله، خُذْ ذلك الصُّنْدوقَ، فقال: لا حاجة لى فيه[6]، قال: إنه مملوء مالاً، قال: لا حاجة لى به، فقال عمرو: ليته مملوء بَعَرًا! قال: فقلت:

(١) كذا فى الأصل، س. وفى ر: «علينا».
(٢) الغلاصم: الحلاقيم.
(٣) العيص: الأصل.
(٤) ر: «تلقى» بالقاف.
(٥) ر: «رحمها الله».
(٦) س: «به».

يا أبا عبد الله، إنك كنتَ تقول: أشتهى أن أَرَى عاقلاً يموت حتى أسأَلَهُ كيف يَجدُ؟ فكيف تَجدُكَ؟ قال: أجد السماء كأنها مُطْبَقَةٌ على الأرض وأنا بينهما، وأرانى كأنما أتَنَفَّسُ من خَرت إبْرَة، ثم قال: اللهم خُذْ منى حتى تَرضَى. ثم رفع يديه فقال: اللهم أَمَرْتَ فَعَصَيْنَا، ونَهَيْتَ فَرَكِبْنَا، فلا برىءٌ فأعْتَذِر، ولاقوىٌّ فأنتصر، ولكنه لا إِلَه إلا الله ثلاثًا، ثم فاظ.

وقد روينا هذا الخبر من غير ناحية الرِّيَّاشِيِّ بأتمَّ[1] من هذا، ولكن[2] اقتصرنا على هذا لثقَة إسناده.

قوله: «من خَرْت إبرة»، يعنى من ثَقْبِ إبرةٍ، يقال للدليل: خِرِّيت، وزعم الأصمعىّ أنه أريد به أن يَهْتدى لمثل خُرْتِ الإبرة.

وقوله: «فاظ»، أى مات، يقال: فاظ، وفاد، وفَطَسَ، وفازَ، وفَوَّزَ، كل ذلك فى معنى الموت، ولا يقال: بالضاد إلا للإناء، قال رؤبة[3]:

* لاَ يَدْفِنُونَ مِنْهُمُ مَنْ فَاظَا *

وقال ابن جُرَيْجٍ: «أمَا رَأَيْتَ الَمْيتَ حِينَ فَوْظِه»!

ومَن قال ذلك للنفْس قال: فاضَتْ نَفْسُهُ، يشبّهَا بالإناء.

وحدّثنى أبو عثمان المازنىُّ ـ أَحْسِبُهُ عن أبى زيد ـ قال: كلُّ العرب يقولون: فاضَتْ نفسه إلا بَنى ضَبَّة فإنهم يقولون: فاظَتْ نفسه، وإنما الكلام الصحيح، فاظ ـ بالظاء ـ إذا مات.

وفى الحديث أن امرأة سَلاَّم بن أبى الحُقَيقِ قالت: فاظ، وإلَه يَهودَ.

[نبذ من أقوال الحكماء]

وحدثنى مسعود بن بِشْر قال: قال زيادٌ: الإمْرةُ تُذْهِب الحَفيظةَ، وقد كانت من قوم إِلىَّ هَناتٌ جعلتُها تحت قَدَمى، ودَبْرَ أُذُنى، فلو بلغنى أن أحدكم قد أخذه

---

(١) س: «أتم».

(٢) س: «ولكنا».

(٣) قبله:

* والأزد أمسى شلوهمْ لفاظا *

وانظر اللسان (فيظ).

السُّلُّ من بُغْضِى ما هَتَكْتُ له سِترًا ولا كشَفْتُ له قِناعًا حتى يُبْدِىَ لى عن صَفْحتِه، فإذا فعل لم أناظِرْه.

وسمع زِيادٌ رجلاً يَسُبُّ الزمانَ فقال: لو كان يدرى ما الزمانُ لَضَرَبْتُ عُنُقَه، إن الزمان هو السلطان.

وفى عَهْدِ أردَشِير: وقد[1] قال الأولون مِنَّا: عَدْلُ السلطان أنفعُ لِلرَّعِيَّة من خِصْبِ الزمان.

وقال المُهَلَّبُ بن أبى صُفْرَةَ لِبَنِيه: إذا وَلِيتُمْ فَلِينُوا للمُحسِن، واشتدّوا على المريب، فإن الناس للسُّلْطان أهْيَبُ منهم للقرآن.

وقال عثمان بن عَفَّانَ رضى الله عنه: إن الله ليزَعُ بالسلطان ما لا يَزَعُ بالقرآن.

قوله: «يَزَعُ» أى يَكُفُّ، يقال: وَزَعَ يزَعُ إذا كف، وكان أصله «يَزِعُ» مثل يَعِدُ فذهبت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة، وأتْبِعتْ حروفُ المضارعة الياءَ لئلا يختلف الباب، وهى الهمزة، والنون، والتاء، والياء، نحو أَعِدُ، ونَعِدُ، وتَعِدُ، وَيَعِدُ، ولكن انفتحت فى «يَزَعُ» من أجل العين؛ لأن حروف الحلق إذا كُنَّ فى موضع عين الفعل أو لامه فُتِحْنَ فى الفعل الذى ماضيه «فَعَلَ»، وإن وقعت الواو مما هى فيه فاءٌ فى «يَفْعَلُ» المفتوحة العين فى الأصل صَحَّ الفعْل، نحو: وَحِلَ يَوحَلُ، وَوَجِلَ يَوْجَلُ، ويجوز فى هذه المفتوحة ياحَلُ وياجَلُ وَيَيْحَلُ وَيِيْجَلُ، وكل هذا كراهية للواو بعد الياء، تقول: وزَعْتُهُ: كففته، وأوزعته: حملته على ركوب الشىءِ وهيّأته له، وهو من الله عزّ وجل توفيق، ويقال: أَوْزَعَكَ الله شكره، أى وفقك له.

وقال الحسن مرّةً: ما حاجة هؤلاء السلاطين إلى الشُّرَطِ؟ فلما وَلى القضاء كَثُرَ عليه الناس، فقال: لابُدَّ للسلطان[2] من وَزَعَةٍ.

---

(١) س: «قد» بحذف الواو.

(٢) ر ، س: «للناس».

وخَطَبَ الحَجَّاجُ بن يوسف ذات يومٍ، يوم جمعة، فلما تَوَسَّطَ كلامَهُ سمع تكبيرًا عاليًا من ناحية السوق، فقطع خطبته التى كان فيها، ثم قال: يا أهلَ العراق، ويا أهل الشِّقاق، ويا أهل النفاق، وسيِّئ الأخلاق، يا بنى اللَّكيعة، وعَبيدَ العَصَا، وأولادَ الإماء، إنى لأسْمَعُ تكبيرًا ما يُرَادُ الله به، إنما يراد به الشيطانُ، وإن مَثَلى ومَثَلكُمْ قولُ ابن بَرَّاقَةَ الهَمْدانىِّ:

وَكُنْتُ إِذَا قَومٌ رَمَوْنى رَمَيْتُهُمْ فَهَلْ أَنَا فى ذَا يَالَ هَمْدَانَ ظَالِمُ!

مَتَى تَجْمَعِ الْقَلْبَ الذَّكِىَّ وَصَارِمًا وَأَنْفًا حمِيًّا تَجْتَنِبْكَ المَظَالِمُ

[ثم نزل فصلّى بهم](١).

قوله: «يا أهل الشقاق»، فالمشاقَّةُ المعاداة، وأصله أن يَرْكَبَ ما يَشُقُّ عليه، ويُرْكبَ منه مثل ذلك. والنفاق أن يُسِرَّ خلافَ ما يُبْدى، هذا أصله، وإنما أُخِذَ من النافقاء، وهو أحد أبواب جُحْر اليَرْبوع، وذلك أنه أخفاهَا فإنما يَظْهَرُ من غيره، ولجُحْرِه أربعةُ أبواب: النافقاءُ، والراهطاءُ، والدأْمَاءُ والسابياءُ، وكلُّها ممدودة، ويقال للسابياء: القاصعاءُ، وإنما قيل له السابياء لأنه لا يُنْفِذُهُ فيُبْقى بينه وبين إنفاذه هَنَة من الأرض رقيقةً، وأُخِذَ من سابياء الولد، وهى الجلدة الرقيقة التى يخرج فيها الولد من بطن أمه، قال الأخْطَلُ يَضْرِبُ ذلك مَثَلاً ليَرْبوع بن حَنْظَلَةَ لأنه سُمِّىَ باليربوع:

تُسَدُّ القاصِعاءُ عليك حَتَّى تُنَفَّقَ أو تموتَ بها هُزالا(٢)

والعرب تزعم أنه ليس من ضَبٍّ إلا وفى جُحْرِه عقربَ، فهو لا يأكل ولد العقرب، وهى لا تضربه فهى مُسالِمَةٌ له وهو مُسالِمْ لها، وأنشد(٣):

---

(١) تكملة من ر.

(٢) تنفق: تخرج من نافقائه.

(٣) زيادات ر: «كلها بالمد، ويقال بالقصر، ويقال أيضا فيها على وزن فعلة [بضم الفاء وفتح العين] نفقة ورهطة ودممة وقصعة.

وحكى ابن القوطية فى المقصور والممدود له الرهطاء كالراهطاء، والنفقاء كالنافقاء، والقصعاء كالقاصعاء.
=

وأَخْدَعَ من ضَبٍّ إذَا خاف حارشًا[1] أَعَدَّ له له عِنْدَ الذَّنابة عَقْربا

وقوله: «بنو اللكيعة» يريد اللئيمة، وقد مرَّ تفسير هذا فى موضعه، قال ابن قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ يذكر قتل مُصْعَبِ بن الزُّبيرِ[2]:

إن الـرَّزِيَّة يَـوْمَ مَـسْـــكِنَ والمُصيبـةَ والفَـجيـعَـهْ

بـابـن الحَـــــوَارِيِّ الـذى لَمْ يَعْـدُهُ أَهْلُ الوَقـيـعـهْ[3]

غَـدَرَتْ به مُـضَـرُ العِـرا قِ، وأَمْكَنَتْ منْهُ رَبيـعـهْ

فَأَصَـبْـتِ وِتْـرَكِ يـا رَبيـعَ وكُنْتِ سـامعـةً مُطيـعَهْ

يـا لَهـفَ لو كـانَتْ لـه بالطَّفِّ يَوْمَ الـطَّفِّ شِـيـعَـهْ !

أو لم يَـخُـونـوا عَـهْـدَهُ أهلُ العِـراقِ بَنُو الَّلـكِيـعَـةْ

لَـوَجَـدْتـمـوهُ حـيـن يَـغـضَبُ لا يـعَـرِّجُ بـالمضيـعَهْ[4]

وقوله: «عبيـد العصا»، يريد أنهم لا ينقادون إلا بالإذلال[5]، كما قال ابن مُفرِغٍ الْحِميَرِىُّ:

الْعَـبْـدُ يُـقْـرَعُ بـالعَـصَـا والحُـرُّ تـكفـيـه المَـلاَمَـهْ

وقال جرير يهجو التَّيْمَ:

أَلاَ إِنَّمـا تَيْمٌ لعـمـرو ومـالكٍ عَبيدُ العَصـا لم يَرجُ عِتْقًا قَطينُها

= وحكى أيضا زيادة فقال: العاتقاء، جحر الأرنب واليربوع، والغابياء أيضا جحرة اليربوع. وأما قول أبى العبـاس فى السابياء، فهـو مما قد ورد عليه فيـه، وقد تبعه ابن ولاد، وكـلاهما غير مـصيب، وإنما السـابيـاء وعـاء فيـه مـاء صـاف يـخرج مع الـولـد وهو الفقء، وليس يخـرج الولد فـيـه وقـال الكميت:

وفقَّـأ فيـها الغيـثُ منْ سابيـائه دَوالحَ وافقن النـجوم البواجـسا

فشبه ماء الغيـث بماء السابياء وإنما الجلدة التى يكون فيها الولد الغرس، وقد تبـع ابن القوطية أبا العباس فى السابياء فى أنه من أسماء جحر اليربوع، وذلك غلط.

(١) الحارش: صائد الضباب.

(٢) قتـل مصـعب بن الزبير سنة ٧٢، قـتله عبـد الملك بن مـروان بموضع يقال له مـسكن على نهر جـيل. والأبيات فى معجم البلدان. (٨: ٥٤).

(٣) الحوارى فى الأصل: الناصر، ويريد به الزبير بن العوام.

(٤) روايته فى معجم البلدان:

لوجـــدتموه حـــين يَـعْـ ـدو لا يعـــرّسُ بـالصنيـعـهْ

(٥) ر: «يريد أنهم لا ينقادون إلا بالإذلال».

[من كلام ابن الأشعث حين ظهور الحجاج عليه]

وخَطَبَ النَّاسَ عبد الرحمن بن محمد الأشعث بالمربد عند ظهور أمر الحَجّاج عليه فقال: أيها الناس، إنه لم يبق من عدوكُمْ إلا كما يَبْقى من ذَنَب الوزَغَة، تَضْرِبُ به يمينا وشمالا فلا تَلْبَثُ أن تموت. فسمعهُ رجل من بنى قُشَيْر ابن كَعْبِ بن ربيعةَ بن عامر بن صَعْصَعَةْ فقال: قَبَّحَ الله هذا: يأمر أصحابه بقلة الاحتراس من عدوهم ويعِدُهُم الغرورَ!

[كلام عرار بن شأس لعبد الملك حينما حمل إليه رأس ابن الأشعث]

ورَوَت الرُّواةُ أن الحَجَّاجَ لما أخذَ رأسَ ابنِ الأشعث وَجَّهَ به إلى عبد الملَك ابن مَرْوان مع عِرار بن عَمْرو بن شَأْسٍ الأسَدِىِّ ـ وكانَ أسود دَميما ـ فلما وَرَدَ به عليه جَعَلَ عبدُ الملك لا يسأل عن شىء من أمر الوقعة(١) إلا أنبَأهُ به عرارٌ، فى أصح لفظ، وأشْبَعِ قول، وأجْزَإِ اختصار، فشفاه من الخبر، ومَلأَ أُذُنَهُ صوابًا ـ وعبد الملك لا يعرفه، وقد اقتَحَمَتْهُ عينه حيث رآه ـ فقال متمثّلاً:

أرادَتْ عِرارًا بِالهَوَانِ وَمَنْ يُرِدْ ... لَعَمْرِى عِرارًا بالْهوَانِ فَقَدْ ظَلَمْ(٢)

وَإنَّ عِرارًا إنْ يكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ ... فإنِّى أُحِبُّ الْجَوْنَ ذَا الْمَنْكب الْعَمَمْ

فقال له عِرارٌ: أتَعرِفُنى يا أميرَ المؤمنين؟ قال: لا، قال: فأنا والله عِرارٌ، فزاده فى سُروره، وأضْعفَ له الجائزة.

[كتاب صاحب اليمن إلى عبد الملك فى وقت محاربته ابن الأشعث]

وكتب صاحبُ اليمن إلى عبد الملك وقت محاربته ابنَ الأشْعَث: إنى قد وجَّهْتُ إلى أمير المؤمنين بجارية اشتريتها بمال عظيم لَمْ يُرَ مِثْلها قَطُّ، فلما دُخِلَ بها عليه رأى وجهًا جميلاً، وخُلُقًا نبيلاً، فألْقى إليها قضيبا كان فى يده، فَنَكَسَتْ لتأخذه، فرأى منها جسمًا بَهَرَهُ، فلما همَّ بها أعْلَمَهُ الآذن أن رسول الحَجَّاج بالباب، فأذنَ له، ونَحَّى الجاريةَ، فأعطاه كتابًا من عبد الرحمن، فيه سطور أربعة:

سَائِلْ مُجَاوِرَ جَرْمٍ: هَلْ جَنَيْتُ لَهَا ... حَرْبًا تُزَيِّلُ بَيْنَ الجِيرةِ الخُلُط!(٣)

---

(١) ر: «الوقيعة».

(٢) البيتان لعمرو بن شأس، وانظر ديوان الحماسة لأبى تمام ـ بشرح التبريزى ١: ٢٧٢.

(٣) نسب أبو الفرج هذه الأبيات إلى وعلة الجرمى، وانظر الأغانى ١٩: ١٤٠.

وهلْ ستمَـوْتُ بِجرَّارٍ لَهُ لَجَبٌ ... جَمِّ الصوَاهِلِ بَيْنَ الْجَمِّ وَالْفُرُطِ !
وهَلْ تَركتُ نِساءَ الْحَّى ضَاحِيَةً ... فِى سَاحَةِ الدَّارِ يَسْتَوقِدنَ بِالغُبُطِ !

وتحتها[1]:

قَـتلَ الملوكَ وسَـارَ تَحْتَ لِوائِهِ ... شَـجَرُ الْعُـرَى وعَـرَاعِرُ الأقْـوَامِ

قال: فكتب إليه عبد الملك كتابا، وجعل فى طَيِّه جوابا لابن الأشْعث:

مَا بَالُ منْ أسْعَى لأجْـبُرَ عَظمَهُ ... حِفَاظًا وَيَنْوى منْ سَفَاهَته كَسْرى![2]
أظنُّ خطُوبَ الدَّهْر بينى وبَيْنَهُم ... سَتَحْـملهُمْ مِنّى عَلَى مَرْكَبٍ وَعْـرِ
وَإنِّى وإيَّاهُمْ كـمَنْ نَـبَّـهَ القطَا ... وَلَوْ لم تُنَبَّـهْ بَاتَت الطَّيْـرُ لا تَسْـرى
أنَاةً وَحِلمًـا وَانْتِظَارًا بِهِمْ غَـدًا ... فـمَا أنَا بِالْوَانى وَلاَ الضَّـرَعِ الْغَمْـرِ

وينشد: «بالفانى». ثم يُقَلِّبُ كَفَّ الجارية ويقـول: ما أفَدْتُ فائدة أحبَّ إلىّ منك، فتقـول: فما بالكَ يا أمير المؤمنين ومـا يمنعك؟ فقال: [يمنعنى][3] ما قال الأخْطَلُ؛ لأنى إن خرجتُ منه كنتُ ألأمَ العرَبِ:

قَوْمٌ إذَا حَـارَبُوا شَدُّوا مَـآزِرَهُمْ ... دُون النِّسَـاءِ وَلَوْ بَاتَتْ بِأطْـهَـارِ

فما إليـك سَبِيلٌ أوِ يَحْكُمَ الله بينى وبين عدوّ الرحـمن، ابن الأشْعَثِ. فلم يَقْرَبْها حتى قُتِلَ عبدُ الرحمن.

قوله: «فرأى منـها جسمًا بَهَـرهُ»، يقال: بَهَرَ الليلُ إذا سَدَّ الأفُقَ بـظلمته، وبَهَرَ القمرُ إذا ملأ الأرض ببَـهائِهِ، ومن ثمَّ قيل: القمرُ[4] الباهرُ، أنشدنى المازنىُّ لرجل من بنى الحارث بن كعْبٍ:

وَالْقَـمَـرِ الْبَاهِـرِ السَّمَـاءَ لَقـدْ ... زُرْنَا هِلالاً بِـجِـحْـفَـلٍ لَجِب

---

(١) زيادات ر: «بيت آخر على غير الروى من الأبيـات الأول، وهو». والبيت لمهلهل بن ربيعة، وانظر اللآلئ ٣٤١.
(٢) الأبيات للحارث بن وعلة الجرمى، وانظر اللآلئ ٧٥٠.
(٣) تكملة من ر.
(٤) ر: «للقمر».

تَسْمَعُ زَجْرَ الكُماةِ بَيْنَهُمُ: قَدِّمْ، وأَخِّرْ، وأَرحِبى، وَهَبى[1]

مِنْ كُلِّ هُدَّاءَةٍ كَعالِيَةِ الرُّ مْحِ أَمُونٍ وَشَيْظَمٍ سَلِبِ[2]

وقال طُفَيْلٌ الغَنَوىُّ يَصفُ كيف تُزجرُ الخيلُ، فَجَمَعَهُ فى بيت واحد:

وقِيل اقْدِمِى وَاقْدِمْ وأَخِّ وأَخِّرِى وَهَاءِ وهَلاًّ وَاضرَحْ[3] وَقادِعُهَا هبى

[قال أبو الحسن: وأَجِّ].

ومن زَجْرِ الخيل أيضًا: «هقَبْ وهقَطْ»، وأنشدنى المازنىّ:

لَمَّا سَمِعتُ زَجرهُمْ هقَطْ عَلِمتُ أنَّ فَارِسًا مُنحَطُّ[4]

وقوله: «بين الجَمِّ والفُرُط» هما موضعان بأعيانهما.

وقوله:

* فى ساحة الدار يَسْتَوْقِدْنَ بالغُبُطِ *

يقال فيه قولان متقاربان: أحدهما أنهنَّ قد يَئِسْنَ من الرحيل فَجعَلنَ مَراكِبَهنَّ حَطبًا، هذا قول الأصمعىّ. وقال غيره: بل قد منَعَهُنَّ الخوفُ من الاحتطاب، والغَبِيطُ من مَراكب النساء، وكذلك الحِدْج؛ قال امْرُؤُ القَيْسِ:

تَقُول وَقَدْ مَالَ الغَبِيطُ بِنَا مَعًا: عَقَرْتَ بَعِيرى يا امْرأَ القَيْس فانزِلِ

فأعلمك أن الغبيط لها، والمحامل إنما أوّل من اتخذَها الحجّاج، ففى ذلك يقول الراجز:

أوَّلُ عبدٍ عمِلَ المَحامِلا أخْزاه ربّى عاجلا وآجلا

وقوله: «شجر العُرا» فالعُرا: نبت بعينه إن ضُمَّ العَينُ، والعَرَاءُ ممدودا وَجهُ الأرضِ، قال الله عزّ وجل: ﴿لَنُبِذَ بِالعراءِ وَهوَ مَذْمُومٌ﴾[5]. وقال الهُذَلىّ[6]:

---

(١) أرحبى، من أرحب الشىء إذا وسعه، وهى من قولهم: هب بكسر الباء، وكلاهما زجر للخيل.

(٢) الهداءة: الفرس الضّامر. والأمون: الوثيقة الخلق، والشيظم: الشديدة. والسلب: الطويل.

(٣) ر: «واضبر».

(٤) زيادات ر: قال الفراء: هقط، بالكسروالفتح، ويروى: «مختط بدل منحط».

(٥) سورة القلم ٤٩.

(٦) هو أبو حراش، والبيت فى ديوان الهذليين ٢: ١٦٨.

رَفَعتُ رِجْلا لا أَخافُ عِثارَهَا ... وَنبَذَتُ بِالبَلَدِ العَراءِ ثِيَابِى

وهذا التفسير والإنْشَاد عن أبى عبيدة.

وقوله:

* دون النساء ولو باتَتْ بأطهار *

معناه أنه يجتنبها فى طهْرها، وهوالوقت الذى يستقيم له غشْانُها فيه، وأهل الحجاز يَرَوْنَ «الأقْراءَ» الطهْر، وأهلُ العراق يَرَونهُ الحيضَ، وأهلُ المدينة يجعلون عِدَد النساءِ الأطهارَ، ويحْتَجُّونَ بقول الأعْشى:

وَفى كلِّ عَامٍ أنْتَ جاشِمُ غَزوَةٍ ... تَشُدُّ لأقْصَاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَا

مُؤرِّثَةٍ مَالاً، وَفى الحَىّ رِفْعَةً ... لمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا

وقوله: «ولو باتتْ بأطهار»، فـ «لو» أصلها فى الكلام أن تَدُلّ على وقوع الشيء لوقوع غيره، تقول: لو جئتنى لأعْطيتُكَ، ولو كان زيدٌ هناك لضربْتُهُ، ثم يُتَّسعُ فتصير فى معنى «إنْ» الواقعة للجزاء، تقول: أنتَ لا تُكرِمُنى ولو أكْرَمتُكَ، تريد «وإنْ» قال الله عزّ وجل: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤمن لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادقين﴾(١)، فأما قوله عز وجلّ: ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدهِمْ مِلءُ الأَرْضِ ذَهبًا وَلو افْتَدَى بِه﴾(٢) فإن تأويلهَ عند أهل اللغة: لا يُقْبَل أن يَتَبرأَ به وهو مقيم على الكفر، ولَا يُقْبلُ إن افتَدَى به، فـ «لو» فى معنى «إنْ» وإنما مَنَعَ «لَوْ» أن تكون من حروف المُجازاة فَتجْزِمَ كما تَجزِمُ «إنْ» أَنَّ حروفَ المجازاة إنما تقع لما لم يَقَعْ، ويصير الماضى معها فى معنى المستقبل، تقول: إن جئتَنى أعْطيتُكَ، وإن قَعدْتَ عنى زُرتُك، فهذا لم يقع، وإن كان لفظ الماضىِ لَمَا أَحْدَثَتْهُ فيه «إن». وكذلك مَتَى أتيتنى أتيتك، و «لو» تقع فى معنى الماضى، تقول: لو جئتنى أمْسِ لصادَفتَنى، ولو رَكبتَ إلى أمْسِ لألفَيتَنى، فلذلك خَرجَتْ من حروف الجزاء، فإذا أدخلتَ معها «لا» صار معناها أن الفعل يمتنع لوجود غيره، فهذا خلافُ ذلك المعنى، ولاتقع إلا على الأسماء، ويقع الخبر محذوفًا لأنه لا يقع فيها الاسم إلا وخبره مدلول عليه، فاستُغْنَى عن

---

(١) سورة يوسف ١٠٧.

(٢) سورة آل عمران ٩١.

ذكره، لذلك تقول: لَوْلاَ عَبدُ الله لضربتكَ، والمعنى فى هذا المكان: من قَرابتك، أو صَداقتك، أو نحو ذلك، فهذا معناها فى هذا الموضع، ولها موضع آخر تكون فيه على غير هذا المعنى، وهى «لَوْلاَ» التى تقع فى معنى «هلاَّ» للتَّحْضيض، ومن ذلك قوله: ﴿لَوْلاَ إِذْ سَمِعتُمُوه ظَنَّ المؤْمنُونَ والمؤْمنَاتُ بأنْفُسهمْ خَيرًا﴾[1]، أى هَلاَّ، وقال الله عز وجلّ: ﴿لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَولهمُ الإِثْم﴾[2]، فهذه لا يليها إلاالفعل؛ لأنها للأمر والتحضيض، مُظْهَرًا أو مُضْمَرًا، كما قال[3]:

تَعُدُّون عَقْرَ النِّيبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ   بَنِى ضَوطَرَى لَوْلاَ الْكَمِىَّ المقَنَّعَا

أى هلا تَعُدُّون الكَمِىَّ المقنعا، «ولَولاَ» الأولى لا يليها إلا الاسم على ما ذكرت لك، ولابُدَّ فى جوابها من اللام أو معنى اللام، تقول: لولا زَيْدٌ فعلت، والمعنى لَفَعَلْتُ، وزعم سيبويه أن «زيدًا» من حَديث «لولا» واللامُ والفعلُ حديثٌ مُعلّقٌ بحديث «لولا»، وتأويله أنه للشرط الذى وجب من أجلها وامتنع لحال الاسم بعدها، و «لوْ» لا يليها إلا الفعل مضمرًا أو مظهرًا؛ لأنها تُشاركُ حروف الجزَاء فى ابتداء الفعل وجَوابه، تقول: لو جئْتَنى لأعْطَيْتُكَ، فهذا ظهور الفعل، وإضماره [قوله عزّ وجل][4]: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلكُونَ خَزَائنَ رَحمة ربِّى﴾[5]، والمعنى والله أعلم: لو تملكون أنتم، فهذا الذى رَفَعَ «أنتم» ولما أُضْمرَ ظَهر بعده ما يُفسِّرُهُ، ومثلُ ذلك: «لَو ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمَتنِى» أراد لَوْ لَطَمَتنى ذاتُ سِوارٍ، ومثله[6]:

وَلَوْ غَيرُ أَخوَالِى أَرَادُوا نَقِيصَتِى   جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ العَرَانِينِ مِيسمَا

---

(١) سورة النور ١٢.

(٢) سورة المائدة ٦٣.

(٣) زيادات ر: «نسب لجرير، وقيل للأشهب بن رميلة». والصحيح أن البيت لجرير من قصيدة يهجو فيها الفرزدق، (وانظر ديوانه ٢٣٣ ـ ٢٤٠).

(٤) تكملة من ر.

(٥) سورة الإسراء ١٠٠.

(٦) زيادات ر: «قول المتلمس» والبيت فى الأصمعيات ٢٨٧.

وكذلك قول جَرير:

لَوْ غَـيْرَكُمْ عَلِقَ الـزُّبَيرُ بَحبلِهِ   أدّى الجِـوَارَ إلَى بَنِى العَـوَّامِ

فَنَصبَ بفعل مضمر يُفسِّرُهُ ما بعده؛ لأنها للفعل، وهو فى التمثيل: لو عَلِقَ الزبيرُ غيرَكُم، وكذلك كلُّ شيء للفعل نحو: الاستفهام، والأمر، والنهى، وحروفِ الفعل نحو: «إذْ وسَوْفَ»(١) وهذا مشروح فى الكتاب «المُقْتَضَبِ» على حقيقة الشرح.

وأما قوله: «وعَراعِرُ الأقوام» فمعناه رءوس الأقوام، الواحد عُرْعُرَةٌ، وعُرْعُرَةُ كلِّ شَىء أعلاه، من ذلك كتاب يَزيد بن المهَلبِ إلى الحَجَّاج بن يوسف: «وإن العدوّ نزلوا(٢) بعُرْعُرة الجبل، ونَزَلْنا بالحَضيض»، فقال الحجاج: ليس هذا من كلام يَزيد، فَمَنْ هناكَ؟ قيل: يَحيى بن يَعمَر، فكتب إلى يَزيدَ أن يُشخِصهُ إليه.

[الحجّاج ويحيى بن يعمر]

وزعم التَّوَّزِىُّ قال: قال الحجاج ليَحْيَى بن يَعْمر: أتَسْمعُنِى أَلحَنُ؟ قال: الأمير أفْصَحُ من ذلك! قال: فأعاد عليه القول وأقْسَمَ. فقال: نعم، تجعل «أنَّ» مكان «إنَّ»، فقال له: ارْحَلْ عنّى ولا تجاورنى.

قال أبوالعباس: هذا على أنّ يزيد لم تُؤخَذ عليه زَلَّةٌ فى لفظ إلا واحدةٌ، فإنه قال على المِنْبَرِ ـ وذَكَرَ عَبْدَ الحميد بن عبد الرحمن بن زَيْدِ بن الخَطَّاب ـ فقال: «هذه الضَّبُعةُ العَرَجاءُ»، فاعتُدتْ عليه لَحنًا، لأن الأنثى إنما يقال لها الضَّبُع، ويقال للذكر الضِّبْعان. فإذا جُمعَ قيل ضَبُعان، وإنما جمع على التأنيث دون التذكير، والباب على خلاف ذلك؛ لأن التأنيث لا زيادة فيه، وفى التذكير زيادة الألف والنون، فَثُنِّيَ على الأصل، وأصل التأنيث أن يكون زائدًا على بناء التذكير؛ لأنه منه يَخْرُجُ، مثل قائم وقائمة وكريم وكريمة، فمن حيث قُلْتَ للأنثى والذكر فى التثنية كريمانِ على حذف الزيادة قلت: ضَبُعان، وتقول: له ابنان إذا

---

(١) زيادات ر: «كذا وقع هنا «إذ» و «سوف» ولم يذكر سيبويه مع «سوف» إلا «قد» وهو الصحيح.

(٢) ر: «نزل».

أردتَ: له ابن وابْنَة، ولا تقول: فى الدار رجلان إذا أردتَ رجلاً وامرأةً، إلا على قول من قال للأنثى رَجُلَةٌ، فقد جاء ذلك، قال الشاعر:

كلُّ جـارٍ ظَلَّ مُغْتَبِطًا ... غَيْرَ جِيرانِى بَنِى جَبَلَهْ

خَرَّقُوا جَيبَ فَتاتِهِمُ ... لَمْ يُبَالُوا حُرْمَةَ الرَّجُلَهْ

ولا يقال للناقة والجَملِ جَمَلانِ، ولا الثَّوْرَانِ للثور والبقرة[1]، لاختلاف الاسمين، إنما يكون ذلك فيما ذكرنا إلا فى قول من قال للأنثى: ثَوْرَةٌ، قال الشاعر[2]:

جَزَى اللهُ فيهَا الأعْوَرَيْنِ مَلاَمَةً[3] ... وَعَبْدَةَ[4] ثَفْرَ الثوْرةِ المتَضاجِمِ[5]

[قال أبو الحسن: المتضاجم: المتسع].[6]

(١) ر: «ولا يقال للبقرة والثور ثوران».
(٢) هو الأخطل، والبيت فى ديوانه ٢٧٧.
(٣) الديوان: «مذمة».
(٤) فى الديوان «وفردة».
(٥) ثفر الثورة: فرجها.
(٦) من ر.

باب

[للراعى فى النسيب]

قال أبو العباس: قال الراعى:

وَمُرسَلٍ ورَسُولٍ غَيرِ مُتَّهَمٍ … وَحاجةٍ غَيْرِ مُزجاةٍ مِنَ الحَاجِ

طاوَعتُهُ بَعْدَ ما طالَ النَّجِيُّ بِنَا … وَظنَّ أنِّى عَلَيهِ غَيْرُ مُنعَاجِ

مَا زَالَ يَفتَحُ أبوابًا ويُغْلِقهَا … دُونِى، وَأفتَحُ بَابًا بَعْدَ إرْتاجِ

حتَّى أضَاءَ سِراجٌ دونه بَقَرٌ … حمرُ الأنامِلِ عِينٌ طَرَفُها ساجِ

يَا نُعْمَها لَيْلَةً حَتْى تَخوَّنَهَا … دَاعٍ دعَا فى فُرُوعِ الصُّبحِ شَحَّاجِ!

لَمَّا دَعَا الدَّعوَةَ الأولَى فَأَسمَعَنِى … أخَذتُ بُردِىَّ واستَمرَرتُ أَدرَاجِى

قوله:

* وحاجة غير مزجاة من الحاج *

المزْجاةُ: اليَسِيرةُ الخفيفةُ المَحمِلِ، قال الله عز وجل: ﴿**وَجِئْنا ببضَاعَة مُزْجَاة**﴾(١)، والحاج: جمع حاجةٍ، وتقديره فَعلَةٌ وفَعَل، كما تقول: هامَةٌ وهام، وساعةٌ وساع، قال القَطَامِىُّ:

وَكُنَّا كَالحَرِيق أَصَابَ غَابًا … فَيَخبُو سَاعَةً وَيَشُبُّ سَاعَا

فإذا أردتَ أدْنَى العَدَد قلتَ: ساعات، فأما قولهم: فى جمع حاجةٍ حَوائج فليس من كلام العرب على كثرته على ألسنة المولّدين، ولا قياسَ له، ويقال: فى قلبى منك حَوْجَاء، أى حاجة، ولو جُمعَ على هذا لكان الجمع حَواجٍ يا فتى، وأصله حَواجِىُّ يا فتى، ولكنْ مثلُ هذا يُخَفَفُ، كما تقول فى صحراء: صَحارٍ يا فتى، وأصلُه صَحارِىُّ.

وقوله:

* طاوعته بعد ما طال النَّجِىُّ بنَا *

---

(١) سورة يوسف ٨٨.

يريد المناجاة، فأخرجه على لفظ «فَعيل»، ونظيره من المَصادر الصهيل، والنَّهيق، والشَّحيج، ويقال: شَبَّ الفرسُ شَبيبًا، ولذلك كان «النَّجِيُّ» يقع على الواحد والجماعة نَعْتًا، كما تقول: امرأة عَدلٌ ورجل عَدلٌ وقوم عَدلٌ؛ لأنه مصدر، قال الله عز وجل: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾[1]، أى مُناجيًا، وقال للجماعة: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾[2] أى مُتَنَاجين.

وقوله «منْعُاج»: أى منعطف، يقال[3]: عُجْتُ عليه، أى عَرَّجْتُ عليه، وعِجْتُ إليه أعِيج، أى عَوَّلتُ عليه.

وقوله «بعد إرْتاج»: أى بعد إغْلاق، يقال: أرتَجتُ البابَ إرْتاجًا، أى أغْلَقتُهُ إغْلاقًا، ويقال: لِغَلَق الباب الرّتاج، ويقال للرجل إذا امتنع عليه الكلام أُرْتِجَ عليه.

وقوله:

* حتّى أضاءَ سراجٌ دونه بَقَرٌ *

يعنى نساء، والعربُ تكنى عن المرأة بالبقرة والنَّعْجة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾[4]، وقال الأعْشَى:

فَرَمَيتُ غَفْلَةَ عَينِهِ عَنْ شَاتِهِ ... فَأَصَبتُ حَبَّةَ قَلبِهَا وَطِحَالهَا

وقوله: «عِينٌ» إنما هو جمع عَيناء، وهى الواسعة العَينِ، وتقديره «فُعْل»، ولكن كُسِرَت العين لتَصِحَّ الياء، ونحو ذلك بَيْضاءُ وبيض، وتقديره حَمْراءُ وحُمْر، ولو كان من ذوات الواو لكان مضموما على أصل الباب، لأنه لا إخْلال فيه، تقول: سَوْداءُ وسُود، وعَوراءُ وعور.

وقوله: «طرفها ساج» ولم يقل: «أطرافها»؛ لأن تقديرها تقدير المصدر، من طَرَفْتُ طَرَفًا، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾[5]

---

(١) سورة مريم ٥٢.
(٢) سورة يوسف ٨٠.
(٣) ر: «تقول».
(٤) سورة ص ٢٣.
(٥) سورة البقرة ٧.

لأن السمع فى الأصل مصدر. قال جَرير:

إنَّ العُيونَ الَّتى فِى طَرْفِهَا مَرَضٌ ... قَتلننا ثُمَّ لَمْ يُحيِينَ قَتلانَا

وقوله: «ساج» أى ساكن، وقال الله عزّ وجل: ﴿**وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَا**﴾[1]، وقال جرير:

وَلَقَد رَمَيْنَكَ يَوم رُحْنَ بِأعيُنٍ ... يَقتُلنَ من خَلَلِ السُّتُورِ سَوَاجِ

وقال الراجز:

يَاحَبَّذَا القمراءُ واللَّيْلُ السَّاجْ ... وُطرقٌ مِثْلُ مُلاءِ النَّساجْ

وقوله: «حتى تخونها»: يريد تنقّصها، يقال: تَخَوَّنَنى السَّفَر، أى تَنَقّصنى، والداعى: المؤَذِّن.

وقوله: «شَحَّاج»، إنما هو استعارة فى شدة الصوت، وأصله للبغل، والعرب تستعير من بَعضٍ لبَعْضٍ، قال العَجَّاج ينْعَت حِماراً:

كَأنَّ فِى فِيهِ إذَا مَا شَحَجَا ... عُوداً دُوَينَ اللّهَوَاتِ مُولَجَا

وقال جَرير:

إنَّ الغُرَابَ بِمَا كَرِهْت لَمولَعٌ ... بِنَوَى الأَحِبْةِ دَائِمُ التَشحَاجِ

وقوله: «واستَمرَرتُ أدْراجى»: أى فَرَجَعتُ من حيث جئتُ، تقول العرب: رجع فلان أدْراجَه، ورَجَعَ فى حافِرتِهِ، ورَجَعَ عَوْدَهُ على بَدئه، وإن شئتَ رفعتَ فقلت: رَجَعَ عَودُهُ على بَدْئِه، أما الرفع فعلى قولك: رجع وعَوْدُه على بدئه، أى وهذه حالهُ، والنصب على وجهين: أحدهما أن يكون مفعولا كقولك: رَدَّ عَوْدَهُ على بدئه؛ والوجه الآخر أن يكون حالاً فى قول سيبويه، لأن معناه رجع ناقصًا مَجيئَهُ، ووُضِعَ هذا فى موضعه، كما تقول: كلَّمْتُهُ فاهُ إلى فِيَّ، أى مُشافَهةً، وبايعته يَدًا بيد، أى نَقْدًا، ويجوز أن تقول: فُوهُ إلى فِيَّ، أى وهذه حالهُ، ومَنْ نَصَبَ فمعناه فى هذه الحال.

---

(١) سورة الضحى ١، ٢.

قال أبو العباس: فأما «بايعته يَدًا بيد» فلا يكون فيه إلا النصب، لأنك لَسْتَ تريد بايعته ويدٌ بيدٍ كما كنتَ تريد فى الأول، وإنما تريد النَّقدَ، ولا تُبالى: أقَريبًا كان أم بَعيدًا.

[لأعرابى يشكو حبيبته]

وقال أعرابىّ:

شكوْتُ فَقالَتْ: كُلَّ هذا تَبَرُّمًا بِحُبِّى! أراحَ اللهُ قَلبَكَ مِنْ حُبِّى

فَلمَّا كَتمْتُ الحُبَّ قَالتْ: لَشَدَّمَا صَبَرتَ وَمَا هذَا بِفعلِ شجِى الْقلْبِ

وَأَدْنُو فتُقْصِينى فَأبْعُدُ طَالِبًا رِضَاهَا، فتَعتَدُّ التَّبَاعُدَ مِنْ ذَنْبى

فَشكوَاىَ تُؤذِيهَا وَصبرِى يَسُوءُهَا وَتَجزَعُ مِنَ بُعدِى، وَتَنْفِرُ مِنْ قُرْبِى

فَيَا قومِ هَلْ مِنْ حيلةٍ تَعْرِفُونَهَا ؟ أَشِيرُوا بِهَا وَاسْتَوْجِبُوا الشُّكْرَ مِنْ رَبِّى

قوله: «كلَّ هذا تَبَرُّمًا»، مردود على كلامه، كأنها تقول له: أشكَوْتَنى كلَّ هذا تَبرمًا! ولو رَفعَ رافعٌ «كُلاًّ» لكان جيِّدًا، يكون «كلّ هذا» ابتداء[1] وتَبَرُّم خبره.

«وشجِى» مخفف الياء، ومن شددها فقد أخطأ، والمَثَلُ: «ويْلٌ للشَّجِى من الخَلىِّ»، والياء فى «الشَّجى» مخففة، وفى «الْخَلىّ» مثقلة، وقياسه أنك إذا قلت: فعلَ يَفْعَلُ فعَلاً، فالاسم منه على فَعِل؛ نحو: فَرِقَ يَفْرَقُ فَرَقًا فهو فَرِق، وحَذِرَ يَحْذَرُ حَذَرًا فهو حَذِرٌ، وبَطِرَ يَبْطَرُ بَطَرا فهو بَطِرٌ، فعلى هذا شَجِىَ يَشْجَى شَجًى فهو شَجٍ يا فتى، كما تقول: هَوِىَ يَهْوَى هَوىً فهو هَوٍ يا فتى.

وقوله:

* فَيا قوم هل من حيلَة تعرفونها *

موضع «تَعرفونها» خَفْضٌ؛ لأنه نعت للحيلة وليس بجواب، ولو كان هاهنا شرط يوجِبُ جَوابًا لا يُجزَمُ، تقول: ائتنى بدابّة أركَبُهَا، أى بدابَّةٍ مَركوبة، فإذا

---

(١) ر، س: «مبتدأ».

أردتَ معنى: فإنك إن أتيتنى بدايّة ركبتُهـا قلتَ: «أرْكَبْها» لأنه جواب الأمر، كما أن الأول جواب الاستفهام، وفى القرآن: ﴿خُذْ من أمْوَالهمْ صَدَقَةً تُطهِّرُهُمْ وَتزكيِّهمْ بهَا﴾(١). أى مُطَهِّرَةً لهم، وكذلك: ﴿أنْزلْ عَلَيْنَا مَائدَةً منَ السَّماء تكُونُ لَنَا عيدًا﴾(٢) أى كائنةً لنا عيدًا، وفى الجواب: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا ويَلْعَبُوا﴾(٣)، أى إنْ تركوا خاضُوا ولَعبوا، وأما قوله عزّ وجل: ﴿ثمَّ ذَرْهُم فى خَوْضهمْ يَلْعَبُونَ﴾(٤) فإنما هو فَذَرْهُمْ فى هذه الحال لأنهم كانوا يَلْعَبون، وكذلك: ﴿ولاَ تَمْنُنْ تَسْتَكْثرُ﴾(٥)، إنما هو [لا تمن(٦)] مستكْثِرًا فمعنى ذا: هل من حيلة معروفة عندكم؟

[لأعرابى فى الملح]

وقال أعرابىّ - أنْشَدَنيه أبو العالية:

أَلا تسأَلُ المَكِّى ذَا الْعلْم مَا الَّذى ... يَحلُّ منَ التَّقْبِيل فى رَمَضَانِ؟

فَقَالَ لِىَ المَكِّىُّ: أَمَّا لِزَوْجةٍ ... فَسَبْعٌ؛ وَأَمَّا خُلّةٍ فَثَمانى

قوله «خُلّةٍ» يريد ذات خلة، ويكون سمّاها بالمصدر، كما قالت الخَنْساءُ:

* فَإنّمَا هىَ إقْبَالَ وَإدْبَارُ(٧) *

يجوز أن تكون نَعَتَتْهـا بالمصدر لكثرته منها، ويجوز أن تكون أرادتْ ذات إقْبال وإدْبار، فحذفت المضاف وأقامت المضاف إليه مُقامه، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَلكنَّ الْبرَّ مَنْ آمَنَ بالله﴾(٨) فجائز أن يكون المعنى برّ من آمَنَ بالله، وجائز أن يكونَ لكنَّ ذا البرِّ من آمَنَ بالله، والمعنى يؤول إلى شىء واحد.

---

(١) سورة التوبة ١٠٣.
(٢) سورة المائدة ١١٤.
(٣) سورة الزخرف ٨٣.
(٤) سورة الأنعام ٩١.
(٥) سورة المدثر ٦.
(٦) من ر، س.
(٧) صدره:

* ترتَعُ ما رتعتْ حتى إذا ادّ كَرَتْ *

(٨) سورة البقرة ١٧٧.

وفى هذا الشعر عيب، وهو الذى يسميه النحويون العَطْفَ على عاملَيْنِ، وذلك أنه عطف «خُلَّةً» على اللام الخافضة لزوجة، وعطف «ثمانيا» على «سبع» ويلزم مَنْ قال هذا أن يقول: مَرَّ عبدُ الله بزيد وعمرٌو وخالد، ففيه هذا القُبْحُ، وقد قرأ بعضُ القُرَّاء وليس بجائز عندنا: ﴿وَٱخْتِلاَفَ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٍ﴾(١)، فجَعَلَ «آيات» فى موضع نصب وخَفَضَهَا لتاء الجميع فحَمَلَهَا على «إنَّ» وعَطَفَهَا بالواو، وعطَفَ «اخْتِلافًا» على «فى»، ولا أرى ذا فى القرآن جائز لأنه ليس بموضع ضرورة، وأنشد سيبويه لعَدِىّ بن زيد العبادى(٢):

أَكلَّ امْرِئٍ تَحْسَبِينَ امْرأً ... ونَارٍ تَوَقَّدُ بِاللَّيْلِ نَارَا

فنَعَطَفَ على «امْرِئٍ» وعلى المنصوب الأول.

* * *

[قال أبو الحسن: وفيه عَيب آخر أنَّ «أمَّا» ليستْ من العطف فى شىء، وقد أجْرَى «خُلَّةً» بعدها مُجْراها بعد حرف العطف حَمْلاً على المعنى، فكأنه قال: لزوجةٍ كذا وخُلَّة كذا].

* * *

وقوله: «أمَّا لزوجة» فهذه مفتوحة، وهى التى تحتاج إلى خبر، ومعناها: إذا قُلتَ: أمَّا زيدٌ فمنطلقٌ مَهمَا يكُنْ من شىء فزيد مُنطَلقٌ. وكذلك ﴿فَأَمَّا الْيَتِمَ فَلاَ تَقْهَرْ﴾(٣)، إنما هى: مَهْمَا يكُنْ من شىء فلاَ تَقْهَرِ اليَتيم، وتُكسَرُ إذا كانت فى معنى «أو» ويلزمها التكرير، تقول: ضربتُ إمَّا زيدًا وإمَّا عمرًا، فمعناه ضربت زيدًا أو عمرًا، وكذلك: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾(٤)، وكذلك: ﴿إِمَّا العَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾(٥)، و﴿إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾(٦)، وإنما كَرَّرْتَها لأنكَ إذا

(١) سورة الجاثية ٥.

(٢) زيادات ر: «الصحيح أنه لأبى دؤاد الإيادى».

(٣) سورة الضحى ٩.

(٤) سورة الدهر ٣.

(٥) سورة مريم ٧٥.

(٦) سورة الكهف ٨٦.

قلتَ: ضربتَ زيداً أو عمراً، أو قلت: اضْرِبْ زيدًا أو عمراً فقد ابتدأْتَ بذكر الأول، وليس عند السامع أنك تُريدُ غير الأول، ثم جئتَ بالشك، أو بالتخيير، وإذا قلتَ: ضربتُ إمَّا زيدًا وإما عمراً، فقد وضَعْتَ كلامَك بالابتداء على التخيير أو على الشك، وإذا قلت: ضربتُ إمَّا زيدًا وإمَّا عمراً، فالأولى وقَعَتْ لبِنْيةِ الكلام عليها، والثانية للعطف؛ لأنك تَعْدِل بين الثانى والأول، فإنما تُكْسَرُ فى هذا الموضع.

وزعم سيبويه أنها إن ضُمَّتْ إليها «ما» فإن اضطُرَّ الشاعر فحذف «ما» جاز له ذلك لأنه الأصل، وأنشد فى مِصْداقِ ذلك[1]:

لَقَدْ كَذبَتْك نَفَسُكَ فَاكذِبَنْها فَإِنْ جَزَعًا وإِنْ إِجْمَالَ صبر

ويجوز فى غير هذا الموضع أن تَقَع «إِمَّا» مكسورة، ولكن «ما» لاتكون لازمة، ولكن تكون زائدة فى «إنْ» التى هى للجزاء، كما تزاد فى سائر الكلام نحو: أينْ تكنْ أكَنْ، وأيْنَما تكُنْ أكُنْ، وكذلك مَتى تَأتنى آتك، ومَتَى تَأتنى آتك، فتقول: إنْ تَأْتنى آتكَ، وَإمَّا تأْتنى آتكَ، تُدغمُ النون فى الميم لاجتماعهما فى الغُنَّة، وسنذكر الإدغام فى موضع نُفْردُه به إن شاءَ الله، كما قال امرؤ القيس[2]:

فإمْا تَرَيْنى لا أُغمِّضُ ساعةً مِنَ اللَّيْلِ إلاَ أنْ أُكِبَّ فَأَنْعَسَا

فَيَارُبَّ مكْرُوب كَرَرتُ وَرَاءَهُ وَطَاعنْتُ عَنهُ الخَيلَ حَتَى تَنفسَا

وفى القرآن: ﴿**فإمَّا تَرَيِنَّ من الْبَشَر أَحَدًا**﴾[3]، وقال: ﴿**وَإمَّا تُعرِضَنَّ عنهُمُ ابْتغَاءَ رَحمَة منْ ربِّكَ تَرْجُوهَا**﴾[4]، فأنت فى زيادة «ما» بالخيار فى جميع حروف الجزاء، إلا فى حرفين، فإن «ما» لابُدَّ منها لعلة نذكرها إذا أفردنا بابا للجزاء إن شاء الله، والحرفان: حيْثُما تكنْ أكُنْ كما قال الشاعر:

---

(١) زيادات ر: «هو دريد بن الصمة الجشمى».

(٢) كذا فى ر، وفى س: «كما قال الشاعر».

(٣) سورة مريم ٢٦.

(٤) سورة الإسراء ٢٨.

حَيْثُما تستقِم يُقدّرْ لك اللـ ـهُ نَجَاحا فى غابرِ الأزْمَانِ

والحرف الثانى «إذْ ما» كما قال الْعَبّاس بن مرداسٍ:

إذ مَا أتَيْت عَلَى الرَّسُول فَقلْ لَهُ حَقًّا علَيْكَ إذَا اطْمَأنَّ المَجْلِسُ

لا يكون الجزاء فى «حيث» و «إذ» إلاَ بهما.

* * *

قال أبو العباس: وأنشدنى أبوالعالية:

سلِ المُفْتِىَ المَكّىَ هَلْ فى تَزَاورٍ ونَظرةِ مُشْتَاقِ الفُؤادِ جُنَاحُ

فَقال: مَعاذَ اللهِ أنْ يُذْهب التُّقَى تَلاَصقُ أَكْبَادٍ وأنَّ جِراح

* * *

[وأنشد لبعض المحدثين:

تَلاَصقْنَا وَليْسَ بِنَا فسُوقٌ ولَمْ يَرِدِ الحَرَامَ بنا اللصُوق

ولَكِنَّ التَّبَاعد طَالَ حَتّى تَوَقَّدَ فى الضُّلوعِ بنا حَرِيق

فَلَمَّا أنْ أُتيحَ لَنَا التَّلاقِى تَعَانقْنَا كما اعْتَنقَ الصَّدِيقُ

وَهَلْ حَرجًا تَراه أو حَرَامًا مَشُوقٌ ضَمَّهُ كلِفٌ مَشُوقُ[1]!]

* * *

وأنشَدَنى غيره:

وَما هَجَرْتكِ النَّفس يامَىّ أنَّها قلَتْكِ، ولاَ أن قلَّ مِنك نَصِيبُهَا

وَلكِنَّهُم يا أمْلَحَ النَّاس أُولِعُوا بِقَولٍ إذَا ما جِئتُ: هَذا حَبِيبُهَا

«أنها» فى موضع نصب، وكان التقدير «لأنها»، فلما حذفت اللام وصل الفِعْل فَعَمِل، تقول: جئتُك أنَّكَ تُحبُّ الخير، فمعناه لأنك، وكذلك أتيتك أن تأْمُرَ لِى بشىء، أى لأن، وتقديره فى النصب أنَّ: «أنْ» الخفيفة والفعل مصدر: نحو:

(١) الأبيات الواقعة بين العلامتين لم ترد فى نسخة الأصل ووردت فى س وفى ر بين علامتى الزيادة.

أريد أن تقوم يا فتى، أى قيامك، و«أنَّ» الثقيلة واسمها وخبرها مصدر، تقول: بلغنى أنَّك منطلق، أى انطلاقك، فإذا قلت: جئتك أنك تريد الخير، فمعناه إرادتك الخير، أى مجيئى لأنك تريد الخير إرادة يا فتى، كما قال الشاعر[1].

وَأغفِرُ عوْرَاءَ الكَرِيمِ ادّخارَه ... وَأعْرِضُ عَن شتم اْللّئيمِ تكَرُّما

قوله:

* وأَغْفِرُ عَوراءَ الكَرِيمِ اْدّخارهُ *

أى أُدخرُه ادّخارًا، وأضافه إليه، كما تقول: ادّخارًا له، وكذلك قوله: «تكرما» إنما أراد للتكرم، فأخرجه مُخرَج أتكَرَّمُ تكَرمًا.

* * *

قال أبو العباس: وأنشدنى أبو العالية[2]:

مـا زِلْت أبْغِى الحَىَّ أتْبَعُ ظِلَّهمْ ... حتى دفعْت إلى ربيبَةِ هوْدَجِ

قالَتْ: وعيْشِ أبَى وأكبرِ إخْوتِى ... لأنبِّهنَّ الحَىَّ إنْ لمْ تَخْرُجِ

فَخَرجتُ خيفَةَ قَولِهَا، فتَبَسَّمَتْ ... فَعلمتُ أنَّ يَمينَهَا لم تَحْرَجِ

فَلَثِمتُ فاها آخِذًا بِقُرُونِهَا ... شُربَ النَزِيفِ بِبَرْدِ ماءِ الحَشرِجِ

وزاد فيها الجاحِظُ عَمرو بن بَحْرٍ:

وتَنَاولَتْ رَأسِى لِتَعرفَ مَسَّهُ ... بِمُخَضَّبِ الأطرَافِ غَير مُشنَّجِ[3]

تقول العرب: هوْدَجٌ، وبنو سَعد بن زيد مَناةَ وَمَنْ وَلِيَهُمْ يقولون فَوْدَجٌ.

وقوله:

* فعلمت أن يمينها لم تَحْرَجِ *

يقول: لم تضق عليها، يقال: حرِجَ يحْرَجُ إذا دخل فى مَضيق، والحَرَجَة: الشجر الملتفُّ المُتضايق ما بينه، قال الله عزّ وجل: ﴿**فَلاَ يَكُنْ فِى**

---

(١) زيادات ر: هو حاتم الطائى، والبيت فى ديوانه.

(٢) زيادات ر: «قيل إن الشعر لعروة بن أذينة» وفى حواشى الأصل إنه لجميل بن عبد الله بن معمر.

(٣) من التشنج وهو التقبض.

صَدْرِكَ حَرَج مِنْهُ[1]﴾، وقال تعـالى: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّـقًا حَرِجًا[2]﴾، وقُرِئ «حَـرَجًا»، فـمن قال «حَـرِجا» أراد التـوكيـد للضَّـيْق، كأنه قـال: ضَيّقٌ شـديد الضيق، ومن قال: «حَرَجًا» جعله مصدرا، مثل قولك: ضُيق ضيقًا.

وقوله: «ببرد ماء الحَشْرَج» فهو الماء الجارى على الحجارة.

[لقيس بن معاذ فى النسيب]

وقـال قَـيْسُ بن مُعـاذ أحـد بنى عُقَـيلِ بن كعْـب بن رَبيعـةَ بن عامـر بن صَعْصَعَةَ - وهو المجنون - وحدثنى عبد الصـمَد بن المُعَذّل قال: سمعت الأصْمَعىّ يُثْبِتُه ويقول: لم يكن مجنونا، إنما كانت به لوثَةٌ كلوثة أبّى حَيَّة[3]:

وَلَمْ أَرَ لَيْلَى بَعْـد موقِفِ سَـاعَة ... بِبَطْنِ منى تَرمِى جِـمَارَ المُحَـصَّبِ

ويُبْدِى الحَصَـا منهَا إذَا قَذَفَتْ بِهِ ... مِنَ البُـرِدِ أطرافَ البَنانِ المُخَـضَّبِ

فَأَصْبَحتُ مِنْ لَيلى الغَداةَ كَنَاظِرٍ ... مَعَ الصُّبْحِ فى أَعْقابِ نَجْم مُغَرِّبِ

ألا إنَّمـا غـادَرتِ يا أُمَّ مـالِكٍ ... صَدًى أَيْنَما تَذْهَبْ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبِ

هذا البيت من أعجب ما قيل فى النحافة.

ومما يُسْتَطرَفُ فى هذا الباب قول عُمَرَ بن أبى رَبيعة:

رَأتْ رَجُلاً أمَا إذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ ... فَيَضْحَى وَأمَا بالعَـشِىِّ فَيَخصَرُ

أخَـا سَـفَرٍ جـوَّابَ أرْضٍ تَقَـاذَفَتْ ... بِهِ فَلَوَاتٌ فَـهُـوَ أشْعَـثُ أغْبَـر

قَلِيـلاً عَلَـى ظَهْـرِ المَـطِيَّـةِ ظِلُّهُ ... سِوَى مَانَفَى عَنْـهُ الرِّداءُ المُحَبَّرُ

ومن هذا الباب قول القائل[4]:

فَأَصبَحْتُ فِى أَقْصى البُيُوتِ يَعُدْنَنِى ... بَقِـيَّةَ مَـا أَبْقَـيْن نَصْـلاً يَمَانِيَـا

---

(1) سورة الأعراف ٢.

(2) سورة الأنعام ١٢٥.

(3) زيادات س، ر بعد هذه الكلمة: «النميرى، وهو من أشعرالناس، ومن شعره».

(4) زيادات ر: «هو قيس بن معاذ مجنون بنى عامر الذى تقدم ذكره لابن الأبرش».

[بقية بدل من الياء فى يّعُدْنَنى بدل الاشتمال

تَجمعَّنَ منْ شتَّى، ثلاثٌ وأربُعٌ وَواحدَة حتّى كمُلنَ ثَمَانيًا[1].]

يَعدْنَ مَـرِيضًا هُنَّ هَيَّـجنَ مَا بِهِ ألاَ إنمَا بَعْضُ الـعَـوَائِد دَائِيَـا

وفى هذا البـاب أشياء كـثيرة تأتـى فى موضعـها إن شاء الله تـعالى، ومن الإفْراط فيه قولهُ:

فَلَوْ أَنَّ مَـا أبْقَـيتِ منى مُـعَلَّقٌ بِعُـودِ ثُمـام مَـا تَأَوَّدَ عـودهَا

الثمام: نبت ضعيف، واحدته ثمامة، وهذا متجاوز كقول القائل:

* وَيُمنَعُهَا منْ أنْ تَطِيرَ زمامها *

وَأحْسَنُ الـشِّعْرِ مـا قارَب فـيه القـائل إذا شَبَّـهَ، وأحَسنُ منه مـا أصاب به الحقيقة، ونبَّـهَ فيه بِفِطنته عَلى ما يخفى عن غيره، وساقـه برصْفٍ قوىّ واختصار قريب.

* * *

وقال قيس بن معاذ:

وَأَخْرُج منْ بَيْنِ الجُلوسِ لَعَلَّنى أُحَدثُ عَنْكِ النَّفْسَ فى السِّرِّ خاليا

وَإنى لأستَـغْشِى ومَا بِىَ نَعْـسَة لَعلَّ خَـيـالاً مِنْكِ يَلقَى خَـيَـالِيَـا

وفى هذا الشعر:

أشَوْقًـا وَلَمَّا تَمض لِى غَيْـرُ لَيْلَةٍ رُوَيْدَ الهَـوَى حَـتَّى تَغِبَّ لَيَـالِيَـا

هذا من أحسن الكلام وأوضحهُ معنى.

ويُستَحْسَنُ لذى الرُّمَّةِ قوله فى مثل هذا المعنى:

أُحبُّ الَمكاَن القفْرَ مِنْ أَجْلِ أَنَّنِى بِهِ أَتَغنَّى بِاسْـمِهَـا غَيْـرَ مُعْـجَم

---

(١) ما بين العلامتين لم ترد فى الأصل، وهى فى س وزيادات ر.

[لبعض القرشيين]

وأنشد(١) ابن عائشة لبعض القُرَشِيّين(٢):

وَقَفُوا ثَلاثَ مِنًى بِمَنْزِلِ غِبطَةٍ ... وَهُمُ عَلَى غَرَضٍ هُنَالِكَ ما هُمُ
مُتَجَاوِرِينَ بِغَيرِ دَارِ إقامَةٍ ... لَوْ قَدْ أجَدَّ تفرق لم يَنْدَمُوا(٣)
وَلَهُنَّ بِالبَيْتِ العَتِيقِ لُبَانَةٌ ... وَالرُّكنُ يَعْرِفُهُنَّ لوْ يَتَكلَّمُ
لوْ كانَ حَيًّا قَبْلَهُن ظَعَائِنًا ... حَيَّا الحَطِيمُ وُجُوهَهُنَّ وَزَمْزَمُ
وَكَأَنهُنَّ وَقَدْ صَدَرْنَ لَوَاغِبًا ... بَيْضٌ بِأَفْنِيَةِ المَقَامِ مُرَكَّمُ

اللاغِبَ المعيى، قال الله عزّ وجل: ﴿**وَمَا مَسَّنَا مِنْ لغُوب**﴾(٤) والمرَكّمُ: الذى بعضه على بعض، والمرأة تُشبَّهُ ببيضة النعامة كما تُشَبَّهُ بالدرَّة، قال الله عزّ وجل: ﴿**كَأَنّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ**﴾(٥) والمكنونُ: المصون، والْمكنُّ: المَسْتور، يقال: أَكْنَنْتُ السِّر، قال الله عزّ وجَل: ﴿**أَو أَكْنَنْتُمْ فى أَنْفُسِكُمْ**﴾(٦). وقال أبو دَهْبَل، وأكثر الناس يرويه لعبد الرحمن بن حَسَّان(٧):

وَهْيَ زَهرَاء مِثلُ لؤلؤَةِ الغَوّ ... اص مِيزَت مِنْ جَوهَر مكنُونِ.

وقال ابن الرُّقيات:

واضِحٌ لَوْنُهَا كَبيْضَةِ أُدْحِيّ ... لَهَا فى النِّسَاءِ خَلْقٌ عَمِيمُ

العميم: التام، والأدحِيّ: موضع بيض النعامة خاصة، وشِعْرُ عبد الرحمن هذا شعر مأثور مشهور عنه.

---

(١) ر: «وأنشدنى».
(٢) حاشية الأصل: الشعر لابن أذينة، وانظر الأغانى ٢١: ١١٠.
(٣) زيادات ر: «يعنى طواف الوداع، وقوله: «ثلاث منى» أراد أيام النفر، وأخرجه على الليالى، وقوله: «لم يندموا» لأنهم يرجعون إلى أوطانهم».
(٤) سورة ق ٣٨.
(٥) سورة الصافات ٤٩.
(٦) سورة البقرة ٢٣٥.
(٧) زيادات ر: «ابن ثابت الأنصارى».

وروى بعض الرواة أن أبا دَهْبَل الجُمحىَّ كان تَقيًّا وكان جميلاً، فَقَفَلَ من الغَزو ذَاتَ مَرَّة، فَمَرَّ بِدِمَشْقَ، فدعَتْه امْرَأَةٌ إلى أن يَقْرأ لها كتابًا، وقالت: إنَّ صاحِبَتَهُ فى هَذَا القصر، وهى تُحبُّ أن تسْمَعَ ما فيه، فلما دخلتْ به برزَتْ له امْرَأَةٌ جميلة، وقالتْ له: إنما احْتَلْتُ لك بالكتاب حتى أدخَلَتُكَ. فقال لها: أما الحرامُ فلا سبيل إليه، فقالت: فَلَسْتَ تُرادُ حَرامًا، فَتَزَوَّجَتهُ، وأقام عندها دَهرًا حتى نُعِىَ بالمدينة، ففى ذلك يقول وقد استأذنها لِيُلِمَّ بأهَله ثم يعود، فجاء وقد اقْتسِمَ ميراثه، فلما هَمَّ بالعود إليها نُعيَت له، فهذا ما رُوِىَ من هذا الوجه والذى كأنه إجماع أنه لعبد الرحمن بن حسان، وهو فى بنت معاوية[1]:

صَاحِ حَيَّا الإلهُ أهْلاً وَدَارًا ... عِنْدَ أَصْلِ الْقَناة مِنْ جَيْرُونِ

عن يَسَارِى إذا دَخَلتُ مِنَ الْبا ... ب وَإن كُنْتُ خارجًا فَيَمِينى

فَبِتلْكَ ارْتهنْتُ بِالشَّأْم حَتَّى ... ظَنَّ أَهْلى مُرَجْماتِ الظُّنُونِ

وهْىَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لؤلؤة الْغوَّاصِ مِيزَتْ مِنْ جَوهَرٍ مكْنُونِ

وَإِذَا مَا نَسَبْتَهَا لَمْ تَجِدْهَا ... فِى سَنَاءٍ مِنَ المَكَارِمِ دُونى

ثمَّ خَاصَرْتُها إلى القُبَّةِ الخَضْـ ... ـرَاء تَمْشِى فى مَرْمَرٍ مَسْنُونِ

تَجْعَلُ المِسْكَ واليَلَنْجُوجَ والنَّـ ... ـدّ صِلاَءً لَها عَلَى الْكَانُونَ

قُبَّةٌ مِنْ مَرَاجِلٍ ضَرَبَتَهْاَ ... عِنْدَ بَرْدِ الّشَتاءِ فى قَيْطُونِ

المسنون: المصبوب على استواء، والمَرَاجِلُ: ثياب منْ ثياب الْيَمن، قال العَجَّاجُ:

* بشِيَةٍ كَشِيَةِ المُرَجلِ *

والقيطون: البيت فى جوف بيت.

وقال آخر:

وَأَبْصَرْتَ سُعْدَى بَيْنَ ثَوْبَى مَرَاجِلِ ... وَأثواب عَصْبٍ مِنْ مُهلْهَلَةِ اليَمَن

(١) زيادات ر: «ابن أبى سفيان».

ويروى أن يزيد بن معاوية قال لمعاوية: أما سَمِعْت قول عبد الرحمن بن حسان فى ابنتك؟ قال: وما الذى قال؟ قال: قال:

وَهْىَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لُؤلؤة الْغوَّاصَ مِيزَت مِنْ جوهرِ مكْنُون

قال معاوية: صدق، فقال يزيد: وقال:

وَإذا ما نَسَبْتَهَا لَمْ تَجِدْهَا فِى سَنَاءٍ مِنَ المَكارِمِ دُونِى

قال: (١صدق، فقال١) إنه قال:

ثمَ خَاصَرْتُها إلى القبَّةِ الخَضْراءِ تَمْشى فِى مَرْمَر مَسْنُون

قال معاوية: كذب.

(١ ـ ١) ر، س: «قال معاوية. صدق فقال يزيد».

باب

[عبدالله بن الزبير بن عبدالمطلب عند رسول الله]

قال أبو العباس: حدثني مسعود بن بِشر، قال: حدثني محمد بن حَرْب، قال: أتى عبدُالله بن الزُّبيرِ بن عبد المطلبِ رسولَ الله ﷺ فكساه حلة وأقعده إلى جانبه، ثم قال: «إنه ابن أمي، وكان أبوه يرحمني». (١)

[الرجل من بني ضبة يخاطب بني تميم]

قال: وأنشدني مسعود قال: أنشدني طاهرُ بن علي بن سليمان قال: أنشدني منصور بن المَهْدِيَ لرجل من بني ضَبَّة بن أُدٍّ، يقوله لبني تميم بن مُرّ بن أُدٍّ:

أبَني تميمٍ إنني أنا عَمكُمْ ... لا تُحْرُمن نَصيحةَ الأعمام

إني أرَى سَبَبَ الفَناءَ وإنَّما ... سَبَبُ الفَناء قطيعة الأرحامِ

فَتَداركُوا بأبى وَأمّي أنْتمُ ... أحسابكم(٢) بَرواجح الأحلامِ

[خطبة عبدالله بن الزبير حين ورد عليه خبر قتل أخيه مصعب]

ويُرْوَى أنه لما أتى عبدَالله بن الزُبَيرِ [خبر](٣) قتلِ مُصْعَب بن الزبير خطب الناس، فَحَمِدَ الله وأثنى عليه، ثم قال: إنه أتانا خبر قتل المصعب فُسررنا [به]، واكتأبنا [له](٣)، فأما السرورُ فلما قُدِّرَ له من الشهادةَ. وحِيزَ له من الثواب، وأما الكآبة فَلوْعةُ يَجدُها الحميمُ عند فِراق حَميمه، وإنا والله مانموتُ حَبَجَا كميتة آل أبي العاصي، إنما نموتُ قتلا بالرِّماح، وقَعْصًا تحت ظلال السُّيُوف، فإن يَهْلَكِ المصْعَبُ فإن في آل الزبير منه خَلفًا.

قوله: «حَبَجًا»، يقال حَبِجَ بطْنُهُ، إذا انتفخ، وكذلك حَبِطَ، بطنه، المْقعصُ: المقتول. واللوْعة: الحُرْقةُ، يقال لاع يلاع لَوْعة يافتى فهو لائِع، ويقال: لاعِ يافتى، على القَلب، وأنشد أبو زيد:

ولا فرحٍ بخيرٍ إن أتاهُ ... ولاجزِعٍ من الحدَثانِ لاعِ

---

(١) زيادات ر: الزبير أخو عبدالله بن عبدالمطلب شقيقه.

(٢) ر، س: «أرحامكم» وفي زيادات ر: «كذا أنشد: أرحامكم، ويروى: أحسابكم».

(٣) زيادة من ر.

[من كلام زياد]

قال: وحدثنى مسعود فى إسناد ذكره قال: قال زياد لحاجبه: ياعجلانُ، إنى وليتك هذا الباب، وعزلتك عن أربعةً. عَزَلْتُكَ عن هذا المنادى إذا دعا للصلاة فلا سبيلَ لك عليه، وعن طارق الليل فَشَرٌّ ماجاء به، ولو جاء بخير ماكنت من حاجته، وعن رسول صاحب الثغر فإن إبطاء ساعةٍ يُفْسِدُ تدبير سنة، وعن هذا الطباخ إذا فَرَغ من طعامه.

قال: وحدثنى مسعود قال: قال زياد: يُعْجُبنى من الرجل إذا سيمَ خُطةَ الضّيْمِ أن يقول: «لا» بِملْء فيهِ، وإذا أتى نادىَ قومٍ علم أيْنَ ينبغى لِمثله أن يَجْلِس فَجلسَ، وإذا ركب دابة حملها على ماتحِب ولم يَبْعثْها إلى مَاتكره.

[بلاغة جعفر بن يحيى]

وكَتب إلى جعفر بن يحيى: إن صاحب الطريق قد اشتط فيما يطلب من الأموال، فَوَقَّعَ جعفر: هذا رجل منقطع عن السلطان، وبين ذؤْبانِ الَعَربِ بحيثُ العَدد والعدَّة، والقلُوبُ القاسية، والأنوف الحَميَّة، فليمدد من المال بما يستصلح به من معه ليدفع به عدوه، فإن نفقات الحروب يستظهر لها، ولا يستظهر عليها.

ورفع قوم إليه(١) شكية عاملهم. فوقَّع فى قصتهم(٢) : ياهذا، قد كثر شاكوك، [وقَلَّ حامدوك] (٣)، فإمَّا عَدَلتَ، وإما اعتزَلت.

وزعم الجاحظ قال: قال ثُمامة(٤) بن أشْرَسَ النُّمَيْرى: ما رأيتُ رجلا أبلغَ من جعفر بن يحيى والمأمون.

وقال موَيْسُ بن عِمران: ما رأيتُ رجلا أبْلَغَ من يَحْيى بن خالد، وأيوب بن جعفر.

وقال جعفرُ بن يحيى لكُتَّابهِ: إن قدَرْتُمْ أن تكون كُتُبُكُمْ كلها تَوْقيعاتِ فافعلوا.

---

(١) ر، س: «وأكثر الناس شكية عامل».

(٢) كلمة «قصتهم» لم ترد فى س.

(٣) تكملة من ر.

(٤) س : «ثمامة الأشرس».

[نبذ من الأقوال الحكيمة]

وقال رسول الله ﷺ : «لو تكاشفتم ماتدافنتم».

يقول: لو علم بعضكم سريرة بعض لاستثقل تشييعه ودفنه.

وقال عليه السلام: «اجتنبوا القعود على الطرقات، إلا أن تضمنوا أربعا: ردّ السلام، وغضّ الأبصار، وإرشاد الضال، وعون الضعيف».

وقالت هند بنت عتبة: إنما النساء أغلال، فليختر الرجل غلا ليده.

وذكرت هند بنت المهلب بن أبى صفرة النساء فقالت: مازيّنّ بشىء كأدب بارع، تحته لبّ ظاهر.

وقالت هند بنت المهلب بن أبى صفرة [أيضا][1]: إذا رأيتم النّعم مستدرّة فبادروا بالشكر قبل حلول الزّوال.

وقال رسول الله ﷺ: «افصلوا بين حديثكم بالاستغفار».

وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: قيدوا النعم بالشكر، وقيّدوا العلم بالكتاب.

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه[2]: العجب لمن يهلك والنجاة معه. فقيل: ما هى يا أمير المؤمنين؟ قال: الاستغفار.

وقال الخليل بن أحمد: كن على مدارسة ما فى قلبك أحرص منك على حفظ ما فى كتبك.

وقال ابن أحمد - يعنى الخليل: اجعل ما فى كتبك رأس مال، وما فى صدرك للنفقة.

وقيل لنصر بن سيار: إن فلانا لا يكتب، فقال: تلك الزمانة الخفيّة.

وقال نصر بن سيار: لولا أن عمر بن هبيرة كان بدويًّا ما ضبط عمال العراق وهو لا يكتب.

---

(١) تكملة من ر.

(٢) ر: «رضوان الله عليه».

وفادى رسول الله ﷺ من رأى فِدَاءهُ من أَسْرَى بَدْر، فمَنْ لم يكن له فداءٌ أَمَرَه أن يُعَلِّمَ عشرة من المسلمين الكتابةَ، فَفَشَت الكتابة بالمدينة.

ومن أمثال العرب: خير العلم ما حوضر به، يعنى[١]: ما حفِظ وكان[٢] للمذاكرة.

وقال رسول الله ﷺ: «لا تزالُ أمَّتى صالحًا أَمْرُها ما لم تَعُدَّ الْفَىْءَ مَغْنَمًا، والصدقةَ مغْرَما».

وقال علىٌّ بن أبى طالب عليه السلام: يأتى على الناس زمان لا يُقَرَّبُ فيه إلا الماحلُ[٣]، ولا يُظرَفُ فيه إلا الفاجرُ، ولا يُضَعَّفُ فيه إلا الْمُنْصفُ، يتخذون الْفَىْءَ مَغْنَمًا، والصدقة مَغرَمًا، وصلة الرحم منًّا، والعبادة استطالَةً على الناس، فعند ذلك يكون سلطانُ النساء، ومُشَاوَرَةُ الإماء، وإمارةُ الصبيان».

[نبذ من أخبار الحجاج]

ويروى عن محمد بن الْمُنْتَشِرِ بن الأجْدَعِ الهَمدانِي، قال دَفَعَ إلى الحجّاج أزاد مَرْد بن الهِربذْ، وأمرنى أن أستخرج منه وأُغلّظَ عليه، فلما انطلقتُ به قال لى: يا محمد، إن لك شرَفًا ودينًا، وإنى لا أُعْطى على الْقَسرِ شيئًا، فاستأْدنى[٤] وارفُقْ بى، قال: ففعلتُ، تأدّى إلىَّ فى أسبوع خمسمائة ألف، قال: فبلغ ذلك الحجاج فأغضبه، وانتزعه من يَدَىَّ، ودفعهُ إلى رجل كان يتولى له العذابَ، فَدَقَّ يديه ورجليه، ولم يُعْطِهِمْ شيئا.

قال محمد بن المنتشر: فإنى لأمُرُّ يوما فى السوق إذا صائحٌ: يا محمد، فالتفَت فإذا به مُعَرّضًا على حمَار، مَدْقوقَ اليدين والرجلين، فَخفتُ الحجاج إن أتيته، وتذَمّمْتُ منه، فَمِلتُ إليه، فقال لى: إنك وَليتَ منى ما وَلِىَ هؤلاء فأحسنْتَ، وإنهم صنعوا بى ما ترى ولم أُعطهم شيئًا، وهاهنا خمسمائة ألف عند فلان، فخذها فهى لك، قال: فقلت: ما كنت لآخذ منك على معروفى أجرًا، ولالأرْزَأكَ على هذه الحال شيئا، قال فأما إذ أبَيْتَ فاسمع أُحَدِّثك: حدثنى بعضُ

---

(١) ر: «يمنى». (٢) ر: «مكان».

(٣) زيادات ر: «الماحل: الواشى، يقال: محل فلان بفلان إذا وشى به ومكر».

(٤) استأذنى: أى طلب منى الأداء.

أهل دينك عن نبيك - ﷺ - كثيـرًا. قال: إذا رضى الله عن قوم أمطرهم المطر فى وقته، وجَعَلَ المالَ فى سُـمَحائهم. واستَعْمل عليهم خِيارهم، وإذا سَخط عليهم استـعمل علـيهم شرارهـم، وجعل المال عند بُخـلائهم، وأمطرهم المطر فى غـير حينه. قـال: فانصـرفت فما وضـعت ثوبى حتى أتانى رسـولُ الحجاج، فـأمرنى بالمسير إليه، فـألفيته جالسًا على فرشه والسـيف منتضى فى يده، فقال لى: ادْنُ، فدَنوْتُ شيئًا، ثم قال: ادْنُ، فدنوت شيئا، ثم صاح الثالثة: ادْن لا أبالك! فقلت: مَا بى إلى الدُّنُوِّ من حـاجة، وفى يد الأميـر ما أرى. فأضْحكَ الله سنَّه، وأغـمَدَ سيفهُ عنى، فقال لى: اجْلسْ، ما كان من حـديث الخبيث؟ فقلتُ له: أيها الأمير، والله مَاغَشَـشْتُكَ مُنْذُ استنصحـتنى، ولا كَذَبْتُكَ منذ استَخْـبرْتَنى، ولا خُنْتُكَ منذ ائتمنتنى. ثم حدثتهُ الحديث، فـلما صرْت إلى ذكر الرجل الذى المالُ عنده أَعْرَضَ عنى بوجهه، وأومأ إلىَّ بيـده، وقال: لا تُسَمِّه، ثم قال. إن للخبـيث نفسًا، وقد سمع الأحاديثَ.

ويقال: كان الحجاج إذا استْغرَبَ[1] ضحكا[2] وَالَى بين الاستغفار، وكان إذا صَعدَ الْمنبرَ تَلَفع بمطرَفه[3] ثم تكلم رُوَيْدًا فلا يكاد يُسْـمَعُ، ثم يَتزَيَّد فى الكلام، حتى يُخْرِجَ يده من مطرَفه ويَزْجُرُ الزَّجْرَةَ فَيُـفْزع بها أقْصَى مَنْ فى المسجد. وكان يُطْعمُ فى كل يـوم ألَف مَائـدة، على كل مـائدة ثَريدٌ وجَنْبٌ من شـواء وسـمكَة طَرِيَّة، ويُطافُ به فى محفَّة على تلك الموائد ليتـفقد أمور الناس، وعلى كل مائدة عشرة، ثم يقول: يا أهلَ الشأم، اكْسِروا الخبز لئلا يُعادَ عليكم. وكان له ساقيان، أحدهما يسقى الماء والعسلَ، والآخر يسقى اللبن.

ويروى أن لَيْلَى الأخْيَلية قدمت عليه فأنشدَته:

إذا وردَ الحَـجَّاج أرضًـا مَـريضـة ... تَتَـبعَ أقْـصَى دائهـا فـشَـفـاها
شَـفـاها من الدَّاء العُـقـامِ الذى بهـا ... غُـــلام إذا هـزَ الـقَنـاةَ ثـناهـا[4]

---

(١) استغرب ضحكا: بالغ فى الضحك.

(٢) ومن هنا وقع خرم فى نسخة الأصل، والنص، الذى أثبتناه هو نص «ر» إلى آخر الخرم.

(٣) المطرف: رداء من خز.

(٤) زيادات ر: «العقام، بالفتح والضم، والضم أفصح». وفى س: العضال.

فقال لها : لا تقولى : غلام، قـولى: هُمامٌ، ثم قال لها: أى نسائى أحَب إليك أن أنْزلَك عندها الليلة؟ قالت: ومَنْ نسَاؤُكَ أيها الأمير؟ قال أمُّ الجلاسِ بنت سعـيد بن العـاصى الأموِيَّةُ، وهنْدٌ بنـت أسماء بن خـارجة الفَـزارِيَّةُ، وهند بنت المُهلَّب بن أبى صُفْرَةَ العتَـكِيَّةُ،فقَالت: القَيْسِيَّةُ أحـبُّ إلى. فلما كان الغدُ دخلْت عليه فقـال: ياغلام أعطها خمسـمائة، فقالت: أيهـا الأمير، اجعلها أدمـا، فقال قائل: إنما أمرَ لك بشاء، قالت: الأمير أكرم من ذلك، فجعلها إبلا إناثا استحياء، وإنما كان أمرَ لها بشاء أولا. والأُدْمُ[1]: البيض من الإبل وهى أكرمها.

ويروى عن بعض الفقـهاء[2] قال: دعـانى الحجاج فـسألنى عن الفـريضة المخَمَّسة وهى أمٌّ وجَدٌّ وأخت، فقال لى : ما قال فيها الصِّدِّيق رحمه الله قلتُ؟ : أعطَى الأمَّ الثلث والجدَّ مابقى لأنه كان يراه أبا، قال :فمـا قال فيها أمير المؤمنين؟ ـ يعنى عثمان رحـمه الله ـ قلت:جعل المال بينهم أثلاثا، قال: فما قـال فيها ابن مسعـود؟ قال: قلتُ أعْطَى الأختَ النصف، والأم ثلث مابقى والجـد الثلثين لأنه كان لا يفضل أما على جد، قال: فما قال فيها زيد بن ثابت؟قال:قلت أعطى الأم الثلث، وجـعل ما بقى بين الأخت والجـد؛ للذكر مـثل حظ الأنثيـين، لأنه كان يجعل الجـد كأحد الإخوة إلى الثـلاثة، قال:فَزَمَّ بأنفه ثم قـال :فما قال فـيها أبو تُراب ؟قال :قلت أعْطَى الأم الثلث والأخت النصف والجد السدس، قال: فأطرق ساعةً ثم رفع رأسه فقال: فإنه المرء يُرغَبُ عن قوله[3].

وجلس[4] الحجـاج يوما يأكل ومعـه جماعـة على المائدة: منهم محـمد بن عُمَيْر بن عُطارِدِ بـن حاجبِ بن زُرارَةَ، وحَجارُ بن أبَجَرَ بن بُجَيْر الـعِجْلىٌّ، فأقبل فى وسَط من الطعام على مـحمد بن عُـمير بن عطارد فـقال: يامحمـد، أيدعوك قُتَيْـبَةُ بنُ مُسْلم إلى نُصرتى يوم رُسْتُـقْباذَ[5] فتـقول: هَذا أمر لا ناقة لى فـيه ولا جمل، لا جَـعَلَ الله لك فيه ناقـة ولا جملا! ياحرسى، خـذ بيده وجرد سـيفك

---

(١) س: «الأدم» بدون الواو.

(٢) زيادات ر: «هو الشعبى».

(٣) قال المرصفى: «إنما حمله على ذلك بغضه لأمير المؤمنين على كرم الله وجهه».

(٤) س: «وجعل».

(٥) ارستقباذ: موضع بفارس.

فاضرب عنقه، فنظر إلى حجار بن أبجر وهو يبتسم، فدخلته العصبية، وكان مكان حجار من ربيعة كمكان محمد بن عمير من مضر، وأتى الخَبَّازُ بفُرنية[1] فقال: اجْعَلْها مما يلى محمدا فإن اللبن يعجبه، ياحَرَسِىُّ، شم سيفك وَانْصَرِفْ.

وكان محمد شريفا، وله يقول الشاعر:

عِلمَ القبائلُ من مَعَدَّ وغَيْرِها أنَّ الجَوادَ محمدُ بن عُطارِدِ

وذُكِرتْ بنو دارِم يوما بحضرة عبدالملك، فقالوا: قوم لهم حظ، فقال عبدالملك: أتقولون ذلك وقد مضى منهم لقيط بن زرارة ولا عقب له، ومضى القعقاع بن معبد بن زرارة ولا عقب له، ومضى محمد بن عمير بن عطارد ولا عقب له، والله لا تنسى العرب هؤلاء الثلاثة أبدا.

قوله: «شم سيفك»، يقول: اغمدْهُ، ويقال: شمْتُ السيفَ: إذا سَلَلْتَهُ، وهو من الأضداد، ويقال: شِمْتُ البرقَ إذا نظرت من أى ناحية يأتى.

قال الأعشى:

فقلت للشرب فى دُرْنَى[2] وقد ثملوا شيمُوا، وكَيْفَ يَشيمُ الشاربُ الثَّمِلُ!

وقال الفرزدق:

بأيدى رجال لم يشيموا سيوفهم ولم تكثر القتلى بها حين سلت

وهذا البيت طريف عند أصحاب المعانى، وتأويل لم يشيموا: لم يغمدوا ولم تكثر القتلى، أى لم يغمدوا سيوفهم إلا وقد كثرت القتلى [بها][3] حين سلت.

[على بن جبلة والحسن بن سهل]

وحدثنى الحسن بن رجاء قال: قَدِمَ علينا علىٌّ بن جبلة إلى عسكَر الحسن ابن سَهْلٍ والمأمون هناك بانيا على خديجة بنت الحسن بن سهل المعروفة ببوران،

---

(١) الفرنية: الخبزة المستديرة، منسوبة إلى الفرن.

(٢) درنى: بلد باليمامة.

(٣) تكملة من س.

فقال الحسن: ونحن إذ ذاك نُجرى[1] على نيف وسبعين ألف ملاج، وكان الحسن ابن سهل يسهر مع المأمون، وكان المأمـون يتصبح فيجلس الحسن للناس إلى وقت انتبـاهه، فلما ورد على قلت: قد ترى شـغل الأمير، قال: إذن لا أضـيع معك. قلت: أجل. فـدخلت على الحسن بن سـهل فى وقت ظهوره فـأعلمتـه مكانه، فقـال: ألا ترى ما نحن فـيه؟ قلتُ: لست بمشغـول عن الأمر له، فـقال: يعطى عشرة آلاف درهم إلى أن نَتَفَرَّغَ له، فـأعلمت ذلك علىَّ بن جَبَلة، فقال فى كلمة له:

أعْطَيْـــتـنى ياولىِ الحـق مُــبْــتَــدئًا   عطيــة كـــافَــأَتْ مَـدْحى ولــم تَرَنى
مــاشِــمْتُ بَرقك حـــتى نلتُ رَيـقَـهُ   كـــأنَمــا كُنْتَ بــالجَــدْوَى تُبَــادِرُنى

(١) نجرى: نعطى.

باب

(للمفضل بن المهلب بن أبى صفرة فى الشجاعة والنجدة)

قال أبو العباس: قال المفضل بن المُهلَّبِ بن أبى صُفْرَةَ[1]:

هل الجـــودُ إلا أن تجـــودَ بأنـفُسٍ	على كلِّ مـاضى الشَّـفـرَتَين قـضـيب
ومـاخَـيـرُ عيْـش بعد قـتل مـحـمـدٍ	وبَعْــدِ يـزيد والحَـروُبِ حـبـيـب
ومَنْ هرَّ أطراف الـقَنَا خَشـيَـةَ الرَّدَىً	فلـيس لمجَــد صـالـحٍ بكســوبِ
ومـــاهىَ إلا رَقْـــدَةٌ تُورِثُ العـــلا	لِـرَهْطِـكَ مـــاحَـنَّتْ رَوَائـمُ نيـب

قوله:

ومن هر أطراف القنا خشية الردى

يقول: مَنْ كَرِهَ، قال عَنْتَرَة بن شدَّاد:

حَلَفَتُ لـهم والخـيلُ تَـرْدَى بنا مَـعــا	نفــارقـهم حــتى يهــروا العــواليـا
عَــوالىَ زُرْقًــا من رمــاحِ رُدَيْـنةٍ	هريرَ الـكلاب يَتَـقِينَ الأفــاعِـيـا

والردى: الهلاك، وأكثر ما يستعمل فى الموت. يقال: رَدِىَ يَرْدَى رَدًى، قال الله عز وجل: ﴿**وما يُغْنى عنه مالُه إذا تَرَدى**﴾[2]، وهو «تَفَعَّل» مِنَ الرَّدَى فى أحد التفسيرين، وقيل: إذا تردى فى النار، أى إذا سقط فيها.

وقوله: «الحُرون» فإن حَبيب بن المُهَلَّبِ كان ربما انهزم عنه أصحابه فلا يَريمُ مكانه، فكان يُلَقبُ الحَرونَ[3].

وقوله:

وما هى إلا رقدة تورث العلا

فهذا مـأخوذ من قول أخيه يزيد بن المهلب، وذلك أنه قـال فى يوم العقر ـ وهو اليوم الذى قـتل فيه: قَاتَلَ الله ابن الأ شعـث! ما كان عليه لو غَمَّـضَ عينيه ساعة للموت، ولم يكن قتل نفسه. وذلك أن ابن الأ شعت قام فى الليل وهو فى

(١) زيادات ر: « يصف الشجاعة والنجدة».

(٢) سورة الليل ١١.

(٣) س: «بالحرون».

سطح، للبول، فزعموا أنه ردى نفسه. وغير أهل هذا القول يقولون: بل سقط منه بسِنَةِ النوم.

وقوله: «تورث العلا لرهطك» فالمعنى تورث العلا رهطَكَ، وهذه اللام تزاد فى المفعول على معنى زيادتها فى الإضافة، تقول هذا ضارب زيدا، وهذا ضارب لزيد؛ لأنها لا تغير معنى الإضافة إذا قلت: هذا ضارب زيد وضارب له. وفى القرآن: ﴿وأُمِرْتُ لأنْ أكونَ أول المسلمينَ﴾[1]. وكذلك: ﴿إنْ كُنْتُمْ للرُّؤْيا تَعْبُرُونَ﴾.[2] ويقول النحويون فى قوله تعالى: ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾[3] إنما هو «رَدِفَكُمْ».

والنِّيبُ: جمع ناب، وهى المُسِنَّةُ من الإبل، وتقديرها «فُعْلٌ» ساكنَة، وَأَبْدَلَتْ من الضمة كسرة لِتَصِحَّ الياءُ، كما قلتَ فى أبْيَض: بِيضٌ، وإنما هو مثل أحمر وحُمرٍ، وكذلك أشْيَبُ وشِيبٌ، فتقدير ناب ونيب إذا جاء على «فَعَلٌ» و «فُعْلٍ» تقدير أَسَدٍ وأُسْدٍ، ووَثَن ووُثْن، ونابٌ تقديرها «فعلٌ» وإنما انقلبت الياء ألفًا فسكنت، وإنما تنقلب إذا كانت فى موضع حركة. والرَّوائم قد مضى تفسيرها.

[شيخ من الأعراب وامرأته]

وأنشدنى الزّيادى قال: أنشدنى أبو زيد، قال: نَظَرَ شَيخٌ من الأعْرَابِ إلى امرأته تَتَصَنَّعُ وهى عجوز فقال:

عَجوزٌ تُرَجّى أن تكون فَتِيّةً ... وقد لَحَبَ الجَنْبَانِ واحْدَوْدَبَ الظَّهْرُ
تدُسُّ إلى العَطار سلعة بيتِها ... وهلْ يُصْلِحُ العطارُ ما أفْسَدَ الدَّهْرُ

* * *

[قال أبو الحسن: وزادنى غير أبى العباس فى شعر هذا الأعرابى:

(١) سورة الزمر ١٢
(٣) سورة النحل ٧٣.
(٣) سورة يوسف ٤٣.

وماغَرنى إلا خِضابٌ بكفّها وكُحْلٌ بعينَيْها وأثْوَابُها الصفْرُ
وجاءوا بها قَبل المحاق بليلة فكان مُحَاقًا كله ذلك الشهْرُ]

* * *

قال: فقالت له امرأته[(١)]:

ألم تَر أنّ الناب تُحْلَبُ عُلْبَةً ويُتْرَكُ ثِلب، لاضِرابٌ ولاظَهْرُ!

قال: ثم استغاثت بالنساء. وطلب الرجال فإذا هم خلوفٌ[(٢)]، فاجتمع النساء عليه فَضَرَبْنَهُ.

قوله: «قد لِحِبُ الجنبان»، يقول: قَل لحمهما، يقال: بعير ملحوٌ، وقد لَحِبَ مثل عرِق.

وقوله:

* تَدُسُّ إلى العطار سلعة بيتها *

يريد السويق والدقيقَ وما أشبه ذلك، وكل عَرَضٍ فالعرب تقول له: سلْعة، أنشدنى عُمارةُ بن عَقيلٍ شعرًا يمدح به خالد بن يزيد بن مَزيدِ الشيبانيَّ ويَذُمُّ تميم ابن خزيمة بن حازم النهشلى:

أَأَتْرُكُ إنْ قَلَّت دَرَاهِمُ خالد زيارتهُ؟ إنى إذا للئيم!
وَقَدْ يُسْلِعُ المرءُ[(٣)] اللّئيمَ اصْطنَاعَهُ ويَعْتَلُّ نَقْدُ المَرْءِ وَهْوَ كَرِيمُ
فتى وَاسِطٌ فى ابْنَىْ نزَار، مُحَبَّبٌ إلىَ ابْنَىْ نزَار، فى الخُطُوب عَمِيمُ[(٤)]
فَلَيْت بِبُرْدَيْه لَنَا كَانَ خالدٌ وَكَان لبكْرٍ فى الثَّرَاء تَمِيمُ
فَيُصْبِحَ فِينَا سَابقٌ مُتَمهِّلٌ أغَرُّ، وَفى بَكْرٍ أَغَمُّ بَهِيمُ

قوله:

* وقد يُسْلِعُ المَرْءُ اللئيمَ اصطناعه *

(١) س: «فقالت المرأة». (٢) خلوف: غائبون.
(٣) زيادات ر: «من رفع «المرء» فصب اصطناعه» وأما على تفسير أبى العباس فبنصب «اصطناعه» لاغير».
(٤) فتى واسط فى قومه: شريف فيهم.

وقوله: «أغم بهيم» فالغَمَمُ كثرة شعر الوجه والقفا، قال هُدْبة بن خَشْرمٍ العُذرىُّ:

فَلاَ تَنْكِحِى إن فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا ... أَغَمَّ الْقَفَا وَالْوَجْهُ لَيْسَ بِأَنْزَعَا

والعرب تكْرَهُ الْغَمَمَ. والبهيمُ: الذى لا يَخْلِطُ لونَهُ غيرُهُ من أىِّ لون كاَن.

وقولها:

* ألم تر أن الناب تحلب علبة *

تقول فيها منفعة على حال، والعُلْبَة: إناء لهم من جلود يَحْلُبون فيه، من ذلك قوله:

لَمْ تَتَلفّعْ بِفَضْلِ مِئْزَرِهَا ... دَعْدٌ، وَلَمْ تُغْذَ دَعْدُ بالْعُلَبِ

ومن أمثال العرب: «قد تُحْلَبُ الضَّجُور الْعُلْبَةَ»، يضربون ذلك للرجل البخيل الذى لا يزال يُنال منه الشىء القليل، والضجور: الناقة السيئة الخُلق، إنما تُحْلَبُ حين تَطْلُع عليها الشمس فتطيب نفسها، والثَّلْبُ: الذى قد انتهى فى السنِّ من الإبل.

[من أقوالهم فى الفقر والغنى]

وقال آخر:

ولَمْ أَرَ مِثْلَ الْفَقْرِ أَوْضَعَ لِلْفَتَى ... وَلَمْ أَرَ مِثْلَ المَال أَرْفَعَ للرَّذْلَ
وَلَمْ أَرَ عِزًا لامْرِئ كَعَشِيرَةَ ... ولَمْ أَرَ ذلاَ مِثْلَ نَأَى عَنِ الأصْلِ
وَلَمْ أَرَ مِنْ عُدْمٍ أَضَرَّ عَلى امْرِئٍ ... إِذَا عَاشَ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ عَدَمِ الْعقلِ

وقال آخر:

لعَمْرِى، لَقَوْمُ المَرْءِ خَيْرُ بَقِيَّة ... عَلَيْه، وإنْ عَالَوْا بِه كلَّ مَرْكَب
منَ الجَانبِ الأقْصى، وإنْ كانَ ذَا غنًى ... جَزِيلٍ ولَمْ يُخْبِرْكَ مِثْلُ مُجَرِّب
[وإنْ خَبَّرَتْكَ النَّفْسُ أَنَّكَ قَادرٌ ... عَلَى مَاحَوتْ أيْدى الرِّجَال فَكَذِّب]
إذَا كنْتَ فى قومٍ عِدًا لَسْتَ مِنْهُمُ ... فَكلْ مَا عُلِفْتَ مِنْ خَبِيثٍ وطَيِّبِ

العـدا: الغـرباء فى هذا الموضع، ويقـال للأعـداء عـدا، والعداة الأعـداء لاغير.

وقال أعرابى من باهلة:

سَـأُعْـملُ نصَّ العـيس حَـتّـى يكُفَّنى ... غنَـى المَال يَوْمًـــا أوْ غنَى الحَــدثَان
فَلَلْمَـوْتُ خـيْـرٌ مَـنْ حَـيَـاة يُرَى لهَـا ... عَلَـى المَرْءِ ذى العـلْيَـــاء مَـس هوَان
مَـتَـى يَتَكلَّـم يُلْغَ حُكْـمُ مَـقَــاله ... وإنْ لَم يَـقُلْ قـالُـوا عَـديمُ بَيَـان
كـأَنَّ الـغنَـى فى أَهْلـه بُورِكَ الْغِـنَى ... بغَـيْـــرِ لسَـانٍ ناطـقٌ بِلسَـان

[من أخبار حارثة بن بدر الغداني]

ونظير هذا الشعر ما حدثنا به فى أمر حارثَةَ بن بَدْرٍ الغُدَانى، فإنا حُدِّثنا عن حارثة بن بدر، وكان رَجُـلَ بنى تَميمٍ فى وقته، وكان قـد غَلَبَ على زياد، وكان الشرابُ قـد غَلَبَ عليه، فـقيل لزياد: إن هذا قـد غَلَبَ عليك وهو مُسْتَهْتَرٌ[1] بالشراب، فقال زياد: كـيف لى باطراحِ رجلٍ هو يُسايرُنى مُنذُ دخلتُ العراق، لم يُصكك ركابَى ركابَاهُ، ولا تَقدمَنى فنظـرتُ إلى قفاه، ولا تأخرَ عنى فلوَيْتُ عُنُقى إليه، ولا أخَذَ علىَّ الـشمسَ فى شتاء قطٌّ، ولا الرَّوْحَ فى صيـفٍ قط، ولا سألته عن علم إلا ظننت أنه لم يحسن غـيرَه. فلما مات زياد جـفاه عبيـد الله، فقال له حارثة: أيها الأمير، ما هذا الجفـاء مع معرفتك بالحال عند أبى المغيرة[2]! فقال له عبيد الله: إن أبا المغيرة كان قد برع بروعـا لا يلحقه معه عيب، وأنا حَدَثٌ، وإنما أُنْسَبُ إلى مَنْ يَغْلبُ علىّ، وأنت رجل تديم الشراب، فمتى قَرَّبْتُكَ فظهرتْ رائحةُ الشراب منـك لم آمَنْ أن يُظَنَّ بى، فَدَعِ النَّبـيذَ وكُنْ أوَّلَ داخل علىَّ وآخـر خارج عنى، فقال له حارثة: أنا لا أَدَعُهُ لمن يملك ضَـرّى ونَفْعى، أفأَدعه للحال عندك؟ قال: فاخْـتَرْ من عملى ماشئتَ، قال: تُوَلّينى رامـهرمز[3]، فإنهـا أرض عَذَاةٌ[4]؛ وسُرَّقَ[5] فإن بها شرابًا وُصِـفَ لى. فوَلاّهُ إياهما، فلما خرج شَيَّـعَهُ الناس، فقال أَنَسُ بن أبى أُنَيْسٍ:

(١) مستهتر بالشراب. مولع به. (٢) كنية زياد.
(٣) رامهرمز: مدينة فى بلاد الفرس. (٤) أرض غذاة: طيبة.
(٥) سرق: إحدى كور الأهواز.

أَحَـارِ بْنَ بَدْرٍ قَـد وَلِيتَ إمـارَةً | فَكُنْ جُـرَذًا فـيـهـا تَخُـونُ وتَسْـرِقُ
ولا تَحْـقِـرَنْ يَاحَـار شَـيْـئًـا وجَـدْتَهُ | فَـحظُّـك من مُلْك العـرَاقَـيْن سُـرَّقُ
وبَاهِ تَميـمًـا بالـغِنَـى إنَّ للغـنَـى | لِسَـانًا به الْمَـرْءُ الْـهَـيُـوبَـةُ يَنْطِقُ[1]
فـإنَّ جَـمِيـعَ النَّاسِ، إمَّـا مُكَذِّبٌ | يَقُـولُ بمَا يَهـوَى وإمـا مُصَـدِّقُ
يَقـولـونَ أقْـوَالاً ولا يَعْلَمـونَهـا | ولوْ قِـيلَ: هَاتُوا حَقِّقُوا لَمْ يُحَـقِّقُـوا

ورثى حارثةُ بن بدرٍ زيادا ـ وكان زياد مات بالكوفة، ودفن بالثَّوِيَّة ـ فقال:

صَلَّـى الإلهُ عَلَى قَـبْـرٍ وَطَهَّـرَهُ | عنْد الثَّـوِيَّة يَسْـفِـى فَـوْقَـهُ الْمُورُ
زَفَّتْ إلَيْـه قُـرَيْشٌ نَعْشَ سَـيِّـدِها | فَـثَمَّ كُلُّ التُّـقَى وَالبِـرِّ مَـقْبُـورُ
أبَا المُغِـيـرَةِ وَالدُّنْيـا مُـفَـجِّـعَـةٌ | وإنَّ مَنْ غَـرَّت الـدُّنْيـا لَمَغْـرُورُ
قَـدْ كَـانَ عِنْدَكَ بِـالمَعْرُوف مَـعْـرِفَـةٌ | وكَـانَ عِنْـدَكَ للنَّكْرَاءِ تَنْكِيـرُ
وَكُنْت تُغْشَى وَتُـعْطِي المالَ مِنْ سَعَـةٍ | إنْ كـانَ بَيْتُكَ أضحى وَهْوَ مَهْجُورُ
النَّاسُ بَعْـدَكَ قَـدْ خَـفَّتْ حُلُومُـهُمْ | كَـأَنَّما نَفَـخَتْ فِـيهَـا الأعَـاصِيرُ

ونظير هذا قول مهلهل يرثى أخاه كليبا، وكان كليب إذا جلس لم يرفع بحضرته صوت، ولم يستب بفنائه اثنان:

ذَهَبَ الخِـيَـارُ من المَعَـاشِرِ كُلِّهِمْ | واسْـتَبَّ بَعْـدَكَ يَاكُلَيْبُ المَجْلِسُ
وَتَقَـاوَلُوا فـى أمْرِ كُـلِّ عَظِيـمَـةٍ | لَوْ كُنْتَ حَـاضِرَ أمْرِهِـمْ لَمْ يَنْبِسُوا

قول حارثة: «الثَوِيَّة» فهى بناحيـة الكوفة، ومن قال الثُّوَيَّة: فهو تصغير الثَّوِيَّة، وكل ياء اتصَلَتْ بها ياء أخرى فوقعت مُعْتَلةً طرفًا فى التصغير فوليَتْها ياء التصغير فهى محذوفةٌ، وذلك قولك فى عطاء: عُطَيٌّ، وكان الأصل عُطَيِّيٌّ، كما تقول فى سحاب: سُحَيب، ولكنها تحذف لاعتلالها، واجتماع ياءين معها، وتقول فى تصغير أحْـوَى: أحيٌّ، فى قول من قال فى أسْوَدَ: أُسَيد، وهو الوجه الجيد، لأن الياء الساكنة إذا كانت بعدها واو متحركة قلَبَتْها ياء، كقولك: أيام، والأصل «أيوامٌ»، وكذلك سيد، والأصل سيود، ومن قال فى تصغير أسود: أسيود، فهو جائز، وليس كالأول، قال فى تصغير أُحْوَى أُحَيْوِ يافتى، فتثبت الياء، لأنه ليس فيها ما يمنعها من اجتماع الياءات، ومن قال أسود، فإنما أظهر الواو؛ لأنها كانت

---

(١) الهيوبة: الجبان.

فى التكير متحركة، ولا تقول فى عجوز إلا عجيزة لأنها ساكنة، وإنما يجوز هذا على بعد إذا كانت الواو فى موضع العين من الفعل، أو ملحقة بالعين، نحو واو جدول، وإنما استجازوا إظهارها فى التصغير للتشبيه بالجمع، لأن ما جاوز الثلاثة فتصغيره على مثال جمعه، ألا تراهم يقولون فى الجمع: أساود وجداول. فهذا على التشبيه بهذا. فإن كانت الواو فى موضع اللام كانت منقلبة على كل حال، تَقُولُ فى غَزْوةٍ: غُزَيّةٌ، وفى عُرْوةٍ: عُرَيَّةٌ، فهذا شرح صالح فى هذا الموضوع، وهو مستقصى فى الكتاب المقتضب.

وقوله: «يسفى فوقه المور»، فمعناه أن الريح تَسْفيه، وجعل الفعل للمور وهو التراب، وتقول: سَقاكَ اللهُ الغَيْثَ، ثم يجوز أن تجعل الفعل للغيث، فتقول: سقاك الغيث يافتى، وقال علقمة بن عبدة:

سَقَاكَ يَمَانٍ ذُو حَبِيٍّ وَعَارِضٌ   تَرُوحُ بِهِ جُنْحَ الْعَشِيِّ جَنُوبُ

وقوله:

* زفّت إليه قريش نعش سيدها *

يقال: زفَفت السرير، وزَفَفتُ العروسَ. وحدثنى أبو عثمان المازنىُّ قال: حدثنى الزيّادى قال: سمعت قوما من العرب يقولون: أزفَفْتُ العروس، وهى لغة.

وقوله: «نَعْشَ سيدها» يريد موضعه من النَّسَبِ، لأنه نسَبه إلى أبى سُفْيَان. وكان رئيس قريش قبل مَبْعَث النبى ﷺ، وله يقول رسول الله ﷺ: «كل الصيد فى بطن الفرا». وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يفرش فراشا فى بيته فى وقت خلافته فلا يجلس عليه إلا العباس بن عبدالمطلب وأبو سفيان بن حرب، ويقول: هذا عم رسول الله ﷺ، وهذا شيخ قريش. وكان حرب بن أمية رئيس: قريش يوم الفجار، فكان آل حرب إذا ركبوا فى قومهم من بنى أُمَيَّةَ قُدِّمُوا فى المَواكِبِ، وأُخْلِيَتْ لهم صُدُورُ المجالس، إلاَّ رَهْط عثمان رضى الله عنه، فإن التقديم لهم فى الإسلام بعثمان. وكان أبو سفيان صاحبَ العير يوم بَدْرٍ، وصاحبَ الجيش يوم

أُحُد وفى يوم الخَنْدَقِ، وإليه كانت تَنْظُرُ قريش فى يوم فتح مكة، وجَعَلَ له رسول الله ﷺ أنه من دخل فى داره فهو آمن فى حديث مشهور.

وقوله:

كأنما نَفَخَتْ فيها الأعاصير

هذا مَثَلٌ، وإنما يراد خفّة الحُلوم. والإعْصارُ - فيما ذكر أبو عبيدة: ريح تَهُبُّ بشدّة فيما بين السماء والأرض. ومن أمثال العرب: «إن كنت ريحا فقد لاقيتَ إعصارًا»، يُضْرَبُ للرجل يكون جَلْدًا فيُصادفُ مَنْ هو أجْلَدُ منه، قال الله عزّوجل: ﴿فأَصابَهَا إعْصَارٌ فيه نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ: «كلُّ الصَّيْد فى بطْنِ الفَرا»، يعنى الحمارَ الوحشىَّ. وذلك أن أجلَّ شىء يصيده الصائدُ الحمارُ الوحشىُّ، فإذا ظفرَ به، فكأنه قد ظفر بجملة الصيد، والعرب تختلف فيه، فبعضهم يَهْمِزُهُ فيقول: هذا فرأٌ، كما ترى، وهو الأكثر، وبعضهم لا يهمزه، ومن أمثالهم، «أنْكحْنا الفَرَا، فَسَنَرى»، أى زَوَّجْنا من لا خير فيه فسنعلم كيف العاقبة، وجَمْعُهُ فى القولين جميعا «فِراءٌ» كما ترى، ونظيره: جَمَلٌ وجِمَالٌ، وجَبَلٌ وجِبَالٌ، قال الشاعر[2].

بضرب كآذان الفراء فضوله ... وطعن كإيزاغ المخاض تبورها

الإيزاغُ: دَفْع الناقة ببولها، يقال: أوْزَغَتْ به إيزاغا، وأَزْغَلَتْ به إزغالا، وذلك حين تَلقح، فعند ذلك يقال لها: خلفة، وللجميع المخاضُ، وقد مرّ هذا. والبَوْرُ: أن تُعْرَضَ على الفحل لِيُعْلَمَ: أهى حامل أم حائل؟

[الضابئ البرجمى وهو فى السجن]

وقال ضابىء بن الحارث البُرْجُمِىُّ[3]:

ومَنْ يَكُ أَمْسَى بالمدينَة رَحْلُهُ ... فإنِّى وقَيَّارًا بها لَغَريبُ
ومَا عَاجِلاَتُ الطَّيرِ تُدْنِى منَ الْفَتَى ... نَجاحًا ولا عَنْ رَيْثِهِنَّ يَخِيبُ
ورُبَّ أُمُورٍ لاتَضِيرُكَ ضَيْرَةً ... ولِلْقَلْبِ من مَخْشَاتِهِنَّ وجِيبُ
ولا خَيْرَ فِيمنْ لا يُوطِّنُ نَفْسَهُ ... عَلَى نائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ

(١) سورة البقرة ٢٦٦.
(٢) هو مالك بن زغبه الباهلى.
(٣) زيادات ر: «من السجن».

قوله:

* فإني وقيارا بها لغريب *

أراد: فإني لغريبٌ بها وقياراً، ولو رفع لكان جيداً، تقول: إن زيداً منطلقٌ وعَمْراً وعَمْرٌو، فمن قال: «عمراً» فإنما رَدَّه على زيد، ومن قال: عمرو فله وجهان من الإعراب: أحدهما جيد، والآخر جائز، فأما الجيد فأن تَحْمِلَ عمرا على الموضع، لأنك إذا قلت: إن زيدا منطلق فمعناه زيد منطلق فرددته على الموضع، ومثل هذا لست بقائم ولا قاعدا، والباء زائدة، لأن المعنى لست قائما ولا قاعدا، ويقرأ على وجهين: ﴿إنَ اللهَ بريءٌ منَ المُشْرِكينَ ورَسُولُهُ﴾[1]، ﴿ورَسُولَهُ﴾، والوجه الآخر أن يكون معطوفاً على المضمر في الخبر، فإن قلت إن زيداً منطلق هو وعمرو حسن العطف لأن المضمر المرفوع إنما يحسن العطف عليه إذا أكدته، كما قال الله تعالى: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ ورَبُّكَ فَقَاتلا﴾[2] و﴿اسْكُنْ أَنْتَ وزَوْجُكَ الجَنَّةَ﴾[3] وإنما قَبُحَ العطف عليه بغير تأكيد لأنه لا يخلو من أن يكون مُسْتَكِنًّا في الفعل بغير علامة، أو في الاسم الذي يَجْرى مَجْرَى الفعل، نحو إن زيدا ذَهَبَ وإن زَيدا ذاهبٌ فلا علامة له، أو تكونَ له علامةٌ يتغير لها الفعل عما كان عليه نحو ضَرَبْتُ، سكّنْتَ الباء التي هي لام الفعل من أجل الضمير لأن الفعل والفاعل لا يَنْفَكّ أحدُهما عن صاحبه فهما كالشيء الواحد، ولكنَّ المنصوبَ يَجوزُ العطفُ عليه، ويَحْسُن بلا تأكيد، لأنه لا يُغَيِّرُ الفعل إذْ كان الفعل قد يقع ولا مفعول فيه، نحو ضَرَبْتُك وزيداً، فأما قول الله عز وجل: ﴿لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا ولَا آباؤُنا﴾[4]، فإنما يحسن بغير توكيد لأن «لا» صارت عوضا، والشاعر إذا احتاج أجراه بلا توكيد لاحتمال الشعر ما لا يحسن في الكلام. قال عمر بن أبي رَبيعة:

قُلْتُ إذ أَقْبَلَتْ وزُهْرٌ تَهَادَى ... كَنِعَاجِ المَلاَ تَعَسَّفْنَ رَمْلاَ

وقال جرير:

وَرَجَا الأُخَيْطِلُ مِنْ سَفَاهة رأيِهِ ... مَا لَمْ يَكُنْ وأَبٌ لَهُ لِيَنَالاَ

فهذا كثير. فأما النعت إذا قلت إن زيداً يقومُ العاقلُ فأنت مخير إن شئت

---

(1) سورة التوبة ٣.
(2) سورة المائدة ٢٤.
(3) سورة البقرة ٣٥.
(4) سورة الأنعام ١٤٨.

قلتَ العاقلَ فجعلته نعتا لزيد، أو نصبته على المَدْحِ وهو بإضمار أعنى، وإن شئت رفعت على أن تبدله من المضمر فى الفعل، وإن شئت كان على قطع وابتداء، كأنك قلت إن زيدا قام، فقيل من هو؟ فقلت: العاقلُ، كما قال الله عز وجل: ﴿قُلْ أفأُنَبِّئُكُمْ بشرٍّ مِنْ ذلكُمُ النَّارُ﴾(١)، أي هو النار. والآية تقرأ على وجهين على ما فسرنا: ﴿قلْ إِنَّ ربِّى يقذفُ بالحَقِّ علاَّمُ الْغُيُوبِ﴾(٢) وعَلاَّمَ ﴿الغيوبِ﴾.

وقوله:

وماعَاجِلاتُ الطَّيْرِ تُدْنِى مِنْ الْفَتَى نَجَاحًا

يقول: إذا لم تَعْجَل له طَيْرٌ سانحَةٌ فليس ذلك بمُبْعد خيرا عنه، ولا إذا أبْطَأَتْ خابَ، فعاجلُها لا يأتيه بخير، وآجلُها لايَدْفَعُهُ عنه، إنما له ما قُدِّرَ له، والعرب تَزْجُرُ على السَّانِحِ وتَتَبَرَّكُ به، وتكْرَهُ البارحَ وتَتَشَاءم به، والسانحُ: ما أراك مَيَاسرَةُ فَأَمْكَنَ الصائدَ، والبارحُ: ما أراكَ ميَامنَهُ فلم يمكن الصائدَ، إلا أن يَنْحَرِفَ له، وقد قال الشاعر:

لاَ يَعْلَمُ المَرْءُ لَيْلاً مَا يُصَبِّحُهُ إلاّ كَوَاذبَ مما يُخْبرُ الْفَالُ
والفَالُ والزَّجْرُ والْكُهَّانُ كّلهُمُ مُضَلَّلُونَ، ودُونَ الْغَيْبِ أَقْفَالُ

وقوله:

ورُبَّ أُمُورٍ لاَتَضِيرُكَ ضَيْرَةً وللِقلْبِ مِنْ مَخْشَاتِهنَّ وَجِيبُ(٣)

فإن العرب تقول: ضارَهُ يَضِيرُهُ ضيرةً. ولا ضَيْر عليه، وضرهُ يَضُرُّهُ، ولا ضَرَرَ عليه [ولا ضُرّ عليه](٤)، ويقال: أصابه ضُرٌّ، وأصابه ضَرٌّ بمعنى، والضُّرُّ مصدر، والضَّرُّ اسم. وقد يكون الضُّرُّ من المرض، والضَّرُّ عامًّا، وهذا معنى حَسن، وقد قال أحد المحدثين، وهو إسماعيل بن القاسم أبو العَتاهِيَة:

وَقَدْ يَهلكُ الإنْسَانُ مِنْ بَابِ أَمْنِه ويَنجو بِإذنِ اللهِ مِنْ حَيْثُ يَحْذَرُ

---

(١) سورة الحج ٧٢.
(٢) سورة سبأ ٤٨.
(٣) المخشاة: الخشية: والوجيب: خفقاق القلب واضطرابه.
(٤) الزيادة من س.
(٥) سورة النساء: ١٩.

وقال الله عز وجل: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1].

وقال رجل لمعاوية: واللهِ لقد بايَعْتُكَ وأنا كاره، فقال معاوية: قد جَعَلَ اللهُ في الْكُرْهِ خيرًا كثيرًا.

وقوله:

وَلاَخَيْرَ فِيمنْ لاَ يُوَطِّنُ نَفْسَهُ عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حينَ تَنُوبُ

نظيره قول كثير:

أَقُولُ لَهَا، يَاعَزَّ كُلُّ مُصِيبَةٍ إذَا وُطِّنَتْ يَوْمًا لها النَّفْسُ ذَلَّتِ

وكان عبدالملك بن مَرْوانَ يقول: لو كان قال هذا البَيْتَ في صِفَةِ الحَرْبِ لكان أشْعَرَ الناس.

وحكى عن بعض الصالحين أن ابنًا له مات فلم يُرَ به جَزَعٌ، فقيل له في ذلك، فقال: هذا أمر كنا نَتَوَقَّعُهُ، فلما وَقَعَ لم نُنْكِرْهُ.

باب

[جرير بن عبد الله البجلي عند معاوية]

قال أبو العباس: وجه علي بن أبي طالب رضى الله عنه جَرِيرَ بن عبد الله البجليَّ إلى معاوية رحمه الله يأخُذُهُ بالبيعة له، فقال له: إنَّ حَوْلي مَنْ تَرَى من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، ولكنّي اخْتَرْتُكَ لقول رسول الله ﷺ فيك: «خَيْرُ ذي يَمَنٍ»، إيت مُعاوية فَخُذْهُ بالبَيْعَة، فقال جَرِيرٌ: والله يا أمير المؤمنين ما أدَّخِرُكَ من نُصْرَتي شيئًا، وما أَطْمَعُ لك في مُعاويةَ، فقال عليٌّ رضى الله عنه: إنما قَصْدي حُجةٌ أُقِيمُها عليه، فلما أتاه جَرِيرٌ دافَعَهُ معاوية، فقال له جَرِيرٌ: إنَّ المُنافقَ لا يُصَلِّي حتى لا يَجِدَ من الصلاة بُدأ، ولا أحْسبُكَ تُبايعُ حتى لا تَجِدَ من البَيعة بُدا! فقال له معاوية: إنها ليست بَخدْعة الصَّبيّ عن اللَّبَنِ إنه أمر له ما بعده، فأبْلعْني ريقي. فناظَرَ عمراً، فطالت المناظرة بينهما، وألَحَّ عليه جرير، فقا له معاوية: ألقاك بالفَصْل في أوّل مَجْلسٍ إن شاء الله تعالى.

ثم كتب لعمرو بمصر طُعمةً، وكَتَبَ عليه «ولا يَنْقضُ شرْطٌ طاعةً»، فقال عمرو: يا غلامُ اكتبْ: ولا تَنْقُضُ طاعةٌ شَرْطًا، فلما اجتمع له أمْرُهُ رَفَعَ عقيرته[1] يُنْشدُ ليُسْمِعَ جَريراً:

تطَاوَلَ لَيْلى وَاعْتَرَتْنى وسَاوسى	لآت أتى بالتُّرهَات البَسَابس[2]
أتَانِى جَرِيرٌ وَالحَوَادثُ جَمَّةٌ	بتلْكَ الّتى فيهَا اجْتداعُ المَعَاطسِ
أُكَايدُهُ وَالسَّيْفُ بَيْنى وبَيْنَهُ	ولَسْتُ لأثْواب الدَّنىِّ بلابسِ
إن الشَّأْمُ أعطَتْ طاعَةً يَمنيَّةً	تَواصَفَها أشيَاخُهَا فى المجَالسِ
فَإنْ يَفْعلُوا أصْدمْ عَلَيًّا بجبهَة[3]	تَفُتُّ عَلَيْه كلَّ رَطْب ويَابسِ
وإنّى لأرْجُو خَيْرَ مَا نَالَ نَائلٌ	ومَا أنَا منْ مُلْكَ العرَاقِ بيَائسِ

[كتاب معاوية إلى علي]

وكتب إلى علي رضى الله عنه:

---

(١) العقيرة: الصوت.

(٢) البسابس فى الأصل: القفر الواسع، يريد الأباطيل.

(٣) زيادات ر: «الجبهة: جماعة الخيل».

بسم الله الرحمن الرحيم، من مُعاوية بن صَخْر إلى علىّ بن أبى طالب: أما بعد: فلَعَمْـرِى لَوْ بايَعَكَ القومُ الذين بايعوك وأنت برىء من دم عثـمان كنت كأبى بكر وعمر وعثـمان رضى الله عنهم أجمعين، ولكنك أغريت بعثـمان المهاجرين، وخذَّلْتَ عنه الأنصارَ، فأطاعك الجاهلُ، وقَوِىَ بك الضعيف. وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حـتى تدفع إليهم قَتَلَةَ عثـمان، فإن فعلتَ كانت شُـورَى بين المسلمين. ولَعَمْرِى ما حجتك على كحجتك على طَلْحَة والزُّبَيْر؛ لأنهما بايَعاكَ ولم أبَايعْكَ. وما حجتك على أهل الشام كحـجتك على أهل البصرة؛ لأن أهل ابصرة أطاعوك ولم يُطعْكَ أهلُ الشـام. وأما شَـرَفُكَ فى الإسلام، وقَرابَتُـكَ من رسول الله ﷺ وموضعَك من قريش فـلَسْتُ أدْفَعُهُ. ثم كتب إليه فى آخر الكتـاب بشِعر كعب بن جعيل، وهو:

أرَى الشَّـــأمَ تكْرَهُ مُـلْك الـعـــرَاق ... وَأَهْـــلَ العـــرَاق لَـهُمْ كَـــارهِينَـا

وَكُـــلاًّ لصَـــاحِـبِــه مُبْـغِـضًـا ... يَرَى كُـلَّ مَـــا كـــانَ منْ ذَاكَ دِيـنَا

إذَا مَـــا رَمَـــوْنَا رَمَـــيْنَـاهُمُ ... وَدنَّاهُـمُ مـثْـلَ مـــايُقْـرِضُـــونَا

فَـــقَــالُوا: عَلـىٌّ إمَـــامُ لَـنَا ... فَـقُـلْنَا رَضِـــينَا ابْنَ هِـنْد رَضِـــينَا

وقَـــالُـوا: نَـرَى أَنْ تَـدينُـوا لَـهُ ... فَـــقُـلْنَا: أَلاَ لاَ نَـرَى أَنْ نَـدينَـا

وَمِنْ دُونِ ذلِـكَ خَـــرْطُ الْقَـتَـــادِ ... وَضَـــرْبٌ وَطَـعْنٌ يُقِـــرُ العُـــيُـــونَا

وأحسن الروايتـين: «يفض الشئونا»، وفى آخر هذا الشـعر ذم لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه أمسكنا عن ذكره.

قوله: «ولكنَّكَ أغْرَيْت بعـثمان المهاجرين» فهو من الإغْـرَاء وهو التحضيض عليه، يقال أغْـرَيْتُهُ به، وآسَدْتُهُ عليه، وآسَدْتُ الكلب على الصـيد أُوسدهُ إيسادًا، ومن قال: أشْليتُ الكلـب فى معنى أغْرَيْتُ فـقد أخطأ، إنما أشْلَيْتُـهُ دعوتُهُ إلىَّ، وآسَدْتُه أغْريْتُه.

وقول ابن جُعَيْل:

* وأهلَ العراق لهم كارهينا *

محمول على «أرى»، ومن قال:

* أهلُ العراق لهم كارهونا *

فالرفع من وجهين: أحدهما قطعٌ وابتداءٌ، ثم عَطَفَ جملة عَلَى جملة بالواو، ولم يحمله على أرى، ولكن كقولك كان زيدٌ منطلقًا، وعمروٌ منطلقٌ الساعةَ، خَبَّرْتَ بخبر بعد خبر، والوجه الآخر أن تكون الواو وما بعدها حالا، فيكون معناها «إذْ» كما تقول رأيت زيدًا قائمًا وعمرو منطلق، تريد إذ: عَمْرو منطلق. وهذه الآية تُحْمَلُ على هذا المعنى، وهو قول الله عز وجل: ﴿يَغْشَى طَائفةً منْكم وطائفةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهمْ﴾[1]، والمعنى - والله أعلم: إذ طائفةٌ في هذه الحَال - وكذلك قراءة من قرأ: ﴿ولو أن مَا فى الأرضِ منْ شَجرَة أَقْلامٌ وَالْبحرُ يَمدهُ منْ بَعْده سَبْعَةُ أَبْحرٍ﴾[2]، أى والبَحْرُ هذه حاله، ومَن قرأ ﴿وَالْبَحْرَ﴾ فعلى «أنَّ».

وقوله:

* ودِنَّاهُمُ مثل ما يقرضونا *

يقول جزيناهم. وقال المفسرون فى قوله عز وجل: ﴿مَالك يَوْم الدِّين﴾[3]. قالُوا: يومَ الجزاء والحساب، ومن أمثلة العرب: «كما تَدين تُدَانُ»، وأنشد أبوعبيدة[4].

واعْلَمْ وأَيْقِنْ أَنَّ مُلْكَكَ زائِلٌ   واعْلَمْ بأنَّ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ

وللدّين مواضع: منها ما ذكرنا، ومنها الطاعة ودينُ الإسلام من ذلك يقال: فلان فى دين فلان، أى فى طاعته، ويقال: كانت مكة بلدا لقاحًا، أى لم يكونوا فى دين مَلك، وقال زُهَيْرٌ:

لَئِنْ حَلَلْتَ بِجَوٍّ فى بَنى أسدٍ   فى دِين عَمْرٍو وحالَت بَيْنَنَا فَدَكُ

فهذا يريد: فى طاعة عمرو بن هند، والدِّينُ: العادةُ، يقال: ما زال هذا دِينى ودأْبى وعادتى ودَيْدَنى وإِجْرِيَّاى، قال المُثقِّب العَبْدِى:

(١) سورة آل عمران ١٥٤.
(٢) سورة لقمان ٢٧.
(٣) سورة الفاتحة ٤.
(٤) زيادات: «الشعر ليزيد بن الصعق الكلابى وله خبر». وقد أورد هذا الخبر المرصفى فى رغبة الآمل: ٣: ٢١٤، ٢١٥.

تَقُــولُ إذَا دَرَأْتُ لَـهـا وَضِــينِى   أهــذا دِيــنُــهُ أَبَــدًا وَدِيــنِــى!
أَكُـلَّ الـدَّهْرِ حَـلٌ وَارْتِـحَــالٌ   أَمَــا تُـبْـقِى عَلَـىَّ وَمَــا تَقِــينِى!

وقال الكُمَيْتُ بن زَيْد:

عَلَى ذَاكَ إجْــريَّاىَ وَهْىَ ضَــريبَــتِى   وَإن أَجْلبُــوا طرأ عَلَى وأَحْـلَبُــوا[1]

وقوله:

* فقلنا رضينا ابَن هند رضينا *

يعنى معاوية بن أبِـى سُفيانَ، وأمُهَ هِنْد بنت عُـتْبَةَ بن رَبيعة بن عـبْدِ شمْسِ ابن عبد مَناف.

وقوله: «أن تَدينوا له» أى أن تطيعوه وتَدخلوا فى دينه: أى فى طاعته:

وقوله:

* ومن دون ذلك خرط القتاد *

فهذا مثل من أمـثال العرب، والقَتادُ: شُجَيْرَةٌ شـاكة غليظة أصول الشَّوْك، فلذلك يضْرَبُ خَرْطهُ مَـثَلاً فى الأمر الشديد، لأنه غاية الجَـهد. ومن قال: «يَفُضَّ الشئونا»، فَـيَفُضُّ يُفَرّقَ، تقول: فَـضضْت عليه المال. والشئـون، واحدها شَأْنٌ، وهى مَوَاصِلُ قبائل الرأس، وذلك أن للرأس أربع قَبَائل، أى قِطَعٌ مَشْعوبٌ بعضُها إلى بعض، فموضع شُعَبِها يقال له: الشئون، واحدها شَأْنٌ، وزعم الأصمعى قال: يقال إن مجارى الدموع منها، فلذلك يقال: استهَلَتْ شئونه، وأنشد قول أوْس بن حَجَر:

لاتَحْــزُنِينى بِـالفِــرَاقِ فَــإنَّـنِى   لاتَسْـتَـهِلُّ مِنَ الفِــرَاقِ شُـئُـونِى

وَمَنْ قال «يقرُّ العيـونا»، ففيه قولان: أحدهما للأصـمعىّ، وكان يقول: لا يجوز غـيره، يقال: قَـرَّتْ عينُه وأقَرَّها اللهُ، وقـال: إنما هو بَرَدَتْ منَ القُرِّ، وهو خلاف قولهم: سَخنَتْ عينه وأسخنها الله، وغيره يقول: قَرَّتْ هَدَأَتْ، وأقَرَّها الله أهْدَاها اللهُ، وهذا قول حسن جميل، والأول أغرب وأطْرَفُ.

---

(١) اجرياى: عادتى. وأجلبوا : صاحوا. وأحلبوا : تألبوا.

[لمعاوية جواب على بن أبى طالب]

فكتب إليه أمير المؤمنين عليٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه جواب هذه الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم: من على بن أبى طالب إلى مُعاوية بن صَخْر، أما بعد: فإنه أتانى منك كتابُ امرئٍ ليس له بَصَرٌ يَهْديه، ولا قائدٌ يُرْشِدُهُ، دعا الهوى فأجابه، وقادَهُ فاتَّبعه، زَعَمْتَ أنك إنما أفْسَدَ عليك بَيْعتى خطيئتى فى عثمان. ولَعَمْرى ما كنتُ إلا رجلا من المهاجرين أوْرَدْتُ كما أوردوا، وأصْدرْتُ كما أصْدروا، وما كَانَ الله لِيجْمَعَهُمْ على ضلال، ولا لِيَضْرِبَهُمْ بالعَمى!.

وبعد، فما أنت وعثمانُ! إنما أنتَ رجل من بنى أُمَيَّة، وبنو عثمان أوْلَى بمطالبة دمه، فإن زعمتَ أنك أقوى على ذلك، فادْخُلْ فيما دَخَلَ فيه المسلمون، ثم حاكِمِ القومَ إلىّ. وأما تمييزك بينك وبين طلْحَة والزُّبَيْر وأهل الشام وأهل البَصْرة. فلعمرى ما الأمْرُ فيما هنَاكَ إلا سَواءٌ، لأنها بَيْعَةٌ شاملة، لا يُستَثْنى فيها الخيارُ، ولا يُسْتَأنَفُ فيها النَّظَرُ. وأما شرفى فى الإسلام، وقرابتى من رسول الله ﷺ، وموضعى من قُرَيْشٍ، فلعمرى لو اسْتَطَعْتَ دَفْعهُ لدفعته».

ثم دعا النَّجاشِيَّ أحد بنى الحارث بن كعب فقال له: إن ابن جُعَيْلٍ شاعر أهل الشأم، وأنت شاعرُ أهل العراق، فأجِب الرجلَ، فقال: يا أمير المؤمنين، أسْمِعْنِى قوله، قال: إذًا أُسمعك شعرَ شاعرٍ، فقال النجاشى يجيبه:

دَعًا يَامُعَاوِىَ مَا لَنْ يَكُونا فَقَدْ حَقَّقَ اللهُ مَا تَحْذَرُونا
أتَاكُمْ علىٌّ بأهْلِ الْعِرَاقِ وأهْلِ الحِجَازِ فَمَا تَصْنَعُونَا!

وبعد هذا ما نُمْسك عنه.

قوله: «ليس له بصَر يهديه»، فمعناه يقوده، والهادى: هو الذى يتقدم فيَدُلُّ، والحادى: الذى يتأخر فيسوق، والعنق يسمى الهادى لتقدمه، قال الأعشى:

إذَا كَانَ هَادِى الفَتَى فى البلا دِ صَدْرَ القَنَاة أطَاع الأمِيرَا

يصف أنه قد عمى فإنما تهديه عَصًا، ألا تراه يقول:

وهَابَ الْعِثَارَ إذَا مَا مَشَى وخَالَ السُّهُولَةَ وعْثًا وعُورا

وقال القُطامى:

إنِّى وإنْ كـــانَ قَـــومِى لـيّس بَيْنَـهُمُ   وبُيْنَ قَـــومِك إلا ضـــربْةُ الـهَـــادِى

وقال أيضًا:

قَــرَّبْنَ يَقْـصُـرْنَ مِــنْ بُزْلٍ مُـخَـيَّسَــةٍ   ومِنْ عِــرَابٍ بَعَــيـداتٍ مِنَ الحَـــادِى

وقوله: «ولا قائدٌ يُرْشِدُهُ» قد أبانَ به الأوّلَ.

وقـوله: «دعاه الهَـوى» فالهـوى من «هويتُ» مـقصـور، وتقديره «فَـعَلٌ»، فانقلبت الـياء ألفًا، فلذلك كـان مقصـورًا، وإنما كان كـذلك لأنك تقول: هَوِىَ يَهْوَى، كما تقول: فَرِقَ يَفْرَقُ وهُو هَوٍ، كما تقول: هُوَ فَرِقٌ، كما ترى، وكان المصدر على «فَعَلٍ» بمنزلة الفَرَقِ والحَذرِ والبَطَرِ؛ لأن الوزن واحد فى الفعل واسم الفاعل، فأمـا الهواءُ، من الجَـو فممـدود، يَدُلك على ذلك جمعـه إذا قلت: أَهْوِيةٌ، لأن أفْعِلة إنما تكون جمع فَعــالٍ وفِعالٍ وفَعولٍ وفَعيلٍ، كما تقــول قَذَال وأَقْذِلَةٌ وحمار وأَحمرةٌ، فَـهواَءٌ كذلك، والمقصـور جمعُه أهواء فاعلم، لأنه عـلى فَعَلَ، وجمع فعل أفعالٌ، كما تقول: جَمل وأجْمَال وقَتَب وأقتاب، قال الله عز وجل: «**وَاتَّبَعُوا أهواءَهُمْ**﴾[1]. وقوله هذا هواء يافتى فى صفة الرجل إنما هو ذَمٌّ، يقول: لا قَلْبَ له، قال الله عز وجل: ﴿**وأفْئدتُهُم هَوَاءٌ**﴾[2] أى خالية، وقال زُهَيْرٌ:

كـــأَنَّ الرَّحْلَ مِـنْهَـــا فَــوْقَ صَــعْلٍ   مِنَ الـظِّلْمَـــانِ جُـــؤجُـــؤُهُ هَوَاهُ

وهذا من هَواءِ الجوّ، قال الهُذلى[3]:

هَوَاءٌ مِـــثْلُ بَـعْلك مُـــسْـتَـــمِـيتٌ   عَلَى مَـــافِـى وِعَـــائِكَ كـــالخَـيَـــالِ

وكل واو مكسورة وقـعت أولا فهمـزها جائز يُنْشدُ: «على مـا فى إعانِكَ»، ويقال: وسادَةٌ وإسادَةٌ ووِشاحٌ وإشاحٌ.

وأما قوله: «فما أنتَ وعثمانُ» فالرفع فيه الوجه لأنه عطف اسما ظاهرا على اسم مضمر منفصلٌ وأجراه مجـراه، ولس ههنا فعْلٌ، فَيُحْمَلَ على المفعول، فكأنه قال: فما أنت وما عثمان، هذا تقديره فى العربيةَ، ومعناه لَسْتَ منه فى شىء، قد

(١) سورة محمد ١٤.   (٢) سورة إبراهيم ٤٣.

(٣) هو حبيب الأعلم، وانظر ديوان الهذليين ٢: ٨٣.

ذكر سيبويه رحمه الله النصب وجوزه جوازًا حسنًا وجَعَلَهُ مفعولا معه، وأضمر كان من أجل الاستفهام، فتقديره عنده: ما كنت وفلانًا. وهذا الشعر كما أصف لك ينشد:

وأنت امرُؤ من أهل نجْدٍ وأهلُنا تَهامٍ وما النَّجْدىُّ والمُتَغَوِّرُ!

وكذلك قوله[1]:

تُكَلِّفُنى سَوِيقَ الكَرْمِ جَرْمٌ وَمَا جَرْمٌ وما ذاكَ السَّوِيقُ!

فإن كان الأول مضمرًا متصلا كان النصبُ، لِئَلا يُحْمَلَ ظاهر على مضمر، تقول: مالَكَ وزيدًا، وذلك أنه أَضْمَرَ الفِعْلَ، فكأنه قال فى التقدير: ومُلاَبَسَتَكَ زيدًا، وفى النحو تقديره: مع زيد. وإنما صَلَحَ الإضمار لأن المعنى عليه إذا قلت: مالَكَ وزيدًا! فإنما تنهاه عن ملابسته، إذا لم يجز «وزيد» وأَضْمَرْتَ لأن حروف الاستفهام للأفعال، فلو كان الفعل ظاهرًا لكان على غير إضمار، نحو قولك: مازلت وعبد الله حتى فعل، لأنه ليس يريد: ما زِلْتُ وما زال عبدُالله، ولكنه أراد: وما زلتُ بعبدالله. فكان المفعول مخفوضا بالياء، فلما زال ما تخفضه وصل الفعل إليه فنصبه، كما قال تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلا﴾[2]، فالواو فى معنى مع، وليست بخافضة، فكان ما بعدها على الموضع، فعلى هذا ينشد هذا الشعر[3]:

فَمَالَكَ والتَلَدُّدُ حوْلَ نَجْدٍ وقد غَصت تِهامة بالرجال[4]

ولو قلت: ما شأنُك وزيدا! لاختير النصب، لأن زيدًا لا يلتبس بالشأن، لأن المعطوف على الشىء أبدًا فى مثلِ حاله، ولو قلت: ما شأنُكَ وشأنُ زيد لرفعتَ، لأن الشأن يعطف على الشأن، وهذه الآية تفسرُ على وجهين من الإعراب: أحدهما هذا، وهو الأجود فيها، وهو قوله عز وجل: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾[5] فالمعنى والله أعلم: معَ شركائكم، لأنك تقول: جمعت

---

(١) زيادات ر: «هو الأعجم».

(٢) سورة الأعراف ١٥٥.

(٣) زيادات ر: «هو مسكين الدارمى».

(٤) التلدد: التلفت يمينا وشمالا.

(٥) سورة يونس: ١٧.

قومى، وأَجْمعتُ أمرى. ويجوز أن يكون لَمّا أَدْخَلَ الشركاء مع الأمر حمله على مثل لفظه؛ لأن المعنى يرجع إلى شىء واحد. فيكون كقوله[1].

يَا لَيْتَ زَوْجَكِ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا

وقال آخر:

* شرَّابُ ألبَانٍ وتَمرٍ وأَقِطْ *

وهذا بَيِّنٌ.

[خالد بن يزيد بن معاوية عند عبد الملك بن مروان]

ويروى أن عبدالله بن يَزيدَ بن مُعاوية أتى أخاه خالدًا، فقال: يا أخى، لقد هَمَمْتُ اليومَ أن أَفْتُكَ بالوليد بن عبدالملك فقال له خالد: بئس والله ما هَمَمْتَ به فى ابن أمير المؤمنين، ووَلِىّ عَهْدِ المسلمين! فقال: إن خيلى مَرَّت به فَعَبَثَ بها وأَصْغَرَنى، فقال له خالد: أنا أكفيك. فدخل خالد على عبدالملك والوليد عنده؟ فقال: يا أمير المؤمنين، الوَليدُ ابن أمير المؤمنين، ووَلِىُّ عَهْدِ المسلمين، مَرَّتْ به خيل ابن عمه عبدالله بن يزيد فَعَبث بها، وأصغره. وعبدُالملك مُطرِقٌ، فرفع رأسه، فقال: ﴿**إن الملُوكَ إذَا دَخلُوا قَرْيَةً أَفسَدُوهَا وَجَعلُوا أَعزَّةَ أَهْلهَا أذلّةً وَكَذَلكَ يَفْعَلُونَ**﴾[2]، فقال خالد: ﴿**وإذَا أرَدْنَا أَنْ نُهْلكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفيهَا فَفَسَقُوا فيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا القَوْلُ فَدَمَّرْنَاها تَدْميرا**﴾[3]، فقال عبدالملك: أفى عبدالله تُكَلِّمنى؟ والله لقد دَخَلَ علىّ فما أقام لسَانه لحنًا! فقال له خالد: أَفَعَلَى الوليد تُعَوِّلُ؟ فقال عبدالملك: إن كان الوَليدُ يَلْحَنُ فإن أخاه سُلَيمانُ، فقال له خالد: وإن كان عبدالله يلحن فإن أخاه خالد، فقال له الوليد: اسكت يا خالد، فوالله ما تعد فى العير ولا فى النفير، فقال خالد: اسْمَع يا أمير المؤمنين، ثم أَقْبَلَ عليه وقال: وَيْحَكَ فمن العير والنفير غيرى؟ جدى أبو سفيان صاحبُ العير، وجَدّى عُتْبَةُ بن رَبيعة صاحب النَّفير، ولكن لو قلتَ: غنَيْماتٌ، وحُبَيّلاتٌ، والطائفُ، ورَحِمَ اللهُ عثمان لقلنا: صدقتَ!

---

(١) زيادات ر: «هو عبدالله بن الزبعرى».

(٢) سورة النمل: ٣٤.

(٣) سورة الإسراء: ١٦.

أما قوله: «فى العير» فهى عير قُرَيْشٍ التى أَقبَلَ بها أبو سفيان من الشأم فَنَهدَ إلَيْها رسولُ الله ﷺ ونَدَبَ إليهـا المسلمين، وقال: « لعَل الله يُنفِّلكُموها»، فكانت وَقْعـة بَدْر وساحَلَ أبُو سُفيانَ بالعـير، فكانت الغنيـمة ببـدر، كما قـال الله عز وجل: ﴿**وإِذْ يَعـدُكُمُ الله إحْدَى الطائفَـتَيْن أنَهـا لكُمْ وتودُّون أَنَّ غَيْـرَ ذَات الشَّـوْكَة تَكُونُ لَكُمْ**﴾[1]. أى غَـيْر الحـرْب، فلمـا ظفرَ رسَـولُ الله ﷺ بأهل بدْر، قـالَ المسلمون: انهَدْ بنا[2] يا رسول الله إلى العير، فقال العباس رحمه الله: إنمَا وعَدَكُم الله إحْدَى الطائفتين.

وأما النفير فَمَنْ نَفَرَ من قريشٍ ليَـدْفَعَ عن العير. فجاءوا فكانت وقعةُ بَدْر، وكان شيخُ القوم عُتْبَة بن رَبيعة بن عبد شَمْس، وهو جَدُّ خالد من قِبَلٌ جَدَّته هِنَد أُمّ معاوية بنت عتْبَةَ، ومن أمثال العرب:

لَسْتَ فى العِيـر يَوْمَ يَحْـدُونَ بِالعِـيـر ولا فى الـنَفــيــر يَـوْمَ النَفــيــر

ثم اتَسعَ هذا المثل حتى صـار يقال لَمنْ لاَ يَصلْحُ لخير ولا لشـرٍ ولا يُحفَلُ به: «لا فى العير، ولا فى النفير».

وقوله: «غنيمات، وحبيلات، يعنى أن رسول الله ﷺ لما أطرد الحكم بن أبى العاصـى بن أُميةَ. وهو جَـدُّ عبـدالمَلك بن مروان لجـأ إلى الطائف، فكان يرعى غُنَيْماتٍ، ويأوى إلى حُبَيْلَةٍ - وهى الكَرْمَة.

وقوله: «رحم الله عثمان»: أى لِردّه إيَّاهُ.

وقولنا «أطرده»: أى جـعله طريدًا، وطَرَدَهُ: نَحّاهُ، كما تقـول حَمدْته، أى شكرته، وأَحْمَدْته، أى صادفته محمودًا. وكان عثمان رحمه الله استأذن رسول الله ﷺ فى رده متى أفْضَى الأمرُ إليه، رَوى ذلك الفقهاء.

---

(١) سورة الأنفال: ٧.

(٢) نهد ونهض كلاهما بمعنى واحد.

باب

[الرجل من بني أسد يمدح يحيى بن حيان]

قال أبو العباس: قال رجلٌ من بنى أسَدِ بن خزيمة يمدح يحيى بن حيان أخا النَّخَعِ بن عمرو بن عُلَةَ بن جلْد بنَ مَذْحِجٍ، وهو مالك.

ألاَ جَعَلَ اللهُ اليَمَانينَ كُلَّهُمْ ... فِدًى لِفَتى الفتْيَان يَحيَى بن حَيَّان
ولَوْلاَ عُرَيْقٌ فِيَّ مِنْ عَصَبِيَّةٍ ... لَقُلْتُ وَألفًا من مَعَدِّ بن عَدْنان
ولكنَّ نَفْسِي لَم تَطِبْ بعشيرتي ... وطابَتْ له نَفْسِى بأبناءِ قَحْطان

وهذا من التَّعَصُّبِ المُفْرطِ.

وحدثنى شيخ من الأزدِ ثقةٌ عن رجل منهم أنه كان يطوف بالبيت، وهو يدعو لأبيه، فقيل له: ألا تدعو لأمك! فقال: إنها تَميميَّةٌ.

وسُمِعَ رجلٌ يطوف البيت، وهو يدعو لأُمِّه ولا يذكر أباه، فعوتِبَ، فقال: هذه ضَعيفةٌ، وأبى رجل يحتال لنفسه.

وحدثنى المازنى عمن حدثه قال: رأيت رجلا يطوف بالبيت، وأُمُّهُ على عنقه، وهو يقول:

أحْمِلُ أُمّى وهِيَ الحَمَّالَهْ ... تُرْضِعُنى الدُرَّةَ والعُلالَهْ

* ولا يجازى والد فعاله *

قوله: «الدرة»، فهو اسم مَا يَدُرُّ من ثَدْيَيْها، ابتداءً كان ذلك أو غير ذلك. والعُلالَةُ لا تكون إلا بَعْدُ، يقال: عَلَّهُ يَعُلُّهُ وَيَعِلُّه عَلاًّ، والاسم العُلالَةُ، وكلُّ شيء كان على «فعّلت» من المدغم، فمضارعه إذا كان متعديًّا إلى مفعول يكون على يَفْعُلُ، نَحْوَ رَدَّهُ يَرُدُّه، وشَجَّه يَشُجُّهُ، وفَرَّهُ يَفُرُّهُ. فإذا قلت: فَرَّ يَفِرُّ، فإنما ذلك لأنه غير مُتَعَدّ إلى مفعول. ولكن تقول: فَرَرْتُ الدابةَ أفُرُّه. وجاء «فَعَلَ يَفْعِلُ» من المتعدى فى ثلاثة أحرف يقال: عَلَّهُ يَعُلُّه ويَعِلُّهُ، وهَرَّهُ يَهُرُّهُ ويَهِرُّهُ: إذا كرهه، ويقال: أَحَبَّهُ يُحِبُّهُ، وجاء حَبَّهُ يَحِبُّهُ، ولا يكون فيه يَفْعُلُ»، قال الشاعر:

لَعَمْرُكَ إنَّنى وطِلابَ مِصْرٍ ... لَكَالْمُزْدادِ مما حبَّ بُعْدًا

وقال آخر:

وأُقْسِمُ لولا تَمْرُهُ ماحَبَبْتُهُ   وكَانَ عياض منه أَدْنَى ومُشْرِقُ

وقرأ أبو رجاء العُطارِدِي: ﴿فاتَّبعُونى يُحِبُّكُمُ اللهُ﴾[1]، فَفَعَل في هذا شيئين أحدهما أنه جاء به من «حببت»، والآخر أنه أَدْغَمَ في موضع الجزم، وهو مذهب تميمٍ وقَيْس وأَسَد. وَجماعَة من الغرب يقولون: رُدُّ يا فتى، يُدْغِمون، ويُحركون الدال الثانية لالتقاء الساكنين فيُتْبِعُون الضَّمَّة الضمةَ. ومنهم من يفتح لالتقاء الساكنين فيقول: رُدَّ يا فتى، لأن الفتح أخف الحركَات، ومنهم من يقول: رُدِّ يافتى فَيكْسِرُ: لأن حق التقاء الساكنين الكسر، فإذا كاَن الفعل مكسوراً ففيه وجهان: تقول: فرِّ يا فتى للإتباع وللأصل في التقاء الساكنين، وتَفْتَحُ؛ لأن الفتح أخف الحركات، وإذا كان مفتوحا فالفتح للإتباع، ولأنه أَخَفُّ الحركات، والكسر على أصل التقاء الساكنين،نحو. عضِّ، يا فتى، وعضَّ يافتى، فإذا لقيتْه ألف ولام فالأجود الكسر، من أجل ما بعده، وهي لام المعرفة، نحو:

فَغُضِّ الطَرْفَ إنَكِ من نميْرِ   [فلا كَعّبًا بَلَغْتَ ولا كِلابا]

ومنهم مَنْ يُجْريه مُجْرى الأوَّل، فتقع لام المعرفة بعد انقضاء الحركة في الأوّل فيقول[2]:

ذُمَّ المَنازِلَ بعد مَنْزلة اللوَى   وَالْعَيْشَ بعْدَ أولئك الأيام

ومن كان من شأنه أن يُتْبِعَ أو يَكْسَرَ فعلى ذلك، ومما جاء في القرآن على لغة من يكسر قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُشَاقِّ الله فإنّ الله شديدُ العقاب﴾[3].

وأما أهل الحجاز فيجرونه على القياس الأصلي، فيقولون: ارْدُدْ واغْضُضْ، ويقولون: افرر من زيد واعْضَضْ. لما سكن الثاني ظهر التضعيف لأنه لا يلتقي ساكنان، وكل ذلك من قولهم، وقول التميميين قياس مُطّردٌ بَيِّنٌ، وقد شرحناه في الكتاب المقتضب على حقيقة الشرح.

---

(١) سورة آل عمران ٣١.

(٢) زيادات ر: «هو جرير».

(٣) سورة الحشر ٥.

[الرجل في الصبر]

وقال الآخر:

إذَا ضَيَّقْتَ أَمْرًا ضاقَ جدًّا ... وَإنْ هَوَّنْتَ ما قَدْ عَزَّ هانا
فَلاَ تَهْلِكْ لشَيْءٍ فاتَ يَأْسًا ... فكَمْ أمرٍ تَصَعَّبَ ثم لانا
سأصْبرُ عن رَفيقى إنْ جَفانى ... على كُلِّ الأذَى إلا الهَوانا
فإنَّ المرْءَ يَجْزَعُ فى خَلاَءٍ ... وَإنّ حَضَرَ الجماعة أنْ يُهانا

[العبيد بن أيوب العنبرى]

وقال آخر أحسبه من لصوص بنى سعد:

[قال أبو الحسن: هو عبَيْدُ بنُ أَيُّوب العَنْبَرى، وأنشد هذا الشعر ثعلب]:

فإنِّى وتَرْكى الإنْسَ من بعد حُبِّهِمْ ... وصَبْرِىَ عَمَّنْ كنْتُ ما إنْ أُزَايلُه
لكالصَّقْر جَلَّى بعد ما صادَ قُنْيَةً ... قديرًا ومَشْويًّا عَبيطًا خَرَادلُه
أهابوا به فازدادَ بُعْدا وصَدَّهُ ... عن القُرْب منهم ضَوْءُ بَرْقٍ ووابله
ألَمْ تَرَنى صاحَبتُ صَفراءَ نبعةً ... لها رَبَذِىٌّ لَمْ تُفَلَّلْ معابِلُه
وطال احْتضانى السيفَ حتى كأنما ... يُلاَطُ بكَشْحِى جَفْنُهُ وحَمَائله
أخو فَلَوات صاحَبَ الجنَّ وانتَحى ... عن الإنْسِ حتى قد تَقَضَّتْ وسائله
له نَسَبُ الإنْسِىِّ يُعْرَفُ نَجْرُهُ ... وللجِنِّ منه شكْلُهُ وشمائِلُه

قوله:

* وصَبْرِىَ عَمَّنْ كنْتُ مَا إن أزايله *

إن: زائدة، وهى تُزَاد مُغَيِّرةً للإعراب، وتزاد توكيدًا، وهذا موضع ذلك، فالموضع الذى تُغيِّرُ فيه الإعراب هو وقوعها بعد «ما» الحجازية، تقول: ما زيدٌ أخاك، وما هذا بَشَرًا، فإذا أَدْخَلْتَ إن هذه بطل النصب بدخولها، فقلت: ما إن زيدٌ منطلق، قال الشاعر(١):

ومَا إنْ طِبُّنَا جُبْنٌ ولكن ... منايانا ودَوْلةُ آخرينا

(١) زيادات ر: «هو فروة بن مسيك».

فزعم سيبويه أنها مَنَعَتْ «ما» العَـمَلَ كما منعت «ما» إنَّ الثقيلة أن تنصب، تقول: إن زيدًا منطلق، فإذا أدخلتَ «ما» صارت من حروف الابتداء، ووقع بعدها المبـتدأ وخبـره والأفعـال، نحو: إنما زيـد أخوك، و﴿**وإنما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ**﴾[1] ولولا «ما» لم يقـع الفعل بعد «إنَّ» لأن «إن» بمنزلة الـفعل، ولَا يلى فعلٌ فعْـلاً لأنه لا يَعْمَلُ فيه، فـأما كان يقوم زيدٌ، وكـادَ تَزيغُ قُلوبُ فَرِيقٍ منهم، ففى كان وكاد فاعلان مكْنيَّان.

و«ما» تُزاد على ضربين: فـأحدهما أن يكون دخولها فى الكلام كـإلغائها، نحو ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ**﴾[2] أى فبرحـمة، وكذلك: ﴿**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا**﴾[3] وكذلكَ: ﴿**مَثَلاً مَا بَعُوضَةً**﴾[4] وتَدْخُلُ لتغـيير اللفظ، فَـتُوجِبُ فى الشىء ما لولا هى لم يقع، نحـو رُبَمَا يَنْطَلقُ زيد، و﴿**رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾[5] ولولا «ما» لم تَقَعْ رُبَّ على الأفـعال، لأنها من عوامل الأسمـاء، وكذلك جِئْتُ بعد ما قام زيد، كما قال المَرَّارُ[6]:

أَعَـلاقَـةً أمَّ الْوُلَيِّـدِ بَعْـدَ مَـا أَفْنَانُ رَأْسِـكَ كـالنعَـام المُخْلِسِ[7]

فلولا «ما» لم يقع بعدها إلا اسم واحد، وكان مخفوضا بإضافة «بعد» إليه، تقول: جئتك بَعْدَ زيد.

وقوله: «كالصَّقْـرِ جلَّى»، تأويل التَّجَلِّى أن يكون يُحِسُّ شَيْئًا فَيـتَشَوَّقُ إليه، فهذا معنى «جلَّى»، قال العجاج:

تَجَلِّى البازِى إذا البازى كَسَرْ

أى نَظَرَ. ويقال: تَجَلّى فلانٌ فلانةً تَجَلِّيًا، واجـتلاها اجتلاءً، أى نَظَرَ إليها وتأملها، والأصل واحد.

وقوله: «قَـدِيرًا»، هو ما يُطْبَخ فى القِدْرِ، يقـال: قَدِير ومَقْدور، كـقولك: قَتيلٌ ومَقْتولٌ.

---

(1) سورة فاطر ٢٨.
(2) سورة آل عمران ١٥٩.
(3) سورة نوح ٢٥.
(4) سورة البقرة ٢٦.
(5) سورة الحجر ٢.
(6) زيادات ر: «هو المراد الفقعسى».
(7) العلاقة : الحب. والوليد: تصغير الوليد، والأفـتان فى الأصل: الغصون، وأراد بها هاهنا خصل الشعر.

وقوله: «عبيطًا خَرَادلهُ»، فالعَبيط الطَّرِىءُ، يقال: لحم عَبيط إذا كان طَرِيًّا، وكذلك دَم عبيطٌ، ويقال اعْتَبَطَ فلانٌ بكْرَتَهُ إذا نَحرَها شابةً من غير عِلَّةٍ، وكذلك اعْتُبِطَ فلان إذا مات شابا، قال أُمَيَّةُ[1]:

مَنْ لـم يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هرَمًا ... لِلْمَوْتِ كَأْسٌ فالمَرْءُ ذَائقهَا

وحدثنى الزيادى إبراهيم بن سُفيان بن أبى بكر بن عبدالرحمن بن زياد، قال: تَحَدَّثَ رجل من الأعْرَابِ، قال نزلتُ برجل من طَيِّئٍ، فَنَحَرَ لى ناقةً فأكلتُ منها، فلما كان الغد نحر أخرى، فقلتُ: إنَّ عندك من اللحم ما يُغْنِى ويكْفِى، فقال: إنى والله لا أُطْعِمُ ضيفى إلا لحما عَبيطًا، قال: وفَعلَ ذلك فى اليوم الثالث - وفى كل ذلك آكل شيئًا، ويأكل الطائى أَكْلَ جماعة - ثم نُؤْتَى باللبن فَأشْرَبُ شيئًا، ويْشربُ عامةَ الوَطب[2]، فلما كان فى اليوم الثالث ارْتَقَبْتُ غَفْلَتَهُ فاضْطَجَعَ، فلما امتلأ نومًا استَقْتُ قطيعًا من إبله فأقبلْتُهُ الفَجَّ[3]، فانتبه واخْتَصَرَ عَلَىَّ الطريقَ حتى وقف لى فى مَضِيقٍ منه، فَألْقَمَ وتَرَهُ فُوقَ[4] سَهْمِه، ثم نادى بى: لِتَطبْ نَفْسُكَ عنها! قلت: أرنى آيةً، فقال: انظر إلى ذلك الضَّبِّ، فإنى واضِعٌ سَهْمِى فى مَغْرِز ذَنَبِه، فرماه فَأَنْدَرَ ذَنَبه[5] فقلتُ: زدْنى، فقال: انظر إلى أعلى فَقَاره، فرماه فأَثبتَ سهمه فى الموضع، ثم قال لى: الثالثةُ والله فى كَبِدكَ! فقلت: شَأْنَكَ بإبلكَ! فقال: كلا حتى تسوقَها إلى حَيْثُ كانَتْ. قال: فلما انتهيت بها قال: فكَّرْتُ فيكَ فلم أجد لى عندك تِرَةً تُطالبنى بها. وما أَحْسبُ الذى حملك على أخذ إبلى إلا الحاجةَ. قال: قلتُ هو والله ذاك. قال: فاعمد إلى عشرين من خيارها فخذها، فقلت: إذًا والله لا أفعل حتى تَسْمَعَ مَدْحَكَ: والله ما رأيتُ رجلا أكْرَمَ ضيافةً، ولا أهْدَى لسبيلٍ، ولا أَرْمَى كَفًّا، ولا أَوْسَعَ صَدْرًا، ولا أَرغَبَ[6] جوفًا، ولا أَكْرَمَ عَفْوًا منك قال: فاستحيا فصَرَفَ وجهه عنى، ثم قال: انصرِف بالقَطيع مُبارَكًا لك فيه.

وقوله: «خرادله» يعنى قِطَعُه، يقال: ضَربه ضربا خَرْدَلَهُ، وتأويله قطَّعَهُ، كما قال:

---

(١) زيادات ر: «ابن أبى الصلت، والصحيح أنه لرجل من الخوارج، عن الأصمعى».

(٢) الوطب: سقاء اللبن.

(٣) الفج: الطريق الواضح.

(٤) الفوق: مشق رأس السهم حيث يقع الوتر.

(٥) أندرذنبه: قطعها.

(٦) من الرغب، وهو سعة البطن وكثرة الأكل.

* والْضرَّبُ يَمْضى بيننا خرَادلاً *

وقولـه: «أهابوا به» يقول: دَعَـوه، يقال أَيَّهَ بِهِ، وأَهَابَ بِهِ: أى نـاداه. قال القُرَشىُّ:

أَهَابَ بِأَحْـــزَانِ الفُــؤَادِ مُـــهِــيبُ ومَــاتَتْ نُـفُــوسٌ للهَـــوَى وقلوبُ

وقـوله: «ضَوْءُ برْقٍ ووابله»، أراد صَـدَّهُ عنهم ضَـوْءُ برقٍ ووابِلُهُ، فأضـاف الوابل من المطر إلى البـرق. وإنما الإضافـة إلى الشىء على جهـة التضـمين، ولا يضاف الشىء إلى الشىء إلا وهو غيره أو بعضهُ، فالذى هو غيره: غلام زيد ودار عـمرو، والذى هو بعـضه: ثَوْبُ خَـزٍّ، وخـاتَم حَديدٍ، وإنما أضـاف الوابل إلى البرق، وليس هُوَ لَه، كـما قلت: دار زيد، على جهـةِ المجاورة، وأنهما راجـعان إلى السحابة، وقد يضاف ما كان كذا على السعة، كما قال الشاعر:

حـــتى أَنَـخْتُ قَلُـوصى فى دِيـاركُم بخـيـر مَنْ يَحْتَـذِى نَعْـلاً وحـافـيها

فأضاف الحافى إلى النعل، والتقدير: حافٍ منها.

وقوله:

* ألم ترنى صاحبت صفراء نَبْعَةً *

فالنَّبْعُ خـير الشجـر للقسى، ويقال: إن الـنَّبْعَ والشَّوْحَط والشَّريانَ شـجرةٌ واحدة، ولكنها تختـلف أسماؤها وتَكْرُمُ وتَحْسُنُ بمنابتها، فـما كان فى قُلَّةِ الجبل منها فهـو النَّبْعُ، وما كان فى سَفْـحِهِ فهو الشَـوْحَطُ، وما كان فى الحضـيض فهو الشَّرْيان.

وقوله: «لها رَبَذِى» يريد وَتَرًا شديد الحركة عند دفع السهم، يقال: رجل ربَذ اليد إذا كان يكثر التـحريك ليديه والعَبَثَ بهما، ويوصف به الفـرس لكثرة حركة قوائمه، وكـان الأصل رَبَذًا لأنه «ربِذ»، ولكن ما كان من «فَعِلٍ» فَنُسِبَ إليه فتح موضع العـين منه استثقـالاً لاجتماع ياءى النسَب وكـسرة اللام، لأن ياءى النسب تَكْسِران ما تَليَانه، فلم يَدَعُوا مع ذلك العَـيْنَ مكسورة، تقول فى النسب إلى النَّمِرِ ابن قاسط: نَمَرَىٌّ، وإلى الحَبِطات: حَبَطىٌّ، وإلى شَقِرةَ ـ وهو الحرث بن تميم ابن مُرٍ ـ : شَقَرِىٌّ، وفى النسب إلى عَمٍ عَمَوِىٌّ يافتى.

وقوله: «لم تُفَلَلْ مَعابِلُه»، يريد لم ينكسر حَدُّها، من الفُلُول.

ويروى أن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْر سأل عبدالملك أن يرُدَّ عليه سيف أخيه عبدالله بن الزبير فأخرجهُ إليه فى سيوف مُنْتَضاةٍ، فأخذه عروة من بينها، فقال له عبدالملك: بم عَرَفْتَهُ؟ فقال: بما قال النابغةُ:

ولا عَيْبَ فيهم غَيْرَ أَنَّ سُيوفَهم بِهِنَّ فُلولٌ من قِراع الكتائب

والمِعبَلة: واحدة المعابل، وهى سهم خفيف، قال عَنْتَرَةُ:

وآخَرَ منهمُ أَجْرَرْتُ رُمْحى وفى البَجْلىّ مِعْبَلَةٌ وقِيعُ[1]

بإسكان الجيم لا غير.

* * *

[قال أبو الحسن: بَجيلة: قبيلة من بنى الهُجَيْم، من اليَمَن].

---

(١) الوقيع، من وقع المدية ونحوها يقعها وقعا: أحدها. والبجلى: منسوب إلى بجلة، لقب مالك بن ثعلبة.

بابـ

[لبعض الشعراء يحرض على خالد بن يزيد]

قال أبو العباس: تزوج خالد بن يزيد بن معاوية نساءً هُن شرَفُ مَنْ هُنَّ منه، منهنّ أُمُّ كُلثُومٍ بنت عبدالله بن جَعْفَرِ بن أبى طالب، وآمنةُ بنت سعيد بن العاصى بن أُمّيةُ، ورَمْلَةُ بنت الزُّبيْرِ بن العَوَّام بن خُوَيْلد بن أسَدَ بن عبدالعُزّى بن قُصَىّ، ففى ذلك يقول بعض الشعراء يُحَرِّضُ عليه عبدالملك:

عَلَيْكَ أَمِيرَ المؤمنين بخالد ... ففى خالد عما تُحبُّ صُدودُ
إذا مانَظَرْنا فى مَناكِحِ خالدٍ ... عَرَفْنا الذى يَنْوِى، وأين يُرِيدُ؟

فَطَلّق آمنة بنت سعيد، فتزوجها الوليد بن عبدالملك، ففى ذلك يقول خالد:

فتاةٌ أبوها ذو العصابة، وابنُهُ ... وعثمانُ، ما أكفاؤها بكثير
فإن تفتلتْها والخلافةَ تنقلب ... بأكْرَم عِلْقَىْ مِنْبَرٍ وسَرير

قوله: «أبوها ذو العصابة» يعنى سعيد بن العاصى بنْ أُمَيَّةَ، وذلك أن قومه يذكرون أنه كان إذا اعتَمَّ لم يَعْتَمَّ قُرَشِيٌّ إعظامًا له، ويُنْشدون:

أبو أُحَيْحَةَ مَنْ يَعْتَمَّ عِمَّتَهُ ... يُضْرَبْ وإن كان ذا مالٍ وذَا عَدَدِ

ويزعم الزُّبيْرِيُّونَ أن هذا البيت باطل موضوع.

وقوله: «فإن تفتلتها»: يقول: تأخذها فجاءةً، ومن ذلك قول الشاعر:

مَنْ يَأْمَنِ الأيَامَ بَعْدَ ... صُبَيْرَةَ القُرَشىّ مَاتا[1]
سَبَقت منِيَتُهُ المَشيبَ ... وكان مِيتَتُهُ افْتِلاتا

وفى الحديث أن رجُلاً قال: يا رسول الله، إن أُمى افْتُلِتَتْ، أى ماتت فجاءةً.

(١) زيادات ر: «صبيرة، بالصاد مهملة فى الرواية المشهورة، وبالضاد معجمة، رواية عاصم، على الشرط وكسر النون لالتقاء الساكنين» رواية ابن سراج برفع «يأمن»، على الاستفهام».

[لخالد بن يزيد في رملة بنت الزبير]

ويروى أن آمنة لَبِثَتْ عنـد الْوَلِيد، فلما هَلَكَ عـبدُالملك سَعَى بهـا ساعٍ إلى الوليد. قال أبو العباس: وبلغنى أنها سَعَـتْ بها إحدى ضَرَّاتها إلى الوليد بأنها لم تَبْك على عبدالملك كـما بكَى نظائرها، فقال لها الوليد فى ذلـك، فقالت: صَدَقَ القائلُ، أكُنْتُ قائلةً؟ ماذا أقول! ياليْتَهُ كـان بَقِيَ حتى يَقْتُلَ أخًا لى آخر كعمرو بن سعيد!

وفى رَمْلَةَ بنت الزُّبَيْرِ يقول خالد:

تَجـولُ خـلاخـيل النســاء ولا أرَى ... لرَمْلَةَ خَـلْخـالاً يَـجُـول ولا قُلْبـا(١)

فـلا تُكْثـرُوا فـيـهـا المَلاَمَ فـإنّنى ... تَخَـيَّـرتُها منهم زُبَيْـرِيَّةً قَلْبـا(٢)

أُحِبُّ بنـى الْعَـوَّام طُرًّا لِحـبِّـهـا ... ومن أجْلها أَحْـبَبْتُ أَخْـوَالها كَلبا

وزِيدَ فيها:

فـإنْ تُـسْلمى أُسْـلِم وإن تَتَنَـصَّـرى ... يُعلِّـق رجـالٌ بين أعـينهمْ صُلُـبـا

فيـروى أن عبـدالملك ذُكِـر له هذا البيتُ، فـقال له: يا خـالد، أتَرْوى هذا البيتَ؟ فقال: يا أمير المؤمنين، على قائله لعنة الله!

[زواج الحجاج بن يوسف بابنة عبدالله بن جعفر ثم طلاقه لها]

وذكر العُـتْبىُّ أن الحَجَّـاجَ بن يوسف بن الحكَم الثَّقـفىَّ لما أكْرَهَ عـبدَالله بن جعـفر على أن زوجه ابنته اسـتأجله فى نقلها سنة، فَـفكَّرَ عبدالله بن جعـفر فى الانفكاك منه، فـألقى فى رُوعه خـالد بن يَزيدَ، فكَتَبَ إليـه يُعْلِمُهُ ذلك، وكـان الحجاج تَزَوَّجها بإذن عـبدالملك، فورد على خالد كتابه ليلاً، فاسـتأذن من ساعته على عـبدالملك، فـقـيل له: أفى هذا الوقت؟ فقـال: إنه أمـرٌ لا يُؤَخَّرُ، فـأُعْلِم عـبدالملك بذلك. فَـأذنَ له، فلمـا دخل عليـه، قال له عـبـدالملك: فيمَ السُّـرَى ياأباهاشم؟ قـال: أَمْرٌ جَليلٌ لم آمن أن أؤخـره، فَتَـحْدُثَ علىّ حـادثةٌ فـلا أكونَ قَضَيْتُ حق بَيْعَـتِكَ، قال: وما هو؟ قال: أتَعْلَمُ أنه ما كان بيـن حَيَّيْنِ من العداوة

(١) القلب هنا: السوار.

(٢) امرأة قلب، بفتح القاف: خالصة النسب.

والبَغْضَاء ما كان بين آل الزبير وآل أبى سفيان؟ قال لا: فإن تزويجى إلى آل الزبير حلل ما كان لهم فى قلبى، فما أَهْلُ بيت أَحَبُّ إلىَّ منهم. قال: فإن ذلك لَيَكونُ، قالَ: فكيف أَذِنْتَ للحجاج أن يتزوج فى بنى هاشم، وأنت تَعْلَمُ ما يقولون ويقال فيهم، والحجاج من سلطانك بحيث علمت! قال: فجزاه خيرا، وكتب إلى الحجاج بِعَزْمَة أن يطلقها فطلقها، فغدا الناس عليه يُعَزُّونَهُ عنها، فكان فيمن أتاه عمرو بن عُتْبَةَ بن أبى سُفيان، فَأَوْقَعَ الحَجَّاجُ بخالد، فقال: كان الأمر لآبائه فَعَجَزَ عنه حتى انتُزِعَ منه. فقال له عمرو بن عتبة: لا تَقُلْ ذا أيها الأمير، فإنّ لخالد قديما سَبَقَ إليه. وحَديثًا لم يُغْلَبْ عليه، ولو طَلَبَ الأمر لطلبه بِجَد وجِد، ولكنه علم علما، فَسَلَّمَ العلْمَ إلى أهله، فقال الحجاج: يا آل أبى سفيان، أنتم تحبون أن تَحْلُمُوا ولا يكون الحِلْمُ إلا عن غضب، فنحن نُغْضِبُكُمْ فى العاجل ابتغاء مَرْضَاتكُم فى الآجِلِ، ثم قال الحجاج: والله لأتزَوجَنَّ مَنْ هو أَمَس به رَحِمًا، ثم لا يُمْكِنُهُ فيه شىء، فتزوَّج أم الجُلاسِ بنت عبدالله بن خالد بن أسِيد.

أما قوله: «ألقى فى رُوعه»، فإن العرب تقول أُلقِىَ فى رُوعى، وفى قلبى وفى جخيفِى وفى تامورى كذا كذا، ومعناه كله واحد، إلا أن لهذه الأشياء مواضع مختصة، وفى الحديث عن النبى ﷺ: «إن رُوحَ القدُس نَفَثَ فى رُوعى»: فالروع والجَخيفُ غير مختلفين، والعرب تقول: أذْهَبَ الله قَلبَهُ، ولا قلب له. ولا تقول: لا رُوعَ له؛ فكَأنَّ الروعَ هو متصل بالقلب، وعنه يكون الفهم خاصة، ويقال: رأيت قَلْبَ الطائر. ولا يقال: رأيت رُوعَ الطائر، والتامورُ عند العرب: بقية النَّفْسِ عند الموت، وبعضهم يُفصحُ عنه فيجعله دم القلب خاصة الذى يبقى للإنسان ما بقِىَ، يقال: ضَعْهُ فى تامورِكَ وفى قَلْبك وفى رُوعكَ وفى جَخيفكَ. والذماءُ، ممدود: مثلُ التامور سَواءٌ، تقول العرب: ليس فى الحيوان أطولُ ذَمَاءً من الضب، وذلك أنه يُذْبَحُ ثم يُطرَحُ فى النار بعد أن ظنَّ أنه قد بَرَدَ فربما سَعَى من النار.

[نبذ من أقوال الحكماء]

وقال رجل لإبراهيم بن أَدْهَم: عظْنى، فقال: اتَّخِذ الله صاحِبًا وذر الناس جانبا.

قال سعيد بن المُسَيِّب: كنت بين القبر والمنْبَرِ مُفكِّرًا، فسمعت قائلا يقول ولم أره: اللُهمَّ إنى أسألك عملا بارًا. ورزقا دارًّا. وعيشا قارًّا.[1]

قال سعيد: فلزِمْتُهُنَّ فلم أر إلا خيرا.

وقال الأَصْمَعِىُّ: كان من دعاء أبى المُجيب: اللهم اجْعَلْ خير عملى ما قارَبَ أَجَلى.

قال: وكان يقول فى دعائه: اللهم لاتَكِلْنَا إلى أنفسنا فَنَعْجِزَ، ولا إلى الناس فَنَضيعَ.

[أعرابى فى حلقة يونس]

قال وحدثنى أبو عثمان المازنىُّ قال: حدثنى أبو زيد قال: وقف علينا أعرابىّ فى حَلقة يونس النحوى فقال: الحمد لله كما هو أهله، وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه، خرجنا من المدينة، مدينة رسول الله ﷺ، ثلاثين رجلا ممن أَخْرَجَتْهُ الحاجة، وحُمِلَ على المكروه، لا يُمَرِّضُونَ مَريضَهُمْ، ولا يَدْفنون مَيّتهم، ولا ينتقلون من مَنْزِلٍ إلى منزل وإن كرهوه. والله يا قوم لقد جُعْتُ حتى أكلت النَّوَى المُحْرَقَ، ولقد مَشَيْتُ حتى انْتَعَلْتُ، وحتى خَرَجَ من قدمىَّ بَخَصٌ ولحم كثير، أَفَلاَ رَجُلٌ يَرْحَمُ ابن سبيلٍ، وفَلَّ طَرِيقٍ، ونضْوَ سفر! فإنه لا قليلَ من الأجْرِ، ولا غنًى عن ثواب الله عزَّ وجل، ولا عَمَلَ بعد الموت، وهو الذى يقول جَلَّ ثَنَاؤهُ: ﴿مَنْ ذَا الذى يُقرضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لهُ﴾[2]. مَلِىٌّ وَفِىٌّ ماجِدٌ واجِدٌ جَوادٌ، لا يَسْتَقرِضُ من عَوَزٍ، ولكنه يَبْلو الأخْيَار.

قال: فبلغنى أنه لَمْ يَبْرَحْ حتى أخذ ستين دينارًا.

قوله: «بخص»، يريد اللحم الذى يَرْكَبُ الْقَدَمَ، هذا قول الأصمعىّ، وقال غيره: لحم يَخلطهُ بياض من فساد يَحلُّ فيه، ويقال: بَخَصْتُ عينَه، بالصاد، ولا يجوز إلا ذلك، ويقال بَخَسْتُهُ حَقَّهُ، بالسين: إذا ظلمته ونَقَصتَهُ، كما قال الله عزوَّجلَّ: ﴿ولاَ تَبْخَسُوا النّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾[3]، وفى المَثَلِ: «تَحْسَبُهَا حَمْقَاءَ وهى بَاخِسٌ». وَيَدُلُّ على أنه اللحم الذى قد خالطه الفساد قولُ الراجز:

---

(١) قارا: مستقرا.

(٢) سورة البقرة ٢٤٥.

(٣) سورة الأعراف ٨٥.

[قال أبو الحسن عليّ بن سليمان الأخفش: الراجز هو أبو شُرَاعة]

ياقُدَمَيَّ لا أرى لى مَخْلَصا   مما أَرَاهُ أو تَعُودا بخَصا[1]

وقوله «فل» فالفل فى أكثر كلامهم: المنهزم الذاهب.

وفى خبر كَعْبِ بن مَعْدَان الأشعرى[2] «إنا آثرنا الحَدَّ على الفَلِّ» يعنى مجاهدتهم عَبْدَ رَبِّهِ الصَّغير؛ لأنه كان مُقْبِلاً على حربهم وتَرْكَهُمْ قَطَرِيًّا لأنه كان منهزما.

[خبر الحجاج بن علاط السلمى مع قريش]

وفى حديث الحجاج بن علاط السُّلَمِىِّ. وكان قد أسلم ولم تعلم قريش بإسلامه، فاستأذن رسولَ الله ﷺ يوم خَيْبَرَ فى أن يصير إلى مكة فيأخذ ما كان له من مال، وكانت له هناك أموال متفرقة، وهو غريب بينهم - إنما هو أَحَدُ بنى سُلَيْمِ بن منصور، ثم أحد بنى بَهْزٍ - فَأَذِنَ له رسولُ الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنى أحتاج أن أقول، قال: «فَقُلْ».

قال أبو العباس: وهذا كلامٌ حَسَنٌ ومعنىً حَسَنٌ، يقول: أقول - على جهة الاحتيال - غيرَ الحَق، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه من باب الحيلة، وليس هو من باب الفساد، وأكثر ما يقال فى هذا المعنى تقول، كما قال المولى عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾[3]، فصار إلى مكة فقالت قريش: هذا لَعَمر الله عنده الخبر، قال: فقولوا، فقالوا: بلغنا أن القاطع[4] قد يخرج إلى أهل خيبر، فقال الحجاج: نَعَم، فقتلوا أصحابه قتلا لم يُسْمَعْ بمثله، وأخذوه أسيرا، وقالوا: نَرَى أن نُكارِمَ به قريشًا، فَنَدْفَعَهُ إليهم، فلا تنال لنا هذه اليد فى رِقَابِهِمْ. وإنما بَادَرْتُ لجمع مالى لَعَلِّى أُصيبُ به من فل محمد وأصحابه قبل أن تسبِقَنى إليه

(١) قال المرصفى: «يريد ذواتى بخس».

(٢) زيادات ر: «الأشقرى، بالقاف لاغير». وخبر كعب هو حديثه مع الحجاج بن يوسف، وكان قد وجهه المهلب بن أبى صفوة الأزدى يبشره بمناهدته الخوارج وفراغه لهم.
وانظر رغبة الآمل ٥: ٢٨).

(٣) سورة الطور ٤٤.

(٤) يصفون محمدا بقطع الأرحام، وحاشاه.

التِّجارُ ويتصل بهم الحديثُ. قال: فاجتهدوا فى أن جمعوا إلىَّ مالى أَسْرَعَ جَمْعٍ، وسُرُّوا أكثر السرور، وقالوا بلا رَغْمٍ [(١)]، وأتانى العباس وهو كالمرأة الواله[(٢)] فقال: وَيْحَكَ يا حجاج ما تقول! قال: فقلتُ: أكاتمٌ أنت علىَّ خَبَرى؟ فقال: إى والله! قال: فقلتُ: فالْبَثْ علىَّ شيئًا حتى يخفَّ مَوْضعى. قال: فسرتُ إليه، فقلتُ. الخبر والله على خلاف ما قلتُ لهم، خَلَّفْتُ رسولَ الله ﷺ وقد فَتَحَ خيبَرَ، وخَلَّفْتُهُ والله مُعْرسًا بابنة مَلِكهم، وما جئتُكَ إلا مُسْلمًا، فاطْوِ الخبر ثلاثًا حتى أُعْجِزَ القوم، ثم أَشِعْهُ، فإنه والله الحق، فقال: العباس: وَيْحَكَ، أَحَقٌّ ما تقولُ؟ قلتُ: إى والله! قال: فلما كان بعد ثلاثة تَخَلَّقَ العباسُ، وأخَذَ عصاه وخرج يطوف بالبيت. قال: فقالت قريش: يا أبا الفضل، هذا والله التَّجَلّدُ لَحرِّ المصيبة! فقال: كَلا، ومن حَلَفْتُمْ به! لقد فتحها رسول الله ﷺ، وأَعْرَسَ بابنة ملكهم! فقالوا: مَنْ أتاك بهذا الحديث؟ فقال: الذى أتاكم بخلافه، ولقد جاءنا مُسْلمًا، ثم أتت الأخبارُ من النواحى بذلك، فقالوا: أَفْلَتَنَا الخبيثُ، أولَى له[(٣)].

وأصل الفَلِّ مأخوذ من فَلَلْتُ الحديدةَ[(٤)] إذا كسرتَ حدَّها. والنضْوُ: البالى المجهود، ويقال ناقة نِضْوٌ: إذا جَهَدَها السيرُ، وجمعه أَنْضَاءٌ، وفلان نضْوٌ من المرض.

وقوله: «لا يستقرض من عَوَزٍ»، فالعَوَزُ: تعذُّرُ المطلوب، يقال: أعْوَزَ فلان فهو مُعْوِزٌ إذا لم يجد، والمَعاوِزُ فى غير هذا الموضع: الثياب التى تُبْتَذَلُ ليُصانَ بها غيرها.

وقوله: «ولكن ليبلو الأخيار»، يقال: الله يَبْلُوهم ويبتليهم ويختبرهم فى معنى، وتأويله: يمتحنهم، وهو العالم عز وجل بما يكون كعلمه بما كان، قال الله جل ثناؤه: ﴿لِيَبْلُوَكُم أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَملاً﴾[(٥)].

قال: وحدثنى أبو عثمان المازنى قال: رأيت أبا فرعون العَدَوِىَّ، ومعه

---

(١) الرغم هنا: الكره.

(٢) الواله: الحزينة.

(٣) أولى له: كلمة تهديد وتوعد، غلبت فى الدعاء بالعسر.

(٤) الحديدة: وصف للسكين يقال سكين حديدة، وحادة.

(٥) سورة هود٧.

ابنتاه، وهو فى سكة العَطَّارين بالبصرة يقول:

بُنَـيَّتَـيَّ صَـابِـرا أباكُـمـا ... إنَّكُـمَـا بعَـيْنِ مَـنْ يرَاكُـمـا

اللهُ رَبِّـي سَـيِّـدِي مـولاكُـمـا ... ولو يـشـاءُ عَـنْهُمُ أغْـنَاكُـمـا

وكان أبو فرعون، وهو من بنى عَدِىِّ بن الرَّباب بن عبد مَناةَ بن أُد، وقال اليزيدى: هو مولاهم، وكان فصيحًا، وقَدِمَ قوم من الأعْراب البصرة منَّ أهله، فقيل له: تَعَرَّض لمعروفهم، فقال:

حَمِدْتُ الله إذْ لَمْ يأكلونى ... ولَسْتُ بسائِلِ الأعْرَابِ شيئًا

[حديث رجل من الصيارفة افتقر]

وروى الأسدى أنه افتقر رجل من الصَّيارفة بإلحَاحِ الناس فى أخذ أموالهم التى كانت لهم لَدَيْه، وتَعَذُّر أمواله التى كانت له عند الناس، فسأل جماعةً من الجيران أن يصيروا معه إلى رجل(١) من قريش كان موسرًا من أولاد أجوادهم لِيَسُدَّ من خَلَّته، فصاروا إليه، فجلسوا فى الصَّحْنِ، فخرج إليهم يخطِرُ بقضيب فى يده، حتَى ثَنَى وسَادَةً فجلس عليها، فذكروا حاجتهم وخلة صاحبهم، مع قَديم نعمته وقريب جِوَارِه، فَخَطَرَ بالقَضيب، ثم قال مُتَمَثِّلاً(٢):

إذا المالُ لم يوجِبْ عليكَ عَطاءَهُ ... صَنيعةُ تَقْوى أو صَديقٌ تُوامِقُهْ(٣)

بَخِلتَ وبَعْضُ البُخْلِ حَزْمٌ وقوةٌ ... فلم يَفْتَلِذْكَ المالَ إلا حَقائِقُهْ

ثم أقبل على القوم، فقال: إنا والله ما نجمد عن الحق، ولا نَتَدَفَّقُ فى الباطل، وإنَ لنا حُقوقًا تَشْغَلُ فُضول أموالنا، وما كل مَنْ أفْلَسَ من الصيارفة احتَلنا لِجَبْرِه، قوموا رحمكم الله! قال: فابْتدَرَ القومُ الأبوابَ.

قوله: «فلم يفتلذك المال»، يقول: لم يُقتطعْ منك، يقال فَلَذَ له من العطاء، أى قَطَعَ له، وقال رسول الله ﷺ يوم بَدْرٍ حين قال الغلامان: فى القوم عُتْبَةُ بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم ابنُ هشام، وأُمَيّةُ بن خَلَف وفلان وفلان، فقال رسول الله ﷺ: «هذه مكة قد ألْقتْ إليكم أفلاذ كَبِدها».

---

(١) هو ابن عمران الطلحى.

(٢) زيادات ر: «الشعر لنصيب؛ وقيل لكثير، والأول أثبت».

(٣) توامقه: توده.

وقال أبو قُحافةَ أعْشَى باهلةَ ـ يعنى المُنْتَشِر بن وَهْبٍ الباهليَّ:

تكفيه فِلْذَةُ كِبْدٍ إنْ أَلَمَّ بهَا من الشَّواء ويكْفِى شربَهُ الغُمَرُ

[رجل من أزد شنوءة بين يدي عتبة بن أبي سفيان]

قال عبدالمَلك بن عُمير: استعمل عُتْبَةَ بن أبى سُفيان رجلا من آله على الطائف، فَظَلَمَ رجُلاً من أَزْدِ شَنوءَةَ، فأتى الأزْدِىُّ عُتْبَةَ، فَمَثَلَ بين يديه، فقال:

أَمَرْتَ مَنْ كان مظلوما ليأتيكم فقد أتاكم غريبُ الدارِ مَظْلومُ

ثم ذكر ظُلاَمتهُ، فقال له عتبة: إنى أراك أعرابيا جافيا، والله ما أَحْسبك تدرى كم تصلى فى كل يوم ولَيلة! فقال: أرأيتَ إن أنبأتُكَ ذلك: أتجعل لى عليك مسألة؟ قال نعم، فقال الأعرابىّ:

إنَّ الصَّلاةَ أَرْبَعٌ وأَرْبَعُ ثم ثلاثٌ بعدهنَّ أربع

ثم صَلاَةُ الفَجْرِ لاَ تَضيَّعُ

فقال: فاسأل. فقال: كم فقارُ ظَهرِكَ؟ فقال: لا أدرى، فقال: أَفَتَحْكُم بين الناس وأنت تَجْهَلُ هذا من نفسك! قال: رُدُّوا عليه غُنَيْمَتَهُ.

قوله «فَقار» إنما هو جمع فَقارة، ويقال فِقْرَةٌ. فمن قال فى الواحد فقْرَةٌ قال فى الجميع: فِقَرٌ، كقولك: كِسْرَةٌ وكِسَر، ومن قال للواحدة: فَقارة، قال للجميع: فَقارٌ. كقولك دَجاجةٌ ودجاج، وحَمامةٌ وحَمَامٌ.

[أعرابي عند معاوية]

وشهد أعرابى عند معاوية بشىء كرهه. فقال له معاوية: كَذَبْتَ! فقال الأعْرابىّ: الكاذب والله مُتَزَمِّلٌ فى ثيابك. فقال معاوية ـ وتبَسَّمَ: هذا جزاء مَنْ عَجِلَ.

[حديث السواقط]

قال أبو العباس: قرأت على عبدالله بن محمد المعروف بالتَّوَّزىِّ عن أبى عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بن المثنى التَّيْمىّ، قال: كانت السَّواقطُ تَرِدُ اليَمامةَ فى الأشهر الحُرُم لِطلب التمر، فإن وافقتْ ذلك، وإلا أقامت بالبلد إلى أوانه، ثم تخرج منه فى

شـهرٍ حَـرامٍ، فكان الرجل منهم إذا قـدم يأتى رجلا من بـنى حَنيفـةَ، وهـم أهل اليَمامةِ، ـ أعنى بنى حنيفـة بن لُجَيم بن صَعْب بن علىّ بن بكْر بن وائلِ بن قَاسط ابن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعْـمِيِّ بن جَديلة بن أَسَـد بن رَبيعة بن مـزَار ـ فيكْتُبُ له على سَهْـمٍ أو غيره: «فـلانٌ جار فلاَن» ـ والسـواقط: مَنْ وَرَدَ اليمـامة من غـير أهلها، وقد كان النُّعمَان بن المُنْذر أرَاد أن يُجْلِـيَهُمْ منها، فأجارهم مُرارة بن سُلْمىّ الحَنَفى. ثم أحد بنى ثَعْلَبَةَ بن الدُّوَل بنِ حنيفة، فَسَوَّغَهُ المَلِكُ ذلك، فقال أَوسُ بن حَجَرٍ يحُضُّ النُعْمَان عليه:

زَعَـم ابن سـلـمـىّ مـــــرارة أنـه ... مـــولى السَّــــواقط دون آل المُـنْذرِ
مَنَعَ اليْـمَـامـة حَـــزْنَهَـا وسُـهـولهـا ... من كـل ذى تاجٍ كَـريم المَفْـخـــرِ

وذكر أبو عبـيدة أن رجلا من السواقط من بنى بكر بن كلاب قَدمَ الـيْمَامة، ومعه أخ له، فكَتَبَ له عَمْيرُ بن سُلْمِى أنه له جار ـ وكان أخو هذا الكلابى جَميلاً ـ فقال له قَـرينٌ، أخو عميـر: لا تَرِدَنَّ أبياتنا بأخيك هذا، فرآه بَعْـدُ بين أبياتهم، فقتله.

قال أبو عبيدة: وأما المَوْلى(١) فَذُكرَ أن قَرينًا أخا عُميْرٍ كان يتحدث إلى امرأة أخى الكلابىّ، فَعَثَرَ عليه زوجُها فخافه قَرينٌ عليها فقتله، وكان عمير غائبا، فأتى الكلابى قبر سلمى أبى عمير وقرين. فاستجار به وقال:

[قال أبو الحسن الأخفش، قـال أبو العبـاس: قَرينٌ، ووجدتـه بخط دَماذَ، صاحب أبى عبيدة قُرَيْنٌ].

وإذا اسْتَـجَرْتَ مـن اليمـامة فـاسْتَـجِر ... زِيْدَ بـن يَرْبـوعٍ وآلَ مُـــجَـــمِّعِ
وأَتَيت سُـلْمـيًّـا فَـعُـذْت بـقـبـره ... وأخــو الـزمـانة عـــائذ بالأمـنعِ(٢)
أقَـرِيـنُ إنَكَ لو رأيتَ فـــوارسى ... بعـمـايتين إلى جَـوانب ضَـلْفعِ(٣)
حَـدَّثْتَ نَفْـسَكَ بالـوفـاء ولَـمْ تكُنْ ... للغـــدر خـائنـة مـغل الإصـبعِ

فَلَجأَ قَـرينٌ إلى قتادة بن مَسْلمـة بن عُبَيْد بـن يَرْبوعٍ بن ثَعْلَبَةَ بن الدُّول بن حنيفة، فـحمل قتادة إلى الكلابى دِياتٍ مُضَـاعَفَةً، وفعلتْ وُجوهُ بنى حَنَيـفةَ مثل

---

(١) السواقط هنا: اللئام. (٢) هو الذى أجاره عمير.
(٣) الزمانة: العاهة، يريد بها هنا الضعف. والأمنع: الذى به قوة تمنع من يريده بسوء.
(٤) عماية: جبل بنجد، وإنما ثناه بما حوله.

ذلك، فأبى الكلابىُّ أن يَقْبَلَ، فلما قَدِمَ عمير قالت له أُمُّهُ وهى أم قرين: لا تَقْتلْ أخاك، وسُق إلَى الكلابى جميع ماله، فـأبى الكلابىُّ أن يقبل، وقد لَجأَ قَرِينٌ إلى خاله السَّمين بن عبدالله فلم يَمْنَع عميرًا منه، فأخذه عُمَيْرٌ فمضى به حتى قَطَعَ الوادى فَرَبَطَهُ إلى نخلة، وقال للكلابى: أما إذْ أَبَيْتَ إلا قتله فَأمْهِلْ حتى أقطعَ الوادى، وارْتَحِلْ عن جِوارى فلا خير لك فيه، فقتله الكلابى، ففى ذلك يقول عُمير:

قَتَلْنَا أخانا للوفاء بجارنا ... وكان أبونا قد تُجيرُ مقابِره

وقالت أم عمير:

تَعُدُّ معاذِرًا لاعُذْرَ فيها ... وَمَنْ يَقْتُلْ أخاه فقدْ ألامَا

وقوله:

«ولم تكن للغدر، خائنة»، ولم يقل خائنا. فإنما وَضَعَ هذا فى موضع المصدر، والتقدير: ولم تكن ذا خيانة.

وقوله «للغدر» أى من أجل الغدر، وقال المفسرون والنحويون فى قول الله عز وجل: ﴿وإنَّهُ لحُبِّ الخَيْر لَشديدٌ﴾(1)، أى لشديدٌ من أجل حب الخير، والخير ههنا: المال، من قوله تعالى: ﴿إنْ تَرَكَ خَيْرًا الوَصيَّةُ﴾(2).

وقوله «لشديدٌ»: أى لبخيل، والتقدير والله أعلم: إنه لبخيل من أجل حبه للمال، تقول العرب: فلان شديد ومُتَشَدِّدٌ أى بخيل، قال طَرَفَة:

أرى المَوْتَ يَعْتَامُ الكرام ويَصطفى

عَقيلةَ مَال الفاحِش المُتَشَدِّدِ(3)

وقَلما يجىء المصدر على فاعل، .فمما جاء على وزن «فاعلٍ»: قولهم عُوفِىَ عافيةً، وَفلِجَ فالجًا، وَقُمْ قائما، أىَ قُم قِيامًا، وكما قال:

---

(1) سورة العاديات ٨.

(2) سورة البقرة١٨٠.

(3) يعتام : يختار، وعقيلة المال: أكرمه: والفاحش : السيئ الخلق.

ولا خارجًا من فىَّ زُور كلام

أى وَلاَ يَخْرُجُ خروجا، وقد مضى تفسير هذا.

وَالُمغلُّ الذى عنده غُلولُ، وهو ما يُخْتَانُ وَيحْتَجنُ، ويستعمل مستعارا فى غير المال، يقال: غَلَّ يَغُلُّ كقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(١). ويقال: أَغَلَّ فهو مُغلٌّ إذا صُودف يَغُلّ، أو نُسبَ إليه، ومن قرأ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾(٢). فتأويله أن يأخذ ويستأثر، ومن قرأ ﴿يُغَلَّ﴾ فتأويله على ضربين يكون أن يقال ذلك فيه، ويكون وهو الذى يختار أن يُخَوَّنَ، فإن قال قائل كيف يكون التقدير، وقد قال: ما كَان لنبى أن يُغَلَّ فُيغَلَّ لغيره، وأنت لا تقول ما كان لزيد أن يقومَ عمرٌو؟ فالجواب أنه فى التقدير على معنى. ما ينبغى لنبى أن يُخَوَّنَ، كما قال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾(٣). ولو قلت: ما كان لزيد أن يقومَ عمرٌو إليه لكَان جيدا، على تقديركَ: ما كان زيد ليقوم عمرو إليه، كما قلنا فى الآية.

والإصْبَعُ، أفصح ما يقال وقد يقال: أَصْبَعٌ وإصْبع! وَأصْبُع. موضعها هاهنا موضع اليد، يقال: لفلان عليك يَدٌ، ولفلان عليك إصْبَعٌ، وكلّ جَيِّدٌ، وإنما يَعنى هاهنا النعمة.

وأما قوله:

* قتلنا أخانا للوفاء بجارنا *

فيكون على ضربين: أحدهما أن يكون فَخَّمَ نفسه وعظمها، فذكرها باللفظ الذى يُذْكَرُ الجميع به، والعرب تفعل هذا ويُعَدُّ كِبْرًا، ولا ينبغى على حكم الإسلام أن يكون هذا مستعملا إلا عن الله عز وجل، لأنه ذو الكبْرياء، كما قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾(٤). و﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾(٥)، وكل صفات الله على الصفات وأَجلِّهَا، فما اسْتُعْملَ فى المخلوقين على تلك الألفاظ

(١) سورة آل عمران ١٦١.

(٢) قال المرصفى: يريد أنه مأخوذ من غل الثلاثى المبنى للمفعول، وتأويله : أن يؤخذ.

(٣) سورة آل عمران ١٤٥.

(٤) سورة القدر ١.

(٥) سورة النساء ١٦٣.

وإن خالفتْ فى الحكم فَحسنٌ جميل، كقولك: فلان عالم، وفلان قادرٌ، وفلان رحيم، وفلان وَدَودٌ، إلا ما وصفنا قَبْلُ من ذكر التَّكَبُّرِ، فإنك إذا قلت: فلان جَبَّار أو متكبر كان عليه عيبًا ونقصًا، وذلك لمخالفة هاتين الصفتين الحق، وبُعْدِهما من الصواب، لأنهما للمبدئ المُعيد الخالقِ البارئ، ولا يليق ذلك بمن تكسرِه الجَوعةُ، وتُطغِيه الشَّبْعَةُ، وتَنْقُصُهُ اللحَظةُ، وهو فى كل أموره مُدَثَّرٌ، وأَمَّا القول الآخر فى البيتِ وهو «قتلنا أخانا»، فمعناه أنه له ولمن شايَعَهُ من عَشيرته.

وأما قولها:

* ومن يقتل أخاه فقد ألاما *

تقول: أَتى ما يُلامُ عليه، يقال: ألام الرجلُ إذا تَعَرض لانْ يُلامَ.

باب

[مما أنشد أبو محلم السعدي]

قال أبو العباس: أنشدني السَّعْديُّ أبو مُحلِّم:

إنَّا سَألْنا قَومَنا فَخيارُهُمْ ... مَنْ كان أفضَلَهُمْ أبوه الأوَّلُ
أعْطى الذي أعْطَى أبوه قَبْلَهُ ... وتَبَخَّلَتْ أبناءُ مَنْ يَتَبَخَّلُ

وأنشدني أيضًا:

لطَلْحَةُ بنُ حَبيبٍ حين تَسألُهُ ... أنْدَى وأكْرَمُ من فَنْدِ بن هَطالِ
وبيتُ طَلْحَةَ في عزٍّ ومَكْرُمةٍ ... وبيتُ فَنْدٍ إلى ربقٍ وأَحْمالِ[1]
ألاَ فَتًى من بني ذُبيانَ يَحْمِلُني[2] ... وليس يَحْمِلُني إلاَّ ابْنُ حَمَّالِ
فقلتُ طَلْحَةُ أوْلَى مَنْ عَمَدتُ له ... وجئتُ أمْشي إليه مشيَ مُخْتالِ
مُسْتيقنًا أنَّ حَبْلي سوف يُعْلقه ... في رأس ذَيَّالةٍ أو رأسِ ذَيَّالِ

قوله: «إلى ربق وأحمال»، إنما أراد جمع حَمَلٍ على القياس، كما تقول في جميع باب فَعَلٍ: جَمَلٌ وأجْمَالٌ، وصَنَمٌ وأصنامٌ.

وقوله:

* ألا فتى من بني ذُبيان يحملني *

يعني ذُبْيَانَ بن بَغيضِ بن رَيْث بن غَطَفَانَ بن سعد بن قَيْسِ بن عَيْلان بن مُضَرَ، وأنشد بعضهم.

* وليس حاملني إلا ابن حمال *

وهذا لا يجوز في الكلام، لأنه إذا نُوِّنَ الاسمُ لم يتصل به المضمر؛ لأن المضمر لا يقوم بنفسه، فإنما يقع معاقِبًا للتنوين، تقول: هذا ضاربٌ زيدًا غدًا، وهذا ضاربُكَ غدًا، ولا يقع التنوين ها هنا، لأنه لو وقع لانفصل المضمر، وعلى هذا قول الله تعالى: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾[3]. وقد رَوَى سيبويه بيتين محمولين

(١) ربق: جبل فيه عدة عرا تشد به إلبهم، وأحمال: جمع حمل بالفتح، وهو الخروف وفيه أيضا أجمال جمع جمل.
(٢) يحملني. من حمله إذا أعطاه ما يحمله من الدواب.
(٣) سورة العنكبوت ٣٣.

على الضرورة، وكلاهما مصنوع، وليس أحد من النحويين المُفَتشِينَ يُجيزُ مثل هذا في الضرورة، لما ذكرتُ من انفصال الكناية، والبيتان اللذان رواهما سيبويه:

هُمُ القَائِلُونَ الخَيرَ والآمِرُونَه إذا ماخَشَوا يومًا من الأمْرِ مُعْظَما

وأنشد:

ولم يَرْتَفِقْ والناسُ مُحْتَضِرونَهُ جَمِيعًا وأَيدى المعُتَفينَ رَوَاهِقُه[1]

وَإنما جاز أن تُبَيَّنَ الحركةَ إذا وَقَفْتَ فى نون الاثنين والجميع لأنه لا يلتبس بالمضمر، تقول: هما رَجُلانه، وهم ضَاربونه، إذا وَقَفْتَ، لأنه لا يلتبس بالمضمر إذ كان لا يقع هذا الموقع، ولا يجوز أن تقول ضربتُه، وأنت تريد ضَرَبْتُ، والهاء لبيان الحركة، لأن المفعول يقع فى هذا الموضع فيكون لبسا، فأما قولهم: ارمه واغْزُه فَتُلْحِقُ الهاءَ لبيان الحركة، فإنما جاز ذلك لِما حذفْتَ من أصل الفعل، ولا يكون فى غير المحذوف.

وقوله: «فى رأس ذيالة»، يعنى فرسًا أُنثى أو حصانًا، والذَّيَّالُ: الطويل الذّنَبِ، وإنما يُحْمَدُ منه طول شعر الذّنَب، وَقصَرُ العَسيب[2]، وأما الطَّويلُ العَسيبِ فمذموم، ويُقال ذلك لِلثوْر أيضًا، أعنى ذَيَّالا، قال امْرُؤُ القَيْسِ:

فجالَ الصُّوارُ واتَّقَيَن بِقَرْهَبِ طَويلِ القَرا والرَّوق أَخْنَسَ ذَيَّال[3]

ويقال أيضًا للرجل: ذَيَّالٌ، إذا كان يَجُرُّ ذَيْلهُ اختيالا، ويقال له: فَضْفاضٌ فى ذلك المعنى.

[من كلام عمر بن عبدالعزيز لمؤدبه]

ويروى عن عمر بن عبدالعزيز أنه قال لمؤَدِّبه: كيف كانت طاعتى إياك وأنت تُؤَدِّبُنى؟ فقال: أحسن طاعة. قال: فَأَطعْنى الآنَ كما كنتُ أُطيُعكَ إذ ذاك. خُذْ من شارِبِك حتى تَبْدُو شَفَتَاكَ، ومن ثوبكَ حتى تَبْدُوَ عَقِبَاك.

وقال رسول الله ﷺ: «فضل الإزار فى النار».

---

(١) يرتفق: يتكئ على يده. المعتفون: طلاب المعروف. ورواهقه: دانية منه.

(٢) العسيب: مستدق عظم الذنب.

(٣) الصوار: القطيع من بقر الوحش. والقرهب: الثور المسن الضخم. والقرا: الظهر. والروق: القرن.

وقال آخر[1]:

مــــــا لــدَد مــــــا لدَد مـــــالَــهُ	يَبْـكى وقَـــدْ أنْعَــمْتُ مــا بـالَهُ
مـــالى أَراهُ مُطْرِقًـــا سَـــامِـيًـــا	ذَا سِـنَة يُـوعَـــــدُ أَخْــــوالَـهُ
وذاك مـنـه خـلـق عـــــــــادة	أنْ يَفْـــعَلَ الأمْـــرِ الذى قَـــالَهُ
إن ابن بـيـــــضـــــاء وترك الـندى	كـــالعَــبْـــدِ إذ قَـــيَّـــدَ أَجْـمَـــالَهُ
آلـيت لا أدفـن قـــــتــــــلاكـم	فــــدخِّنُوا المـرْءَ وَسِـــرْبالَـهُ
والدرع لا أبـغى بـهـــا نثــــرة	كلُّ امْـــرِىءِ مُـسْـــتَـــوْدَعٌ مَـــالَهُ
والرمـح لا أمـــــلأ كـــــفى بـه	وَالـلِّـبْـــــدُ لاَ أَتْبَـعُ تَـزْوالَـهَ

قــوله: «مالدد» يعنى رجــلا، وَدَدٌ فى الأصل. هو اللَّهْـوُ، قال رســول الله ﷺ: «لست من دَد ولا دَد منى»، وقــد يكون فى غـير هــذا الموضع مأخــوذا من العادة، وهذه الــلامٍ الخافضــة تكون مكسورة مع الظاهر ومـفتــوحة مع المضــمر، والفتح أصلهـا، ولكن كِسرتْ مع الظــاهر خوف اللّبْسِ بلام الخبـر، تقول إنَّ هذا لزَيْد، فيعلم أنه شىء فى ملك زيد، فإن قلت: إن هذا لَزَيْد فى الوقف، علم قبل الإدْرَاج أنه زَيْد، ولو فتحتَ المكسورة لم يُعْلم المُلكُ منَ المعنى الآخر فى الوقف، وأما المضمـر فَبَيِّنٌ فيه، لأن علامــة المخفوض غير علامــة المرفوع، تقول: إن هذا لَكَ، وإن هذا لأنْتَ.

وقوله:

* . . وقد أنعمت ما باله *

فـ«ما» زائدة، والبالُ هاهنا: الحــال، وللبال موضع آخر، وحقيــقته الفِكْرُ، تقول: ما خطر هذا على بالى.

وقوله: «مطرقا ساميا» فالســامى الرافع رأسه، يقال: سَمَا يَسْمو إذا ارتفع، والمطْرِقُ: الساكت المفكِّرُ المنكّسُ رَأْسَهُ، فإنما أراد ساميًا بنفسه.

وقوله: «ذا سِنَةٍ» يقول: كأنه لطول إطراقه فى نَعْسَةٍ. وقوله:

---

(١) نسبه المرصفى إلى سلمة بن ذهل التيمى.

* كالعبد إذ قَيَّد أجماله *

يريد أنه غير مُكْتَرِث لاكتساب المَجْدِ والفضل، وذلك أن العبد الراعِى إذَا قَيَّدَ أجماله لَفّ رأسهُ ونام حَجرةً، وهذا شبيه بقوله:

* واقْعُدْ فَإنَّكَ أنْت الطاعمُ الكاسى *

وقوله:

* فدخنوا المرء وسرباله *

يروى أنه طَعنَ فارسًا منهم فأَحْدَثَ، فقال: نَظِّفُوهُ فإنى لا أَدْفِن القتيلَ منكم إلا طاهرًا، وقوله:

* والدرع لا أبغى بها نثرة *

فالنَّثْرَةُ: الدرْعُ السابغة، يقول: دِرْعى هذه تكفينى، وقوله:

* كل امرئ مُسْتَوْدَعٌ مالَهُ *

أى مُسْتَرْهَنٌ بِأَجَله، وهو كقول الأَعْشَى:

كنْتَ المَقَدَّمَ غَيْرَ لابسِ جُنَّة بالسَّيْف تَضْرِبُ مُعْلمًا أبطالها
وعَلِمْتَ أنّ النفسَ تَلْقَى حَتْفَها ما كان خَالقُها الفَضيلُ قَضَى لها

وقوله:

* الرمح لا أملأ كفى به *

يُتأوَّلُ على وجهين: أحدُهما أنّ الرمح لا يملأ كفى وحده، أنا أقاتل بالسيف وبالرُّمْحِ وبالقَوْسِ وغير ذلك، والقول الآخر أنى لا أملأ كفى به إنما أخْتَلِسُ به اختلاسًا، كما قال الشاعر:

ومدججٍ سَبَقَتْ يَدَاىَ لَهُ تَحْتَ الغُبارِ بطَعْنة خَلْس

وقوله:

* واللبد لا أتبع تَزْواله *

يقول: إن انْحَلَّ الحِزامُ فمال اللبد لم أَمِلْ معه، أى أنا فارس ثَبتٌ.

وقال الفَرزْدَقُ، ونزل به ذِئبٌ فأضافه:

وأطْلَسَ عسَّالٍ وما كان صاحبًا ... رَفَعْتُ لنارى مَوْهِنًا فأتانى
فَلَمَّا دنا قلتُ ادْنُ دُونَكَ إننى ... وَإيَّاكَ فى زادى لَمُشْتَرِكَان
فَبِتُّ أقدُّ الزادَ بينى وبينه ... على ضَوْءِ نَارٍ مَرَّةً ودُخَانِ
وقلتُ له لما تَكَشَّر ضاحكا ... وقائمُ سَيْفى من يدى بمكان
تَعَشَّ فإن عاهدتَنى لاتخونُنى ... نكُنْ مثلَ مَنْ ياذئب يَصْطَحِبَان
وأَنْتَ امرؤ ياذئبُ والغَدرُ كُنتما ... أُخَيَّيْنِ كانا أُرْضِعَا بلبان
ولو غَيْرَنا نَبَّهْت تلْتَمِسُ القِرى ... رمَاكَ بِسَهْمٍ أو شَبَاةِ سِنَان

قوله: «وأطلسَ عسالٍ»، فالأطلَسُ الأَغْبَرُ. وحدثنى مسعود بن بشْرٍ قال: أنشدنى طاهر بن على الهاشِمى قال: سمعت عبدالله بن طاهر بن الحسين ينشد فى صفة الذئب:

أَطْلَسُ يخفى شَخْصَهُ غُبَارُهُ ... بَهمُ بنى مُحَارِبٍ مُزْدارُهُ[1]

❊ فى شِدْقه شفرته وناره ❊

قوله: «يُخفى شخصهَ غبارُه»، يقول: هو فى لون الغبار، فليس يُتَبَيَّنُ فيه. وقوله: «عَسَّال»، فإنما نسبه إلى مَشْيَته، يقال: مَرَّ الذِّئبُ يَعْسِلُ، وهو مَشْىٌ خفيف كالهَرْوَلَة، قال الشاعر[2] يَصِفُ رمحا:

لَدْنٌ بِهَزِّ الكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ ... فيه كما عَسَلَ الطريقَ الثَّعْلَبُ

وقال لبيد:

عَسَلانَ الذئبِ أَمْسَى قَارِبًا ... بَرَدَ اللَّيْلُ عليه فَنَسَلْ

قال أبو عبيدة: نَسَلَ فى معنى عَسَلَ، وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**فإذا هُمْ من الأَجْدَاثِ إلَى ربِّهِمْ يَنْسِلُونَ**﴾[3]. وخَفَضَ بهذه الواو لأنها فى معنى «رُبَّ»، وإنما

---

(١) البهم: واحدتها بهمة، وهى الصغيرة من أولاد الغنم.
(٢) هو ساعدة بن جؤية الهذلى، وانظر ديوان الهذليين جـ١ ص ١٩٠.
(٣) سورة الأنبياء ٩٦.

جاز أن يُخْفَضَ بهـا لوقوعها فى معنى «رب»؛ لأنهـا حرف خفض، وهى ـ أعنى الواو ـ تكون بدلا من الباء فى القَسم لأن مخرجها فى مخْرَج الباء من الشفَة، فإذا قلت: واللهِ لأفْعَلَنَّ، فَمعناه: أُقْسِمُ باللهِ لأفعلنَّ، فإن حذفتها قلت: اللهَ لأفعلن، لأن الفـعل يقع على الاسم فـينصـبه، والمعـنى معنى «الـباء» كـمـا قال الله عـزّ وجلّ: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا﴾[1]. وَصَلَ الفعل فَعَمِلَ، والمعنى معنى «مِنْ» لأنها للتبعيض، فقـد صارت «الواو» تَعْملُ بلفظها عَمَلَ «الباء» وتكون فى معناها، وتعمل عمل «ربّ» لاجتماعهما فى المعنى للاشتراك فى المَخْرَج.

وقوله: «زفـعتُ لنارى»، من المقلوب، إنما أراد رَفَـعْتُ له نارى والكلام إذا لمْ يَدْخله لَبْسٌ جاز القلب للاختـصار، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾[2]. والعصبةُ تَنوءُ بالمفاتيح، أى تستقل بها فى ثِقَلٍ، ومن كلام العرب: إن فلانَة لَتنوء بها عَجيزتُها، والمعنى لَتنوءُ بعجيزتها، وأنشد أبو عبيدة الأخْطل:

أَمَّـــا كُلَيْبُ بـن يَربُوعٍ فـليس لهـــا ... عند الـتَّــفـــاخُـــرِ إيـرادٌ ولا صَـــدَرُ

مُـخـلَّفُـون وَيَقْـضى الناسُ أَمْـــرَهُمُ ... وَهُمْ بغَـيْـبٍ وفى عَـمْـيَـاءَ ماشَـعَـرُوا

مِـثْـلُ الْقَنَافِـذِ هَـدَّاجُـون قـــد بَلَغَتْ ... نَجْـــرَانُ أو بَـلَغتْ سَـــوآتِهِـمْ هَجَـــرُ

فجعل الفعل للبلدتين على السَّعَة.

ويروى أن يونس بن حَـبيبٍ قـال لأبى الحسن الكسـائىِّ: كيف تُنْشِـدُ بيت الفَرَزْدَقِ؟ فأنشده:

غَـــدَاةَ أَحِـلَّتْ لابن أَصْـــرَمَ طَـعْنَةٌ

حُصَيْنٍ عَبيطاتِ السَّدائِفِ وَالخَمْرُ[3]

فقال الكسائى لما قال:

«غداة أحلت لابن أصرم طعنة ... حصين عبيطات السدائف . . .»

تم الكلام. فَـحَمَلَ الخمـر على المعنى، أراد: وحَلَّتْ له الخَـمْرُ، فـقال له

(١) سورة الأعراف ١٥٥. (٢) سورة القصص ٧٦.

(٣) هو حصين بن أصـرم، من بنى ضبـة، وكان نذر ألا يأكل لحمـا ولايشرب خمـرا حتى يقـتل ابن الجون الكندى. والسدائف: جمع سديف وهو السنام، والعبيطات: الطرية.

يونس: ما أحْسَنَ ما قلتَ! ولكن الفرزدق أَنْشَدَنيه على القَلْبِ، فنصب الطعنةَ ورفع العبيطاتِ والخمر على ما وصفنا من القَلْب. والذى ذهب إليه الكسائىُّ أحسن فى مَحْضِ العربية، وإن كان إنشاد الفرزدق جَيِّدًا.

وقوله: «فلما دنا قلت ادنُ دونك» أمرٌ بعد أمرٍ، وحَسُنَ ذلك لأن قوله: «أدْنُ» للتقريب، وفى قوله: «دونك»، أمرُه بالأكل؛ كما قال جَرير لعَيَّاش بن الزبرقان:

أعَيَّاشُ قد ذاق القُيونُ مَوَاسِمِى[1] وأوْقَدْتُ نارى فادْنُ دونك فاصْطَلِ

وقوله:

على ضوء نارٍ مرَّةً ودخان

يكون على وجهين: أحدهما على ضوء نار، وعلى دخان، أى على هاتين الحالتين ارتفعت النار أو خبَتْ. وجائز أن يَعْطفَ الدخان على النَّار، وإن لم يكن للدخان ضِياءٌ، ولكن للاشتراك، كما قال الشاعر:

يَالَيْتَ زَوْجَكِ قد غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحَا

لأن معناهما الحَمْل، وكما قال:

شَرَّابُ ألبَانٍ وتَمرٍ وأَقِط

فأدْخَلَ التمر فى المشروب لاشتراك المأكول والمشروب فى الحُلوقِ وهذه الآية تُحْمَل على هذا: ﴿**يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظ مِنْ نَارٍ وَنُحَاس**﴾[2].

والشُّوَاظُ: اللهَبُ لا دخان له، والنُّحَاس: الدخان. وهو معطوف على النار، وهى مخفوضة بالشواظ لما ذَكَرْتُ لك، قال النابغةُ الجَعْدىُّ:

تُضِىءُ كَمِثْلِ سِرَاجِ الذُّبا لِ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فيه نُحَاسًا

وقوله:

* نَكُن مثل مَنْ يادئب يصطحبان[3] *

(١) زيادات ر: «جمع ميسم، وهو حديدة يصنع بها البيطار». (٢) سورة الرحمن ٣٥.

(٣) زيادات ر: «من يجوز أن تكون نكرة موصوفة تقديره مثل اثنين يصطحبان، وأن تكون بمعنى الذى، ويصطحبان: صلته».

فـ«من» تقع للواحد والاثنين والجـميع والمؤنث على لفظ واحد، فـإن شئت حَمَلتَ خبـرها على لفظها فقلتَ: مَنْ فى الدار يُحبُّكَ، عَنَيْتَ جَمـيعًا أو اثنين أو واحدا أو مـؤنثًا. وإن شئت حَـمَلْتَهَ على المعنى فـقلتَ: يُحبَّـانكَ، وتَحبُّكَ ـ إذا عَنَيْتَ امـرأة ـ ويَحبُّـونَكَ ـ إذا عنيت جـميعـا ـ كل ذلك جائز جـيد، قـال الله عزوجل: ﴿وَمنْهُم مَّن يُؤْمن به وَمـنْهُم مَّن لاَّ يُؤْمنُ به﴾[1]. ﴿وَمنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلا تَفْـتنِّي﴾[2]. وقـال ـ فَـحَـمَلَ على المـعنى: ﴿وَمنْهُم مَّن يَسْـتَمعُـونَ إلَيْكَ﴾[3]. وقرأ أبو عمرو: ﴿وَمَن يَقْنُتْ منكُنَّ لله وَرَسُوله وَتَعْـمَلْ صَالحًا﴾[4]، فَحَمَلَ الأول على اللفظ والثانى على المعنى. وفى القرآن: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عندَ رَبِّه﴾.

فهذا كله على اللفظ، ثم قال: ﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْـهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على المعنى.

وقوله: «أو شباة سنان» فالشَّبا وَالشباةُ واحد وهو الحد.

[فى وصف الجود والحث على المبادرة به]

ومما يُسْتَحْسَنُ فى وصف الجود والحَثِّ على المبـادرة به، وتعريف حد العاقبة فيه، قولُ النَّمر بن تَوْلَبٍ العُكْلىِّ، أحد بنى عُكْلِ بن عبد مَنَاةَ بن أُدِّ بن طابِخَةَ بن إلْيَاسَ[5] بن مُضَرَ:

أَعـاذل إن يُصْبحْ صَـدايَ بقَـفْـرَة ... بَعـيـدًا نَآنى صـاحـبى وقَـريبى

تَرَىْ أَنَّ مـا أَبْقَـيْتُ لـم أَكُ رَبَّهُ ... وأنَّ الذى أنْفَـقـتُ كـاَن نصـيـبى

وذى إبلٍ يَسْـعَى ويحْـسـبُـهـا له ... أخى نَصَـبٍ فى رَعْـيـهـا ودُءوبِ

غَـدَتْ وغَـدَا رَبٌّ سَـوَاه يَقُـودُها ... وبُدِّلَ أحـجـارًا وَجـالَ قَليبِ

---

(١) سورة يونس ٤٠.
(٢) سورة التوبة ٤٩.
(٣) سورة يونس ٤٢.
(٤) سورة الأحزاب ٣١.
(٥) زيادات ر: «قال ابن السراج: من رواه إلياس فقد أخطأ، إنما هو ابن اليأس بوصل الألف وكسر السين، والألف واللام للتعريف، والاسم «يأس» مشتق من يئست.

قوله: «إن يصبح صداى بقفرة» فالصَّدَى على ستة أوجه: أحدها ما ذكرنا، وهو ما يبقى من الميت فى قبره، والصَّدى: الذَّكَرُ من البُوم، قال ابن مُفرِّغ[1]:

وشَريْتُ بُردًا ليتنى ... من بَعْد بُرْد كنتُ هامه[2]
هتافة تدعو صدى ... بين المُشَقَّرِ واليَمَامَهْ

ويقال: فلان هامةُ اليومِ أو غَد، أى يموت فى يومه أو فى غده. ويقال ذلك للشيخ إذا أَسَنَّ، والمريضِ إذَا طَالت علَّتُهُ، والمُحْتَقِر[3] لمدة الآجال. وفى الحديث أن حسلاً[4] - أبا حُذَيفَة بن حِسْلِ بنَ اليمان - قال لشيخ آخر تخَلَّفَ معه فى غَزْوة أُحُد: انْهَضْ بنا نَنْصُرْ رسول الله ﷺ، فإنما نحن هامةُ اليوم أو غَد - وكَانَا قد أَسَنَّا. والصَّدَى: حشوة الرأس. يقال لذلك: الهامة، وتأويل ذلك عند العرب فى الجاهلية أن الرجل كان عندهم إذا قُتل فلم يُدْرَكْ بِهِ الثَّأْر أنه يخرج من رأسه طائر كالبُومة وهى الهامةُ - والذكر: الصَّدَى - فيصيح على قبره: اسقونى اسْقونى! فإن قُتِلَ قاتلُه كفَّ ذلك الطائر. قال ذو الإصْبَعِ[5] العَدْوانىُّ أَحَدُ بنى عَدْوان بن عمرو بن قَيْسِ بن عَيْلانَ بن مُضَر:

ياعَمْرُو إلاَّ تَدَعْ شَتْمِى وَمَنْقَصَتى ... أَضْرِبْكَ حَيْثُ تَقُول الهامةُ اسْقونى

والصَّدَى: ما يَرْجِعُ عليك من الصوت إذا كنت بمُتَّسَعٍ من الأرضِ، أو بِقُرْبِ جبل، كما قال:

إنى على كُلِّ إيسارِى ومَعْسرَتى ... أَدْعو حُنَيفًا كما تُدْعى ابنة الجَبَلِ

يعنى الصَّدَى، وتأويله أنه يجيبنى فى سرعة إجابة الصَّدَى. وقال آخر:

كأَنِّى إذْ دَعَوْتُ بنى سُلَيْمٍ ... دَعَوْتُ بدعْوَتى لَهُمُ الجِبالا

---

(١) زيادات ر: «اسمه ربيعة، وسمى مفرغا لأنه شرب سقاءين ففرغهما».

(٢) شريت هنا: بعت.

(٣) زيادات ر: رواية عاصم بن أيوب رحمه الله برفع «المحتقر» يرفعه بالابتداء ويضمر الخبر، فيكون التقدير: والمحتقر لمدة الآجال، يقال ذلك له، ورواية ابن سراج بالخفض على العطف».

(٤) زيادات ر: «حسل أبو حذيفة، هو حسل بن جابر، وهو اليمان، والشيخ الذى تخلف معه ثابت بن وقش الأنصارى».

(٥) زيادات ر: «هو حرثان من محرث، سمى بذى الإصبع؛ لأنه كان له إصبع زائدة، وقيل: لأن حية عضته فى إصبعه».

والصَدأُ، مهموز: صَدَأ الحديد وما أشبهه، قال النابغة الذُّبيانى:

سَهِكينَ من صدإ الحديد كَأَنَّهُمْ　　تَحْتَ السَّنَوَّرِ جِنَّةُ البَقَّار[1]

وقال الأعشى:

فَأَمّا إذَا ركبوا فالوُجو　　هُ فى الرَّوْع مِن صَدإ البَيْض حُم[2]

والصَّدَى: مصدر الصدى، وهو العطشان، يقال: صَدِىَ يَصْدَى صَدًى، وهو صَدٍ، قال طَرَفَة:

سَتَعْلَم إنْ مِتْنَا صَدًى أَيُّنَا الصَّدِى[3]

وقال القُطامىّ:

فَهُنَّ يَنْبِذنَ من قولٍ يُصِبْنَ به　　مَوَاقِعَ الماءِ من ذى الغُلّةِ الصادى

تأويل قوله: «أنآنى» يكون على ضربين، يكون أَبْعَدَنى، وأحسنُ [من][4] ذلك أن يقول: «أنآنى». وقد رُوِيَتْ هذه اللغة الأخرى، وليست بالحَسَنة، وإنما جاءت فى حروف: يقال: غاضَ الماءُ وغضْتُه، ونَزَحَت البئرُ ونَزَحْتُها، وهَبَطَ الشىءُ وهَبَطْتُهُ، وبنوتميم يقولون: أَهْبَطْتُهُ، وأَحْرُفٌ سوى هذه يسيرة. والوجه فى «فَعِلَ أَفْعَلْتُهُ»، نحو دَخَلَ وأَدْخَلْتُهُ، ومات وأماتَهُ الله، فهذا الباب المُطَّرِدُ. ويكون «نآنى» فى موضع «نأى عنى» كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[5]، أى كالوا لهم أو وزنوا لهم.

وقوله: «ودءوب»، يقول: وإلْحاح عليه، تقول: دَأَبْتُ على الشئ، قال الشاعر[6]:

دَأَبْتُ إلى أنْ يَنبت الظِّلُّ بَعْدَمَا　　تَقَاصَرَ حتى كَادَ فى الآل يَمْصَحُ

وقوله جل ثناؤه: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾[7] يقول: كعادتهم وسُنَّتِهِمْ، ومثله الدِّينُ والدَّيْدَنُ، وقد مرّ هذا.

---

(١) سهكين، من السهك، وهو ريح صدإ الحديد. والسنور هنا: الدروع، وجنة البقار: موضع رمل عالج.

(٢) حم: جمع أحم، وهو الأسود من كل شىء.

(٣) زيادات ر: «ويروى: «صدى أينا» بخفض «أينا» على الإضافة: فصدى على هذه الرواية يرتفع بالابتداء، والصدى: الخبر».

(٤) تكملة من س.

(٥) سورة المطففين ٣.

(٦) زيادات ر: «هو الراعى».

(٧) سورة آل عمران ١١.

وقوله:

وبُدِّلَ أحجارا وجالَ قليبِ

فالجال الناحية، يقال لكل ناحية من البئرِ والقبر وما أشبه ذلك: جالٌ وجُولٌ، وقال مُهَلْهِلٌ:

كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ أشطانُ بِئرٍ بَعيدٍ بَيْنُ جالَيْهَا جَرُورِ[1]

ويقال: رجل ليس له جُولٌ، أى ليس له عقل، وهذا الشعر نظير قول حاتم الطائىّ:

أَماوىَّ إنْ يُصْبحْ صَدَاىَ بقَفْرَةٍ من الأرضِ، لاماءٌ لَدَىَّ ولا خَمْرُ
تَرَىْ أَنَّ مَا أَبْقَيْتُ لَم أَكُ رَبَّهُ وأَنَّ يَدِى مما بَخِلْتُ به صِفْرُ

[للحارث بن حلزة اليشكرى فى الجود]

وقال الحارث بن حِلزة الْيَشْكُرِىُّ فى هذا المعنى:

قلْتُ لعَمْرو حين أَرْسَلْتُهُ وَقَدْ خَبَا من دُوننا عالجُ
لاتكْسَعِ الشَّولَ بأَغْبَارها إنكَ لاَ تَدْرى مَنِ النَاتجُ
وَاصْبُبْ لأضْيَافكَ أَلْبَانَهَا فَإنَّ شَرَّ اللبن الوالِجُ

قوله:

لا تكسع الشَّول بأغبارها

فإن العرب كانت تَنْضحُ على ضُروعها الماء البارد ليكون أَسْمَنَ لأولادها التى فى بطونها. والغَبر: بقية اللبن فى الضَّرْعِ، فيقول: لا تُبْقِ ذلك اللبن لسِمَنِ الأولاد، فإنك لا تدرى من يَنْتجُها، فلعلك تموت، فتكونُ للوارث أو يُغارُ عليها.

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول بن آدم مالى مالى، ومالكَ من مالِكَ إلا ما أكلت فَأَفْنَيْتَ، أو لَبسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أو أعطيتَ فَأَمْضَيْتَ».

(١) الأشطان: جمع شطن، وهو الحبل الشديد الفتل. وجرور: نعت للبئر: وهى التى يدق عمقها حتى يجر دلوها على شفيرها.

ويروى عن بعضهم أنه قال: إنى أُحِبُّ البقـاء، وكالبقاء عندى حُسْنُ الثناء.

وأنشد أبو عثمان عمرو بن بَحْرٍ الجاحظ:

فـإذَا بَلَغْـتم أَرْضكُمْ فَـتَـحَـدَّثوا ... ومن الحـديث مَـتَـالفٌ وخُـلودُ

وأنشد:

فـأثنُوا علينـا لا أبا لأبيكُـمُ ... بأفـعـالنا، إنَّ الثناء هُوَ الخُلْدُ

وقال معـاوية لابن الأشْعَث بن قَيْس: مـا كَان جَدُّكَ قَيْسُ بن مَـعدى كَربَ أَعْطَى الأعْشَى؟ فـقال: أعطاه مـالاً، وظَهْرًا، ورَقيـقًا، وأشيـاء أُنْسِيتُهَا، فـقال معاوية: لكن ما أعطاكم الأعشى لا يُنْسَى!

وقـال عمـر بن الخَطَّاب رضـى الله عنه لابنة هَرِمِ بن سنان المُرِّىِّ: مـاوَهَبَ أبوك لزُهَير؟ فقالت: أعطاه مالا وأثاثا أفناه الدهر. فقـال عمر: لَكن ما أعطاكموه لا يُفْنيه الدَّهْرُ.

وقـال المفسـرون فى قـول الله عـزَّ وجل عن إبراهـيم صلوات الله عليـه: ﴿واجْـعَل لى لسَـان صـدْق فى الآخـرين﴾[1] أى ثَنَاءً حـسنًـا، وفى قـوله تعالى: ﴿وتَرَكْنَا عَلَيْـه فى الآخَـرين سَلَامٌ على إبْرَاهيم﴾[2] أى يقـال له هذا فى الآخرين، والعـرب تَخْذفُ هذا الفعل من «قـال» «ويقول» استـغناءً عنه، قال الله عزَّوجلَّ: ﴿فَأَمَّا الَّذينَ اسْوَدَّت وُجُوهُهُمْ أَكَفَرتُمْ بعْدَ إيمانكُمْ﴾[3]، أى فقال لهم. ومثله: ﴿والَّذينَ اتَّخذُوا منْ دُونه أَوْلياءَ ما نَعْبُدُهمْ إلا ليُقَرِّبُونَا إلى الله زُلْفَى﴾[4] أى يقولون، وكذلك: ﴿والمَلَائكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ منْ كلِّ باب سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾[5].

---

(١) سورة الشعراء ٨٤. (٢) سورة الصافات ١٠٨، ١٠٩. (٣) سورة آل عمران ١٠٦.

(٤) سورة الزمر ٣. (٥) سورة الرعد ٢٣، ٢٤.

(٥) زيادات ربعد ذلك ما يأتى: «حدثـنا يموت بن المزرع البصرى قال: حدثنا رفيع بن سلمـة المنبز بدماذ قال: حدثنا أبو عبـادة قال: قال الحجاج يوما لعـمائر العرب وهم فى مجلسه: مـا أحسب هذا المزونى بناصحنا فى حربنا ـ يعنى المهلب ـ والرأى مشترك، فقالوا: الرأى للأمير ـ أصلحه الله ـ أن يكتب إلى ابن الفجاءة: بإطعامه بعض الأرضين، فإذا هو نخع بطاعته وأظهر الدعوة له سهلت الحيلة فيه، فقال: وفقكم الله، وكتب إلى ابن الفجاءة، وأنفذه على يد الغضبان بن القبعثرى الشيبانى. نسخة الكتاب:

«بسم الله الرحمن الرحيم: من الحجاج بن يوسف إلى قطرى بن الفجاءة، سلام عليك، الموحد الله، والمصلى عليه محمد عليـه السلام. أما بعد، فإنك كنت أعرابيا يدويا تستطعم الكسـرة، وتحف إلى التمرة، ثم خرجت تحاول ما ليس لك بحق، وأعـرضت عن كتاب الله، ومرقت من سنة رسول الله ﷺ، فـارجع عما =

. . . .

= أنت عليه بما زين لك، وادعونى فقد آن لك».

فلما أوصل الغضبان الكتاب إلى قطرى قال: يا غلام، ازبر هذه الصحيفة، فتلا عليه ما فيها فتنهد قطرى الصعداء، فقال: يا غضبان ألفيتنى محزونا، وأنشأ يقول:

فيا كبدا من غير جوع ولا ظمأ ... ويا كبدا من وجد أم حكيم
فلو شهدتنى يوم دولاب أبصرت ... طعان فتى فى الحرب غير لئيم
غداة طفت علماء بكر بن وائل ... وعجنا صدور الخيل نحو تميم
وكان بعبد القيس أول حدها ... وآب عميد الأزد غير ذميم

- يعنى المهلب، وأم حكيم هذه: امرأة من الخوارج قتلت بين يديه، ثم قال: يا غلام، اكتب، «بسم الله الرحمن الرحيم» من قطرى بن الفجاءة إلى الحجاج بن يوسف. سلام على من اتبع الهدى. ذكرت فى كتابك أنى كنت يدويا أستطعم الكسرة، وأبدر إلى النمرة، وبالله لقد قلت زورا، بل الله بصرنى من دينه ما أعماك عنه؛ إذ أنت سايح فى الضلالة غرق فى غمرات الكفر، ذكرت أن الضرورة طالت بى فهلا برزلى من حزبك من نال الشيع، واتكأ فاتدع! أما والله لئن أبرز الله صفحتك، وأظهر لى صلعتك، لتنكرن شيعك، ولتعلمن أن مقارعة الأبطال، ليس كتسطير الأمثال».

بابـ

[من خطبة لعلى بن أبى طالب]

قال أبو العباس: قال علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى خُطْبة له: أيها الناس، اتقوا الله الذى إن قلتم سَمِعَ، وإن أضمرتم عَلِم. وبادِرُوا الموت الذى إنْ هَرَبْتُمْ منه أدرككم، وإن أقمتم أخَذَكم.

[خطبة الحجاج حين قدم أميرا على العراق]

قال: وحدثنى التَّوَّزى فى إسناد ذكره آخرهُ عبدُالملك بن عُمَيْرٍ الليثىُّ، قال: بينما نحن فى المسجد الجامعِ بالكوفة، وأهلُ الكوفة يومئذ ذَوُو حال حَسَنَة، يَخْرُجُ الرجلُ منهم فى العشرة والعشرين مِنْ مَوَاليه، إذْ أتى آت فقال: هذا الحجاج قَدِمَ أميرًا على العراق. فإذا به قد دخل المسجد مُعْتَمًّا بعمامة غَطَّى بها أكثر وجهه، مُتَقَلِّدًا سيفا، مُتَنَكِّبا قوسًا، يَؤُمُّ المِنْبَر، فقام الناس نحوه، حتى صَعَدَ المنبر، فمكث ساعة لا يتكلم، فقال الناس بعضهم لبعض: قَبَّحَ الله بنى أُمَيَّةَ حيث تَسْتَعْمِلُ مثل هذا على العراق! حتى قال عُمَيْرُ بن ضابئ البرجُمى: ألا أَحْصِبُهُ لكم؟ فقالوا: أَمْهِلْ حتى نَنْظُرَ، فلما رأى عيون الناس إليه حَسَرَ اللِّثَامَ عن فِيه ونهض وقال[1]:

أنا ابْنُ جَلاَ وَطَلاَّعُ الثَّنايا ... متى أَضَعِ العِمامةَ تَعْرِفُونى

ثم قال: ياأهلَ الكوفة، إنى لأرَى رءُوسا قد أَيْنَعَتْ وحان قِطَافُها، وإنِّى لَصاحِبُهَا، وكأنى أنظر إلى الدِّماء بين العمائم واللِّحَى، ثم قال[2]:

هذا أوانُ الشَّدِّ فاشْتَدِّى زِيَمْ ... قد لَفَّها الليلُ بسَوَّاقٍ حُطَمْ

ليس براعى إبلٍ ولاَ غَنَمْ ... ولاَ بِجَزَّارٍ على ظَهْرِ وَضَمْ

ثم قال:

قد لَفَّها اللَّيلُ بِعَصْلَبِىِّ ... أَرْوَعَ خَرَّاجٍ من الدَّوِّىِّ

مُهَاجِرٍ ليس بأَعْرَابِىِّ

وقال:

قد شَمَّرَت عن ساقها فَشُدُّوا ... وجَدَّت الحربُ بكم فَجِدُّوا

---

(١) زيادات ر: «هو لسحيم بن وثيل الرياشى».

(٢) زيادات ر: «الشعر لرويشد بن وميض العنبرى».

وَالْقَـــوْسُ فـــيـــهـــا وَتَرٌ عُـــرُدُّ   مـــــثـــلُ ذِراع البَـكْـرِ أو أشَـــــدُّ

﴿ لا بُدَّ مما لَيس منه بُدُّ ﴾

إنى والله يا أهل العراق مـا يُقْعَقُع لـى بالشّنان، ولاَ يُغْمَزُ جـانبى كتَغْـمَاز التِّين. ولقد فُـررْت عن ذكاء، وفُتِّشتُ عن تَجْرِبَـة، وإن أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ نَثَـرَ كنَانَتَهُ بين يديـه، فَعَجَمَ عـيدَانهـا، فوجدنى أَمَـرَّهَا عُودًا. وأصلبَـها مَكْسـرًا، فرماكم بى. لأنكـم طالما أَوْضَعْتُـم فى الفتنة، واضطجـعتم فى مَـرَاقِد الضلال. والله لأحْزمَنَّكُم حزمَ السَّلَمة، ولأضـربنكم ضرب غَرَائب الإبل، فإنكم لَكَأَهْلِ قرية كانت آمنةً مطمئنةً يأتيها رزقها رَغَدًا من كل مكان، فكَفَرت بأَنْعُم الله فَأَذَاقَهَا الله لبَاس الجوع والخـوف بما كانوا يَصْنَعونَ. وإنى والله ما أقول إلاَّ وَفَّيْتُ، ولا أَهُم إلا أَمْضَيْتُ، ولا أَخْلُقُ إلا فَرَيْتُ، وإن أمـير المؤمنين أمـرنى بإعطائكم أَعْطِياتكم، وأن أُوَجِّـهكمُ لمحاربة عـدوكم مع المُهلَّب بن أبى صُفْـرَة. وإنى أُقْسمُ بالله لَا أَجدُ رجلاً تَخَلَّفَ بعد أخذ عَطائه بثـلاثة أيام إلا ضربتُ عُنُقَهُ! ياغلام اقْرَأْ عليهم كتابَ أمير المؤمنين. فقرأ:

«بسم الله الرحـمن الرحيم: من عـبدالله عـبـدالملك أميـر المؤمنين إلى مَنْ بالكوفة من المسلمين. سـلامٌ عليكم». فلم يَقُل أحد منهم شيئًا، فـقال الحجاج: اكفف ياغلامُ، ثم أَقْبَلَ على الناس، فـقال: أَسَلَّمَ عليكم أمير المؤمنين، فلم تَرُدُّوا عليه شيئًـا! هذا أَدَبُ ابن نِهيَةَ! أَمَا وَالله لأُوَدِّبَنَّكم غير هذا الأدب أو لَتَسْـتَقيمُنَّ. اقْرَأ ياغـلامُ كتـاب أمير المؤمنين، فلمـا بلغ إلى قوله: «سـلامٌ عليكم» لَمْ يَبْقَ فى المسجد أحد إلا قال: وعلى أمير المؤمنين السلام[1].

ثم نَزَلَ، فَوَضَعَ للناس أَعْطِيَـاتهم، فجعلوا يأخذون حـتى أتاه شيخ يُرْعَشُ كبْرًا، فـقال: أيها الأمير، إنى من الضَّعْـف على ما ترى، ولى ابنٌ هو أَقْوَى على الأَسْفار منى فتَقَبلْهُ بَدَلاً منى. فقال الحـجاج: نَفْعَلُ أيها الشيخ، فلما وَلَّى قال له قائل[2]: أَتَدْرى مَنْ هذا أيهـا الأمـير؟ قـال: لا، قـال: هذا عُـمَيْـرُ بن ضـابِىءٍ البُرْجُمِىُّ الذى يقول أبوه:

هَمَـمْـتُ وَلَم أَفْـعَلْ وَكِـدْتُ وليـتَنى   تَركْتُ على عـثـمـان تَبْكِـى حَـلائلُه

(١) زيادات ر: «زعم أبو العباس أن ابن نهية رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج».

(٢) قال المرصفى: «هو عنبسة بن سعيد بن العاصى الأموى».

ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولاً فَوَطِىءَ بطنَهُ، فكسر ضِلْعَيْنَ من أَضلاَعه، فقال: رُدُّوهُ! فلما رُدَّ، قال له الحجاج: أيها الشيخ؛ هلا بَعَثْتَ إلى أمير المؤمنين عثمانَ بَدَلاً يوم الدار! إن فى قتلك أيها الشيخ لصَلاحًا للمسلمين: ياحَرَسِىُّ، اضربَنْ عنقه. فجعل الرجل يَضيقُ عليه أمره فيرتحل، ويأمر وليّه أن يَلْحقَه بزاده، ففى ذلك يقول عبدالله بن الزبير الأَسَدِىُّ[1]:

تَجَهَّزْ فَإِمَّا أن تَزُورَ ابن ضابِىءٍ عُمَيْرًا وإِمَّا أَنْ تَزُورَ المُهَلَّبا
هما خُطَّتا خَسْفٍ نَجَاؤُكَ منهما رُكوبكَ حَوْلِيًّا من الثَلْجِ أَشْهَبا[2]
فَأَضْحَى ولو كانَتْ خُراسانُ دونَه[3] رآها مكانَ السُّوقِ أو هِى أَقْرَبا

قوله: «أنا ابن جلا»، إنما يريد المُنْكَشِفَ الأمْرِ، ولم يصرف «جلا» لأنه أراد الفعل فحكى، والفعل إذا كان فاعله مُضمَرًا أو مُظهَرًا لم يكن إلا حكاية، كقولك: تَأَبَّط شراً، وكما قال الشاعر:

كَذَبْتُمْ وبَيتِ الله لاَ تَأْخُذونَهَا بَنى شابَ قَرْناها تَصُرُّ وتَحْلُبُ

وتقول: قرأت: ﴿اقتربت السَّاعةُ وَانْشقَّ القَمَرُ﴾[4] لأنك حكَيْتَ، وكذلك الابتداءُ والخبر، تقول: قرأت: ﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين﴾.

وقال الشاعر:

وَاللهِ مَا زَيْدٌ بنامَ صاحِبُهْ[5]

وقوله:

أَنَا ابْنُ جَلا وَطَلاَّعُ الثَّنَايَا

لسُحَيْم بن وثِيلٍ الرِّياحِىّ، وإنما قاله الحجاج متمثلا.

وقوله: «وطلاعُ الثَّنايا» الثنايا: جمع ثَنِيّة، والثَّنيةُ: الطريق فى الجبل.

(١) زيادات ر: الأسدى أسد خزيمة، وليس من أسد قريش».

(٢) حوليا: يريد مهرا أتى عليه حول. من الثلج أشهبا: يريد أن لونه أشد شبهة من الثلج.

(٣) زيادات ر: «دونه عائدة على المهلب. وأقرب: ظرف، وقيل مفعول ثان».

(٤) سورة القمر ١.

(٥) بقيته كما فى زيادات ر

* ولا مخالط الليان جانبه*

والطريقُ فى الرمل قال له: الخَلُّ، وإنما أراد به أنه جَلْدٌ يَطْلُعُ الثَّنايا فى ارتفاعها وصُعوبتها، كما قال دُرَيْد بن الصِّمَّة يعنى أخاه عبدالله:

كَمِيشُ الإزارِ خارِجٌ نِصْفُ ساقِهِ بَعِيدٌ من السَّوْءاتِ طَلاعُ أَنْجُدِ

والنَّجْدُ: ما ارتفع من الأرض، وقد مَضى تفسير هذا.

وقوله: «إنى لأرى رءُوسا قد أينعت»، يريد أَدْرَكَتْ، يقال: أَيْنَعت الثمرةُ إيناعًا وَيَنَعتْ يَنْعا ويُنْعًا، ويُقْرَأُ: ﴿انْظُرُوا إلى ثمره إذا أَثْمرَ ويَنْعِه﴾[1] و﴿يُنْعِه﴾، كلاهما جائز.

قال أبو عبيدة: هذا الشعر يُخْتَلَفُ فيه، فبعضهم ينسبه إلى الأحْوصِ وبعضهم ينسبه إلى يزيد بن معاوية. [قال أبو الحسن: الصحيح أنه ليزيد يصف جارية] وهو:

ولَها بالماطِرِين[2] إذا أَكَلَ النَّمْل الذى جَمَعَا

خُرْفَةٌ حتى إذا رَبَعَتْ سَكَنَتْ من جِلَّقٍ بِيَعَا[3]

فى قِبابٍ حول دَسْكَرَةٍ حَولَهَا الزيتونُ قد يَنَعا

* * *

[قال أبو الحسن: أول هذه الأبيات:

طال هذا الهمُّ فاكْتَنَعا وأَمَرَّ النومُ فامْتَنَعا

وبعد هذا ما أنشده أبو العباس، ويروى «بالماطرونِ».

* * *

قال أبو العباس: وقوله:

هذا أوانُ الشَّدِّ فاشْتَدِّى زِيَم

يعنى فرسًا أو ناقة، والشعر للحُطَم القَيْسىِّ.

وقوله:

قد لَفَّهَا الليلُ بسوَّاقٍ حُطَمْ

---

(1) سورة الأنعام ٩٩.

(2) الماطرون: موضع قرب دمشق. ورواه أبو العباس معربا، ورواية ياقوت «دولها بالماطر»

(3) الخرفة: مايجتبنى من الفاكهة. وربعات: دخلت فى الربيع، وجلق: من قرى دمشق.

فهو الذى لا يُبْقِى من السير شيئًا، ويقال: رجل حُطَمٌ للذى يأتى على الزاد لشدة أكله، ويقال للنار التى لا تُبْقِى: حُطَمَةٌ.

وقوله: «على ظهر وَضَمْ». فالوَضَمُ: كل ما قُطِعَ عليه اللحم. قال الشاعر[1]:

وفتيان صدق حسان الوُجو ه لاَ يَجِدُونَ لِشىءٍ أَلَمْ
مِنَ ال الُمغِيرةِ لَا يَشْهَدو نَ عِنْدَ المجَازِرِ لَحْمَ الوَضَمْ

وقوله:

قد لفَّهَا الليلُ بِعَصْلَبِىِّ

أى شديد. وأَرْوَعَ، أى ذَكِىّ.

وقوله: «خَرَّاجٍ من الدَّوِّىِّ»، يقول: خَرَّاج من كل غَمَّاءَ شديدةٍ[2]:

ويقال للصحراء دَوِّيَّةٌ، وهى التى لا تكاد تنْقَضى، وهى منسوبة إلى الدَّوِّ، والدَّوُّ: صَحْراء مَلْسَاء لاَ عَلَمَ بها ولا أمارة، قال الحُطَيْئَةُ[3]:

وَأَنى اهْتَدَتْ وَالدَّوُّ بينى وبينهَا وماخلْتُ سارى اللْيل بالدَّوِّ يهتَدِى

والداوية: المتسعة التى تَسْمَعُ لها دَوِيًّا بالليل، وإنما ذلك الدَّوِىُّ من أخْفَاق الإبل تَنْفَسِحُ أصواتها فيها. وتقول جَهَلَةُ الأَعْرَاب: إن ذلك عَزِيفُ الجن.

وقوله:

والقوسُ فيها وتر عُرُدُّ

فهو شديد ويقال عُرُنْد فى هذا المعنى.

وقوله: «إنى والله مَا يُقَعْقَعُ لى بالشِّنان»، واحدها شَنّ، وهو الجلدُ اليابس، فإذا قُعْقِعَ به نَفَرَتِ الإبل منه، فَضَرَبَ ذلك مَثَلاً لنفسه، وقال النابغة الذّبْيَانى:

كأنك من جِمَال بنى أقُيش[4] يُقَعْقَعُ بين رجليه بشَن

وقوله: «ولقد فُرِرْتُ عن ذَكاء»، يعنى تمام السن. والذّكاءُ على ضربين:

---

(١) زيادات ر: «هو عمر بن أبى ربيعة».

(٢) زيادات ر: «غما، مقصور، رواية عاصم».

(٣) زيادات ر: «يصف خيالها وأنت على معنى المرأة».

(٤) زيادات ر: «أقيش: من عكل».

أحدهما تمام السنِّ، والآخر الحدَّةُ حدّةُ القَلْب، فمما جاء فى تمام السن قول قَيْسِ ابن زُهَيْرٍ: جَرْى المذكَّيات غِلابٌ»[1]، وقال زُهَيْر:

يُفَضِّلُهُ إذا اجْتَهَدا عليه تمامُ السنِّ منه والذَّكاءُ

وقوله: «فَعَجَمَ عيدانها»، يقول: مَضَغها لينظر أَيُّها أَصْلب، يقال: عَجَمْتُ العود؛ إذا مضغته، وكذلك فى كل شيء قال النابغة:

فَظَلَّ يَعْجُمُ أعلى الرَّوْقِ مُنْقَبِضًا فى حالكِ اللون صَدْقٍ غير ذى أُوَدِ

والمصدر العَجْمُ، يقال عَجَمْتُهُ عَجْمًا: ويقال لنَوَى كلِّ شيء: عَجَمٌ، مفتوح، ومن أسكن فقد أخطأ، كما قال الأَعْشَى:

وَجُذْعَانُهَا كَلَقيْطِ العَجَمْ[2]

وقوله: «طالما أوضعتم فى الفتنة»، الإيضاعُ: ضَرْبٌ من السَّيْرِ. وقوله:

فأضْحَى ولو كانتْ خراسانُ دونه

يعنى دون السفر رآها مكان السُّوقِ للخوف والطاعة.

[خبر ضابىء البرجمى مع عثمان]

وكان من قصة عمير بن ضَابىء أن أباه ضابئَ بن الحارِث البُرْجُمِيَّ وَجَبَ عليه حبسٌ عند عثمان ـ رحمه الله ـ وَأَدَبٌ، وذلك أنه كان استعار من قوم كلبا فأعاروه إياه، ثم طلبوه منه ـ وكان فَحاشًا ـ فرمى أُمَّهُمْ به، فقال فى بعض كلامه:

وَأُمَّكُمُ لاتتْركُوها وكَلْبَكم فإن عُقُوقَ الوالداتِ كبيرُ

فاضْطَغَنَ على عثمانَ ما فَعَلَ به فلما دُعِيَ به ليُؤَدَّبَ شَدَّ سِكِّينًا فى ساقه ليقتل بها عثمان، فُعثِرَ عليه، فأَحْسَنَ أَدَبَهُ، ففى ذلك يقول:

---

(١) زيادات ر: «ويروى: غلاء».

(٢) شدره كما فى زيادات ر:

* غزاتك بالخيل أرض العدوّ*

وقائلة إنْ مَاتَ فى السجْنِ ضابىءٌ لَنعم الفتى نَخْلُو به ونُواصله
وقائلة لايَبْعَدَنْ ذلك الفتى وَلاَ تَبعَدَنْ أخلاقه وَشمائلُه
وقائلةً لايُبْعد اللهُ ضابئًا إذ الكَبْشُ لم يوجد له مَنْ يُنَازلُه
وقائلة لايُبْعَد اللهُ ضابئًا إذا الخَصْمُ لم يوجد له مَنْ يُقَاوِلُه
فلا تُتبعنى إنْ هَلكْتُ ملامةً فليس بعار قتْلُ مَنْ لا أقاتله
هَمَمْتَ ولم أَفعَلْ، وكِدْتُ وليتنى تَركْتُ على عُثمان تَبْكى حَلائله
وما الفَتكُ ما آمَرْت فيه ولا الذى تُخَبِّرُ مَنْ لاَ قَيْتَ أنك فاعلَه

[حديث أبى شجرة السلمى مع عمر بن الخطاب]

قال أبو العباس: وشبيه بقوله ما حُدثنا به عن أبى شَجَرَة السّلَمىِّ ـ وكان من فُتَّاكِ العرب[١] ـ فأتى عُمَرَ بن الخَطَّاب ـ رحمه الله ـ يَستحمله[٢]، فقال له عمر: ومن أنت؟ فقال: أنا أبو شجرة السلمى، فقال له عمر: أى عدى نفسه، ألست القائل حيث ارتددت:

وَرَوَّيت رُمْحى من كَتيبة خالد وَإنِّى لأرْجُو بعدها أن أُعَمَّرَا[٣]
وعارَضْتُهَا شَهْباء تَخْطُرُ بالقَنا تَرَى الْبيْضَ فى حافاتها والسَّنَوَّرا[٤]

ثم انحنى عليه عمر بالدِّرَّة، فسَعَى إلى ناقته فحَل عِقاليها وأقبلها حَرَّةَ بنى سُلَيْم بأحثِّ السير هربا من الدِّرَّة، وهو يقول:

قد ضَنَّ عنها أبو حَفْصٍ بنائله وكلُّ مُخْتَبِط يومًا له ورَقُ
مازال يَضْرِبُنى حتى خَذِيتُ لَهُ وحال مِنْ دون بعضِ الرَّغْبَة الشَّفَقُ[٥]

---

(١) زيادات ر: «أبو شجرة هو عمرو بن عبدالعزى، وأمه الخنساء. وقال الطبرى: اسمه سليم بن عبدالعزي».
(٢) يستحمله: يسأله أن يحمله على ركوبه.
(٣) زيادات وبروى: «أن أعمرا، بكسر الميم، ومعناه أن أفعل ذلك بكتيبة عمر».
(٤) شهباء: من الشهبة: وهو بياض فى خلاله سواد. وتخطر، من الخطران؛ وهو الاهتزاز.
(٥) الشفق: من الإشفاق، وهو الخوف.

ثم التَفَتُّ إليها وَهْىَ حانيةٌ   مِثْلَ الرتاجِ إذا ما لَزَّهُ الغَلَقُ[1]
أقْبَلْتُها الخَلَّ من شَوْرانَ مجتهدًا   إنى لأزرى عليها وهى تَنْطَلِقُ[2]

ويروى أنه كان يرمى المُسلمين يوم الرِّدَّة فلا يُغْنِى شيئًا، فجعل يقول:

ها إنَّ رَمْيِى عَنْهُمُ لَمَعْبُولْ   فلا صَرِيحَ اليومَ إلا المَصْقُولْ

وقوله:

وكل مختبط يوما له ورق

أصل هذا فى الشجرة أن يختبطها الراعى، وهو أن يضربها حتى يسقط ورقها، فضرب ذلك مثلا لمن يطلب فضله، وقال زهير:

ولَيْسَ مانعَ ذى قُربَى وذى نَسَبٍ   يَوْمًا ولا مُعْدمٍ من خابطٍ وَرَقَا[3]

وقوله: «حتى خَذَيتُ له»، يقول: خَضَعْتُ له، وأكثر ماتَسْتَعْمِلُ العامةُ هذه اللفظة بالزيادة، تقول: استخذَيْتُ له. وزعم الأصمعىّ أنه شَكَّ فيها، وأنه أحَبَّ أن يَسْتَثْبتَ: أهيَ مهموزةٌ أم غير مهموزة؟ قال: فقلتُ لأعرابىٍّ: أتقول: استخْذَيْتُ[4] أم استخذأْتُ؟ قال: لا أقولهما، قلتُ: ولِمَ؟ فقال: لأن العرب لا تَستَخْذى. وهذا غير مهموز[5]. واشتقاقه من قولهم: أُذُنٌ خذواء وبَنَمة خَذْواءُ، أى مُستَرْخِية.

* * *

[قال أبو الحسن: البنَمة: نبت مسترخ على وجه الأرض تأكله الإبل فتكْثُرَ عنه ألبانها].

* * *

(١) حانية: لاوية عتفها. والغلق اسم لما يغلق به، والرتاج: الباب الكبير. واللزة الشد والإلصاق.
(٢) الخل: الطريق النافذ بين الرمال. وشوران: جبل مرتفع قرب المدينة.
(٣) زيادات ر: «قوله: ولا بعدم بالخفض؛ عطفه على توهم الباء فى مانع ومثله ما أنشده:

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة   ولاناعب إلا ببين غرابها

على توهم الباء فى «مصلحين» و«من» فى «خابط» زائدة.
(٤) استخذى : خضع.
(٥) هنا آخر الخرم الموجود فى نسخة الأصل.

قال الأصعمى: وقلت لأعرابىٍّ: أَتَهْمِزُ الفَأْرَةَ! قالَ: تهمزُها الهِرَّةُ.

وقوله: «إنى لأزْرى عليـها»، يقول: أستـحثُّها، يقال: زَرَى عـليه: أى عاب عليه، وأَزْرى به أى قَصَّرَ به، فيقول: إنها لمجتهدة، وإنى لأَزْرِى عليها، أى أعيب عليها لطلَبى النَّجَاءَ والسرعة، وقال الأخْطَلُ:

فظَلَّ يُـفَـدِّيهــا وظَلَّتْ كـأنـهــا عُـقــابٌ دعـاها جُنْحُ ليـلٍ إلى وكْـرِ

وقوله: «ها إنَّ رَمْـيى عنهمُ لَمَعْبول »، يقـول: مَخبولٌ مـردودٌ. والصَّريحُ: المَحْضُ الخالص، يقـال ذلك للبن إذا لم يَشُبْهُ مـاء، ويقال: عَربىٌّ صَـرِيحٌ ومَوْلى صريح، أى خالص.

[خطبة لعمر بن الخطاب حين سمع أن قوما يفضلونه على أبى بكر]

قال: وحدثنى محمد بن إبراهيم الهاشمىّ فى إسناد ذكره قال: بَلَغ عمر بن الخطاب رحمـه الله أن قومـا يفضلونه على أبى بكر الصِّـدِّيقِ رحمـه الله، فَوَثَبَ مُغْضَبًا حَتَّى صَعِدَ المِنْبَر، فَحَمِدَ الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه ﷺ، ثم قال:

أيها الناس، إنى سأُخَـبِرُكُمْ عنى وعن أبى بكر، إنه لما تُوُفِّى رسول الله ﷺ ارْتَدَّت العرب، وَمَنَعتْ شاتَها وبعيرها، فـأجْمَعَ رأيُنا كلنا أصحابَ محمد ﷺ أن قلنا لهَ: ياخَليفة رسول الله، إن رسول الله ﷺ كان يقاتل العرب بالوحْيِ والملائكة يُمِدُّه اللهُ بهم، وقـد انقطع ذلك اليومَ، فَالْزَمْ بيـتك ومسجدك، فـإنه لا طاقةَ لك بقتال العرب. فقال أبو بكر الصديق: أو كلكم رأيه على هذا؟ فقلنا: نعم! فقال: والله لأن أخر من الـسماء فـتخطفنى الطيـر أحب إلى من أن يكون هذا رأيى! ثم صعد المنبر، فـحمد الله وكبره وصلى على نبيه ﷺ، ثـم أقبل على الناس فقال: أيها الناس، من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت، أيها الناس، أأن كثر أعداؤكم، وقل عددكم، ركب الشيطان منكم هذا المركب! والله ليظهـرن الله هذا الدين على الأديان كلهـا ولو كره المشـركون. قوله الحق، ووعده الصدق، ﴿**بل نَقْذِفُ بالحق على الباطل فيَدْمَغُهُ فإذا هو زاهقٌ**﴾، و﴿**كَمْ من فـئة قلـيلة غلبت فئـة كـبيـرة بإذن الله والله مع الصـابرين**﴾. واللهَ أيهـا الناس، لو أُفْرِدْتُ من جـميعكم لجـاهدتُهُم فى الله حق جهاده حـتى أُبْلِيَ بنفسى

عُذْرًا أو أُقْتَلَ قتلا، والله أيها الناس لو مَنَعونِى عقالا لجاهَدْتُهُمْ عليه، واسْتَعَنْتُ عليهمُ اللهَ وهو خيرُ معينٍ.

ثم نزل فجاهد فى الله حَقَّ جِهادِهِ حتى أَذْعَنَتِ العربُ بالحق.

قوله: «كم من فئة» فهى الجماعة، وهى مهموزة، وتخفيف الهمز فى هذا الموضع أن تُقْلَبَ الهمزةُ ياءً، وإن كانت قبلها ضمة وهى مفتوحة قَلَبْتَها واوًا، نحو جُؤَنٍ[1] تقول جُوَنٌ.

وقوله: «لو منعونى عقالا لجاهدتهم عليه» على خلاف ما تتأوله العامة، ولقول العامة وجه قد يجوز، فأما الصحيح فإن المُصَدِّق[2] إذَا أخذ من الصدقة ما فيها ولم يأخذ ثَمنها قيل: أخذ عِقالاً، وإذا أَخَذَ الثَّمن قيل: أخذ نَقْدًا، قال الشاعر:

أَتَانَا أَبُو الَخطَّابِ يَضْرِبُ طَبْلَهُ[3] ... فَرُدَّ وَلَمْ يَأْخذْ عِقالاً وَلا نَقْدَا

والذى تقوله العامة تأويله: لو منعونى ما يساوى عقالا، فضْلا عن غيره. وهذا وجه، والأول هو الصحيح؛ لأنه ليس عليهم عقال يُعْقَلُ به البعير فيَطْلُبُهُ فيُمْنَعَه، ولكن مجازه فى قول العامة ما ذكرنا.

ومن كلام العرب: أتانا بجَفْنةٍ يَقْعُدُ عليها ثلاثةٌ، أى لو قعد عليها ثلاثة لَصلَح.

[من أبيات للحطيئة حين ارتد بعض العرب]

وكان ارتدادُ من ارتَدَّ من العرب أن قالوا: نُقيمُ الصلاةَ ولا نُؤْتى الزكاة، فمن ذلك قول الحُطَيْئَة:

أَلاَ كلُّ أَرْماحٍ قِصارٍ أَذلَّة ... فِداءٌ لأَرْماحٍ نُصِبْنَ عَلَى الغَمْرِ[4]

فَباسْتَ بَنِى عَبْسٍ وأَسْتَاه طَيِّئٍ ... وَباسْت بَنِى دُودَانَ حَاشا بَنِى نَصْرِ

أَبَوْا غَيْرَ ضَرْبٍ يَجْثِمُ الْهامَ وَقْعُهُ ... وَطَعْنٍ كَأَفْواه المزَفَّتَة الُحمْرِ[5]

أَطَعْنَا رَسُولَ اللّهِ إذْ كَانَ بَيْنَنَا ... فَيَا لَهْفَتَا ما بالُ دِينِ أَبِى بَكْرِ!

---

(١) زيادات ر: «الجؤنة: الحقة يجعل فيها الحلى». (٢) المصدق: جابى الزكاة.

(٣) زيادات ر: «كانت الأمراء إذا خرجت لأخذ الصدقة تضرب الطبول».

(٤) الغمر هنا: اسم ماء. (٥) زيادات ر: «المزفتة: المطلبية بالزفت، وهو القطران».

أَيُورِثُها بَكْرًا إذَا ماتَ بَعْدَه، فتلكَ وَبَيْت الله قاصِمَةُ الظَّهْرِ
فَقُومُوا ولاتُعْطُوا اللِّئامَ مَقادَةً وَقُومُوا ولَوْ كانَ القِيامُ عَلَى الجَمْرِ
فِدًى لبَنى نَصْرٍ طَرِيفى وَتالِدِى عَشِيَّةَ زَادُوا بالرِّماحِ أبا بَكْرِ[1]

قوله: «يجثم الهام وقعه»، إنما هو مَثَلٌ، يقال: جَثَمَ الطائرُ؛ كما يقال: برك الجمل، وربض البعير.

وكان قَيْسُ بن عاصم بن سِنان بن خالد بن مِنْقَرٍ عاملا على صَدَقاتِ بنى سَعد، فقسم مَا كان فى يده من أموال الصدقات على بنى مِنْقَرٍ، وقالَ:

فَمَنْ مُبْلغٌ عنى قُرَيْشًا رِسالةً إذا ما أتَتْها مُحكَماتُ الوَدائع
حَبَوْتُ بما صَدَّقْتُ فى العامِ مِنْقَرًا وأيأسْتُ منها كلَّ أَطْلَسَ طامِعِ

قوله: «فأجمع رأينا كلِّنا أصحابَ محمد» فإنما خَفَضَ «كُلا» على أنه توكيد لأسمائهم المضمرة، والظاهرة لا تكون بدلا من المضمر الذى يَعْنِى به المتكلمُ نفْسَهُ، أو يَعْنى به المَخَاطَب. لا يجوز أن تقول مررتُ بى زيد، لأن هذه الياء لا يَشْرَكُهُ فيها شريكٌ فتحتاج إلى التبيين، وكذلك لا يجوز: ضربتُكَ زيدًا؛ لأن المخاطب منفرد بهذه الكاف، فأما الهاء نحو مررت به عبدالله، فيجوز لأنا نحتاج إلى أن يُعَرِّفَنا مُبَيِّنًا: مَنْ صاحب الهاء؟ لأنها ليست للذى يخاطبه فلا ينكر نفسه، وإنما يُحَدِّثُ به عن غائب فيحتاج إلى البيان.

وقوله: «أصحابَ محمد» اختصاص: وينتصب بفعل مضمر، وهو «أعنى» ليبين من هؤلاء الجماعة. كما ينشد:

نحن بنى ضبة أصحاب الجمل

أراد: نحن أصحاب الجمل، ثم بين من هم؛ لأن هذا قد كان يقع على من دون بنى ضبة معه، وعلى من فوقها إلى مضر ونزار ومعدّ ومَن بعدهم. وكذلك: نحن العرب أقرى الناس للضيف، ونحن الصعاليكَ لا طاقة لنا على المروءة.

---

(١) زيادات ر: «قوله: «ذادوا بالرماح أبابكر» كذب، إنما خرجوا على الإبل فقعقعوا لها بالشنان فنفرت وفرت».

ويختار من الشعر[1]:

إنا بـنى مـنقـــــر ذوو حـــــسبٍ   فـــينا ســـراة بنى ســـعـــد وناديهـــا

وقليل هذا يدلّ على جميع هذا الباب، فافهم.

كمل الجزء الأول من كتاب الكامل بحمد الله وعونه

ويليه الجزء الثانى.

(١) زيادات ر: «هو لعمرو بن الأهتم».



فهرس الموضوعات

صفحة

باب

باب

باب

باب

باب

باب

باب

باب